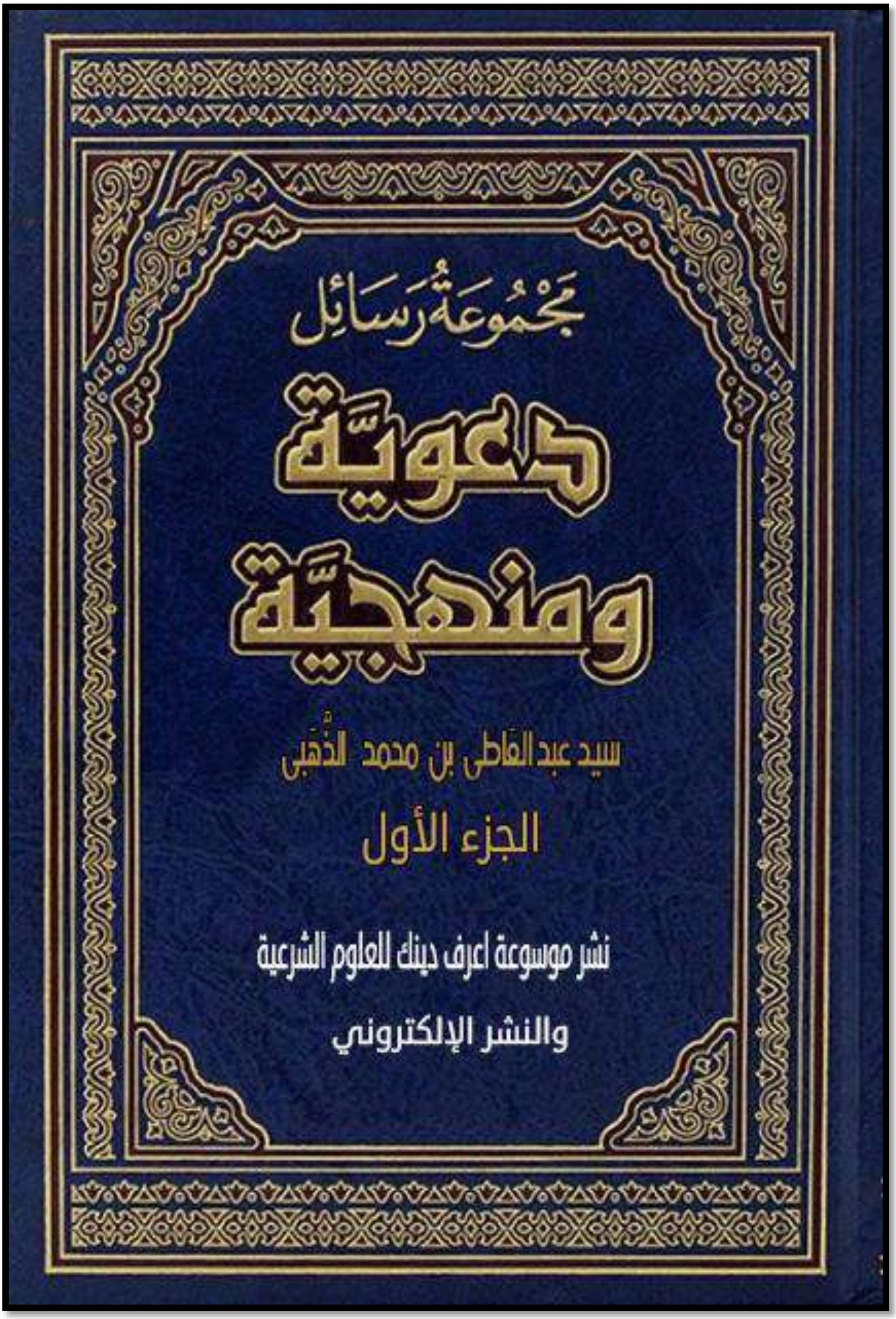

مَجْمُوعَةُ رَسَائِل
دعويَّة
ومنهجيَّة
سيد عبدالعاطى بن محمد الذَّهبى
الجزء الأول
نشر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية
والنشر الإلكتروني

مُقَدِّمَة

يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني نشر عدة مجلدات لرسائل ومقالات الشيخ سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي لغزارة انتاجه لحفظه للدعوة والدعاة وهي بعنوان : (مجموعة رسائل دعوية ومنهجية) وهي من اقتراح الموسوعة ، وهذا هو الجزء الأول منها

وأن شاء الله تستمر علي أجزاء وكل جزء لا يقل عن ٣٥٠ ورقة من الحجم الكبير ويضم مجموعة من الرسائل غير المكررة..

والشيخ-حفظه الله يكتب في مواضيع كثيرة متعددة وبمنهجية ملتزماً ببيان الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة الصحيحة مع توثيقها..مما يجعلها زخيرة علمية للداعية تغنيه عن البحث عنها وتوفر له الوقت والجهد.

وقد نشرت له الموسوعة أكثر من ٨٠ رسالة نجمعها مع غيرها من الجديد في هذه المجلدات المنهجية لحفظها وجميعها مكتملة مع الحرص علي هدم تكرارها في أجزاء أخري ، لنفيد ونستفيد..مع استمرار نشر رسائل منفصلة صغيرة الحجم حسب أهميتها وزمانها.

وهذا المجلد ضم (25) رسالة بعضها لم ينشر من قبل، ذكرنا عناوينها مجتمعة وبترتيبها في فهرس ببداية الكتاب ..ثم نسقنا كل رسالة علي حدة، وجعلنا بينهم فاصل لطيف قبل الرسالة الثانية،ونسأل الله القبول والإخلاص لنا وللكاتب ولكل من ساهم في نشرها والدال علي الخير كفاعله كما أخبرنا الصادق المعصوم-صلي الله عليه وسلم-

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

والنشر الإلكتروني

١-الْوَسَطِيَّةُ حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ
٢-قُطُوفُ الْبِرِّ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوْبَةَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ
٣-الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ وَرَدُّ شُبُهَاتِ الْمُعَانِدِين
٤-شُبُهَاتٌ وَرُدُودٌ جَهُولٌ يَنْهَى عَنِ الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ
٥-الْقُرْآنُ الْكَرِيمِ وَرَدُّ شُبُهَاتِ الْمُعَانِدِين (شبهات اخري)
٦-سُجُودُ السَّهْوِ ضَوَابِطُ وَأَحْكَام
٧-الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ وَتَوْضِيحُ الْمُسَلَّمَات
٨-ضَوَابِطُ شَرْعِيَّة فِي مَرْحَلَةِ الاسْتِضْعَاف
٩- كَلِمَةُ(أَنَا) دَمّرَتْ وَبَنَتْ
١٠-الإِيمَانُ وَالْأَمَلُ قَرِينَان
١١-قَوَاعِد مَنْهَجِيَّة فِي جِهَاد الْأَعْدَاء
١٢- تَقْوَى اللَّهِ غَايَةٌ مَنْشُودَةٌ وَدُرَّةٌ مَفْقُودَةٌ
١٣- أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاس
١٤- خَالِدُ الْجِنْدِيّ وَالْعَيْنِ الْعَوْرَاءُ لِلسَّلَفِيِّ
١٥- دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّم
١٦-مَفْهُومُ قَوْلِ النَّبِيِّ:أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذ ؟
١٧- الْمَاءُ نِعْمَةٌ فَاشْكُرُوهَا
١٨-حتي لاينخدع البسطاء ويجتريء السفهاء
١٩- أَدَبُ النَّبِيِّ مَعَ الرَّبِّ الْعَلِيِّ
٢٠-تَحْذِير الْعَابِد مِنَ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِد
٢١-الْبَدْرُ التَّمَامُ فِي بَيَانِ أَهَمِيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الْإِسْلَامِ
٢٢-التَّلْخِيصُ الْحَبِيرُ فِي بَيَانِ خُطُورَةِ التَّكْفِيرِ

٢٣-السُّخْرِيَّةُ دَاءٌ عُضَالٌ فَاحْذَرُوه

٢٤-التَّاجِرُ الْمُسْلِمُ الصَّدُوقُ

٢٥-الْعَقْلُ الْمُتَدَبِّرُ مِنْحَةٌ رَبَّانِيَّة



موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

والنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١)

الْوَسَطِيَّةُ

حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لله مُصَرِّفِ الْأَوْقَاتِ،وَمُيَسِّرِ الْأَقْوَاتِ،فَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ،أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ؛ وَالَى عَلَيْنَا نِعَمَهُ وَإِحْسَانَهُ، فَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ خَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ، وَيَسَّرَ لَنَا سُبُلَ الطَّاعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ وَيَسِيرِ التَّشْرِيعَاتِ،اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَكْرَمِ الْبَرِيَّاتِ،وَعَلَى آلِهِ السَّادَاتِ،
وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْمَقَامَاتِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ:
•فَفِي ظِلِّ هَذَا الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ الْعَصِيبِ الَّذِي تَمُرُّ بِهِ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ حَيْثُ هَبَّتْ رِيَاحُ الشُّبُهَاتِ وَرِيَاحُ الشَّهَوَاتِ،وَأَصْبَحَ جُلُّ مَنْ يَنْتَسِبُونَ لِلالْتِزَامِ–إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي وَعَصَمَ–إِمَّا مِنْ أَهْلِ الْإِفْرَاطِ أَوْ مِنْ أَهْلِ التَّفْرِيطِ وَهَذِهِ سَيِّئَةٌ وَتِلْكَ سَيِّئَةٌ،وَقَلَّ أَهْلُ الْوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ،فَفَرِيقٌ ضَخَّمَ كُلَّ شَيْءٍ وَضَيَّقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَحَرَّمَ كُلَّ شَيْءٍ وَبَدَّعَ كُلَّ شَيْءٍ وَجَعَلَ الْكَآبَةَ وَالْحُزْنَ مَنْهَجًا،فَنَفَّرَ وَحَجَّرَ الْوَاسِعَ،وَفَرِيقٌ تَسَيَّبَ وَتَكَاسَلَ وَخَالَفَ وَانْغَمَسَ فِي الرَّذَائِلِ وَالْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ وَاحْتَكَمَ إِلَى الْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ وَتَرَكَ أَحْكَامَ الشَّرْعِ وَعَادَى الْمُصْلِحِينَ،لِذَا انْكَسَرَتِ الْأُمَّةُ وَضَاعَتْ مَكَانَتُهَا،وَتَوَالَتِ الْعُقُوبَاتُ،وَلَا سَلَامَةَ لِلأُمَّةِ إِلَّا بِالْعَوْدَةِ إِلَى وَسَطِيَّةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْحَسَنَةِ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ بَيْنَ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ.
-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ }.(البقرة:١٤٣).
-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } أَيْ: عَدْلًا خِيَارًا، وَمَا عَدَا الْوَسَطِ، فَأَطْرَافٌ دَاخِلَةٌ تَحْتَ الْخَطَرِ، فَجَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَسَطًا فِي كُلِّ أُمُورِ الدِّينِ، وَسَطًا فِي الْأَنْبِيَاءِ، بَيْنَ مَنْ غَلَا فِيهِمْ، كَالنَّصَارَى، وَبَيْنَ مَنْ جَفَاهُمْ، كَالْيَهُودِ، بِأَنْ آمَنُوا بِهِمْ كُلِّهِمْ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِذَلِكَ، وَوَسَطًا فِي الشَّرِيعَةِ، لَا تَشْدِيدَاتِ الْيَهُودِ وَآصَارِهِمْ، وَلَا تَهَاوُنَ النَّصَارَى. وَفِي بَابِ

الطَّهَارَة وَالْمطَاعِمِ، لَا كَالْيَهُود الَّذين لَا تَصح لَهُمْ صَلَاةٌ إِلَّا فِي بِيَعِهِمْ وَكَنَائِسِهِمْ، وَلَا يُطَهِّرُهُمُ الْمَاءُ من النَّجَاسَات، وقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِم الطَّيِّبَاتُ، عُقُوبَةً لَهُمْ، وَلَا كَالنَّصَارَى الَّذين لَا يُنَجِّسُونَ شَيْئًا، وَلَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا، بَلْ أَبَاحُوا مَا دَبَّ وَدَرَجَ. بَلْ طَهَارَتُهُمْ أَكْمَلُ طَهَارَة وأَتَمُّهَا، وأَبَاحَ اللَّهُ لَهُمُ الطَّيِّبَات من الْمَطَاعِم وَالْمَشَارِب وَالْمَلَابِس وَالْمَنَاكِحِ، وحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِث من ذَلك، فلِهَذِه الْأُمَّة من الدِّين أَكْمَلُهُ، وَمن الْأَخْلَاق أَجَلّهَا، وَمن الْأَعْمَال أَفْضَلهَا. ووَهَبَهُمُ اللَّهُ من الْعِلمِ والْحِلمِ، والْعَدلِ وَالْإِحْسَان، مَا لَمْ يَهَبْهُ لأمَّة سِوَاهُمْ، فلِذَلِكَ كَانُوا { أُمَّةً وَسَطًا } كَاملين لِيَكُونُوا { شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس } بِسَبَب عَدَالَتِهِمْ وَحُكْمِهِمْ بِالْقِسْط، يَحْكُمُونَ عَلَى النَّاسِ منْ سَائِرِ أهل الْأَدْيَان، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ، فَمَا شَهِدَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ، فَهُوَ مَقْبُولٌ، وَمَا شَهِدَتْ لَهُ بِالرَّدِّ، فَهُوَ مَرْدُودٌ.{

-وقَالَ اللَّهُ تَعالَى:{ وَالَّذين إِذا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلكَ قَوَاماً }.(الفرقان:٦٧).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّه تَعالَى–في تَفْسِيرِه لِهَذِه الْآيَة:{ وَالَّذين إِذَا أَنْفَقُوا } النَّفَقَات الْوَاجبَة وَالْمُسْتَحَبَّة {لَمْ يُسْرِفُوا} بِأَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْحَدِّ فَيَدْخُلُوا فِي قِسْمِ التَّبْذِير وَإِهْمَال الْحُقُوق الْوَاجِبَة، { وَلَمْ يَقْتُرُوا } فَيَدْخُلُوا فِي بَابِ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ { وكَانَ } إِنْفَاقُهُمْ { بَيْنَ ذَلكَ } بَيْنَ الْإِسْرَاف وَالتَّقْتِير { قَوَامًا } يَبْذُلُونَ فِي الْوَاجبَات من الزَّكَوَات وَالْكَفَّارَات وَالنَّفَقَات الْوَاجبَة، وَفِيمَا يَنْبَغِي عَلَى الْوَجْهِ الَّذي يَنْبَغِي من غَيْرِ ضَرَرٍ وَلَا ضِرَارٍ وَهَذَا من عَدْلِهِمْ وَاقْتِصَادِهِمْ} .

•حَقًّا مَا أَجْمَلَ الْإِسْلَامَ!! وَمَا أَعْظَمَ مَحَاسِنَهُ.!!

•دِينٌ أَبَاحَ كُلَّ طَيِّبٍ فقَالَ اللَّهُ تَعالَى:{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.(الأعراف:٣٢).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى–في تَفْسِير هَذِه الْآيَة:

{يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى مَنْ تَعَنَّتَ، وَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ الطَّيِّبَات { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ } مِنْ أَنْوَاعِ اللِّبَاسِ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِه، وَالطَّيِّبَات من

الرِّزْق، مِنْ مَأكلٍ ومَشْرَب بجَميعِ أنْوَاعه، أيْ: مَنْ هَذَا الَّذي يُقْدِمُ عَلَى تَحْرِيمِ مَا أنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى الْعِبَاد، وَمَنْ ذَا الَّذي يُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ مَا وَسَّعَهُ اللَّهُ؟.وَهَذَا التَّوْسيعُ مِنَ اللَّه لِعبَادِه بِالطَّيِّبَات، جَعَلَهُ لَهُمْ لِيَسْتَعينُوا بِه عَلَى عِبَادَتِه، فَلَمْ يُبِحْهُ إِلَّا لِعبَادِه الْمُؤمنينَ، وَلِهَذَا قَالَ: { قُلْ هِيَ لِلَّذينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أيْ: لَا تَبِعَةَ عَلَيْهِمْ فِيهَا. وَمَفْهُومُ الْآيَة أنَّ مَنْ لَمْ يُؤمنْ بِاللَّه، بَلِ اسْتَعَانَ بِهَا عَلَى مَعَاصِيه، فَإنَّهَا غَيْرُ خَالِصَة لَهُ وَلَا مُبَاحَة، بَلْ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا وَعَلَى التَّنَعُّمِ بِهَا، وَيُسْأَلُ عَنِ النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَة. { كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَات } أيْ:

نُوَضِّحُهَا وَنُبَيِّنُهَا { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } لأنَّهُمُ الَّذينَ يَنْتَفِعُونَ بِمَا فَصَّلَهُ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ، وَيَعْلَمُونَ أنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّه، فَيَعْقِلُونَهَا وَيَفْهَمُونَهَا}.

•هَذَا وَقَدْ صَنَّفْتُ هَذه الرِّسَالَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { الْوَسَطِيَّةُ حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ } لِبَيَانِ وَسَطِيَّة الْإِسْلَامِ فِي اسْتِعْمَالِهَا الْحَقِّ،لأنَّ هُنَاكَ مَنْ أسَاءَ اسْتِعْمَالَهَا،وَأرَادَ تَمْرِيرَ (التَّمْيِيع) لِلأَحْكَامِ الشَّرْعيَّة مِنْ خِلَالِهَا ، وَذَهَبَ إِلَى الثَّوَابِت الشَّرْعيَّة لِيَهُزَّ قَوَاعِدَهَا ، انْطِلَاقًا مِنْ تِلْكَ الْجُمْلَة ، وَمِنْ فَهْمِه الْمَغْلُوطِ لَهَا،هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللَّه التَّوْفِيقُ:

•أوَّلًا:تَعْرِيفُ الْوَسَطِيَّة:

(أ) الْوَسَطِيَّةُ لُغَةً:

-الْوَسَطِيَّةُ فِي لُغَة الْعَرَب تَدُورُ عَلَى ثَلَاثَة مَعَانٍ:

-الْمَعْنَى الْأوَّل: الْعَدْلُ وَالْعَدَالَة، كَمَا فِي سُورَة الْقَلَمِ: { قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ }.(القلم:٢٨)، وَمَعْنَى أوْسَطُهُمْ أيْ أعْدَلُهُمْ.

-قَالَ الشَّاعِرُ:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأنَامُ بِحُكْمِهِمْ
إذَا نَزَلَتْ إحْدَى اللَّيَالِي الْعَظَائِم.

-أيْ: هُمْ عُدُولٌ.

-وقَالَ سبْحانَهُ عنْ أمَّة الْإسلَامِ:{ وكَذَٰلك جعلْنَاكمْ أُمَّةً وسطًا لِّتكُونُوا شُهداءَ علَى النَّاسِ ويكُونَ الرَّسُولُ علَيْكمْ شهيدًا }.{ أيْ: عدُولًا أخيَارًا. والشَّهادَةُ لَا تقُومُ إلَّا بالْعدْلِ، ولَا تُقْبَلُ إلَّا منَ الْعدْلِ }.(انظر فتح الباري: ج١٣، ص٦١٣).

-الْمعْنَى الثَّاني: الْخيْريَّةُ،قَالَ تعَالَى:{ كُنتُمْ خيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجتْ لِلنَّاسِ }.(آل عمران:١١٠).

-قَالَ الشَّيْخُ الشّنْقيطيُّ-رَحمهُ الله تعَالَى- في أضوْاءِ الْبيَانِ:{ بيْنَ وصفَ الْأمَّة بالْخيْريَّةِ ووصفْهَا بالْوسطيَّة تلَازُمٌ، إذْ أنَّ الْوسطَ في لُغَة الْعرَبِ الْخيَارُ }.(أضواء البيان: ج١، ص٨٧)، وكمَا في قوْلِهمْ:{ كَانَ رسُولُ الله أوْسطَ الْعرَبِ نسبًا }.أيْ:خيْرُهُمْ نسبًا.

-الْمعْنَى الثَّالثُ: الْوسطُ بيْنَ طرَفيْنِ، والْفضيلَةُ بيْنَ رذيلَتيْنِ، أو الْحسَنُ بيْنَ سيِّئتيْنِ.

كَانَتْ هي الْوسطُ الْمحْميُّ فَانفَرَقَتْ
بهَا الْحوادثُ حتَّى أصبَحتْ طرَفًا.

-قَالَ تعَالَى:{ ولَا تجعلْ يدَك مغْلُولَةً إلَىٰ عنُقك ولَا تبْسطْهَا كلَّ الْبسْطِ }.(الإسراء:٢٩)، وقَالَ:{ والَّذين إذَا أنفقُوا لمْ يسْرفُوا ولمْ يقْتُرُوا وكَانَ بيْنَ ذَٰلك قوَامًا }.(الفرقان:٦٧).

(ب) الْوسطيَّةُ شرْعًا:

-والدَّلَالَةُ الاصطلَاحيَّةُ لمفْهومِ الْوسطيَّة أنَّهَا تعْني التَّوازُنَ والاعْتدَالَ بيْنَ طرَفي الْغُلُوِّ والتَّقْصيرِ، والْإفْرَاطِ والتَّفْريطِ، والْإسْرَافِ والتَّقْتيرِ، فكُلُّ أمْرٍ لَهُ طرَفَانِ مذْمومَانِ، إمَّا إلَى إفْرَاطٍ، وإمَّا إلَى تفْريطٍ، والْوسطُ هُوَ التَّوازُنُ بيْنَهُمَا،فهي الْحسَنَةُ بيْنَ سيِّئتيْنِ.

•ثَانيًا: مظَاهرُ الْوسطيَّة وتطْبيقَاتُهَا:

(أ) وسطيَّةُ الْمنْهجِ:

-يتَميَّزُ الْمنْهجُ في شريعَة الْإسلَامِ بالْوسطيَّةُ والْيُسْرِ حيْثُ يتَلَخَّصُ في عشْرَة أسْئلَة بإجابَاتها، وعلَى الْمُسلمِ والْمُسْلمَة الْعملُ بهَا لتَحْقيقِ الْحيَاة الطَّيِّبة في الدُّنْيَا والنَّعيمِ الْمُقيمِ في الْآخرَة،وبيَانُهَا علَى النَّحْوِ الْآتي:

•ثَلَاثَةُ أسئلَة فِي الْحَيَاة الدُّنيا:الْأَوَّلُ: مَنْ خلقك؟وَالْإجَابَةُ فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(الْبَقَرة:٢١).،وَالثَّاني:لماذَا خلقك؟وَالْإجَابَةُ فِي قَوْلِ اللَّه تَعَالَى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.(الذَّاريات:٥٦).،وَالثَّالثُ:مَا الْمَصيرُ؟وَالْإجَابَةُ فِي قَوْله تَعَالَى:{وَلِلَّه مُلْكُ السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّه الْمَصِيرُ }.(النُّور:٤٢).

•وَثَلَاثَةُ أسئلَة فِي الْقَبْر وَهِي:السُّؤالُ عَنْ رَبِّه وعَنْ دينه وعَنْ نبيِّه،ففي حَديث الْبَرَاء بْنِ عَازِب–رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنهُمَا–الطَّوِيل عنْدَ أَبِي دَاوُد–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–برقم(٤٧٥٣) قَالَ رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–وَاصفًا حَالَ الْعَبْد الْمُؤمن فِي قَبْره عنْدَ سؤال الْمَلَكَيْن:{..قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فيأتيه ملَكَان فيُجْلسَانه فيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ ربُّكَ ؟ فيَقُولُ : رَبِّي اللهُ . فيَقُولَانِ لَهُ مَا دينُكَ ؟

فيَقُولُ : ديني الْإسْلَامُ . فيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فيكُمْ ؟ فيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ الله . فيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا علْمُكَ ؟ فيَقُولُ : قَرَأتُ كتَابَ الله فآمَنْتُ به وَصَدَّقْتُ . فينَادي مُنَاد منَ السَّمَاء : أنْ صَدَق عبْدي،فَأفرشُوهُ منَ الْجَنَّة،وألْبسُوهُ منَ الْجَنَّة ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّة }.وعَنْ حَالِ الْعَبْد الْكَافر قَالَ:

{..فتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَده . ويأتيه ملَكَانِ فيُجْلسَانه فيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فيَقُولُ : هَاه هَاه ! لَا أدْرِي ! فيَقُولَانِ : مَا دينُكَ ؟

فيَقُولُ : هَاه هَاه لَا أدْرِي ! فيَقُولَانِ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فيكُمْ ؟ فيَقُولُ : هَاه هَاه ! لَا أدْرِي . فينَادي مُنَاد منَ السَّمَاء : أنْ كَذَبَ ، فأفْرشُوهُ منَ النَّار ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّار . فيأتيه منْ حرِّهَا وسمومهَا ، ويُضَيَّقُ عَلَيْه قَبْرُهُ حتَّى تَخْتَلفَ فيه أضْلَاعُهُ}.

•وَأَرْبَعَةُ أسئلَة يَوْمَ الْقيَامة بيَانُهَا فيمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ التِّرْمذيُّ–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–في سُنَنه برقَم(٢٤١٧)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانيُّ–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–في صَحيحِ التِّرْمذيِّ برقَم(٢٤١٧)منْ حَديث أَبِي بَرْزَة الْأَسْلَميِّ نضْلَة بن عُبَيْدٍ–رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–:

{لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْد يَوْمَ الْقيَامَة، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُره؛ فيمَ أفْنَاهُ؟ وَعَنْ علْمه؛ فيمَ فَعَلَ فيه؟ وَعَنْ مَاله؛ منْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جسْمه؛ فيمَ أَبْلَاهُ؟}.

(ب) وَسَطِيَّةُ وَيُسْرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ }) .القمر:١٧.(

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } أَيْ: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا وَسَهَّلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، أَلْفَاظَهُ لِلْحِفْظِ وَالْأَدَاءِ، وَمَعَانِيَهُ لِلْفَهْمِ وَالْعِلْمِ، لِأَنَّهُ أَحْسَنُ الْكَلَامِ لَفْظًا، وَأَصْدَقُهُ مَعْنًى، وَأَبْيَنُهُ تَفْسِيرًا، فَكُلُّ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ مَطْلُوبَهُ غَايَةَ التَّيْسِيرِ، وَسَهَّلَهُ عَلَيْهِ، وَالذِّكْرُ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا يَتَذَكَّرُ بِهِ الْعَامِلُونَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَحْكَامِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَأَحْكَامِ الْجَزَاءِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ، وَالْعَقَائِدِ النَّافِعَةِ وَالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، وَلِهَذَا كَانَ عِلْمُ الْقُرْآنِ حِفْظًا وَتَفْسِيرًا، أَسْهَلَ الْعُلُومِ، وَأَجَلَّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ الَّذِي إِذَا طَلَبَهُ الْعَبْدُ أُعِينَ عَلَيْهِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ:

هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانُ عَلَيْهِ؟ وَلِهَذَا يَدْعُو اللهُ عِبَادَهُ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالتَّذَكُّرِ بِقَوْلِهِ: { فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }.

(ج) وَسَطِيَّةُ وَيُسْرُ الْعَقِيدَةِ:

-تَتَمَيَّزُ الْعَقِيدَةُ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِالْوَسَطِيَّةِ وَالسُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ،يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

فِي:الْمُوَافَقَاتِ:٢/١٤:{ إِنَّ التَّكَالِيفَ الِاعْتِقَادِيَّةَ جَاءَتْ بِحَيْثُ يَسَعُ الْأُمِّيَّ تَعَقُّلُهَا،لِيَسَعَهُ الدُّخُولُ تَحْتَ حُكْمِهَا، وَحَتَّى تَكُونَ قَرِيبَةً لِلْفَهْمِ ، مُسَهَّلَةً عَلَى الْعَقْلِ، بِحَيْثُ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْجُمْهُورُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ثَاقِبَ الْفَهْمِ أَوْ بَلِيدًا، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِمَّا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ، لَمْ تَكُنِ الشَّرِيعَةُ عَامَّةً، وَلَمْ تَكُنْ أُمِّيَّةً، وَقَدْ ثَبَتَ كَوْنُهَا كَذَلِكَ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَعَانِي الْمَطْلُوبُ عِلْمُهَا وَاعْتِقَادُهَا سَهْلَةَ الْمَأْخَذِ }.

-وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى سُهُولَةِ الْعَقِيدَةِ وَعُمُومِهَا أَنَّ الْأَعَاجِمَ لَا يَجِدُونَ فِيهَا صُعُوبَةً وَلَا مَشَقَّةً،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٣٢٨٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ ، أَعْجَمِيَّةٍ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَقَالَ لَهَا :{ أَيْنَ اللهُ

؟ فَأشَارَتْ بِالسَّبَّابَةِ إِلَى السَّمَاءِ فقَالَ لَهَا مَنْ أنَا ؟ فَأشَارَتْ بِأَصبَعِهَا إِلَيْهِ ، وإِلَى السَّمَاءِ ، أيْ أنْتَ رَسُولُ الله فقَالَ: أعْتِقْهَا}.

(د) وَسَطِيَّةُ وَيُسْرُ الْعِبَادَاتِ:

-وَفِي وَسطِيَّةِ وتَيْسِيرِ الْعِبَادَةِ تَخْفِيفٌ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَسْهُلَ أدَاؤهَا بِلَا مَشَقَّةٍ، وَمِنْ مَظَاهِرِ تَيْسِيرِ الْعِبَادَةِ فِي الْإِسلَامِ:

١-تَيْسِيرُ الطَّهَارَةِ:

-فَالطَّهَارَةُ مِنَ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُسْلِمُ فِي صَلَاتِهِ وَغُسْلِهِ وَسَائِرِ عِبَادَاتِهِ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا شَيءٌ مِنَ الشِّدَّةِ لَكَانَ أدَاءُ الْعِبَادَةِ صَعْبًا، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ الله بِعِبَادِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شَرَعَ التَّيَمُّمَ عِنْدَ انْعِدَامِ الْمَاءِ أوْ تَعَذُّرِ اسْتِعْمَالِهِ لِعِلَّةٍ أوْ مَرَضٍ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.(المائدة:٦).

،وجَعَلَ طَهَارَةَ الثِّيَابِ إِذَا أُصِيبَتْ بِالنَّجَاسَةِ بِالنَّضْحِ أوِ الْغَسْلِ، وقَدْ كَانَتْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ عِنْدَ السَّابِقِينَ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَنَا، فقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٢٦)مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{كَانَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ يُشَدِّدُ فِي الْبَوْلِ، ويَقُولُ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ ثَوْبَ أَحَدِهِمْ قَرَضَهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: لَيْتَهُ أَمْسَكَ؛ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا}.

-فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي التَّابِعِيُّ أَبُو وَائِلٍ شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ- رَضِيَ الله عَنْهُ- كَانَ يُشَدِّدُ فِي الاحْتِرَازِ مِنَ الْبَوْلِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَبُولُ فِي قَارُورَةٍ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَهُ شَيءٌ مِنْهُ، وَيَقُولُ:

إنَّ بَنِي إسْرَائيلَ كَانَ شَأْنُهمْ إذَا أصَابَ الْبَوْلُ ثَوْبَ أحَدِهِمْ {قَرَضَهُ}، أيْ: قَطَعَ الْمَوْضِعَ الَّذي أصَابَهُ الْبَوْلُ منْ ثِيَابِه، فَقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:لَيْتَ أبَا مُوسَى الْأشْعَرِيَّ أمْسَكَ نَفْسَهُ عَنْ هَذَا التَّشْدِيدِ؛ فَإنَّهُ خِلَافُ السُّنَّةِ؛ فَقَدْ أتَى–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ–{سُبَاطَةَ قَوْمٍ}، وَهِيَ:

الْمَزْبَلَةُ، فَبَالَ قَائمًا، وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِ الْقَائِمِ مُعَرَّضًا لِلرَّشَاشِ، فَلَمْ يَتَكَلَّفِ الْبَوْلَ فِي الْقَارُورَةِ أوْ مَا شَابَهَهَا، وَهَذَا مِنْ رَفْعِ الْحَرَجِ؛ لأنَّ الْأصْلَ فِي الشَّرِيعَةِ أنَّ مَا أصَابَ الثِّيَابَ أوِ الْبَدَنَ مِنْ نَجَاسَةٍ فَإنَّ الْمَاءَ يُطَهِّرُهُ، فَالْمُسْلِمُ إذَا تَعَهَّدَ مَا غَلَبَ فِي ظَنِّهِ أنَّهُ أصَابَهُ بَوْلٌ وَنَحْوُهُ؛ فَإنَّهُ يَتَّبِعُ أثَرَهُ بِالْمَاءِ، فَيَطْهُرُ. وَقِيلَ:

إنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَالَ قَائمًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ؛ لِعَدَمِ إمْكَانِ الْقُعُودِ فِي الْمَزْبَلَةِ، أوْ أنَّ مَا سَيُصِيبُهُ مِنْ نَجَاسَةٍ فِي حَالِ الْجُلُوسِ أكْبَرُ مِنْ حَالِ الْقِيَامِ.وَفِي الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْبَوْلِ قَائمًا إذَا أَمِنَ أَلَّا يُصِيبَهُ شَيْءٌ مِنَ الْبَوْلِ.

-وَشُرِعَ لَنَا الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَالْجَوْرَبَيْنِ عِنْدَ لُبْسِهِمَا عَلَى طَهَارَةٍ لِلْمُقِيمِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ،وَلِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةُ أيَّامٍ بِلَيَالِيهِنَّ وَهَذَا مِنْ يُسْرِ الْعِبَادَةِ.

٢–تَيْسِيرُ الصَّلَاةِ:

-فُرِضَتْ الصَّلَاةُ خَمسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَقَدْ كَانَتْ خَمْسِينَ فِي الْبِدَايَةِ ثُمَّ خُفِّفَتْ لِخَمْسٍ بِأجْرِ خَمْسِينَ، وَهِيَ لَا تَحْتَاجُ إلَي وَقْتٍ طَوِيلٍ وَلَا تُعِيقُ الْإنْسَانَ عَنْ أدَاءِ أعْمَالِهِ الْيَوْمِيَّةِ، وَمِنَ التَّيْسِيرِ فِي الصَّلَاةِ، كَالْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ الْحَاجَةِ رَفْعًا لِلحَرَجِ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٧٠٥)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:

{صَلَّى رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا بِالْمَدِينَةِ، فِي غَيْرِ خَوْفٍ، وَلَا سَفَرٍ. قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ: فَسَأَلْتُ سَعِيدًا: لِمَ فَعَلَ ذلكَ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَقَالَ: أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرِجَ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِهِ}.،وَقَصْرُ الصَّلَاةِ الرُّبَاعِيَّةِ رَكْعَتَيْنِ فِي السَّفَرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا}.(النِّساء:١٠١).

،وأَخْرَجَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٤٣٣)مِنْ حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ :

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ فَقَالَ عُمَرُ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ:

{ صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ}.، وَتَخْفِيفهَا فِي حَالَةِ الْمَرَضِ وَالْعَجْزِ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١١١٧)مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ،فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ:{صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ}.

٣–تَيْسِيرُ الزَّكَاةِ:

-فُرِضَتِ الزَّكَاةُ طُهْرَةً لِلمُؤمِنِينَ وَصَدَقَةً عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(التَّوبة:١٠٣).

،وَلَمْ تُفْرَضْ إِلَّا بِقَدْرٍ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٍ بَعْدَ بُلُوغِ النِّصَابِ وَحَوْلِ الْحَوْلِ عَلَيْهَا،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٧٣٧٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:

لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ:{إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ}.

،بِاسْتِثْنَاءِ أَمْوَالٍ أُخْرَى لَا تَحْتَاجُ إِلَى حَوْلٍ كَزَكَاةِ الْحَرْثِ وَالرِّكَازِ وَغَيْرِهَا. وَمِنَ التَّيْسِيرِ أَيْضًا أَنَّ الشَّارِعَ حَدَّدَ نِصَابَهَا وَأَصْنَافَهَا ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ

اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(١٥٧٣)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقْمِ(١٥٧٣)مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{فَإِذَا كَانَتْ لَكَ مِائَتَا دِرْهَمٍ وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ فَفِيهَا خَمْسَةُ دَرَاهِمَ وَلَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ يَعْنِي فِي الذَّهَبِ حَتَّى يَكُونَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا فَإِذَا كَانَ لَكَ عِشْرُونَ دِينَارًا وَحَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ فَفِيهَا نِصْفُ دِينَارٍ فَمَا زَادَ فَبِحِسَابِ ذَلِكَ قَالَ فَلَا أَدْرِي أَعَلِيٌّ يَقُولُ فَبِحِسَابِ ذَلِكَ أَوْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ إِلَّا أَنَّ جَرِيرًا قَالَ ابْنُ وَهْبٍ يَزِيدُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَيْسَ فِي مَالٍ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ}.،وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٤٠٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ}.
،فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ لَمْ يَمْلِكْ خَمْسَ أَوَاقٍ مِنَ الْفِضَّةِ زَكَاةٌ، وَالْأُوقِيَّةُ:
أَرْبَعُونَ دِرْهَمًا، وَالْمُرَادُ بِالدِّرْهَمِ الْخَالِصُ مِنَ الْفِضَّةِ، وَالْخَمْسُ أَوَاقٍ تُسَاوِي مِئَتَيْ دِرْهَمٍ،وَمَا زَادَ فَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمٌ،وَتَقْدِيرُ ذَلِكَ بِالْمَوَازِينِ الْحَدِيثَةِ يُسَاوِي تَقْرِيبًا ٥٩٥ جِرَامًا مِنَ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ.وَلَيْسَ عَلَى مَنْ لَمْ يَمْلِكْ خَمْسَ ذَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ زَكَاةٌ، وَالذَّوْدُ هُوَ أَوَّلُ اسْمِ جَمَاعَاتِ الْإِبِلِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعَشْرِ، فَمَنْ مَلَكَ مِنَ الْإِبِلِ أَرْبَعَةً فَلَا شَيْءَ فِيهَا، وَمَنْ مَلَكَ مِنْ خَمْسٍ إِلَى تِسْعٍ يَجِبُ فِيهَا شَاةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا زَادَ هَذَا النِّصَابُ زَادَتِ الزَّكَاةُ بِحَسَبِ التَّفَاصِيلِ الْمَذْكُورَةِ فِي الرِّوَايَاتِ.وَلَيْسَ عَلَى مَنْ لَمْ يَمْلِكْ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ مِنَ الْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ زَكَاةٌ، وَالْوَسْقُ: سِتُّونَ صَاعًا، فَالْخَمْسَةُ أَوْسُقٍ نِصَابُ الزَّكَاةِ: ثَلَاثُمِئَةِ صَاعٍ، وَيُسَاوِي تَقْرِيبًا ٦٥٣ كِيلُو جِرَامٍ بِالْمَوَازِينِ الْحَدِيثَةِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْفَوَاكِهَ وَالْخَضْرَاوَاتِ لَا زَكَاةَ فِيهَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا يُكَالُ كَالْحُبُوبِ وَالثِّمَارِ، وَأَيْضًا لَيْسَتْ مِمَّا يُدَّخَرُ وَيُتَّخَذُ قُوتًا، وَالزَّكَاةُ إِنَّمَا

تَجِبُ فِي الْأَقْوَاتِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ؛ كَالتَّمْرِ وَالزَّبِيبِ وَالْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَالْأَرُزِ وَالذُّرَةِ، وغيرِ ذَلِكَ.وحدَّدَ مصارفَهَا الشَّرْعِيَّةَ،
فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.(التَّوبة:٦٠).

٤-تَيْسِيرُ الصِّيَامِ:
-فَقَدْ رَخَّصَ الْإِسْلَامُ الْإِفْطَارَ لِلْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ إِنْ خَافَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَوَلَدِهَا، وَكَذَلِكَ رَخَّصَ فِي الْإِفْطَارِ لِلْمُسَافِرِ وَالْمَرِيضِ مَعَ الْقَضَاءِ بَعْدَ رَمَضَانَ،وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ الْعَاجِزِ مَعَ الْفِدْيَةِ إِطْعَامِ مِسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ وكَذَلِكَ الْمَرِيضِ مَرَضًا مُزْمِنًا لَا يُرْجَى بُرْؤُهُ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.(البقرة:١٨٣-١٨٥).
،وَرَفَعَ الْحَرَجَ عَمَّنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا فِي نَهَارِ الصِّيَامِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٦٦٩)
وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١١٥٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
{مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ؛ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ}.،كَمَا رَفَعَ الْحَرَجَ أَثْنَاءَ الصِّيَامِ عَمَّنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ

-رَحِمهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرقَمِ(٢٣٨٠)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّه تَعالَى- فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ بِرَقَمِ(٢٣٨٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنِ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ}.

٥-تَيْسِيرُ الْحَجِّ:

-وَمِنْ تَيْسِيرِ الْحَجِّ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَفْرِضْهُ إِلَّا عَلَى الْمُسْتَطِيعِينَ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } (آل عمران:٩٧).

،وَمِنْ سُبُلِ تَيْسِيرِ الْحَجِّ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَهُ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً وَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ (7288)وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرقَمِ(1337) وَالْإِمَامُ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه وَاللَّفْظُ لَهُ بِرَقَمِ (٢٦١٨)مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-النَّاسَ فَقَالَ :{إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَقَالَ رَجُلٌ :

فِي كُلِّ عَامٍ ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ حَتَّى أَعَادَهُ ثَلَاثًا فَقَالَ : لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ مَا قُمْتُمْ بِهَا ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالشَّيْءِ فَخُذُوا بِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ}.

،وَمِنْ سُبُلِ تَيْسِيرِ الْحَجِّ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنَّهُ رُخِّصَ لِمَنْ عَجَزَ عَنِ الْحَجِّ أَنْ يُوَكِّلَ أَوْ يَسْتَأْجِرَ مَنْ يَحْمِلُهُ أَوْ يَحُجُّ عَنْهُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَّى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقَّمِ(١٨٥٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- قَالَ:

جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الرَّاحِلَةِ فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: {نَعَمْ}.،بَلْ فِي الْحَدِيثِ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ التَّيْسِيرِ فِي الْحَجِّ وَهُوَ جَوَازُ حَجِّ الْمَرْأَةِ عَنِ الرَّجُلِ.

•{تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ}:

-اعلَمْ يا طَالِبَ النَّجَاةِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وإِيَّاكَ-أَنَّ الْوَسَطِيَّة وَالتَّيْسِيرَ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ مَعْنَاهُ تَرْكَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّة وَالسَّعْيَ وَرَاءَ الْمَلَذَّاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ كَمَا يَفْهَمُ ذَلِكَ بَعْضُ الْجُهَلَاءِ وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ،إِنَّمَا الْوَسَطِيَّة وَالتَّيْسِيرُ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَنِدَ إِلَى دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ أَيْ أَنَّ الدِّينَ يُسْرٌ كَمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى،وَكَمَا يَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَلَابُدَّ مِنْ وُجُودِ مَا يَدْعُو لِلتَّيْسِيرِ كَالْعُذْرِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْحَرَجِ،وَأَنْ لَا يُعَارِضَ نَصًّا شَرْعِيًّا لِقَوْلِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ }،وَأَنْ لَّا يَكُونَ فِيهِ تَتَبُّعٌ لِلزَّلَّاتِ فَقَدْ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ مَنْ أَخَذَ بِنَوَادِرِ الْعُلَمَاءِ خَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ }.(رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى:٢١٤٤٦) .،وَقَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ أَوْ زَلَّةِ كُلِّ عَالِمٍ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ }.(انْظُرْ:جَامِعَ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ لابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ:١٧٦٦).،وَأَنْ لَّا يَكُونَ فِيهِ إِثْمٌ لِقَوْلِ أُمِّنَا عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{ مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ }.(الْبُخَارِيُّ:"٣٥٦٠"،وَمُسْلِمٌ:"٦١١٥").

(هـ) الْوَسَطِيَّةُ فِي السُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ:

-وَذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ بَيْنَ حَظِّ الدِّينِ وَحَظِّ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ حَقِّ النَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، وَبَيْنَ حَقِّ اللَّهِ وَحُقُوقِ الْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا }.(الْقَصَص:٧٧)، وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ الْحَدِيثُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو:{ قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا }.

-فَالْإِنْسَانُ عَقْلٌ وَجَسَدٌ وَرُوحٌ: فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ قَبْضَةٍ مِنْ طِينِ الْأَرْضِ، وَنَفْخَةٍ مِنْ رُوحِ اللَّهِ. وَلَابُدَّ مِنَ التَّوَازُنِ بَيْنَهَا:

-ففي جَانبِ الْعَقْلِ لَابدَّ مِن تَغْذِيَتِه بِالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ الدِّينيَّة وَالدُّنيويَّة، وَأَن يُفْتَح لَهُ نَوَافِذُ الْفِكْرِ عَلَى كُلِّ جَدِيدٍ وَمُفِيدٍ، وَيَقْرَأُ فِي التَّارِيخِ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ، وَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ.

-وَفِي جَانِبِ الرُّوحِ لَابُدَّ مِنْ التَّزْكِيَةِ بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَالْأَوْرَادِ وَمَا يَسْمُو بِالنَّفْسِ وَيُرَقِّيهَا.

-وَأَمَّا الْبَدَنُ فَمِنْ حَقِّهِ عَلَى صَاحِبِهِ أَنْ يُنَظِّفَهُ إِذَا اتَّسَخَ، وَأَنْ يُقَوِّيَهُ إِذَا ضَعُفَ، وَأَنْ يُطْعِمَهُ إِذَا جَاعَ، وَأَنْ يُرِيحَهُ إِذَا تَعِبَ، وَأَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ الدَّوَاءِ إِذَا مَرِضَ، وَأَنْ يَحْفَظَهُ مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِي وَيَضُرُّ، فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ.

(و) الْوَسَطِيَّةُ فِي الدَّعْوَةِ:

-وَهِيَ تَقُومُ عَلَى مَبْدَأَيْنِ: التَّيْسِيرِ فِي الْفَتْوَى، وَالتَّبْشِيرِ فِي الدَّعْوَةِ.

-وَهَذَا أَصْلُهُ مَا رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:{ أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ لَهُمَا: بَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا }.(انْظُرْ صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحَ ابْنِ حِبَّانَ).

-وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– أَنَّ النَّبِيَّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:{ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا }. (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

-وَقَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَوَضَعَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِصْرَ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:{ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ }(الْأَعْرَاف:١٥٧).

-وَلِهَذَا قَالَ الزَّاهِدُ الْفَقِيهُ، وَالْإِمَامُ الْوَرِعُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ إِنَّمَا الْفِقْهُ الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، أَمَا التَّشَدُّدُ فَيُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ }.

(ز) الْوَسَطِيَّةُ فِي التَّجْدِيدِ وَالِاجْتِهَادِ:

-وَهَذِهِ تَقُومُ أَيْضًا عَلَى رُكْنَيْنِ: ارْتِبَاطٍ بِالْأَصْلِ، وَاتِّصَالٍ بِالْعَصْرِ.

-أَمَا الارْتِبَاطُ بِالْأَصْلِ فَهُوَ الارْتِبَاطُ بِهَذِهِ الْمَرْجِعِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى الثَّوَابِتِ فِي الْمَقَاصِدِ الْكُبْرَى: وَهِيَ الْحِفَاظُ عَلَى الدِّينِ، وَعَلَى النَّفْسِ، وَعَلَى الْعَقْلِ، وَالْمَالِ،

وَالنَّسْلِ أَوِ الْعِرْضِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى قَطْعِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا، وَعَلَى الْفَرَائِضِ الرُّكْنِيَّةِ وَعَلَى الْقِيَمِ الْخُلُقِيَّةِ.

-وَلَمَّا كَانَتِ الشَّرِيعَةُ وَسِعَتِ الْأَزْمِنَةَ وَالْعُصُورَ كَانَ لَابُدَّ أَنْ يَمُرَّ ذَلِكَ عَبْرَ آلَةِ الْاجْتِهَادِ وَالتَّجْدِيدِ، فَالثَّبَاتُ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَحْكَامِ الْقَطْعِيَّةِ، وَالْمُرُونَةُ فِي الْوَسَائِلِ وَالْآلِيَاتِ.

-فَأُصُولُ الْأَحْكَامِ تَنْضَوِي تَحْتَهَا تَفَاصِيلُ الْوَقَائِعِ، فَيَأْتِي الْاجْتِهَادُ الْمُحْكَمُ لِيَسْتَخْرِجَ لِكُلِّ حَادِثٍ حُكْمًا فَلَا يَخْلُو وَاقِعٌ أَوْ فِعْلٌ مِنْ حُكْمٍ لِلشَّرْعِ فِيهِ،وَبِهَذَا تَسْتَمِرُّ مَرْجِعِيَّةُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

(ح) الْوَسَطِيَّةُ فِي الْأَحْكَامِ:

-وَهِيَ تَقُومُ عَلَى: تَعْظِيمِ الْأُصُولِ وَتَيْسِيرِ الْفُرُوعِ؛ لِأَنَّ تَعْظِيمَ الْأُصُولِ يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ }.(الْحَجِّ:٣)،وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ يَتَصَدَّرُ لِلْفُتْيَا فِي الْأَحْكَامِ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُتَأَهِّلًا لَهَا، وَمَنْ تَكَلَّمَ فِي الْأَحْكَامِ بِلَا رُسُوخٍ قَدَمٌ فَقَدْ جَازَفَ، وَرُبَّمَا أَوْقَعَ النَّاسَ فِي الْفِتْنَةِ وَالْبَلْبَلَةِ وَالِاضْطِرَابِ فِي قَضَايَا الْأُمَّةِ الْعُلْيَا وَمَصَالِحِهَا الْكُبْرَى.

وَهَذَا مِنَ الْفِتْنَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَصَدَّى لَهَا أُولُو الْأَمْرِ وَالْعِلْمِ حَتَّى لَا يُسْأَلَ إِلَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلسُّؤَالِ، وَلَا يُسْتَفْتَى إِلَّا مَنْ كَانَ مُتَأَهِّلًا لِلْإِفْتَاءِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }.(النَّحْلِ:٤٣)، وَقَالَ:{ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }.(النِّسَاءِ:٨٣)،، وَقَالَ: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا }.(الْفُرْقَانِ:٥٩).

(ط) الْوَسَطِيَّةُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ:

-الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ هُوَ مِنْ أَسْبَابِ خَيْرِيَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَلْ هُوَ أَسَاسُهَا: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ }.(آلِ عِمْرَانَ:١١٠).

-لَكِنْ لَابُدَّ مِنْ النَّظَرِ إِلَى الْمَآلَاتِ وَالْآثَارِ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، فَإِذَا كَانَتِ الْمَفَاسِدُ أَكْثَرَ مِنَ الْمَصَالِحِ لَمْ يَجُزِ الْإِنْكَارُ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ:{ إِنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُنَا هُوَ فِي ذَاتِهِ مُنْكَرٌ }، وَأَمَّا إِذَا كَانَتِ الْمَصَالِحُ أَرْجَحَ وَجَبَ أَنْ يَقُومَ بِهِ مَنْ تَأَهَّلَ لَهُ. وَلِهَذَا يَلْزَمُ فِيمَنْ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْمَفَاسِدِ وَالْمَصَالِحِ.

-وَالدَّلِيلُ عَلَى اعتِبَارِ فقهِ الْمُوازَنَاتِ هُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ:{ ولَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ }.(الْأَنْعَامِ:١٠٨).

-ومِنَ السُّنَّةِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِعَائِشَةَ:{ يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَك حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ }. وَرَغْمَ أَنَّ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ عَلَى النَّاسِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَرِيبِي عَهْدٍ بِشِرْكٍ وَكُفْرٍ، وَنُفُوسُهُمْ لَا تُطِيقُ مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ لِهَذَا الاعْتِبَارِ.

-ومِنْ جَمِيلِ قَوْلِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، ولَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ: رَفِيقٌ بِمَا يَأْمُرُ، رَفِيقٌ بِمَا يَنْهَى. عَدْلٌ بِمَا يَأْمُرُ، عَدْلٌ بِمَا يَنْهَى. عَالِمٌ بِمَا يَأْمُرُ، عَالِمٌ بِمَا يَنْهَى }.(رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ فِي:الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: ص٢٤).

(ك) الْوَسَطِيَّةُ فِي التَّفَاعُلِ الْحَضَارِيِّ:

-فَنَحْنُ نَعِيشُ فِي عَالَمٍ سَقَطَتْ فِيهِ حَوَاجِزُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، ولَيْسَ لَنَا مِنْ سَبِيلٍ أَنْ نَنْكَفِئَ عَلَى أَنْفُسِنَا أَوْ نَتَقَوَّقَعَ عَلَى ذَوَاتِنَا، فَتَبَادُلُ الْمَنَافِعِ وَرِعَايَةُ الْمَصَالِحِ تَقْتَضِي مِنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَنْ تَمُدَّ الْجُسُورَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَقِيَّةِ الْأُمَمِ، وَالْوَسَطِيَّةُ هُنَا تَقُومُ عَلَى رَكِيزَتَيْنِ:

-تَفَاعُلٌ إِيجَابِيٌّ مِنْ غَيْرِ ذَوَبَانٍ، وَخُصُوصِيَّةٌ حَضَارِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ انْكِفَاءٍ.

-أَيْ أَنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَلْتَمِسُهَا مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ خَرَجَتْ، وَالْحَضَارَاتُ تَتَقَاسَمُ أَقْدَارًا مِنَ الْقِيَمِ فَنَلْتَمِسُ الْحِكَمَ النَّافِعَةَ كَمَا الْتَمَسَ الْمُسْلِمُونَ فِي بِدَايَةِ الْإِسْلَامِ وَاقْتَبَسُوا مِنْ فَارِسَ وَالرُّومِ نِظَامَ الْبَرِيدِ وَنِظَامَ السُّجُونِ وَتَدْوِينَ الدَّوَاوِينِ وَتَمْصِيرَ الْأَمْصَارِ، كَمَا قَدَّمُوا لِلْحَضَارَةِ الْأُورُوبِيَّةِ مِنْ عُلُومِ الْأَنْدَلُسِ وَعُلُومِ الْإِسْلَامِ فَحَدَثَ هَذَا التَّفَاعُلُ الْإِيجَابِيُّ بَيْنَ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ.

-فَفِي التَّفَاعُلِ الْحَضَارِيِّ، نَرْعَى الْمَنَافِعَ وَنَتَبَادَلُ الْمَصَالِحَ لِتَحْقِيقِ الْمَنَافِعِ وَجَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ فِي ظِلِّ مَوَازِينَ لَا تَخْتَلُّ فِيهَا قِيَمُ الْعَدَالَةِ.

(ل) الْوَسَطِيَّةُ فِي رِعَايَةِ فِقْهِ الِاخْتِلَافِ:

-نَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَحَّدَ الْأُمَّةَ عَلَى مَصْدَرِ الْكِتَابِ وَوَحْيِ السُّنَّةِ وَعَلَى وَحْدَةِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى وَحْدَةِ الْهَدَفِ وَالْمَصِيرِ الْمُشْتَرَكِ، وَلَكِنْ جَعَلَ مِنْ رَحْمَتِهِ أَنْ يَقَعَ الِاخْتِلَافُ فِي فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ؛ فَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفِيهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، وَالْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ.

-وَشَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلَّهَا مُحْكَمَةً وَإِنَّمَا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }.(آل عمران:٧) .وَالْمُتَشَابِهَاتُ تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ وَجْهٍ فِي التَّفْسِيرِ وَالْأَحْكَامِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ حَتْمِيَّةِ الْخِلَافِ.

-وَهَذَا الِاخْتِلَافُ لَا يَعْنِي الْفُرْقَةَ بِالضَّرُورَةِ، وَإِنَّمَا الْوَحْدَةُ الَّتِي نَدْعُو إِلَيْهَا وَحْدَةُ الْأُصُولِ وَالْمَقَاصِدِ وَالْكُلِّيَّاتِ وَالْمَصَالِحِ، وَإِنْ وَقَعَ اخْتِلَافٌ فِي الْفُرُوعِ فَهَذَا لَا يُؤَدِّي إِلَى تَقَاطُعٍ وَتَهَاجُرٍ وَتَدَابُرٍ وَتَشَاحُنٍ، وَإِنَّمَا رَحْمَةً،فَالِاخْتِلَافُ يَكُونُ فِي الْعِلْمِ لَا فِي الْقُلُوبِ.

-فَالِاخْتِلَافُ فِي الْفُرُوعِ سَعَةٌ وَثَرْوَةٌ وَلِهَذَا اجْتَهَدَ الصَّحَابَةُ وَاخْتَلَفُوا فِي أُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمْ يُضَيِّقُوا ذَرْعًا بِذَلِكَ، بَلْ نَجِدُ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ عَنْ اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-:{ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَخْتَلِفُوا، لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَخْتَلِفُوا لَمْ يَكُنْ لَنَا رُخَصٌ }.

-وَلَقَدْ تَتَلْمَذَ الْأَئِمَّةُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَاخْتَلَفَتِ اجْتِهَادَاتُهُمْ فَمَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَمَا مَنَعَهُمْ هَذَا أَنْ يُثْنِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَعْتَرِفَ بَعْضُهُمْ بِفَضْلِ بَعْضٍ، وَهَكَذَا كُلَّمَا رَجَحَ الْعَقْلُ وَتَمَّ الْفَهْمُ وَاتَّسَعَ الْأُفُقُ وَرَسَخَ الْعِلْمُ، سَارَتِ الْأُمُورُ كَمَا قُدِّرَ لَهَا وَأُرِيدَ مِنْهَا، وَإِنَّمَا يَقَعُ الشِّقَاقُ وَالِاضْطِرَابُ حِينَمَا يَجْهَلُ النَّاسُ مَعْنَى الْوَسَطِيَّةِ وَمَفْهُومَهَا فِي دِينِ اللَّهِ.

-ثَالثًا:السنَّةُ هِيَ الْوَسَطِيَّةُ:

-أَنَّنا إِذَا تَدَبَّرْنَا. الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَآثَارَ السَّلَفِ وتَرَاجِمَ الْمُحَدِّثِينَ نَجِدُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يَسْتَدِلُّ بِوَصْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأُمَّةِ بِكَوْنِهَا وَسَطًا فِي أَبْوَابِ وُجُوبِ الاتِّبَاعِ وَنَبْذِ الابْتِدَاعِ، وَفِي بَيَانِ وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَهَدْيِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَفِي بَيَانِ وُجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، وَوَصْفِهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْخَيْرِيَّةِ الْمُوجِبَةِ لِاتِّبَاعِهِمْ وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ، وَالتَّمَسُّكِ بِآثَارِهِمْ.

-فَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ فِي صَحِيحِه:{ بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ }.

-حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }.

-وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا فِي كِتَابِه(خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ) ثُمَّ قَالَ:{ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هُمْ الطَّائِفَةُ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ }.

-فَتَرَاهُ يَسْتَدِلُّ بِوَسَطِيَّةِ الْأُمَّةِ عَلَى وُجُوبِ لُزُومِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

-وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :(فَتَاوَى ٣/٣٧٥) فِي تَفْضِيلِ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:{ وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ السُّنَّةِ هُمْ وَسَطٌ، لِأَنَّهُ مُتَمَسِّكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ }.

-وَقَالَ فِي:(الْفَتَاوَى ٥/٢٦١):{ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً }، وَالسُّنَّةُ فِي الْإِسْلَامِ كَالْإِسْلَامِ فِي الْمِلَلِ }.

-وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي سِيَاقِ الْأَوْجُهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ أَقَاوِيلِهِمْ فِي :(إِعْلَامِ الْمُوَقِّعِينَ ٤/١٣٢):{ الْوَجْهُ التَّاسِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً }.

-وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِالْآيَةِ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ أُمَّةً خِيَارًا عُدُولًا، هَذَا حَقِيقَةُ الْوَسَطِ، فَهُمْ -أَيْ الصَّحَابَةُ- خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَعْدَلُهَا فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ، وَبِهَذَا اسْتَحَقُّوا أَنْ يَكُونُوا شُهَدَاءَ لِلرُّسُلِ عَلَى أُمَمِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ شَهَادَتَهُمْ عَلَيْهِمْ فَهُمْ شُهَدَاؤُهُ، وَلِهَذَا نَوَّهَ بِهِمْ وَرَفَعَ ذِكْرَهُمْ وَ أَثْنَى عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا اتَّخَذَهُمْ شُهَدَاءَ أَعْلَمَ خَلْقَهُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ بِحَالِ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ وَتَدْعُوَ لَهُمْ وَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ }.

-وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ عَلَى الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-فَهُمْ الْمُخَاطَبُونَ بِهَا أَصَالَةً، وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ تَبَعًا، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوَسَطِيَّةَ الَّتِي وُصِفَتْ بِهَا الْأُمَّةُ إِنَّمَا هِيَ اتِّبَاعُ السُّنَّةِ وَطَرِيقِ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.-

-قَالَ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ- رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي:(الصَّوَاعِقِ الْمُحْرِقَةِ ٢/٦٠٤):{ وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ }، وَالصَّحَابَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا هُمُ الْمُشَافَهُونَ بِهَذَا الْخِطَابِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ حَقِيقَةً، فَانْظُرْ إِلَى كَوْنِهِ تَعَالَى خَلَقَهُمْ عُدُولًا وَخِيَارًا لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى بَقِيَّةِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

-وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- هُمْ أَهْدَى النَّاسِ، وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَوْصُوفِ بِكَوْنِهِ وَسَطًا، إِذْ هُمْ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ وَاتِّبَاعِهِمْ.

-قَالَ تَعَالَى:{ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.(التَّوْبَة:١٠٠).

-وَقَالَ تَعَالَى:{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً }.(النِّسَاء:١١٥).

-قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي كِتَابِهِ :(ذَمِّ التَّأْوِيلِ) فِي بَيَانِ وُجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- ص:٢٨:{ الْبَابُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِمْ وَالْحَثِّ عَلَى لُزُومِ مَذْهَبِهِمْ وَسُلُوكِ سَبِيلِهِمْ وَبَيَانِ ذَلِكَ مِنْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ.

وَأَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً }.

-فَتَوَعَّدَ عَلَى اتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِهِمْ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ، وَوَعَدَ مُتَّبِعَهُمْ بِالرِّضْوَانِ وَالْجَنَّةِ فَقَالَ تَعَالَى:{ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ }.

-فَوَعَدَ الْمُتَّبِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ بِمَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ.

-وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ }.

-فَأَمَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ خُلَفَائِهِ كَمَا أَمَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُحْدَثَاتِ بِدَعٌ وَضَلَالَةٌ، وَهُوَ مَا لَمْ يُتْبَعْ فِيهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةُ أَصْحَابِهِ.

-وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَأْتِي أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ. إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَيَزِيدُونَ عَلَيْهَا مِلَّةً، وَفِي رِوَايَةٍ وَأُمَّتِي ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ الْوَاحِدَةُ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي، وَفِي رِوَايَةٍ: الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي }.

-فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ هِيَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ،فَمُتَّبِعُهُمْ إِذًا يَكُونُ مِنْ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ لِأَنَّهُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَمُخَالِفُهُمْ مِنْ الِاثْنَتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ الَّتِي فِي النَّارِ }.

-ثُمَّ ذَكَرَ-رَحِمَهُ اللَّهُ- آثَارًا كَثِيرَةً فِي وُجُوبِ اتِّبَاعِ طَرِيقِ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ.

-إذَا عُلِمَ هَذَا، صَارَ أَقْرَبُ الْمُصْطَلَحَاتِ الْمُرَادِفَةِ لِمُصْطَلَحِ (الْوَسَطِيَّةِ) الْمُعَاصِرِ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَذْكُرُونَهُ لِبَيَانِ وُجُوبِ الِاعْتِدَالِ وَالتَّوَسُّطِ هُوَ مُصْطَلَحُ (السُّنَّةِ).

-وَلَا يُرَادُ بِمُصْطَلَحِ(السُّنَّةِ) هُنَا الْمَعْنَى الْفِقْهِي أَوِ الْأُصُولِيُّ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الطَّرِيقَةُ الْعَامَّةُ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ، وَهُوَ الَّذِي يُذْكَرُ فِي بَابِ الِاعْتِقَادِ وَالِاتِّبَاعِ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِ السَّلَفِ (فُلَانٌ عَلَى السُّنَّةِ)، وَمِنْهُ الْكُتُبُ الْمُؤَلَّفَةُ فِي هَذَا الْبَابِ مِثْلُ كِتَابِ (السُّنَّةِ) لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَلِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ وَلِلْخَلَّالِ وَلِلْمَرْوَزِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

-وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: أَمْرُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ عِنْدَ وُجُودِ طَرَفَيْ الْوَسَطِ كَالْغُلُوِّ أَوِ الْجَفَاءِ.

-وَمِنْهُ مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ:{ جَاءَ ثَلَاثُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ أَنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }.

-فَانْظُرْ كَيْفَ قَابَلَ غُلُوَّ هَؤُلَاءِ وَزِيَادَتَهُمْ فِي الْعِبَادَةِ عَلَى الْحَدِّ الْمَطْلُوبِ، بِذِكْرِ سُنَّتِهِ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّوَسُّطِ وَالِاعْتِدَالِ.

-وَمِنْهُ أَيْضًا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-قَالَ:{ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. قَالَ:

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا

عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ }.

-وَهَذِهِ الْمُحْدَثَاتُ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي الزِّيَادَةِ عَلَى الْمَشْرُوعِ فَتَكُونَ غُلُوًّا وَإِفْرَاطًا، وَإِمَّا بِتَرْكِ بَعْضِ الْمَشْرُوعِ فَيَكُونُ جَفَاءً وَتَفْرِيطًا، وَالْحَقُّ بَيْنَ هَذَيْنِ، وَهُوَ التَّوَسُّطُ وَالِاعْتِدَالُ الَّذِي هُوَ سُنَّةُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَسُنَّةُ خُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَهُمْ الصَّحَابَةُ-رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.-

-وَعَلَى هَذَا فَالْوَسَطِيُّ: هُوَ الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي صَلَحَ عَلَيْهِ أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَصْلُحُ آخِرُهَا إِلَّا بِهِ.

-قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْجَامِعِ:بَابُ مَا تُكْرَهُ فِيهِ الْمُنَاظَرَةُ وَالْمُجَادَلَةُ:{ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا، وَأَحْسَنَهَا حَالًا قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ }.

-وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَيْضًا فِيمَا رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ:{ أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالتَّعَمُّقَ وَالْبِدَعَ وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ }.

-وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- كَمَا فِي (الْعُتْبِيَةِ) (الْمَدْخَلِ) لِابْنِ الْحَاجِ/فَصْلُ زِيَارَةِ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ:{ وَلَنْ يَأْتِيَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَهْدَى مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا }.

-وَقَالَ أَيْضًا-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي (الشِّفَاءِ) لِلْقَاضِي عِيَاضٍ ٢/٧١:{ وَلَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا }.

-فَالسُّنَّةُ وَهَدْيُ السَّلَفِ هُوَ الطَّرِيقُ الْمُوَصِّلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي رَسَمَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِإِصْلَاحِ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لِأَنَّهُ الطَّرِيقُ الْوَسَطُ، فَهُوَ أَعْدَلُ الطُّرُقِ وَأَفْضَلُهَا وَأَقْرَبُهَا إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُ سَلِمَ مِنْ الِانْحِرَافِ، وَكَانَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وَبَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ يُوصُونَ دُومًا بِالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَاقْتِفَاءِ آثَارِ السَّلَفِ، وَيُحَذِّرُونَ مِنْ مُخَالَفَتِهِمْ.

-وَالانْحِرَافُ عَنْ وَسَطِيَّةِ الْأُمَّةِ وَاعْتِدَالِهَا لَمْ يَظْهَرْ إِلَّا لِمُخَالَفَةِ طَرِيقِ السُّنَّةِ وَهَدْيِ السَّلَفِ، فَظَهَرَ الْغُلُوُّ مِنْ جَانِبٍ، وَالْجَفَاءُ مِنْ جَانِبٍ، وَكِلَا طَرَفَيِ الْأَمْرِ ذَمِيمٌ.

-وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ تِلْكَ الْكَلِمَةَ الْمَشْهُورَةَ وَهِيَ:{ دِينُ اللَّهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ }.

-وَلَمَّا ظَهَرَ الانْحِرَافُ عَنْ الْوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ مِنْ أَهْلِ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمُ السَّلَفُ، وَأَمَرُوهُمْ بِلُزُومِ السُّنَّةِ وَطَرِيقِ الصَّحَابَةِ الْأَوَّلِينَ، وَقَالُوا فِي بَيَانِ مُخَالَفَتِهِمْ لِلصَّوَابِ وَانْحِرَافِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ:{ هَذَا خِلَافُ السُّنَّةِ }، أَوْ { هَذَا خِلَافُ طَرِيقِ السَّلَفِ }.

-فَمِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ مُفْلِحٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي:(الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ):قَالَ حَنْبَلٌ: { اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا، يُرِيدُونَ إِظْهَارَ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ وَلَا سُلْطَانِهِ. فَنَاظَرَهُمْ فِي ذَلِكَ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالْإِنْكَارِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، وَانْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ }، وَقَالَ :

{ لَيْسَ هَذَا صَوَابًا، هَذَا خِلَافُ الْآثَارِ }.

-وَهَكَذَا كَانَ الْأَئِمَّةُ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الْوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ بِكَوْنِهِ خِلَافَ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ السَّلَفِيَّةِ.

-وَهَذَا يُؤَكِّدُ بِأَنَّ مُصْطَلَحَ (السُّنَّةِ) عِنْدَ الْأَوَّلِينَ هُوَ أَقْرَبُ مُرَادِفٍ لِمُصْطَلَحِ (الْوَسَطِيَّةِ) الْمُعَاصِرِ.

•فَاللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،اجْعَلْ بَلَدَنَا مِصْرَ أَمْنًا أَمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

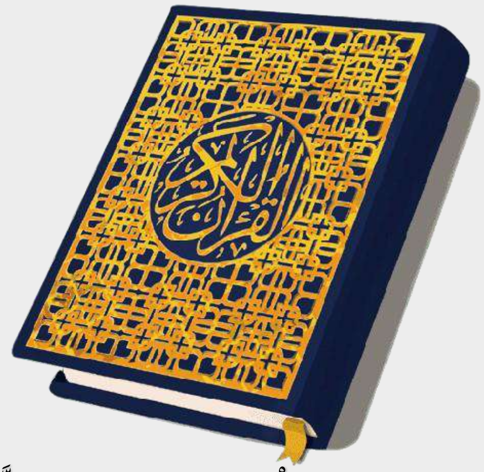
بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (2)

قُطُوفُ الْبِرِّ فِي بَيَانِ أنَّ التَّوْبَةَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَكَفَى بِهَا مِنْ نِعْمَةٍ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِالتَّوْبَةِ وَالْغُفْرَانِ، إِنَّهُ هُوَ غَافِرُ الذَّنْبِ، وَقَابِلُ التَّوْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ –تَعَالَى– هَادِيًا لِلْإِسْلَامِ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، أَشْرَفِ الْخَلْقِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ– أَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ، فَهِيَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْعَبْدِ وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا، فَهِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي لَا تُفَارِقُ الْعَبْدَ الَّذِي يُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالتَّوْبَةُ هِيَ بِدَايَةُ الْعَبْدِ وَنِهَايَتُهُ، وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ كَمَا أَنَّ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ كَذَلِكَ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }. (النور: ٣٠–٣١).

-الشَّاهِدُ قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

-هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الْمُبَارَكَةُ وَرَدَتْ عَلَى مَائِدَةِ سُورَةٍ كَرِيمَةٍ مُبَارَكَةٍ هِيَ سُورَةُ (النُّورِ) وَهِيَ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ خَاطَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَصِدْقِ يَقِينِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، ثُمَّ عَلَّقَ الْفَلَاحَ بِالتَّوْبَةِ تَعْلِيقَ الْمُسَبَّبِ بِالسَّبَبِ، وَأَتَى بِأَدَاةِ {لَعَلَّ} الْمُشْعِرَةِ بِالتَّرَجِّي إِيذَانًا بِأَنَّكُمْ إِذَا تُبْتُمْ كُنْتُمْ عَلَى رَجَاءِ الْفَلَاحِ، فَلَا يَرْجُو الْفَلَاحَ إِلَّا التَّائِبُونَ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ.

-وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مِنْهَاجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجْتَمِعُ فِيهِ طَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ، فَلَا يَخْلُو مُؤْمِنٌ مِنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَإِلَيْكَ أَدِلَّةُ ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

(١) فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-فِي سُنَنِه كِتَابُ الْقِيَامَةِ بِرَقَمِ (٢٤٩٩) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }.

(٢) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ-فِي صَحِيحِه-كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ بِرَقَمِ (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ :

{ يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ }.

-وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِه{ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ }.

(٣) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ-فِي صَحِيحِه كِتَابُ الْقَدَرِ بِرَقَمِ (٢٦٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-عَنْ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:

{ كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنْ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ }.

•فَائِدَةٌ:

-لَيْس مَعْنَى الْحَدِيثِ السَّابِقِ رَفْعَ اللَّوْمِ عَمَّنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ الِاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَائِبِ، إِنَّمَا يُحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ.

-فَالِاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ عَلَى عَلَى الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالْمَعَائِبِ مِنْ فِعْلِ الْمُشْرِكِينَ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ:

(أ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ }. (الْأَنْعَامِ: ١٤٨).

(ب) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }. (النَّحْلِ: ٣٥).

(ج) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ }. (الزُّخْرُفِ: ٢٠).

(د) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }. (يس: ٤٧).

-قَالَ الْقَاسِمِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

{ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ فِيهَا أَنَّ الِاحْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ مِنْ فِعْلِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ }. (انْظُرْ: مَحَاسِنَ التَّأْوِيلِ: ٤/٥٢٥).

-وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ-:{ فَالِاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ حَالُ الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ وَيَتْرُكُونَ }. (انْظُرْ: مِنْهَاجَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ: ٣/٥٨).

(٤)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ بِرَقَمِ(٢٥٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ }.

•فَالتَّوْبَةُ هِيَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُلَازِمَ الْعَبْدَ السَّائِرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِه لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }. (الْحُجُرات: ١١).

-فَفِي قَوْلِه تَعَالَى:{ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } قَسَّمَ الْعِبَادَ إِلَى تَائِبٍ وَظَالِمٍ، وَمَا ثَمَّ قِسْمٌ ثَالِثٌ الْبَتَّةَ، وَأَوْقَعَ اسْمَ الظَّالِمِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتُبْ وَلَا أَظْلَمَ مِنْهُ لِجَهْلِه بِرَبِّه وَبِحَقِّه، وبِعَيْبِ نَفْسِه وآفَاتِ أَعْمَالِه.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-فِي صَحِيحِه-كِتَابُ الدَّعَوَاتِ-بَابُ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ بِرَقَمِ (٥٩٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ:

أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:{ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً }.

-وَكَانَ الصَّحَابَةُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-يَعُدُّونَ لَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ:{ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ مِائَةَ مَرَّةٍ }.

-قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ ج:١ ص:١٩٧:{ وَمَنْزِلُ التَّوْبَةِ أَوَّلُ الْمَنَازِلِ وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا فَلَا يُفَارِقُهُ الْعَبْدُ السَّالِكُ وَلَا يَزَالُ فِيهِ إِلَى الْمَمَاتِ وَإِنْ ارْتَحَلَ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ ارْتَحَلَ بِهِ وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ وَنَزَلَ بِهِ فَالتَّوْبَةُ هِيَ بِدَايَةُ الْعَبْدِ وَنِهَايَتُهُ وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ ضَرُورِيَّةٌ كَمَا أَنَّ حَاجَتَهُ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ كَذَلِكَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةٍ مَدَنِيَّةٍ خَاطَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ ثُمَّ عَلَّقَ الْفَلَاحَ بِالتَّوْبَةِ تَعْلِيقَ الْمُسَبَّبِ بِسَبَبِهِ

وَأَتَى بِأَدَاةِ لَعَلَّ الْمُشْعِرَةِ بِالتَّرَجِّي إِذَانًا بِأَنَّكُمْ إِذَا تُبْتُمْ كُنْتُمْ عَلَى رَجَاءِ الْفَلَاحِ فَلَا يَرْجُو الْفَلَاحَ إِلَّا التَّائِبُونَ جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ }.

قَالَ تَعَالَى:{ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } قَسَّمَ الْعِبَادَ إِلَى تَائِبٍ وَظَالِمٍ وَمَا ثَمَّ قِسْمٌ ثَالِثٌ الْبَتَّةَ وَأَوْقَعَ اسْمَ الظَّالِمِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتُبْ وَلَا أَظْلَمَ مِنْهُ لِجَهْلِهِ بِرَبِّهِ وَبِحَقِّهِ وَبِعَيْبِ نَفْسِهِ وَآفَاتِ أَعْمَالِهِ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً }.

وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَعُدُّونَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ مِائَةَ مَرَّةٍ وَمَا صَلَّى صَلَاةً قَطُّ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِلَى آخِرِهَا إِلَّا قَالَ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَصَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى أَعْلَمِ الْخَلْقِ بِاللَّهِ وَحُقُوقِهِ وَعَظَمَتِهِ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ جَلَالُهُ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَأَعْرَفِهِمْ بِالْعُبُودِيَّةِ وَحُقُوقِهَا وَأَقْوَمِهِمْ بِهَا }. انْتَهَى.

-هَذَا وَقَدْ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { قُطُوفُ الْبِرِّ فِي بَيَانِ أَنَّ التَّوْبَةَ وَظِيفَةُ الْعُمُرِ } لِبَيَانِ مَفْهُومِ التَّوْبَةِ وَشُرُوطِهَا وَأَحْوَالِ التَّائِبِينَ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

-أَوَّلًا: مَفْهُومُ التَّوْبَةِ:

(أ) التوبة لغة:

-التَّوْبَةُ: بِفَتْحِ التَّاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ – مَأْخُوذَةٌ مِنْ (تَوَبَ) التَّاءِ وَالْوَاوِ وَالْبَاءِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الرُّجُوعِ، يُقَالُ تَابَ وَأَنَابَ إِذَا رَجَعَ عَنْ ذَنْبِهِ }. (يُنْظَرُ: مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ.)

-وَقَالَ الْفَيْرُوزَآبَادِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا وَتَابَةً وَتَتَوُّبًا؛ رَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَهُوَ التَّائِبُ تَوَّابٌ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ: وَفَّقَهُ لِلتَّوْبَةِ، أَيْ رَجَعَ

به مِنْ التَّشْدِيدِ إِلَى التَّخْفِيفِ، أَوْ رجعَ عَلَيْهِ بِفضْلِهِ وقَبُولِهِ، وَهُو تَوَّابٌ عَلَى عِبَادِهِ }. (يُنْظَرُ: الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، الْفَيْرُوزَآبَادِيُّ، ص(٧٩)).

-وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ أَصْلُ تَابَ: عَادَ إِلَى اللَّهِ وَرَجَعَ وَأَنَابَ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ: عَادَ بِالْمَغْفِرَةِ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا }.(النور: ٣١)، أَيْ عُودُوا إِلَى طَاعَتِهِ وَأَنِيبُوا، وَاللَّهُ التَّوَّابُ يَتُوبُ عَلَى عَبْدِهِ بِفَضْلِهِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ مِنْ ذَنْبِهِ، وَاسْتَتَبْتُ فُلَانًا أَيْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ التَّوْبَةَ مِمَّا اقْتَرَفَ، أَيْ الرُّجُوعُ وَالْحَدُّ عَلَى مَا فَرَّطَ مِنْهُ }. (يُنْظَرُ: تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، مُحَمَّدٌ الْأَزْهَرِيُّ الْهَرَوِيُّ : ١٤/٣٣٢).

-وَالتَّوْبَةُ: هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ، بِحَلِّ عُقْدَةِ الْإِصْرَارِ عَنْ الْقَلْبِ، ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُلِّ حُقُوقِ الرَّبِّ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

-وَالتَّوْبُ وَالتَّوْبَةُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَالْمُرَادُ: تَرْكُ الذَّنْبِ عَلَى أَجْمَلِ الْوُجُوهِ، وَهُوَ أَبْلَغُ وُجُوهِ الِاعْتِذَارِ.

(ب) التَّوْبَةُ فِي الشَّرْعِ:

-تَرْكُ الذَّنْبِ مَخَافَةَ اللَّهِ، وَاسْتِشْعَارُ قَبَاحَتِهِ، وَنَدَمٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ مَعْصِيَةٌ، وَالْعَزِيمَةُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا إِذَا قَدَرَ عَلَيْهَا، وَتَدَارُكُ مَا أَمْكَنَهُ أَنْ يُتَدَارَكَ مِنْ الْأَعْمَالِ بِالْإِعَادَةِ.

-فَالتَّوْبَةُ فِي الشَّرْعِ تَشْمَلُ الرُّجُوعَ إِلَى اللَّهِ بِفِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ.

-وَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ فِي الْأُمُورِ الِاعْتِقَادِيَّةِ تَكُونُ التَّوْبَةُ بِالْقَلْبِ، وَذَلِكَ بِالرُّجُوعِ عَنْ الِاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ إِلَى الِاعْتِقَادَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ فِي الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ، فَالتَّوْبَةُ تَكُونُ بِالْجَوَارِحِ، وَذَلِكَ بِالرُّجُوعِ عَنْ الْمَعَاصِي الْعَمَلِيَّةِ إِلَى الطَّاعَاتِ الْعَمَلِيَّةِ.

-وَقَدْ عَرَّفَ الْجُرْجَانِي-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- التَّوْبَةَ بِقَوْلِهِ:

{ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِحَلِّ عُقْدَةِ الْإِصْرَارِ عَنْ الْقَلْبِ، ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُلِّ حُقُوقِ الرَّبِّ }. (يُنْظَرُ: التَّعْرِيفَاتُ، الْجُرْجَانِيُّ، ص:٧٤).

-وَيَقُولُ الرَّاغِبُ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– :{ التَّوْبَةُ تَرْكُ الذَّنْبِ عَلَى أَجْمَلِ الْوُجُوهِ، وَهُوَ أَبْلَغُ وُجُوهِ الِاعْتِذَارِ، فَإِنَّ الِاعْتِذَارَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: إِمَّا أَنْ يَقُولَ الْمُعْتَذِرُ: لَمْ أَفْعَلْ،

أَوْ يقُولُ: فعَلْتُ لِأَجْلِ كذَا، أَوْ: فعَلْتُ وأَسأْتُ وقدْ أَقْلَعْتُ، ولَا رابِع لِذَلِك، وهَذَا الْآخِرُ هُوَ التَّوْبَةُ }. (يُنْظَرُ: الْمُفْرَدَاتُ، الرَّاغِبُ الْأَصفهانِيُّ، ص:١٦٩).

-وَيَقُولُ شيْخُ الْإِسلْاَمِ -رحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ التَّوْبَةُ هِيَ جِمَاعُ الرُّجُوعِ مِنْ السَّيِّئَاتِ إِلَى الْحَسَنَاتِ }. (يُنْظَرُ: الاستِقَامَةُ، ابْنُ تيميَّةَ:١/٤٦٣).

ويَقُولُ أَيْضاً-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ التَّوْبَةُ رُجُوعٌ عمَّا تُوب منْهُ إلَى مَا تُوبُ إلَيْه، فَالتَّوْبَةُ الْمَشْرُوعَةُ هي الرُّجُوعُ إِلَى اللَّه،وإِلَى فعْلِ مَا أَمرَ بِه وتَرْك مَا نَهَى عَنْهُ، ولَيْسَتْ التَّوْبَةُ منْ فعْلِ السَّيِّئَاتِ فقَطْ }. (يُنْظَرُ: رِسالَةٌ فِي التَّوْبَة، ابْنُ تيْمِيَّةَ:١/٢٢٨، ضِمْنَ جَامعِ الرَّسَائِلِ.).

-وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ فَإِنَّ حقيقَةَ التَّوْبَة: الرُّجُوعُ إِلَى اللَّه بالْتزَامِ فعْلِ مَا يُحبُّ، وتَرْك مَا يكْرَهُ، فهِيَ رُجُوعٌ منْ مكْرُوه إلَى مَحْبُوب، فَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَحبُوبِ جُزْءٌ مسمَّاهَا، والرُّجُوعُ عَنْ الْمَكْرُوهِ الْجُزْءُ الْآخَرُ }. (يُنْظَرُ: مدَارِجُ السَّالِكينَ، ابنُ الْقَيِّمِ:١/٢٣٠).

ويَقُولُ أَيْضاً-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ التَّوْبَةُ هِيَ الرُّجُوعُ ممَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ظَاهراً وبَاطِناً إلَى مَا يُحبُّهُ ظَاهِراً وباطِناً }. (يُنْظَرُ: مَدَارِجُ السَّالِكِينَ، ابْنُ الْقَيِّمِ:١/٢٣٠).

-ويَقُولُ أَيْضاً-رحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ فَحقِيقَةُ التَّوْبَة هِيَ النَّدَمُ عَلَى مَا سلَفَ منْهُ فِي الْمَاضِي، والْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي الْحَالِ، والْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يعَاوِدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ }. (يُنْظَرُ: مَدَارِجُ السَّالِكِينَ، ابْنُ الْقَيِّمِ:١/١٣٨).

•إذًا التَّوْبَةُ فِي مَفْهُومِ الشَّرْعِ هِيَ جَامعَةٌ لِأَمْرَيْنِ: الرُّجُوعُ عَنْ تَرْك الْمَأْمُورِ إِلَى فعْلِه، والرُّجُوعُ عنْ فعْلِ الْمَحْظُورِ إِلَى تَرْكِه، ظَاهِراً وباطِناً، مَعَ الْعِلْمِ بقَبَاحَة حَالِه، والْحَدِّ عَلَى فِعْلِه، والْعَزْمِ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْه إذَا قدر، والتَّدَارُك لمَا يُمكِن تدَارُكُهُ منْ التَّقْصِير، مع إخْلَاصٍ تَامٍ للَّه، ورَجَاء ثَوَابِه وخَوْف عقَابِه. (انْظُرْ: أَعْمَالَ الْقُلُوب وأَثَرَهَا فِي الْإِيمَانِ، د.محَمَّدٌ دوكُوري، ص:٤٦٥- ٤٦٦)، والتَّوْبَةُ وَظِيفَةُ الْعُمْرِ، مُحَمَّدُ بْنُ إبْرَاهِيمَ الْحَمْدِ، ص:١٠-١١)

.

•ثَانِيًا:مَعْنَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.(التَّحْرِيمُ:٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَفْسِيرِهَا-:{ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَوَعَدَ عَلَيْهَا بِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ، وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ، حِينَ يَسْعَى الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنُورِ إِيمَانِهِمْ، وَيَمْشُونَ بِضِيَائِهِ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِرَوْحِهِ وَرَاحَتِهِ، وَيُشْفِقُونَ إِذَا طُفِئَتِ الْأَنْوَارُ، الَّتِي لَا تُعْطَى الْمُنَافِقِينَ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يُتَمِّمَ لَهُمْ نُورَهُمْ فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ دَعْوَتَهُمْ، وَيُوصِلُهُمْ مَا مَعَهُمْ مِنَ النُّورِ وَالْيَقِينِ، إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَجِوَارِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ آثَارِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ. وَالْمُرَادُ بِهَا: التَّوْبَةُ الْعَامَّةُ الشَّامِلَةُ لِلذُّنُوبِ كُلِّهَا، الَّتِي عَقَدَهَا الْعَبْدُ لِلَّهِ، لَا يُرِيدُ بِهَا إِلَّا وَجْهَهُ وَالْقُرْبَ مِنْهُ، وَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ }.

-وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَعْرِيفِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ،قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

{ وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهَا:قَالَ عُمَرُ وَأُبَيٌّ وَمُعَاذٌ:{ (التَّوْبَةُ النَّصُوحُ) أَنْ يَتُوبَ ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ، كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ }. قَالَ الْحَسَنُ:{ هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا عَلَى مَا مَضَى؛ مُجْمِعًا عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِيهِ }.قَالَ الْكَلْبِيُّ:{ أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ }.

-قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ:{ تَوْبَةً تَنْصَحُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ }.

-قَالَ الْقُرَظِيُّ:{ يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ }. (انْتَهَى، مِنْ: تَفْسِيرِ الْبَغَوِيِّ: ٨/١٦٩).

ثَالِثًا: شُرُوطُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ:

-لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ خَمْسَةُ شُرُوطٍ هِيَ:

-الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ:

ــ وهُوَ أَنْ يَقْصِدَ بِتَوبَتِهِ وجهَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، بِأَنْ لَا يَكُونَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى التَّوْبَةِ رِياءً، أَوْ سُمْعَةً، أَوْ خوفًا مِنْ مَخْلُوقٍ، أَوْ رجاءً لِأَمرٍ ينَالُهُ مِنْ الدُّنْيَا ــ فَإِذَا أَخْلَصَ تَوْبَتَهُ لِلَّهِ وصارَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَيْهَا تقوى اللَّهِ – عزَّ وجلَّ – وَالْخَوْفَ مِنْ عقابِهِ ورجاءَ ثَوابِهِ فقَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ تعالى فيها،قالَ الْعَلَّامَةُ ابنُ الْقَيِّمِ–رحمهُ اللَّهُ تعالى–:{ النُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يتضمَّنُ ثَلَاثَةَ أشياءَ:

-الْأَوَّلُ: تعميمُ جميعِ الذُّنوبِ واستغراقُهَا بِهَا، بحيثُ لَا تدعُ ذنبًا إِلَّا تناولَتْهُ.

-وَالثَّانِي: إِجْمَاعُ الْعَزْمِ وَالصِّدْقِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا، بِحَيْثُ لَا يبقَى عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ وَلَا تَلَوُّمٌ وَلَا انْتِظَارٌ، بَلْ يجمعُ عَلَيْهَا كُلَّ إِرادتِهِ وعزيمتِهِ مُبادرًا بِهَا.

-وَالثَّالِثُ: تَخْلِيصُهَا مِنْ الشَّوائِبِ وَالْعِلَلِ الْقَادِحَةِ فِي إِخْلَاصِهَا وَوُقُوعِهَا لِمَحْضِ الْخَوْفِ مِنْ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَالرَّغْبَةِ فِيمَا لَدَيْهِ وَالرَّهْبَةِ مِمَّا عِنْدَهُ، لَا كَمَنْ يَتُوبُ لِحِفْظِ جَاهِهِ وحُرْمَتِهِ ومنصبِهِ ورِياستِهِ ولِحفظِ حالِهِ، أَوْ لِحفظِ قُوَّتِهِ ومَالِهِ، أَوْ استدعاءِ حَمْدِ النَّاسِ، أَوْ الْهَرَبِ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ لِئَلَّا يتسلَّطَ عَلَيْهِ السُّفَهَاءُ، أَوْ لِقضاءِ نَهْمَتِهِ مِنْ الدُّنْيَا، أَوْ لِإِفْلَاسِهِ وعَجْزِهِ، ونحوِ ذَلِكَ مِنْ الْعِلَلِ الَّتِي تَقْدَحُ فِي صِحَّتِهَا وخُلُوصِهَا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ.

-فَالْأَوَّلُ: يتعلَّقُ بِمَا يَتُوبُ مِنْهُ.

-وَالثَّالِثُ: يتعلَّقُ بِمَنْ يَتُوبُ إِلَيْهِ.

-وَالْأَوْسَطُ: يتعلَّقُ بِذاتِ التَّائِبِ وَنَفْسِهِ.

-فَنُصْحُ التَّوْبَةِ: الصِّدْقُ فِيهَا وَالْإِخْلَاصُ وتعميمُ الذُّنُوبِ بِهَا }. اهــ.(يُنْظَرُ: مدارِجِ السَّالكينَ ج:١ ص:٣١٦-٣١٨).

-الشَّرْطُ الثَّانِي: الْإِقْلَاعُ عَنْ الذَّنْبِ:

-فَيَنْبَغِي عَلَى التَّائِبِ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ الذَّنْبِ، ويَتَوَقَّفَ عَنْ إِتْيَانِهِ حالًا، وذَلِكَ مِنْ أَظْهَرِ مَعَانِي التَّوْبَةِ وَأَوْضَحِهَا، وَالَّذِي مِنْ خِلَالِهِ يَتَبَيَّنُ صِدْقُ التَّوْبَةِ أَوْ زَعْمِهَا مِنْ التَّائِبِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَتَضِحُ مَعَالِمُهَا وَلَا تَصِحُّ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِالْإِقْلَاعِ عَنْ مُسَبِّبَاتِهَا الَّتِي هِيَ الذُّنُوبُ، أَمَا إِنْ تَابَ الْعَبْدُ واستمرَّ فِي الْمَعْصِيَةِ وأَقَامَ عَلَيْهَا فذَلِكَ دليلٌ عَلَى كَذِبِ ادِّعَائِهِ التَّوْبَةَ.

-وَيدلُّ عَلَى ذَلكَ مَا أَخرجهُ الْإمَامُ التِّرمذيُّ-رَحمهُ اللَّهُ تَعالَى-في سُنَنه برَقْمٍ(٣٣٣٤)منْ حَديث أَبي هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-عَنْ النَّبيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ:{ إنَّ الْعَبْدَ إذَا أَخْطَأَ خَطيئَةً نُكتَتْ في قَلْبه نُكْتَةٌ سوْدَاءُ، فَإذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وتَاب صُقلَ قَلْبُهُ، وإنْ عَادَ زيدَ فيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللَّهُ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبهمْ مَا كَانُوا يَكْسبُونَ }.،فَإنَّ الْمُصرَّ عَلَى ارْتكَاب الذَّنْب بَعْدَ أَنْ تَاب منْهُ، والْمُقيمَ عَلَيْه إنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ تَوبَةٌ صَادقَةٌ صَحيحَةٌ فَإنَّهُ يُخْشَى عَلَيْه أَنْ يَكُونَ ممَّنْ جَاءَتْ فيهمْ الْآيَةُ، فَيُطْبَعُ عَلَى قَلْبه حَتَّى تَتَعَسَّرَ عَلَيْه التَّوْبَةُ، وَيَسْتَمرُّ في الْمَعْصيَة حَتَّى تُودي به إلَى النَّار.

-الشَّرْطُ الثَّالثُ: النَّدَمُ عَلَى فعْله:

-النَّدَمُ شَرْطٌ رَئيسيٌّ أَوْ هُوَ رُكْنُ التَّوْبَة الْأَعْظَمُ، وَلهَذَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ }:النَّدَمُ تَوْبَةٌ } وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانيُّ في صَحيح ابْن مَاجَهْ:٣٤٤٨.

-حَتَّى قَالَ بَعْضُ أَهْل الْعلْم { يَكْفي في التَّوْبَة تَحَقُّقُ النَّدَم؛ فَإنَّهُ يَسْتَلْزمُ الْإقْلَاعَ عَنْ الذُّنُوب، وَالْعَزْمَ عَلَى عَدَم الْعَوْد؛ فَهُمَا نَاشئَان عَن النَّدَم لَا أَصْلَان مَعَهُ }.(يُنْظَرُ: فَتْحُ الْبَاري:١٣/ ٤٧١).

-وَقَالَ الْقَاري-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ (النَّدَمُ تَوْبَةٌ) إذْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا بَقيَّةُ الْأَرْكَان منَ الْقَلْع وَالْعَزْم عَلَى عَدَم الْعَوْد، وَتَدَارُك الْحُقُوق مَا أَمْكَنَ،وَالْمُرَادُ النَّدَامَةُ عَلَى فعْل الْمَعْصيَة منْ حَيْثُ إنَّهَا مَعْصيَةٌ لَا غَيْرَ }. انْتَهَى منْ:مرْقَاة الْمَفَاتيح:٤/ ١٦٣٧.)

-وَمَعْنَى (النَّدَم) هُوَ الْحُزْنُ، أَوْ شدَّةُ الْحُزْن. كَمَا في:لسَان الْعَرَب: ٧٩/١، ٤٣٨٦/٦.)

-فَإنَّهُ فَسَّرَ (النَّدَمَ) بالْأَسَف، ثُمَّ فَسَّرَ الْأَسَفَ بالْحُزْن أَوْ الْمُبَالَغَة في الْحُزْن.

-وَفي كَلَام الْقَاري السَّابق فَسَّرَ النَّدَمَ بأَنَّهُ:{ النَّدَامَةُ -أَيْ: الْحُزْنُ - عَلَى فعْل الْمَعْصيَة منْ حَيْثُ إنَّهَا مَعْصيَةٌ لَا غَيْرَ }.

-وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ كُلَّ مَنْ حَزنَ لكَوْنه فَعَلَ الْمَعْصيَةَ، فَقَدْ حَصَلَ منْهُ النَّدَمُ الْمَقْصُودُ في التَّوْبَة. فَإذَا كَانَ هَذَا النَّدَمُ صَادقًا فَإنَّ الْعَاصيَ سَوْفَ يَتْرُكُ الْمَعْصيَةَ، وَيَعْزمُ عَلَى عَدَم فعْلهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَبهَذَا تَكْمُلُ التَّوْبَةُ وَتَتَحَقَّقُ شُرُوطُهَا كُلُّهَا.

-وَعَلَى هَذَا؛ فَكُلُّ مَنْ تَرَكَ الْمَعْصِيَةَ لِكَوْنِهَا مَعْصِيَةً لِلَّهِ تَعَالَى – أَيْ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ وَطَاعَةً لَهُ– وَكَرِهِ وُقُوعَهُ فِيهَا، وَمَعْصِيَتَهُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَحَبَّ أَنْ لَوْ كَانَ قَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، بَدَلًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَعَزَمَ عَلَى عَدَمِ فِعْلِهَا: فَقَدْ حَصَلَ مِنْهُ النَّدَمُ قَطْعًا، وَهُوَ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ.

-قَالَ الْغَزَالِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي:إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ:٤/٤ { اعْلَمْ أَنَّ التَّوْبَةَ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْنًى يَنْتَظِمُ وَيَلْتَئِمُ مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ مُرَتَّبَةٍ: عِلْمٍ، وَحَالٍ، وَفِعْلٍ. فَالْعِلْمُ الْأَوَّلُ، وَالْحَالُ الثَّانِي، وَالْفِعْلُ الثَّالِثُ. وَالْأَوَّلُ مُوجِبٌ لِلثَّانِي، وَالثَّانِي مُوجِبٌ لِلثَّالِثِ، إِيجَابًا اقْتَضَاهُ اضْطِرَادُ سُنَّةِ اللَّهِ فِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ.

أَمَّا الْعِلْمُ، فَهُوَ مَعْرِفَةُ عِظَمِ ضَرَرِ الذُّنُوبِ، وَكَوْنِهَا حِجَابًا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ كُلِّ مَحْبُوبٍ. فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ مَعْرِفَةً مُحَقَّقَةً، بِيَقِينٍ غَالِبٍ عَلَى قَلْبِهِ: ثَارَ مِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تَأَلُّمٌ لِلْقَلْبِ بِسَبَبِ فَوَاتِ الْمَحْبُوبِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مَهْمَا شَعَرَ بِفَوَاتِ مَحْبُوبِهِ: تَأَلَّمَ، فَإِنْ كَانَ فَوَاتُهُ بِفِعْلِهِ، تَأَسَّفَ عَلَى الْفِعْلِ الْمُفَوِّتِ، فَيُسَمَّى تَأَلُّمُهُ بِسَبَبِ فِعْلِهِ الْمُفَوِّتِ لِمَحْبُوبِهِ نَدَمًا. فَإِذَا غَلَبَ هَذَا الْأَلَمُ عَلَى الْقَلْبِ وَاسْتَوْلَى، انْبَعَثَ مِنْ هَذَا الْأَلَمِ فِي الْقَلْبِ حَالَةٌ أُخْرَى تُسَمَّى إِرَادَةً وَقَصْدًا إِلَى فِعْلٍ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْحَالِ وَالْمَاضِي وَبِالِاسْتِقْبَالِ.

أَمَّا تَعَلُّقُهُ بِالْحَالِ، فَبِالتَّرْكِ لِلذَّنْبِ الَّذِي كَانَ مُلَابِسًا. وَأَمَّا بِالِاسْتِقْبَالِ، فَبِالْعَزْمِ عَلَى تَرْكِ الذَّنْبِ الْمُفَوِّتِ لِلْمَحْبُوبِ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ. وَأَمَّا بِالْمَاضِي، فَبِتَلَافِي مَا فَاتَ بِالْجَبْرِ وَالْقَضَاءِ، إِنْ كَانَ قَابِلًا لِلْجَبْرِ.

-فَالْعِلْمُ وَالنَّدَمُ وَالْقَصْدُ الْمُتَعَلِّقُ بِالتَّرْكِ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ وَالتَّلَافِي لِلْمَاضِي ثَلَاثَةُ مَعَانٍ مُرَتَّبَةٍ فِي الْحُصُولِ، فَيُطْلَقُ اسْمُ التَّوْبَةِ عَلَى مَجْمُوعِهَا.

-وَكَثِيرًا مَا يُطْلَقُ اسْمُ التَّوْبَةِ عَلَى مَعْنَى النَّدَمِ وَحْدَهُ، وَيَجْعَلُ الْعِلْمَ كَالسَّابِقِ وَالْمُقَدِّمَةِ، وَالتَّرْكَ كَالثَّمَرَةِ وَالتَّابِعِ الْمُتَأَخِّرِ، وَبِهَذَا الِاعْتِبَارِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:{ النَّدَمُ تَوْبَةٌ } إِذْ لَا يَخْلُو النَّدَمُ عَنْ عِلْمٍ أَوْجَبَهُ وَأَثْمَرَهُ، وَعَنْ عَزْمٍ يَتْبَعُهُ وَيَتْلُوهُ، فَيَكُونُ النَّدَمُ مُحَفَّفًا بِطَرَفَيْهِ، أَعْنِي ثَمَرَتَهُ وَمُثْمِرَهُ }. انْتَهَى.

-وَقَالَ أَيْضًا–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:١٤٤/٣:{ وَالْخَوْفُ إِذَا كَانَ مِنْ فِعْلٍ مَاضٍ أَوْرَثَ النَّدَمَ، وَالنَّدَمُ يُورِثُ الْعَزْمَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ النَّدَمُ تَوْبَةٌ }} انْتَهَى.

-الشَّرْطُ الرَّابِعُ: الْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ:
-فَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ لِلْمَعْصِيَةِ أَمْرٌ قَلْبِيٌّ، يَعْرِفُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ لِلْعَبْدِ نِيَّةٌ جَازِمَةٌ وَقَرَارٌ أَكِيدٌ بِأَلَّا يُعَاوِدَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةَ مَرَّةً أُخْرَى، فَإِذَا وُجِدَ هَذَا الْعَزْمُ الْجَازِمُ مَعَ الْإِقْلَاعِ عَنِ الذَّنْبِ فَوْرًا، وَالنَّدَمِ عَلَى فِعْلِهِ، فَقَدْ صَحَّتِ التَّوْبَةُ، وَطَرِيقُ تَحْصِيلِ هَذَا الْعَزْمِ اسْتِحْضَارُ قُبْحِ الذَّنْبِ وَعَاقِبَتِهِ السَّيِّئَةِ، وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا يُورِثُ الْعَبْدَ نَدَمًا أَكِيدًا عَلَى مَا اقْتَرَفَهُ مِنَ السُّوءِ، وَهَذَا النَّدَمُ تَوْبَةٌ حَقِيقِيَّةٌ، لِحَدِيثِ:{ النَّدَمُ تَوْبَةٌ }.
-وَهَذَا النَّدَمُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ لِلْمَعْصِيَةِ وَلَابُدَّ.
-وَمِنْ عَلَامَةِ صِحَّةِ ذَلِكَ الْعَزْمِ أَخْذُ الشَّخْصِ بِالْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَلَى التَّوْبَةِ مِنْ مُجَانَبَةِ مَكَانِ الْمَعْصِيَةِ، –وَمُفَارَقَةُ الرُّفَقَاءِ الَّذِينَ يُعِينُونَ عَلَيْهَا، وَتَخَيُّرُ الرُّفَقَاءِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُعِينُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالِاجْتِهَادُ فِي إِصْلَاحِ الْأَعْمَالِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ الْمُذْهِبَةِ لِلسَّيِّئَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

-الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى حَالِ الْغَرْغَرَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ:
-قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ:{ وَلِلتَّوْبَةِ شَرْطٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَأَمَّا فِي حَالَةِ الْغَرْغَرَةِ وَهِيَ حَالَةُ النَّزْعِ فَلَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ }.
-أَشَارَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–إِلَى مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي سُنَنِهِ بِرَقْمٍ(٣٥٣٧)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ }.
-أَيْ: يَقْبَلُ مِنْ عَبْدِهِ التَّوْبَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ، وَالِاعْتِرَافَ بِالذَّنْبِ وَالتَّبَرُّؤَ مِنْهُ طَوَالَ حَيَاتِهِ، مَا دَامَ وَاعِيًا وَلَمْ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ، لَا أَنْ يَكُونَ فِي حَالَةِ الِاحْتِضَارِ، فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ يَرَى مَلَائِكَةَ رَبِّهِ، وَيَتَيَقَّنُ أَنَّهُ مَيِّتٌ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِي الْعَوْدَةِ؛ فَإِنَّ التَّوْبَةَ بَعْدَ التَّيَقُّنِ بِالْمَوْتِ لَا يُعْتَدُّ بِهَا، فَالْمُعْتَبَرُ هُوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، وَالْمُرَادُ بِالْغَرْغَرَةِ، أَيْ: مَا لَمْ تَبْلُغْ رُوحُهُ حُلْقُومَهُ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْءِ الَّذِي يَتَغَرْغَرُ

بِهِ الْمَرِيضُ، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَى:{ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا(١٧)وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ }.(النساء:١٧– ١٨).

-وَفِي الْحَدِيثِ:بَيَانُ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ.

-وَفِيهِ:الْحَثُّ عَلَى الْإِسْرَاعِ إِلَى التَّوْبَةِ قَبْلَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، الَّتِي لَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ مَتَى تَأْتِيهِ.

-الشَّرْطُ السَّادِسُ:رَدُّ الْمَظَالِمِ لِأَهْلِهَا:

-فَهَذِهِ الشُّرُوطُ الْخَمْسَةُ السَّابِقَةُ فِيمَا إِذَا كَانَ الذَّنْبُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، كَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ مَثَلًا.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الذَّنْبُ يَدْخُلُ فِيهِ حَقُّ الْعِبَادِ، فَهُنَاكَ شَرْطٌ سَادِسٌ وَهُوَ رَدُّ الْمَظَالِمِ لِأَهْلِهَا،فَلَا بُدَّ مِنْ إِبْرَاءِ الذِّمَّةِ مِنْ هَذَا الْحَقِّ.

-فَإِنْ كَانَ مَظْلَمَةً اسْتَحَلَّهَا مِنْهُ، أَوْ حَقًّا رَدَّهُ إِلَيْهِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الشُّرُوطِ الْخَمْسَةِ الْآنِفَةِ الذِّكْرِ.

-فَإِنَّ رَدَّ الْمَظَالِمِ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ، وَالْمَقْصُودُ بِهِ أَنَّ الذَّنْبَ إِذَا كَانَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّهُ يَجِبُ فِيهِ– مَعَ النَّدَمِ عَلَى فِعْلِ الذَّنْبِ، وَالْإِقْلَاعِ عَنْهُ، وَالْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهِ،– أَنْ يَرُدَّ إِلَى النَّاسِ حُقُوقَهُمُ الَّتِي ظَلَمَهُمْ بِهَا أَوْ يَطْلُبَ مِنْهُمُ الْمُسَامَحَةَ فِيهَا وَالتَّنَازُلَ عَنْهَا.

-وَهَذِهِ الْحُقُوقُ هِيَ التَّعَدِّي عَلَى دِمَائِهِمْ بِالْقَتْلِ أَوِ الْجِنَايَةِ، أَوْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ بِالسَّرِقَةِ وَالْغَصْبِ، أَوْ عَلَى أَعْرَاضِهِمْ بِالْقَذْفِ وَالسَّبِّ وَالْغِيبَةِ.

-فَلَا تَتِمُّ تَوْبَةُ الْقَاتِلِ إِلَّا أَنْ يُمَكِّنَ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَأْخُذُوا بِحَقِّهِمْ مِنَ الْقِصَاصِ أَوِ الْعَفْوِ عَنْهُ.

-وَلَا تَتِمُّ تَوْبَةُ آخِذِ الْمَالِ إِلَّا بِرَدِّ الْمَالِ إِلَى صَاحِبِهِ أَوِ اسْتِحْلَالِهِ مِنْهُ.

-وبالنِّسْبَة للْغيبَة وَانتهاك الْعرضِ فلَا يُخبرُهُمْ لأَنَّ الْإخبَارَ فيه زِيادة شرٍّ والشَّريعَةُ جَاءَتْ بتَقْليل الشَّر،فعليْه برد غيبتِهِمْ في مَجْلس الْغيبَة مع ذكْرِ محَاسنهِمْ والاستْغفَارِ والدُّعَاءِ لَهُمْ، والتَّصدُّقِ عَنْهُمْ،مع اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ تعَالَى فِي أَنْ يُرضيهِمْ عنْهُ.

•رَابعًا:خُطُوَاتٌ عَمَلِيَّةٌ لِتحْقِيق التَّوْبَة:

-وَسأَذْكُرُ لَك خُطُوَات عَمَلِيَّة تُبيِّنُ لَك بوَضوحِ كَيْفيَّةَ التَّوْبة وَمنْهَا:

(١)عَلَيْكَ بِالْمرَاقَبَة للَّه فِي السرِّ وَالْعَلَانِيَة: فَهُوَ الْقَائلُ جَلَّ جَلَالُهُ:

{ هوَ الَّذي خلَقَ السَّمَاوَات وَالْأَرض في ستَّة أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يلِجُ فِي الْأَرْضِ ومَا يَخرجُ مِنْهَا ومَا ينْزلُ مِنَ السمَاءِ وَمَا يعْرجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.(الْحَدِيد:٤).

-فَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ أَنْ يُقَابِلَ نعَمَ ربِّهِ عَلَيْهِ بِأَنْ يَعْصِيَهُ وَرَبُّهُ نَاظِرٌ إِلَيْهِ مُرَاقِبٌ لِحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِه.

(٢) مَعْرِفَةُ ضَرَرِ الذُّنُوب: فَاعْلَمْ أَنَّ أَثَرَ الذُّنُوب عَلَى الْعَبْدِ أَشَدُّ ضَرَرًا مِنْ أَثَرِ السُّمُومِ فِي الْأَبْدَان، وَهَذه الْمَعْرِفَةُ لِأَضْرَارِ الذُّنُوب تَجْعَلُك تَبْتَعدُ عَنْ الذُّنُوب بِالْكُلِّيَّة، وَقَدْ سَاقَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي كِتَابه الدَّاء وَالدَّوَاء أَضْرَارًا كَثِيرَةً لِلذُّنُوب مِنْهَا: الْوَحْشَةُ فِي الْقَلْبِ – وَتَعْسِيرُ الْأُمُورِ – وَوَهْنُ الْبَدَنِ – وَحِرْمَانُ الطَّاعَةِ – وَمَحْقُ الْبَرَكَةِ – وَقِلَّةُ التَّوْفِيقِ – وَضِيقُ الصَّدْرِ – وَاعْتِيَادُ الذُّنُوبِ– وَهَوَانُ الْمُذْنِبِ عَلَى اللَّه – وَهَوَانُهُ عَلَى النَّاسِ إلَخْ، فَأَنْصَحُ نَفْسِي وَإِيَّاكَ يَا طَالِبَ النَّجَاة بِمُرَاجَعَة هَذَا الْكِتَابِ الْقَيِّم، فَهُوَ كِتَابٌ مَلِيءٌ بِالْفَوَائِد وَالْعِظَات.

(٣) ذِكْرُ الْمَوْت: فَالْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً وَبَعْدَ الْمَوْت بَرْزَخٌ فِيه النَّعِيمُ وَفِيهِ الْجَحِيمُ، وَبَعْدَ الْبَرْزَخِ بَعْثٌ وَحِسَابٌ وَجَنَّةٌ وَنَارٌ فَأَهْلُ الطَّاعَاتِ فِي النَّعِيمِ وَأَهْلُ الْمَعَاصِي الْمُوبِقَاتِ فِي الْجَحِيم.

(٤) الْبُعْدُ عَنْ أَمْكِنَة الْمَعَاصِي وَأَرْبَابِهَا: فَعَلَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاة أَنْ تُفَارِقَ مَوْضِعَ الْمَعْصِيَة لِأَنَّ وُجُودَكَ فِيهَا قَدْ يُوقِعُكَ فِي الْمَعْصِيَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّة، وَأَنْ تُفَارِقَ مَنْ أَعَانَكَ عَلَى الْمَعْصِيَة، وَاللَّهُ يَقُولُ:{ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } .

(الزُّخْرُف:٦٧).أي:الْأَصْدِقَاءُ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ فِي الدُّنْيَا يَتبرأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَكِنِ الَّذِينَ تَصادَقُوا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ صَدَاقَتَهُمْ دَائِمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٥) تَذَكُّرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: فَكَيْفَ يَلْهُو وَيَغْفُلُ مَنْ هُوَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا يَدْرِي إِلَى أَيِّهِمَا يَصِيرُ؟.

-أَمَّا النَّارُ: فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:{ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }.(الْمُؤْمِنُونَ:١٠٤).

أَيْ:تُحْرِقُ النَّارُ وُجُوهَهُمْ، وَهُمْ فِيهَا عَابِسُونَ تَقَلَّصَتْ شِفَاهُهُمْ، وَبَرَزَتْ أَسْنَانُهُمْ.

-فَهَذِهِ الْآيَةُ كَافِيَةٌ لِلزَّجْرِ عَنْ الْمَعَاصِي، فَكَيْفَ وَهِيَ: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ قَالَ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }.(التَّحْرِيم:٦).

أَيْ:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ بِفِعْلِ مَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ، وَاحْفَظُوا أَهْلِيكُمْ بِمَا تَحْفَظُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، يَقُومُ عَلَى تَعْذِيبِ أَهْلِهَا مَلَائِكَةٌ أَقْوِيَاءُ قُسَاةٌ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ، وَيَنْفُذُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ.

-وَلَوْ سُيِّرَتْ فِيهَا جِبَالُ الدُّنْيَا لَذَابَتْ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٤٣٢٤)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ يُرْسَلُ الْبُكَاءُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، فَيَبْكُونَ حَتَّى تَنْقَطِعَ الدُّمُوعُ، ثُمَّ يَبْكُونَ الدَّمَ، حَتَّى يَصِيرَ فِي وُجُوهِهِمْ كَهَيْئَةِ الْأُخْدُودِ ، لَوْ أُرْسِلَتْ فِيهِ السُّفُنُ لَجَرَتْ }.

-وَأَمَّا الْجَنَّةُ: فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمٍ (٤٧٧٩)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } (السَّجْدَة: ١٧).

-هَذَا الْحَديثُ منَ الْأَحَاديث الْقُدُسيَّة الَّتي يَرْويهَا النَّبيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-عَنْ رَبِّ الْعزَّة تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفيه يَقُولُ:{ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ }أَيْ: خَلَقْتُ وَهَيَّأْتُ في الْجَنَّة للْعبَاد الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات، وَيَسْعَوْنَ في الْخَيْر، وَالْإِضَافَةُ في قَوْله:{ لعبَادي } للتَّشْريف، أَيْ:

الْمُخْلَصينَ منْهُمْ بتلْكَ الْأَعْمَال، فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ به وَبوَصْفه أُذُنٌ في الدُّنْيَا، وَتَنْكيرُ { عَيْن } وَ{ أُذُن } في سيَاق النَّفْي يُفيدُ الشُّمُولَ، أَيْ: يَكُونُ في الْجَنَّة مَا لَمْ تَرَهُ أَيُّ عَيْنٍ منَ الْأَعْيُن، وَلَمْ تَسْمَعْ به وَبوَصْفه أَيُّ أُذُنٍ منَ الْآذَان،{ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَرٍ }، أَيْ:

وَلَمْ يَمُرَّ عَلَى عَقْل أَحَد مَا يُشْبهُهُ أَوْ يَتَصَوَّرُهُ منَ النَّعيم، فَكُلُّ شَيْءٍ تَخَيَّلَهُ عَقْلٌ أَوْ قَلْبٌ منْ نَعيم الْجَنَّة؛ فَفيهَا أَفْضَلُ ممَّا تَخَيَّلَهُ، وَاسْتَشْهَدَ أَبُو هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ- بقَوْل اللَّه تَعَالَى:{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفيَ لَهُمْ منْ قُرَّة أَعْيُنٍ }.(السَّجْدَة:١٧).

،أَيْ: هَذَا مصْدَاقُ مَا قَالَهُ منْ كتَاب اللَّه الَّذي أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ وَلَا يَتَصَوَّرُ مَا خَبَّأَهُ اللَّهُ عَن النَّاس منَ النَّعيم الَّذي تَقَرُّ به الْعَيْنُ، أَيْ: تَهْدَأُ وَتَسْعَدُ وَتَفْرَحُ به يَوْمَ الْقيَامَة عنْدَ اللَّه تَعَالَى، فَهُوَ جَزَاءٌ لَا يُحيطُ به إلَّا اللَّهُ لعظَمه.

-وَفي الْحَديث: الْحَثُّ عَلَى عَمَل الطَّاعَات وَتَرْك الْمُنْكَرَات؛ للْفَوْز بمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لعبَاده الصَّالحينَ.

-وَفيه: بَيَانُ سَعَة فَضْل اللَّه سُبْحَانَهُ وَأَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ممَّا لَا يُحيطُ به الْبَشَرُ.

-فَمَا ظَنُّكَ بدَارٍ مَلَأَهَا اللَّهُ منْ كَرَامَته، وَجَعَلَهَا مُسْتَقَرًّا لأَحْبَابه وَأَوْليَائه، أَرْضُهَا وَتُرْبَتُهَا الْمسْكُ وَالزَّعْفَرَانُ، سَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَن، بنَاؤُهَا لَبنَةٌ منْ فضَّةٍ وَلَبنَةٌ منْ ذَهَبٍ، وَاللَّهُ لَا يَحْرمُهَا إلَّا مَحْرُومٌ.

-أَخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمذيُّ-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في سُنَنه برَقْم(2526)منْ حَديث أَبي هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ—قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّه : مَا لَنَا إذَا كُنَّا عنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا ، وَزَهدْنَا في الدُّنْيَا ، وَكُنَّا منْ أَهْل الْآخرَة ، فَإذَا خَرَجْنَا منْ عنْدكَ فَآنَسْنَا أَهَاليَنَا ، وَشَمَمْنَا أَوْلَادَنَا أَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-:

{ لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إذَا خَرَجْتُمْ منْ عنْدي كُنْتُمْ عَلَى حَالكُمْ ذَلكَ لَزَارَتْكُمُ الْمَلَائكَةُ في بُيُوتكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بخَلْقٍ جَديدٍ كَيْ يُذْنبُوا فَيَغْفرَ لَهُمْ قَالَ :

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه ممَّ خُلِقَ الْخَلْقُ ؟ قَالَ : منَ الْمَاء ، قُلْتُ : الْجَنَّةُ مَا بنَاؤُهَا ؟ قَالَ : لَبِنَةٌ منْ فضَّة ولَبِنَةٌ منْ ذَهَب ، ومَلَاطُهَا الْمسْكُ الْأَذْفَرُ ، وحَصْبَاءُهَا اللُّؤْلُؤُ والْيَاقُوتُ ، وتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ منْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ ولَا يَبْأَسُ ، ويَخْلُدُ ولَا يَمُوتُ ، لَا تَبْلَى ثيَابُهُم ،ولَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ ثُمَّ قَالَ : ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ ، الْإِمَامُ الْعَادلُ ، والصَّائمُ حينَ يُفْطِرُ ، ودَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا فَوْقَ الْغَمَامِ ، وتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، ويَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وتَعَالَى : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ ولَوْ بَعْدَ حِينٍ }.

(٦) صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ: احْرِصْ عَلَى أَنْ تَخْتَارَ رِفْقَةَ مِنَ الصَّالِحِينَ ممَّنْ يُعينُوكَ عَلَى نَفْسكَ وتَتَأَسَّى بِهِمْ،فقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمٍ(٤٨٣٣) منْ حَديث أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ— قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–:{ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ }.أَيْ: الْمَرْءُ يُشَابِهُ صَدِيقَهُ وَصَاحِبَهُ فِي سِيرَته وعَادَته؛ فَهُوَ مُؤَثِّرٌ فِي الْأَخْلَاقِ والسُّلُوكِ والتَّصَرُّفَاتِ ،
ونَظْرَةِ النَّاسِ إِلَى كُلٍّ مِنْهُمَا مِنْ خِلَالِ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَحْوَالِ الصَّاحِبِ؛ ولِهَذَا أَرْشَدَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– إِلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ الصَّدِيقِ.

-وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم–:{ لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا } أَيْ: لَا تَتَّخِذْ صَاحِبًا ولَا صَدِيقًا إِلَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَدُلُّ صَدِيقَهُ عَلَى الْإِيمَانِ والْهُدَى والْخَيْرِ، ويَكُونُ عَوْنًا لِصَاحِبِه.
-وَفِي الْحَدِيثِ:الْحَثُّ عَلَى انْتِقَاءِ الْأَصْحَابِ والْأَصْدِقَاءِ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.
-وَفِيمَا أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (٢١٠١) ومُسْلِمٌ بِرَقْمٍ(2628)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–:{ مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ والْجَلِيسِ السُّوءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمسْك وكِيرِ الْحَدَّاد؛ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْك إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً }.

-فَمُصَاحَبَةُ الصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتُهُمْ مِنْ شِيَمِ الْأَخْيَارِ، وَهُوَ طَرِيقٌ لِنَيْلِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ، أَمَّا مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ الطَّالِحِينَ فَمِنْ شِيَمِ ضِعَافِ النُّفُوسِ، وَطَرِيقٌ لِلْخَسَارَةِ وَالْبَوَارِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَضْرِبُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِثَالَيْنِ لِصِنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَهُمَا الْجَلِيسُ الصَّالِحُ وَالْجَلِيسُ السُّوءُ؛ وَذَلِكَ لِيُقَرِّبَ لَنَا الْمَعَانِي، وَيَحُثَّنَا عَلَى الْالْتِزَامِ بِالْخَيْرِ وَالابْتِعَادِ عَنْ السُّوءِ وَالشَّرِّ.

-الْمِثَالُ الْأَوَّلُ لِلْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسُ هُوَ الَّذِي يُجَالِسُ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ، وَالصَّالِحُ هُوَ مَنْ يَدُلُّ جَلِيسَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ؛ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ؛ فَيُخْبِرُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ هَذَا الْجَلِيسَ الصَّالِحَ مِثْلُ صَاحِبِ الْمِسْكِ، لَنْ تَفْقِدَ مِنْهُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ:{ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ }، أَيْ:

إِمَّا أَنْ تَشْتَرِيَ مِنْ مِسْكِهِ وَعُطُورِهِ، أَوْ تَجِدَ وَتَشَمَّ مِنْ رِيحِهِ الطَّيِّبَةِ، وَكَذَلِكَ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ؛ إِمَّا أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ خَيْرًا، وَتَنْتَفِعَ بِهِ، أَوْ أَنْ تَجِدَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ رَوْحًا وَطِيبًا.

-وَالْمِثَالُ الثَّانِي لِلْجَلِيسِ السُّوءِ، وَهُوَ مَنْ يُجَالِسُ غَيْرَهُ وَيَصُدُّهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ؛ فَشَبَّهَهُ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِـــ{ كِيرِ الْحَدَّادِ }، أَيْ: إِنَّهُ كَصَاحِبِ الْكِيرِ، وَهُوَ زِقٌّ أَوْ جِلْدٌ غَلِيظٌ تُنْفَخُ بِهِ النَّارُ.

فَنَافِخُ الْكِيرِ هَذَا إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ بَدَنَكَ أَوْ ثِيَابَكَ مِنْ شَرَرِهِ الْمُتَطَايِرِ، أَوْ تَجِدَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ رِيحًا خَبِيثَةً، فَيَجْلِبَ لَكَ كَرْبًا وَضِيقًا، وَتَشَمَّ مِنْهُ مَا يُؤْذِيكَ، وَهَكَذَا الْجَلِيسُ السُّوءُ إِمَّا أَنْ تَطَالَكَ شُرُورُ أَفْعَالِهِ، فَتُشَارِكَهُ أَوْزَارَهُ، وَتَحْتَرِقَا بِنَارِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَرَى الْقَبِيحَ وَسُوءَ الْفِعْلِ أَمَامَكَ، فَتُذَمَّ لِمُصَاحَبَةِ وَمُجَالَسَةِ مَنْ هَذَا حَالُهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ وَالتَّرْغِيبُ عَلَى مُجَالَسَةِ أَهْلِ الطَّاعَةِ وَالصَّلَاحِ، وَمُجَانَبَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ وَأَصْحَابِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ.

(٧) احْرِصْ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَحَافِظْ عَلَى الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى—فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٥١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ،

فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ }.،واحرِصْ علَى الْمُسَارعَةِ في الْخَيْرَاتِ،فَقَدْ أَخرَجَ الْإِمَامُ الطَّبْرَانيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–في الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ بِرقَمِ(٦٠٨٦)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ. أُمِّ الْمُؤْمِنِين–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ }.

،وَاحفَظْ صِيَامَكَ، عَمَّا يَذْهَبُ بِثَمَرَتِه وَيُضَيِّعُ ثَوَابَهُ مِنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، أَوْ رُؤْيَةِ الْمُنْكَرَاتِ، فَقَدْ أَخرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–في صَحِيحِهِ بِرقْمِ(١٩٠٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ––قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ }.

–فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ، وَتَسِيرُ إِلَى خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَكْثِرْ مِنْ نَوَافِلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ.

•خَامِسًا: ثِمَارُ التَّوْبَةِ:

–لِلتَّوْبَةِ ثِمَارٌ كَثِيرَةٌ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) التَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا:

–فَقَدْ أَخرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى –في صَحِيحِهِ بِرقْمِ(121)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{

حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِكَذَا؟

قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ،

فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟

قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟

وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تُصْحِبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي }.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ الْإِسْلَامُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا }.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لَمَّا أَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِيُبَايِعَنِي فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ فَقُلْتُ لَا أُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى تَغْفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي قَالَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ يَا عَمْرُو أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ الذُّنُوبِ }.

-وَعِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٣٤٤٦)وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهْ بِرَقْمِ(٣٤٤٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ }.

-فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَالْغَفُورُ الْكَرِيمُ، وَقَدْ فَتَحَ بَابَ رَحْمَتِهِ لِعِبَادِهِ الْعَاصِينَ مَهْمَا بَلَغَتْ ذُنُوبُهُمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-،أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:{ التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ }، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهُ تَوْبَةً نَصُوحًا وَأَقْلَعَ عَنْهُ وَنَدِمَ وَاسْتَغْفَرَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَامَلَهُ مُعَامَلَةَ مَنْ لَمْ يُذْنِبْ، بَلْ يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ؛ لِأَنَّهُ تَابَ إِلَى رَبِّهِ وَأَنَابَ لِمَحَبَّتِهِ لِلَّهِ وَحِرْصِهِ عَلَى رِضَاهُ وَخَوْفِهِ مِنْهُ، وَتِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ، إِذَا زَالَ الذَّنْبُ زَالَتْ عُقُوبَاتُهُ وَمُوجِبَاتُهُ، وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ لِكُلِّ تَائِبٍ مِنْ ذَنْبٍ.

-وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }.(الزُّمَر: ٥٣).

-وَمِنْ عَلَامَاتِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ:أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَهَا؛ فَيُكْثِرَ مِنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَمُصَاحَبَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَيَحْرِصَ عَلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ، وَالَابْتِعَادِ عَنْ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالِانْحِرَافِ، وَأَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ مُصَاحِبًا لَهُ فَلَا يَأْمَنَ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ؛ بِفَتْحِهِ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى طَاعَتِهِ لِكُلِّ عَاصٍ قَبْلَ مَوْتِهِ.

-وَفِيهِ: دَعْوَةٌ إِلَى عَدَمِ تَقْنِيطِ الْمُذْنِبِ وَالْعَاصِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

-وَفِيهِ: أَنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ تُزِيلُ الذُّنُوبَ وَتُبَدِّلُهَا حَسَنَاتٍ.

(٢)رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

-لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلتَّوْبَةِ مِنْ ثِمَارٍ إِلَّا أَنَّهَا طَرِيقُ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، لَكَفَى بِذَلِكَ عِزًّا وَشَرَفًا، قَالَ تَعَالَى:{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }.(الْبَقَرَة: ٢٢٢).أَيْ:إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عِبَادَهُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، وَيُحِبُّ عِبَادَهُ الْمُتَطَهِّرِينَ الَّذِينَ يَبْتَعِدُونَ عَنْ الْفَوَاحِشِ وَالْأَقْذَارِ.

-وَإِذَا أَحَبَّكَ اللَّهُ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْكَ وَلَا حَزَنٌ، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٦٥٠٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ إنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ }.

-فَالتَّائِبُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ، مُؤَيَّدٌ بِعَوْنِهِ، مَصُونٌ مَحْفُوظٌ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَلِيَّةٍ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ الرَّحَمَاتُ، وَتَتَغَشَّاهُ الْبَرَكَاتُ، وَتُسْتَجَابُ لَهُ الدَّعَوَاتُ، إِذَا أَخَذَ أَخَذَ بِنُورِ اللَّهِ، وَإِذَا بَطَشَ بَطَشَ بِنُورِ اللَّهِ، وَإِذَا مَشَى مَشَى بِنُورِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ لَبَّى نِدَاءَ اللَّهِ وَاسْتَجَابَ لِأَمْرِهِ:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ }.(التَّحريم:٨)

-فَالْعَاقِلُ مَنْ يَطْمَعُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ، وَيُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ طَمَعِهِ التَّوْبَةَ، وَالِانْكِسَارَ،وَالرُّجُوعَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْخَطَايَا، وَالْإِقْلَاعَ وَالنَّدَمَ عَلَى مَا فَاتَ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ.

-وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ مِنْ أَجَلِّ الْقُرُبَاتِ وَأَحَبِّهَا إِلَى اللَّهِ وَأَوْجَبِهَا لِرِضَاهُ وَفَرَحِهِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٧٤٧)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ }.

(٣) طمأنينة النَّفس:

-فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ ضَرَرَ الْمَعَاصِي عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالنُّفُوسِ أَخْطَرُ مِنْ ضَرَرِ الْأَمْرَاضِ عَلَى الْأَجْسَادِ، بَلْ إِنَّ ضَرَرَ الْمَعْصِيَةِ يَشْمَلُ الرُّوحَ وَالْبَدَنَ، فَتَرَى الْعَاصِيَ قَدْ اجْتَمَعَتْ

عَلَيْهِ أَنْوَاعُ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ، وَأَلْوَانُ الْوَسَاوِسِ وَالْهَوَاجِسِ، فَلَا تَجِدُهُ إِلَّا قَلَقًا فَزِعًا خَائِفًا، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِسَبَبِ مَا اقْتَرَفَهُ مِنْ الْمَعَاصِي وَالْخَطِيئَاتِ.

-وَلِذَلِكَ كَانَتِ التَّوْبَةُ طُمَأْنِينَةً لِلنَّفْسِ، وَسَعَادَةً لِلْقَلْبِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

{ الْحَسَنَةُ نُورٌ فِي الْقَلْبِ وَقُوَّةٌ فِي الْبَدَنِ، وَالسَّيِّئَةُ ظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ وَوَهْنٌ فِي الْبَدَنِ }.

-فَالتَّوْبَةُ دَوَاءٌ لِأَمْرَاضِ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ تَقْتَضِي الصَّبْرَ وَمُطَالَعَةَ الثَّوَابِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَهِيَ دَوَاءٌ يُصَقِّلُ الْقُلُوبَ وَيُجَلِّي عَنْهَا أَسْبَابَ الضِّيقِ وَالضَّنْكِ وَهُوَ الرَّانُ قَالَ تَعَالَى:{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }.(الْمُطَفِّفِينَ:١٤)

وَالْقُلُوبُ إِذَا أُزِيلَ عَنْهَا الرَّانُ أَصْبَحَتْ خَفِيفَةً مُرْهَفَةً لَا تَعْرِفُ الْيَأْسَ وَلَا يُصِيبُهَا النَّكَدُ، وَمَا أَصَابَ عَبْدٌ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ وَلَا اكْتِئَابٌ إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ.

-قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ مَنْ صَفَّى صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ كَدَّرَ كُدِّرَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِي لَيْلَةٍ كُوفِئَ فِي نَهَارِهِ وَمَنْ أَحْسَنَ فِي نَهَارِهِ كُوفِئَ فِي لَيْلِهِ }.(يُنْظَرُ:ذَمُّ الْهَوَى).

(٤) اجْتِنَابُ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

-مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ التَّوْبَةَ وِقَايَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، ذَلِكَ لِأَنَّ الذُّنُوبَ مُوجِبَةٌ لِلسَّخَطِ وَالنَّكَالِ وَالتَّوْبَةُ مَاحِيَةٌ لِلذُّنُوبِ نَاسِخَةٌ لَهَا، لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى عَنْ يُونُسَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-:{ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }.(الصَّافَّات:١٤٣-١٤٤)

وَإِنَّمَا كَانَ تَسْبِيحُ يُونُسَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-:{ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }.(الْأَنْبِيَاء:٨٧).

-فَتَفَكَّرْ وَفَّقَكَ اللَّهُ فِي أَنَّ الذُّنُوبَ تَنْقَضِي لَذَّاتُهَا وَتَبْقَى تَبِعَاتُهَا، وَأَنَّ التَّوْبَةَ هِيَ فَصْلٌ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْعِقَابِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٧٦١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ }.

-فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَقَدْ حَدَّ حُدُودًا وَشَرَائِعَ، وَأَمَرَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ بِتَبْلِيغِهَا؛ فَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى النَّاسِ وَأَعْلَمَهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَغَارُ، وَأَنَّ غَيْرَتَهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ غَيْرَتَهُ ثَابِتَةٌ لِأَجْلِ أَلَّا يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَحَارِمَهُ، وَخَصَّ الْمُؤْمِنَ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ انْتِهَاكَ الْمَحَارِمِ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ مِنْ وُقُوعِهِ مِنْ غَيْرِهِ.

وَغَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جِنْسِ صِفَاتِهِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا؛ فَهِيَ لَيْسَتْ مُمَاثِلَةً لِغَيْرَةِ الْمَخْلُوقِ، بَلْ هِيَ صِفَةٌ تَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ دُونَ تَكْيِيفٍ أَوْ تَشْبِيهٍ أَوْ تَعْطِيلٍ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْغَيْرَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

-وَفِيهِ: التَّحْذِيرُ مِنَ اقْتِرَافِ الْمُحَرَّمَاتِ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(6496)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ :

{ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ :

الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ }.

-فَتَدَبَّرْ قَوْلَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-{ اجْتَنِبُوا }فَهِيَ تَطْبِيقٌ لِقَاعِدَةِ(الْوِقَايَةُ خَيْرٌ مِنَ الْعِلَاجِ)وَالْمَعْنَى:

اتْرُكُوا وَابْتَعِدُوا وَلَا تَقْتَرِبُوا مِنَ الْمُوبِقَاتِ وَهِيَ الذُّنُوبُ الْمُهْلِكَاتُ ،وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُهْلِكُ صَاحِبَهَا بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ عِقَابِهِ فِي الدُّنْيَا، وَتَوَعُّدِهِ بِدُخُولِ النَّارِ وَاسْتِحْقَاقِ عَذَابِهَا فِي الْآخِرَةِ.

-فَيَا طَالِبَ النَّجَاةِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-أَقْبِلْ عَلَى اللَّهِ إِقْبَالَ الْقَلِقِ الْفَزِعِ، وَاسْأَلْهُ سُؤَالَ الْخَائِفِ الْمُضْطَرِّ، وَكُنْ مُوقِنًا بِقَبُولِ تَوْبَتِكَ عِنْدَهُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ كُلَّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقْمٍ(٢٤٩٩)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-

قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }.

،وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٧٤٩)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ }.

-فَتَذَكَّرْ أَنَّكَ بَشَرٌ، وَأَنَّ أَحْكَامَ الْبَشَرِيَّةِ جَارِيَةٌ عَلَيْكَ، مِنَ السَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ وَالْخَطَاءِ وَغَلَبَةِ الطَّبْعِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ مُلَازِمًا لِلتَّوْبَةِ فِي كُلِّ حِينٍ فَاللَّهُ يُجْبِرُ بِتَوْبَتِكَ مَا بَدَرَ مِنْكَ مِنْ زَلَلٍ وَمَا اقْتَرَفْتَهُ مِنْ قَبِيحِ الْعَمَلِ.

•فَيَا طَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ–جَدِّدْ تَوْبَتَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ تَنَامَ، وَحَقِّقْ شُرُوطَهَا فَلَعَلَّهَا تَكُونُ آخِرَ نَوْمَةٍ،وَرُدَّ الْحُقُوقَ الْمُغْتَصَبَةَ إِلَى أَصْحَابِهَا، فَهَذَا مِنْ تَمَامِ التَّوْبَةِ،وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، فَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وَصَاحِبْ التَّائِبِينَ، وَجَالِسْ الصَّالِحِينَ يُذَكِّرُونَكَ بِاللَّهِ، فَالْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، وَلَا تَنْسَ سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ صَبَاحًا وَمَسَاءً، قُلْ:

{ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ }.(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

•اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا، وَارْحَمْنَا، وَارْضَ عَنَّا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

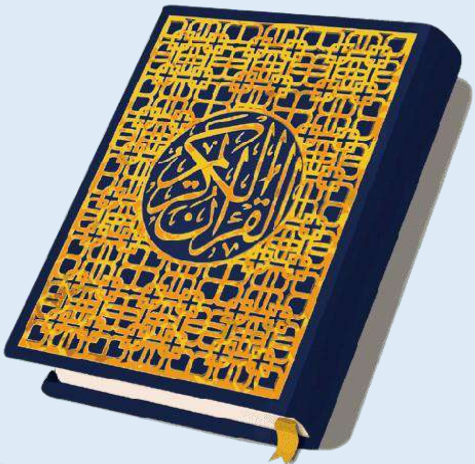
بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٣)

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَرَدُّ شُبُهَاتِ الْمُعَانِدِين



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ الْعِلْمَ نُوراً لِلْعِبَادِ، وَرِفْعَةً لِأَهْلِهِ وَحَمَلَتِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي يَوْمِ الْمَعَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالنُّظَرَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى وَالسَّدَادِ، النَّاهِي عَنِ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ وَالْفَسَادِ؛ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْخِيَارِ الْأَمْجَادِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَرَدُّ شُبُهَاتِ الْمُعَانِدِينَ }،وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمَّةَ يَسْبِقُهَا تَمْهِيدٌ فَأَقُولُ مُمَهِّداً:

•إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كِتَابُ هِدَايَةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ ، يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشِّرْكِ وَالْهَوَى إِلَى أَنْوَارِ الْعِلْمِ وَالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِقَامَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ لِأَحْسَنِ الْهُدَى الَّذِي بِهِ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَنَجَاتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

-وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْهَدَفُ وَاضِحاً فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى،فِي الْكَثِيرِ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ ، مِنْهَا:

-قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } .(إبراهيم:١).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ كِتَابَهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِنَفْعِ الْخَلْقِ، لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ،وَقَوْلُهُ: { بِإِذْنِ رَبِّهِمْ } أَيْ: لَا يَحْصُلُ مِنْهُمُ الْمُرَادُ الْمَحْبُوبُ لِلَّهِ، إِلَّا بِإِرَادَةٍ مِنَ اللَّهِ وَمَعُونَةٍ، فَفِيهِ حَثٌّ لِلْعِبَادِ عَلَى الِاسْتِعَانَةِ بِرَبِّهِمْ.

ثُمَّ فَسَّرَ النُّورَ الَّذِي يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ فَقَالَ:

{ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } أَيْ: الْمُوصِلِ إِلَيْهِ وَإِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ، الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ،وَفِي ذِكْرِ { الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } بَعْدَ ذِكْرِ الصِّرَاطِ الْمُوصِلِ إِلَيْهِ

إِلَى أَنَّ مَنْ سَلَكَهُ فَهُوَ عَزِيزٌ بِعِزِّ اللَّهِ قَوِيٌّ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْصَارٌ إِلَّا اللَّهُ، مَحْمُودٌ فِي أُمُورِهِ، حَسَنُ الْعَاقِبَةِ }.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى :{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }. (المائدة:١٥-١٦).

-أَيْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَهُ عَنِ النَّاسِ مِمَّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَيَتْرُكُ بَيَانَ مَا لَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ: وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

يَهْدِي اللَّهُ بِهَذَا الْكِتَابِ مَنِ اتَّبَعَ مَا يُرْضِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَى طُرُقِ السَّلَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَهِيَ الطُّرُقُ الْمُوَصِّلَةُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ بِإِذْنِهِ، وَيُوَفِّقُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ الْمُسْتَقِيمِ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ.

-فَهِدَايَةُ النَّاسِ وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِخْرَاجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أَعْظَمُ عَمَلٍ وَأَفْضَلُ قَوْلٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } .(فُصِّلَت:٣٣).

-فَهِيَ مُهِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؛ قَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }.(النَّحْل: ٣٦).

-وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سَبِيلُ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ،قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }. (يوسف: ١٠٨).

-وَمِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ نَالَتْ الْأُمَّةُ الْخَاتِمَةُ الْخَيْرِيَّةَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }.(آل عمران: ١١٠).

-وَعِنْدَ الْقِيَامِ بواجِب الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّه يُثِيرُ الْأَعْدَاءُ الْكَثِيرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ لِتَشْكِيك النَّاسِ وَتَنْفِيرِهِمْ عَنِ الْحَقِّ،وَقَدْ قَامَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِرَدِّ جَمِيعِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَثَارَهَا الْمُكَذِّبُونَ عِنْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ،وَسَوْفَ أُشِيرُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى بَعْضِ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَكَيْفَ رَدَّهَا الْقُرْآنُ بِالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ.

•أَوَّلًا:الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَرَدُّ الشُّبُهَاتِ:

-لَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى الشُّبُهَاتِ بِالدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ لِإِبْطَالِهَا وَإِزَالَتِهَا عَنْ نُفُوسِ الْمَدْعُوِّينَ، وَعَرْضِ الْحَقِّ إِلَيْهِمْ وَبَيَانِهِ،قَالَ تَعَالَى:{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }.(الأنبياء: ١٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:

{ يُخْبِرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ تَكَفَّلَ بِإِحْقَاقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا قَبْلَ وُجُودِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ مِنَ الْحَقِّ وَالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ مَا يَدْمَغُهُ فَيَضْمَحِلُّ، وَيَتَبَيَّنُ لِكُلِّ أَحَدٍ بُطْلَانُهُ، {فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}؛ أَيْ: مُضْمَحِلٌّ، وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْمَسَائِلِ الدِّينِيَّةِ، لَا يُورِدُ مُبْطِلٌ شُبْهَةً - عَقْلِيَّةً وَلَا نَقْلِيَّةً - فِي إِحْقَاقِ بَاطِلٍ أَوْ رَدِّ حَقٍّ، إِلَّا فِي أَدِلَّةِ اللَّهِ مِنَ الْقَوَاطِعِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ، مَا يُذْهِبُ ذَلِكَ الْقَوْلَ الْبَاطِلَ وَيَقْمَعُهُ، فَإِذَا هُوَ مُبَيَّنٌ بُطْلَانُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ }.

-وَيَقُولُ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ الْآيَةِ: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ }؛أَيْ: إِنَّ مَا قَالُوا كَذِبٌ وَبَاطِلٌ، بَلْ شَأْنُنَا أَنْ نَرْمِيَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، { فَيَدْمَغُهُ } أَيْ: يَقْهَرُهُ، وَأَصْلُ الدَّمْغِ شَجُّ الرَّأْسِ حَتَّى يَبْلُغَ الدِّمَاغَ، وَهِيَ ضَرْبَةٌ قَاتِلَةٌ، قِيلَ أُرِيدَ بِالْحَقِّ الْحُجَّةُ، وَبِالْبَاطِلِ شُبَهُهُمْ،{ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } أَيْ: زَائِلٌ ذَاهِبٌ، وَقِيلَ: هَالِكٌ تَالِفٌ }.(يُنْظَرُ:فَتْحُ الْقَدِيرِ:٣٠/٥٧٤).

-وَقَالَ تَعَالَى:{ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ }.(الأنعام:٥٥).

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:

{ {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} أَيْ: نُوَضِّحُهَا وَنُبَيِّنُهَا، وَنُمَيِّزُ بَيْنَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، لِيَهْتَدِيَ بِذَلِكَ الْمُهْتَدِي، وَيَتَبَيَّنَ الْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي سُلُوكُهُ.{ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } الْمُوصِلَةُ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَإِنَّ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ إِذَا اسْتَبَانَتْ

وَاتَّضَحتْ، أَمْكَنَ اجْتِنَابُهَا وَالْبُعْدُ مِنْهَا، بِخِلَافِ مَا لَوْ كَانَتْ مُشْتَبِهَةً مُلْتَبِسَةً، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ الْجَلِيلُ }.

-فَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ وَكَشْفِ الْبَاطِلِ.

•وَإِلَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-بَعْضَ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَثَارَهَا الْمُكَذِّبُونَ وَإِبْطَالَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَهَا:

(١) تَشْكِيكُ الْمُشْرِكِينَ فِي مَصْدَرِ الْقُرْآنِ:

-لَقَدْ أَثَارَ الْمُشْرِكُونَ شُبْهَةً حَوْلَ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالُوا تَارَةً أَنَّهُ مِنْ اخْتِلَاقِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كَمَا يَحْكِي الْقُرْآنُ قَوْلَهُمْ:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ }.(يونس؛٣٨).

،وَتَارَةً أَنَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ قَالَ تَعَالَى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ }.(الفرقان: ٤)، وَتَارَةً بِأَنَّ الْقُرْآنَ سِحْرٌ قَالَ تَعَالَى:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ }.(سبأ: ٤٣).

•رَدُّ الشُّبْهَةِ:

-وَقَدْ فَنَّدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وَرَدَّ عَلَيْهَا بِأَسَالِيبَ عِدَّةٍ وَصُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ:

-فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا }.(الإسراء: ٨٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{ وَهَذَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ، وَبُرْهَانٌ سَاطِعٌ، عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَصِدْقِهِ، حَيْثُ تَحَدَّى اللَّهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ تَعَاوَنُوا كُلُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ.وَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ، فَإِنَّ دَوَاعِيَ أَعْدَائِهِ الْمُكَذِّبِينَ بِهِ، مُتَوَفِّرَةٌ عَلَى رَدِّ مَا جَاءَ بِهِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، وَهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ وَالْفَصَاحَةِ، فَلَوْ كَانَ عِنْدَهُمْ أَدْنَى تَأَهُّلٍ وَتَمَكُّنٍ مِنْ ذَلِكَ لَفَعَلُوهُ.فَعُلِمَ بِذَلِكَ، أَنَّهُمْ أَذْعَنُوا غَايَةَ الْإِذْعَانِ، طَوْعًا وَكَرْهًا، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ.وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْمَخْلُوقُ مِنْ تُرَابٍ، النَّاقِصُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ

عِلْمٌ ولَا قُدْرَةٌ ولَا إِرادَةٌ ولَا مَشيئَةٌ ولَا كَلَامٌ ولَا كَمَالٌ إِلَّا مِنْ رَبِّه، أَنْ يُعَارِضَ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّموَاتِ، الْمُطَّلِعِ عَلَى سائِرِ الْخَفِيَّاتِ، الَّذي لَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ، وَالْحَمْدُ الْمُطْلَقُ، وَالْمَجْدُ الْعَظِيمُ، الَّذي لَوْ أَنَّ الْبَحْرَ يمدهُ مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مدادًا، وَالْأَشْجَارُ كُلُّهَا أَقْلَامٌ، لَنَفِدَ الْمِدَادُ، وَفَنِيَتْ الْأَقْلَامُ، وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْمَخْلُوقِينَ مُمَاثِلًا لِلَّهِ فِي أَوْصَافِهِ فَكَلَامُهُ مِنْ أَوْصَافِهِ، الَّتي لَا يُمَاثِلُهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَلَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ، فِي ذَاتِه، وَأَسْمَائِه، وَصِفَاتِه، وَأَفْعَالِه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.فَتَبًا لِمَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْه كَلَامُ الْخَالِقِ بِكَلَامِ الْمَخْلُوقِ، وَزَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَرَاهُ عَلَى اللَّهِ وَاخْتَلَقَهُ مِنْ نَفْسِه }.

-وَقَالَ سُبْحَانَهُ:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } .(هود: ١٣).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ }- أَيْ: افْتَرَى مُحَمَّدٌ هَذَا الْقُرْآنَ؟

فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِه: { قُلْ } لَهُمْ { فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أَنَّهُ قَدْ افْتَرَاهُ ، فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَأَنْتُمُ الْأَعْدَاءُ حَقًّا، الْحَرِيصُونَ بِغَايَةِ مَا يُمْكِنُكُمْ عَلَى إِبْطَالِ دَعْوَتِه، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَيَاتٍ }.

-وَقَالَ سُبْحَانَهُ:{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.(يونس: ٣٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{أَمْ يَقُولُونَ} أَيْ: الْمُكَذِّبُونَ بِه عِنَادًا وَبَغْيًا: {افْتَرَاهُ} مُحَمَّدٌ عَلَى اللَّه، وَاخْتَلَقَهُ، {قُلْ} لَهُمْ ــ مُلْزِمًا لَهُمْ بِشَيْءٍ ــ إِنْ قَدَرُوا عَلَيْه، أَمْكَنَ مَا ادَّعَوْه، وَإِلَّا كَانَ قَوْلُهُمْ بَاطِلًا.{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} يُعَاوِنُكُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِه، وَهَذَا مُحَالٌ، وَلَوْ كَانَ مُمْكِنًا لَادَّعَوْا قُدْرَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَلَأَتَوْا بِمِثْلِه }.

-وَقَالَ سُبْحَانَهُ:{ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ }.(الطُّور: ٣٤).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } أَنَّهُ تَقَوَّلَهُ، فَإِنَّكُمُ الْعَرَبُ الْفُصَحَاءُ، وَالْفُحُولُ الْبُلَغَاءُ، وَقَدْ تَحَدَّاكُمْ أَنْ تَأْتُوا بِمِثْلِهِ، فَتَصْدُقُوا مُعَارَضَتَكُمْ أَوْ تُقِرُّوا بِصِدْقِهِ، وَأَنَّكُمْ لَوِ اجْتَمَعْتُمْ، أَنْتُمْ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ، لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى مُعَارَضَتِهِ وَالْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، فَحِينَئِذٍ أَنْتُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا مُؤْمِنُونَ بِهِ، مُهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَإِمَّا مُعَانِدُونَ مُتَّبِعُونَ لِمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْبَاطِلِ }

.

(٢) شُبْهَةُ وُجُودِ التَّنَاقُضِ فِي الْقُرْآنِ:

-أَثَارَ الْمُشْرِكُونَ أَيْضًا شُبْهَةً وَاهِيَةً مُفَادُهَا وُجُودُ التَّنَاقُضِ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَمَثَلًا لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَوْلَهُ تَعَالَى:{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } (الأنبياء:٩٨)، قَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى-هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى بْنُ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ الْقُرَشِيُّ السَّهْمِيُّ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ-:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عُزَيْرًا رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ مَرْيَمَ صَالِحَةٌ؟ قَالَ: بَلَى، فَقَالَ: فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ، وَعِيسَى، وَعُزَيْرًا، وَمَرْيَمَ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ }.

-رَدُّ الشُّبْهَةِ:

-لَمَّا قَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى مَقَالَتَهُ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى شُبْهَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَوْلَهُ:{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١)لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ }.(الأنبياء: ١٠١-١٠٢).(انظر: فتح القدير، الإمام الشَّوكانيّ، ص٤٣٤).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:

{ وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَعُزَيْرٌ، وَالْمَلَائِكَةُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ عُبِدَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، فَإِنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا، وَيَدْخُلُونَ فِي قَوْلِهِ: { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى }- أَيْ: سَبَقَتْ لَهُمْ سَابِقَةُ السَّعَادَةِ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَفِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَفِي تَيْسِيرِهِمْ فِي الدُّنْيَا لِلْيُسْرَى وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.{ أُولَئِكَ عَنْهَا }- أَيْ: عَنِ النَّارِ { مُبْعَدُونَ } فَلَا يَدْخُلُونَهَا، وَلَا يَكُونُونَ قَرِيبًا مِنْهَا، بَلْ يُبْعَدُونَ عَنْهَا، غَايَةَ الْبُعْدِ، حَتَّى لَا يَسْمَعُوا حَسِيسَهَا، وَلَا

يَرَوْا شَخْصَهَا، { وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ } مِنْ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاكِحِ وَالْمَنَاظِرِ، ممَّا لَا عَيْنٌ رأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مُسْتَمِرٌّ لَهُمْ ذَلِكَ، يَزْدَادُ حُسْنُهُ عَلَى الْأَحْقَابِ }.

(٣)إنْكَارُ الْمُشْرِكِينَ وَحْدَانيَّةَ اللَّهِ:

-مِنْ الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَثَارَهَا الْمُشْرِكُونَ –أَيْضاً–كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ إنْكَارُهُمْ عَلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دَعْوَتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِفْرادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَتَرْكِ عِبادَةِ الْآلِهَةِ الْمَزْعُومَةِ: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }.(ص: ٥).

-رَدُّ الشُّبْهَةِ:

-فَرَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَسَالِيبَ عِدَّةٍ، وَفِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهَا:

-قَالَ جَلَّ وَعَلَا:{ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ }.(الزُّمر: ٣٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: { أَيْ: وَلَئِنْ سَأَلْتَ هَؤُلَاءِ الضُّلَّالَ الَّذِينَ يُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ، وَأَقَمْتَ عَلَيْهِمْ دَلِيلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَقُلْتَ: { مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } لَمْ يُثْبِتُوا لِآلِهَتِهِمْ مِنْ خَلْقِهَا شَيْئًا. { لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } الَّذِي خَلَقَهَا. وَحْدَهُ.

{ قُلْ } لَهُمْ مُقَرِّرًا عَجْزَ آلِهَتِهِمْ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ: { أَفَرَأَيْتُمْ }– أَيْ: أَخْبِرُونِي { مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ } أَيَّ ضُرٍّ كَانَ.{ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ } بِإِزَالَتِهِ بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ بِتَخْفِيفِهِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؟. { أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ } يُوصِلُ إِلَيَّ بِهَا مَنْفَعَةً فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ.

{ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } وَمَانِعَاتُهَا عَنِّي؟.سَيَقُولُونَ: لَا يَكْشِفُونَ الضُّرَّ وَلَا يُمْسِكُونَ الرَّحْمَةَ.قُلْ لَهُمْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ عَلَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الْمَعْبُودُ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ

لِلْمَخْلُوقَاتِ، النَّافِعُ الضَّارُّ وَحْدَهُ، وَأَنَّ غَيْرَهُ عَاجِزٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.عَنْ الْخَلْقِ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ، مُسْتَجْلِبًا كِفَايَتَهُ، مُسْتَدْفِعًا مَكْرَهُمْ وَكَيْدَهُمْ: { قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ }- أَيْ: عَلَيْهِ يَعْتَمِدُ الْمُعْتَمِدُونَ فِي جَلْبِ مَصَالِحِهِمْ وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ،.فَالَّذِي بِيَدِهِ - وَحْدَهُ - الْكِفَايَةُ هُوَ حَسْبِي، سَيَكْفِينِي كُلَّ مَا أَهَمَّنِي وَمَا لَا أُهِمُّ بِهِ.{

-وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ:{ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }.(الأنبياء:٢٢).

-قَالَ الْعَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: { وَلِهَذَا قَالَ: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا }- أَيْ: فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ { آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } فِي ذَاتِهِمَا، وَفَسَدَ مَنْ فِيهِمَا مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ.وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ، عَلَى مَا يُرَى، فِي أَكْمَلِ مَا يَكُونُ مِنْ الصَّلَاحِ وَالِانْتِظَامِ، الَّذِي مَا فِيهِ خَلَلٌ وَلَا عَيْبٌ، وَلَا مُمَانَعَةٌ، وَلَا مُعَارَضَةٌ، فَدَلَّ ذَلِكَ، عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ وَاحِدٌ، وَرَبَّهُ وَاحِدٌ، وَإِلَهَهُ وَاحِدٌ، فَلَوْ كَانَ لَهُ مُدَبِّرَانِ وَرَبَّانِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، لَاخْتَلَّ نِظَامُهُ، وَتَقَوَّضَتْ أَرْكَانُهُ فَإِنَّهُمَا يَتَمَانَعَانِ وَيَتَعَارَضَانِ، وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمَا تَدْبِيرَ شَيْءٍ، وَأَرَادَ الْآخَرُ عَدَمَهُ، فَإِنَّهُ مُحَالٌ وُجُودُ مُرَادِهِمَا مَعًا، وَوُجُودُ مُرَادِ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، يَدُلُّ عَلَى عَجْزِ الْآخَرِ، وَعَدَمِ اقْتِدَارِهِ وَاتِّفَاقُهُمَا عَلَى مُرَادٍ وَاحِدٍ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، غَيْرُ مُمْكِنٍ، فَإِذًا يَتَعَيَّنُ أَنَّ الْقَاهِرَ الَّذِي يُوجِدُ مُرَادَهُ وَحْدَهُ، مِنْ غَيْرِ مُمَانِعٍ وَلَا مُدَافِعٍ، هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَلِهَذَا ذَكَرَ اللَّهُ دَلِيلَ التَّمَانُعِ فِي قَوْلِهِ: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }وَمِنْهُ

- عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ - قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا* سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا } وَلِهَذَا قَالَ هُنَا: { فَسُبْحَانَ اللَّهِ }- أَيْ: تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ لِكَمَالِهِ وَحْدَهُ، { رَبِّ الْعَرْشِ } الَّذِي هُوَ سَقْفُ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَوْسَعُهَا، وَأَعْظَمُهَا، فَرُبُوبِيَّةُ مَا دُونَهُ مِنْ بَابِ أَوْلَى، { عَمَّا يَصِفُونَ }- أَيْ: الْجَاحِدُونَ الْكَافِرُونَ، مِنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ وَالصَّاحِبَةِ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ بِوَجْهٍ مِنْ الْوُجُوهِ }.

-وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا:

{ يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }.(الحجّ:٧٣).

-قَالَ الْعَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: { هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِقَبَاحَةِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَبَيَانِ نُقْصَانِ عُقُولِ مَنْ عَبَدَهَا، وَضَعْفِ الْجَمِيعِ، فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } هَذَا خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، الْمُؤْمِنُونَ يَزْدَادُونَ عِلْمًا وَبَصِيرَةً، وَالْكَافِرُونَ تَقُومُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، { ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ }

– أَيْ: أَلْقُوا إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ، وَتَفَهَّمُوا مَا احْتَوَى عَلَيْهِ، وَلَا يُصَادِفُ مِنْكُمْ قُلُوبًا لَاهِيَةً، وَأَسْمَاعًا مُعْرِضَةً، بَلْ أَلْقُوا إِلَيْهِ الْقُلُوبَ وَالْأَسْمَاعَ، وَهُوَ هَذَا:
{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } شَمِلَ كُلَّ مَا يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، { لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا } الَّذِي هُوَ مِنْ أَحْقَرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَخَسِّهَا، فَلَيْسَ فِي قُدْرَتِهِمْ خَلْقُ هَذَا الْمَخْلُوقِ الضَّعِيفِ، فَمَا فَوْقَهُ مِنْ بَابِ أَوْلَى، { وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ } بَلْ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ لَوْ { يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ } وَهَذَا غَايَةُ مَا يَصِيرُ مِنَ الْعَجْزِ.{ ضَعُفَ الطَّالِبُ } الَّذِي هُوَ الْمَعْبُودُ مِنْ دُونِ اللَّهِ { وَالْمَطْلُوبُ } الَّذِي هُوَ الذُّبَابُ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا ضَعِيفٌ، وَأَضْعَفُ مِنْهُمَا، مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الضَّعِيفِ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ }.
-وَقَالَ سُبْحَانَهُ:{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }.(البقرة٢١).

-قَالَ الْعَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: { هَذَا أَمْرٌ عَامٌّ لِكُلِّ النَّاسِ، بِأَمْرٍ عَامٍّ، وَهُوَ الْعِبَادَةُ الْجَامِعَةُ، لِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَصْدِيقِ خَبَرِهِ، فَأَمَرَهُمْ تَعَالَى بِمَا خَلَقَهُمْ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.{
-وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }.(الزُّخرف:٨٧).

ـقَالَ الْعَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ ـرحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـفِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ: { ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { ولَئِنْ سَأَلْتَهم مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }ـ أَيْ: ولَئِنْ سَأَلْتَ الْمُشْرِكِينَ عَنْ تَوْحِيدِ الربوبِيَّةِ، وَمَنْ هُوَ الْخَالِق، لَأَقَرُّوا أَنَّه اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.{ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ }ـ أَيْ: فَكَيْفَ يُصْرَفُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّه والْإِخْلَاصِ لَه وحْدَه؟!فإقْرارُهُمْ بتوْحِيدِ الرُّبوبيَّة، يلْزَمُهم بِهِ الْإِقْرَارُ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَدِلَّةِ عَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ }.

•ثَانِيًا:وَاجِبُ الْمُسْلِمِ أَمَامَ الشُّبُهَاتِ:

(أ) موقِفُ الْمُسْلِمِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ اتِّخَاذُه تِجَاهَ عُمُومِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تُورَدُ عَلَى السَّمْعِ وَيُرِيدُ مِنْهَا أَصْحَابُهَا أَنْ تَنفُذَ إِلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ لِتُشَكِّكَهُ فِي دِينِهِ الْهَجْرَ وَعَدَمَ مُخَالَطَةِ أَهْلِهَا، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ{ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي الْقَلْبِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ } ، وقَدْ نَصَحَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ـرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ تِلْمِيذَهُ ابْنَ الْقَيِّمِ ـرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ بِقَوْلِهِ

{ لَا تَجْعَلْ قَلْبَكَ لِلْإِيرَادَاتِ وَالشُّبُهَاتِ مِثْلَ السِّفِنْجَةِ فَيَتَشَرَّبُهَا فَلَا يَنْضَحُ إِلَّا بِهَا ، وَلَكِنْ اجْعَلْهُ كَالزُّجَاجَةِ الْمُصْمَتَةِ تَمُرُّ الشُّبُهَاتُ بِظَاهِرِهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ فِيهَا ، فَيَرَاهَا بِصَفَائِهِ وَيَدْفَعُهَا بِصَلَابَتِهِ ، وَإِلَّا فَإِذَا أَشْرَبْتَ قَلْبَكَ كُلَّ شُبْهَةٍ تَمُرُّ عَلَيْهَا : صَارَ مَقَرًّا لِلشُّبُهَاتِ }فَانْتَفَعَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ انْتِفَاعًا عَظِيمًا حَتَّى قَالَ :{ فَمَا أَعْلَمُ أَنِّي انْتَفَعْتُ بِوَصِيَّةٍ فِي دَفْعِ الشُّبُهَاتِ كَانْتِفَاعِي بِذَلِكَ }.

ـفَخَيْرٌ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ الِاطِّلَاعِ عَلَى شُبُهَاتِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ، لَا لِضَعْفٍ فِي الْإِسْلَامِ بَلْ لِضَعْفِ الْمَحَلِّ الَّذِي تُورَدُ عَلَيْهِ تِلْكَ الشُّبُهَاتُ ، وَهُوَ الْقَلْبُ ، وَإِلَّا فَإِنَّ حُجَّةَ الْإِسْلَامِ دَامِغَةٌ وَهُوَ صَخْرَةٌ إِذَا وَقَعَ عَلَى الْبَاطِلِ حَطَّمَهُ ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ تَحَطَّمَ ، وَهَا هُوَ مَعَ كُلِّ مَا يَكِيدُهُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ مِنْ الِافْتِرَاءَاتِ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ جَمِيعِهَا وَمَعَ وُجُودِ الْأُلُوفِ مِنْ جُنُودِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِنَشْرِ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَسْرَعُ وَأَكْثَرُ الدِّيَانَاتِ انْتِشَارًا وَلِلَّهِ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ.

-فَمَنْ يُثِيرُونَ الشُّبُهَاتِ ضِدَّ الْقُرْآنِ وَالسنَّةِ وَالْأَحْكَامِ مَا هُمْ إِلَّا سفَهَاءُ بُلَهَاءُ أَغْمَارٌ ضِعَافُ الْبَصَرِ عُمْيَانُ الْبَصِيرَةِ يَقُولُونَ كَلَامًا يَضْحَكُ مِنْهُ الْعُقَلَاءُ لِذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ قُتَيْبَةَ الدِّيَنَوَرِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – :

{ وَقَد اعْتَرَضَ كِتَابَ اللَّهِ بِالطَّعْنِ مُلْحِدُونَ وَلَغَوْا فِيهِ وَهَجَرُوا ، وَاتَّبَعُوا:{ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ }.(آل عمران:٧) بِأَفْهَامٍ كَلِيلَةٍ ، وَأَبْصَارٍ عَلِيلَةٍ ، وَنَظَرٍ مَدْخُولٍ ، فَحَرَّفُوا الْكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَعَدَلُوهُ عَنْ سُبُلِهِ ، ثُمَّ قَضَوْا عَلَيْهِ بِالتَّنَاقُضِ وَالِاسْتِحَالَةِ وَاللَّحْنِ وَفَسَادِ النَّظْمِ وَالِاخْتِلَافِ ، وَأَدْلَوْا فِي ذَلِكَ بِعِلَلٍ رُبَّمَا أَمَالَت الضَّعِيفَ الْغُمْرَ وَالْحَدَثَ الْغِرَّ ، وَاعْتَرَضَتْ بِالشُّبُهَاتِ فِي الْقُلُوبِ وَقَدَحَتْ بِالشُّكُوكِ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوْ كَانَ مَا نَحَلُوهُ إِلَيْهِ عَلَى تَقْرِيرِهِمْ وَتَأْوِيلِهِمْ : لَسَبَقَ إِلَى الطَّعْنِ بِهِ مَنْ لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ– يَحْتَجُّ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ ، وَيَجْعَلُهُ الْعَلَمَ لِنُبُوَّتِهِ ، وَالدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِهِ وَيَتَحَدَّاهُمْ فِي مَوْطِنٍ بَعْدَ مَوْطِنٍ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَهُمُ الْفُصَحَاءُ وَالْبُلَغَاءُ وَالْخُطَبَاءُ وَالشُّعَرَاءُ وَالْمَخْصُوصُونَ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأَنَامِ بِالْأَلْسِنَةِ الْحِدَادِ وَاللَّدَدِ، فِي الْخِصَامِ ، مَعَ اللُّبِّ وَالنُّهَى وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ ، وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ الْكِتَابِ ، وَكَانُوا مَرَّةً يَقُولُونَ : هُوَ سِحْرٌ ، وَمَرَّةً يَقُولُونَ :

هُوَ قَوْلُ الْكَهَنَةِ ، وَمَرَّةً : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، وَلَمْ يَحْكِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – وَلَا بَلَغَنَا فِي شَيْءٍ مِنْ الرِّوَايَاتِ – أَنَّهُمْ جَدَبُوهُ مِنْ الْجِهَةِ الَّتِي جَدَبَهُ مِنْهَا الطَّاعِنُونَ .

فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَنْضَحَ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَأَرْمِيَ مِنْ وَرَائِهِ ، بِالْحُجَجِ النَّيِّرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَةِ وَأَكْشِفُ لِلنَّاسِ مَا يَلْبِسُونَ .فَأَلَّفْتُ هَذَا الْكِتَابَ جَامِعًا لِـــ (تَأْوِيلِ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ) ، مُسْتَنْبِطًا ذَلِكَ مِنْ التَّفْسِيرِ بِزِيَادَةٍ فِي الشَّرْحِ وَالْإِيضَاحِ ، وَحَامِلًا مَا لَمْ أَعْلَمْ فِيهِ مَقَالًا لِإِمَامٍ مُطَّلِعٍ عَلَى لُغَاتِ الْعَرَبِ ، لِأُرِيَ بِهِ الْمُعَانِدَ مَوْضِعَ الْمَجَازِ وَطَرِيقَ الْإِمْكَانِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ أَحْكُمَ فِيهِ بِرَأْيٍ ، أَوْ أَقْضِيَ عَلَيْهِ بِتَأْوِيلٍ } .(يُنْظَرُ: تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ ص: ٢٣).

-فَبَلَاغَةُ الْقُرْآنِ سَلَبَتْ عُقُولَ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ الْبُلَغَاءِ أَسَاطِينِ اللُّغَةِ،وَسَحَرَهُمْ بِبَيَانِهِ وَاتِّسَاقِ نَظْمِهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، يَقُولُ الْقَاضِي عِيَاضٌ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى – :

{ وَحكَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّهُ سمعَ كلَامَ جارِيَةٍ فقَالَ لَهَا : قَاتَلَكِ اللَّهُ مَا أَفْصَحَكِ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ يعدُّ هَذَا فَصَاحَةً بعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }.(القصص: ٧) ، فَجَمعَ فِي آيَةٍ وَاحدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَنَهْيَيْنِ وَخَبَرَيْنِ وَبِشَارَتَيْنِ ؟! }.(يُنْظَرُ:الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى : ١ / ٢٦٣).

(ب) وَمِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ الْمُسْلِمُ– بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى – لِدَفْعِ الشُّبُهَاتِ هُوَ طَلَبُ الْعِلْمِ ، فَهُوَ الصَّخْرَةُ الصَّادَّةُ لِلشُّبُهَاتِ وَالْقَاصِمَةُ لِظُهُورِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الزُّجَاجَةُ الْمُصْمَتَةُ الصُّلْبَةُ الصَّافِيَةُ، فَمَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ الْمُؤَصَّلَ الْمَتِينَ لَا تُوقِفُهُ شُبْهَةٌ مِنْ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَهَا ؛ بَلْ يَقْذِفُ بِالْحَقِّ الَّذِي مَعَهُ عَلَى بَاطِلِهَا ، فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ.

-قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– :{ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ – صَاحِبُ مَالِكٍ – : وَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِي فِي الْعِبَادَةِ قَبْلَ طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَوَلِعَ مِنِّي الشَّيْطَانُ فِي ذِكْرِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ كَيْفَ خَلَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَحْوَ هَذَا ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى شَيْخٍ فَقَالَ لِي : ابْنَ وَهْبٍ ! قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : اطْلُبِ الْعِلْمَ ، فَكَانَ سَبَبَ طَلَبِي الْعِلْمَ }. (يُنْظَرُ:جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ : ١ / ٢٦ ، ٢٧).

-وَإِنْ صَادَفَكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْكَ ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِكَ مِنْهُ شَيْءٌ ، دُونَ قَصْدٍ لِتَتَبُّعِ ذَلِكَ ، فَبَادِرْ بِعَرْضِهِ عَلَى عَالِمِهِ ، وَاسْأَلْ مَنْ يَكْشِفُ عَنْكَ غُمَّتَهُ ؛ فَإِذَا أَنْتَ مُسْتَرِيحٌ مِنْهُ ، بِإِذْنِ اللَّهِ.

-وَكُلُّ مَنْ أَعْطَى الْقُرْآنَ حَقَّهُ مِنَ التَّدَبُّرِ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَاقُضٌ ، قَالَ تَعَالَى:{ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً }.(النِّسَاء: ٨٢). ، وَهَذَا الاخْتِلَافُ وَالتَّنَاقُضُ هُوَ الْوَاقِعُ حَقًّا فِيمَا فِي أَيْدِي النَّصَارَى الْيَوْمَ مِنَ الْأَنَاجِيلِ ؛ فَإِنَّ فِيهَا مِنَ الاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ ، كَمَا بَيَّنَهُ الشَّيْخُ رَحْمَةُ اللَّهِ الْهِنْدِيُّ فِي كِتَابِهِ (إِظْهَارُ الْحَقِّ).

-وَإِذَا رَزَقَكَ اللَّهُ عِلْمًا فِي الشَّرِيعَةِ وَأَرَدْتَ الاطِّلَاعَ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِطَعُونَاتِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْقُرْآنِ ، فَلَا تَنْظُرْ فِي شُبُهَاتِهِمْ ، بَلْ انْظُرْ فِي كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّتِي تَنْقُلُ

ذَلكَ وتَدْفَعُهُ ، وَانْظُرْ فِي ذَلكَ كِتَابَيْنِ مُهِمَّيْنِ:الْأَوَّلُ (تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ) لِلْإِمَامِ ابْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيِّ ، وَالثَّانِي كِتَابُ (دَفْعِ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ) لِلْعَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ الشِّنْقِيطِيِّ.

•فَاللَّهُمَّ أَمِّنَّا فِي أَوْطَانِنَا،وَاجْعَلْهَا أَمْنًا آمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ،مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَرُدَّ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَيْدَ الْكَائِدِينَ،وَمَكْرَ الْمَاكِرِينَ،

وَعُدْوَانَ الْمُعْتَدِينَ،وَانْصُرْ دِينَكَ وَمَنْ نَصَرَ دِينَكَ،وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٤)

شُبُهَاتٌ وَرُدُودٌ

جَهُولٌ يَنْهَى عَنِ الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَه،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أَمَّا بَعْدُ:
•فَفِي ظِلِّ ظُهُورِ الْجَهْلِ وَقِلَّةِ الْعِلْمِ وَالْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ كَقَطْرِ السَّمَاءِ تَشْتَدُّ رِيَاحُ الشُّبُهَاتِ،فَبَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ يَتِمُّ تَلْمِيعُ بَعْضِ الْجُهَلَاءِ عُمْيَانِ الْبَصِيرَةِ مِنَ الْمَأْجُورِينَ أَوْ مُحِبِّي الشُّهْرَةِ إِعْلَامِيًا لِإِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ وَنَشْرِ الْفَوْضَى الْعِلْمِيَّةِ بِهَدَفِ تَشْكِيكِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَهَدْمِ الثَّوَابِتِ،وَمِنْ هؤلَاءِ الْعَابِثِين أَزْهَرِيٌّ عَلَى وَجْهِهِ غَبَرَةٌ وَظُلْمَةٌ يُنْكِرُ الْعُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ وَيَزْعُمُ الْجَهُولُ أَنَّ التَّرْغِيبَ فِي الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ كَانَ خَاصًّا بِصَحَابِيَّةٍ وَلَيْسَ عَامًّا،وَيَنْهَى هَذَا الْمَفْتُونُ الْأَغْتَمُ الْجَهُولُ أَهْلَ مِصْرَ عَنْ أَدَاءِ الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ زَاعِمًا كَيْفَ يُرَغِّبُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَهْلَ مِصْرَ فِي الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ وَالسَّفَرُ فِي زَمَنِهِ كَانَ عَلَى الدَّوَابِّ فَأَهْلُ مِصْرَ يَسْتَغْرِقُ سَفَرُهُم بِالدَّوَابِّ أُسْبُوعَيْنِ ذَهَابًا وَأُسْبُوعَيْنِ إِيَابًا فَهَلْ يُضَيِّعُونَ الْفَرْضَ وَهُوَ صِيَامُ رَمَضَانَ مِنْ أَجْلِ نَافِلَةٍ وَهِيَ الْعُمْرَةُ؟،وَهَذَا إِنْ دَلَّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَالْمِسْكِينُ يَهْرِفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ، وَيَهْذِي هَذَيَانَ السُّكَارَى وَالْحَمْقَى،وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ:

•لَقَدْ وَرَدَ الْحَثُّ عَلَى الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فِي الْقُرْآنِ وَفِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ ذَلِكَ:
(١) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }.(البقرة:١٩٦).
-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ يُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ } عَلَى أُمُورٍ :
-أَحَدُهَا: وُجُوبُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَفَرْضِيَّتُهُمَا.

-الثَّاني: وُجُوبُ إتْمَامِهِمَا بِأَرْكَانِهِمَا، وَوَاجِبَاتِهِمَا، الَّتِي قَدْ دَلَّ عَلَيْهَا فِعْلُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَقَوْلُهُ:{ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }.

-الثَّالِثُ: أَنَّ فِيهِ حُجَّةً لِمَنْ قَالَ بِوُجُوبِ الْعُمْرَةِ.

-الرَّابِعُ: أَنَّ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ يَجِبُ إتْمَامُهُمَا بِالشُّرُوعِ فِيهِمَا، وَلَوْ كَانَا نَفْلًا.

-الْخَامِسُ: الْأَمْرُ بِإِتْقَانِهِمَا وَإِحْسَانِهِمَا، وَهَذَا قَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى فِعْلِ مَا يَلْزَمُ لَهُمَا.

-السَّادِسُ: وَفِيهِ الْأَمْرُ بِإِخْلَاصِهِمَا للهِ تَعَالَى.

-السَّابِعُ: أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ الْمُحْرِمُ بِهِمَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ حَتَّى يُكْمِلَهُمَا، إلَّا بِمَا اسْتَثْنَاهُ اللهُ، وَهُوَ الْحَصْرُ، فَلِهَذَا قَالَ: { فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ }– أَيْ: مُنِعْتُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ لِتَكْمِيلِهِمَا، بِمَرَضٍ، أَوْ ضَلَالَةٍ، أَوْ عَدُوٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَصْرِ، الَّذِي هُوَ الْمَنْعُ.

{ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ }– أَيْ: فَاذْبَحُوا مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ، وَهُوَ سُبْعُ بَدَنَةٍ، أَوْ سُبْعُ بَقَرَةٍ، أَوْ شَاةٌ يَذْبَحُهَا الْمُحْصَرُ، وَيَحْلِقُ وَيَحِلُّ مِنْ إِحْرَامِهِ بِسَبَبِ الْحَصْرِ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَأَصْحَابُهُ، لَمَّا صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ، فَلْيَصُمْ بَدَلَهُ عَشَرَةَ أَيَّامٍ كَمَا فِي الْمُتَمَتِّعِ ثُمَّ يَحِلُّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ } وَهَذَا مِنْ مَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ، إِزَالَةُ الشَّعْرِ، بِحَلْقٍ أَوْ غَيْرِهِ، لأَنَّ الْمَعْنَى وَاحِدٌ مِنَ الرَّأْسِ، أَوْ مِنَ الْبَدَنِ، لأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ، حُصُولُ الشَّعْثِ وَالْمَنْعُ مِنَ التَّرَفُّهِ بِإِزَالَتِهِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي بَقِيَّةِ الشَّعْرِ.

وَقَاسَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى إِزَالَةِ الشَّعْرِ، تَقْلِيمَ الْأَظْفَارِ بِجَامِعِ التَّرَفُّهِ، وَيَسْتَمِرُّ الْمَنْعُ مِمَّا ذُكِرَ، حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ، وَهُوَ يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ الْحَلْقُ بَعْدَ النَّحْرِ، كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَةُ.

وَيُسْتَدَلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْمُتَمَتِّعَ إِذَا سَاقَ الْهَدْيَ، لَمْ يَتَحَلَّلْ مِنْ عُمْرَتِهِ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ، فَإِذَا طَافَ وَسَعَى لِلعُمْرَةِ، أَحْرَمَ بِالْحَجِّ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِحْلَالٌ بِسَبَبِ سَوْقِ الْهَدْيِ، وَإِنَّمَا مَنَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، لِمَا فِيهِ مِنَ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ للهِ وَالانْكِسَارِ لَهُ، وَالتَّوَاضُعِ الَّذِي هُوَ عَيْنُ مَصْلَحَةِ الْعَبْدِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ ضَرَرٍ، فَإِذَا حَصَلَ الضَّرَرُ بِأَنْ كَانَ بِهِ أَذَى مِنْ مَرَضٍ، يَنْتَفِعُ بِحَلْقِ رَأْسِهِ لَهُ، أَوْ قُرُوحٍ، أَوْ قَمْلٍ وَنَحْوِ

ذَلك فَإنَّهُ يحلُّ لَه أَنْ يَحلِقَ رَأسَهُ، ولَكنْ يكُونُ عليه فديةٌ منْ صيامِ ثَلاثَة أيَّامٍ، أوْ صدَقَة علَى ستَّة مسَاكين أوْ نُسُك ما يُجزِئ فِي أضحيَة، فَهُوَ مُخيرٌ، والنُّسُكُ أفْضَلُ، فَالصدقَةُ، فَالصيَام.

ومثْلُ هَذَا، كُلُّ ما كانَ فِي معنَاه، منْ تقْليمِ الْأظْفَارِ، أَوْ تغْطيَة الرَّأْسِ، أوْ لُبْسِ الْمُخَيَّطِ، أَوْ الطِّيب، فَإنَّهُ يَجُوزُ عنْدَ الضَّرُورةِ، معَ وجُوبِ الْفديَة الْمَذْكُورَة لأَنَّ الْقَصْدَ منَ الْجَميعِ، إزَالةُ مَا به يَترفَّه.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: { فَإذَا أَمنْتُم }- أيْ: بأَنْ قَدرتُمْ علَى الْبيْت منْ غيْرِ مَانعِ عدُوٍّ وغيْره، { فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَة إلَى الْحَجِّ } بأَنْ تَوَصَّلَ بِهَا إلَيْه، وانْتَفَع بتَمتُّعه بَعْدَ الْفَرَاغِ منْهَا. { فَمَا اسْتَيْسرَ منَ الْهَدْيِ }- أَيْ:

فَعلَيْه مَا تَيسَّرَ منَ الْهَدْيِ، وَهُوَ مَا يَجْزِئُ فِي أُضْحيَة، وَهَذَا دَمُ نُسُك، مُقَابلَةً لحُصُولِ النُّسُكَيْنِ لَهُ فِي سَفَرة وَاحدَة، ولإنْعَامِ اللَّه علَيْه بحُصُولِ الانْتفَاعِ بِالْمُتْعَة بعْدَ الْفرَاغ منْهَا، وقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي الْحَجِّ، ومثْلُهَا الْقرَانُ لحُصُولِ النُّسُكَيْنِ لَهُ.

ويدُلُّ مفْهُومُ الْآيَة، علَى أَنَّ الْمُفْرِدَ للْحَجِّ، لَيْسَ علَيْه هَدْيٌ، ودلَّت الْآيَةُ، علَى جوَازِ، بلْ فَضيلَة الْمُتْعَة، وعلَى جوَازِ فعْلهَا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ.

{ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ } أَيِ الْهَدْيَ أَوْ ثَمَنَهُ { فَصيَامُ ثَلاثَة أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ } أَوَّلُ جوَازِهَا منْ حينِ الْإحْرَامِ بِالْعُمْرَة، وآخرُهَا ثَلاثَةُ أَيَّامٍ بعْدَ النَّحْرِ، أَيَّامُ رَمْيِ الْجَمرَات، والْمَبيت بـــ (منًى) ولَكنَّ الْأَفْضَلَ منْهَا، أَنْ يَصُومَ السَّابعَ، والثَّامنَ، والتَّاسعَ،

{ وسبْعَةٍ إذَا رجَعْتُمْ }- أَيْ: فَرَغْتُمْ منْ أَعمَالِ الْحَجِّ، فَيجُوزُ فعْلُهَا فِي مَكَّةَ، وفِي الطَّرِيقِ، وعنْدَ وُصُوله إلَى أَهْله.

{ ذَلكَ } الْمَذْكُورُ منْ وُجُوبِ الْهَدْيِ علَى الْمُتَمَتِّعِ { لمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضرِي الْمَسْجد الْحَرَامِ } بأَنْ كَانَ عنْدَ مسَافَة قَصْرٍ فَأَكْثَرَ، أَوْ بعيدًا عنْهُ عرفَات، فَهَذَا الَّذي يَجبُ علَيْه الْهَدْيُ، لحُصُولِ النُّسُكَيْنِ لَهُ فِي سفَرٍ واحد، وأَمَّا منْ كَانَ أَهْلُهُ منْ حَاضرِي الْمَسْجد الْحَرَامِ، فَلَيْسَ علَيْه هَدْيٌ لعدَمِ الْمُوجبِ لذَلكَ.

{ واتَّقُوا اللَّهَ }- أَيْ: فِي جَميعِ أُمُورِكُمْ، بامْتثَالِ أَوَامره، واجْتنَابِ نَوَاهيه، ومنْ ذَلكَ، امْتثَالُكُمْ، لهَذه الْمَأْمُورَات، واجْتنَابُ هَذه الْمَحظُورَات الْمَذْكُورَة فِي هَذه الْآيَة.

{ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَديدُ الْعقَابِ }- أَيْ:

لِمَنْ عَصَاهُ، وَهَذَا هُوَ الْمُوجِبُ لِلتَّقْوَى، فَإِنَّ مَنْ خَافَ عِقَابَ اللَّهِ، انْكَفَّ عَمَّا يُوجِبُ الْعِقَابَ، كَمَا أَنَّ مَنْ رَجَا ثَوَابَ اللَّهِ عَمِلَ لِمَا يُوصِلُهُ إِلَى الثَّوَابِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَخَفِ الْعِقَابَ، وَلَمْ يَرْجُ الثَّوَابَ، اقْتَحَمَ الْمَحَارِمَ، وَتَجَرَأَ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ }.

•وَقَدْ وَرَدَتْ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ تُرَغِّبُ فِي الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِ رَمَضَانَ مِنْهَا:

(1)أخرج الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(1863)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:

{ لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ-صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيَّةِ: مَا مَنَعَكِ مِنَ الْحَجِّ؟ قَالَتْ: أَبُو فُلَانٍ -تَعْنِي زَوْجَهَا- كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ، حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا. قَالَ: فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً -أَوْ حَجَّةً مَعِي- }.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً }.(ابْن ماجه:٢٤٤١، وأحْمَد:١٧٦٠٠).

-كَانَ شَأْنُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَعَهُدَ أَصْحَابِهِ بِالسُّؤَالِ، وَتَحَرِّيهِ عَنْ قِيَامِهِمْ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ، وَتَحْرِيضَهُمْ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي ابْنُ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-سَأَلَ أُمَّ سِنَانٍ الْأَنْصَارِيَّةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَنْ سَبَبِ عَدَمِ حَجِّهَا، فَأَخْبَرَتْهُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-أَنَّ الَّذِي مَنَعَهَا هُوَ أَنَّهَا وَزَوْجَهَا أَبَا سِنَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَا لَا يَمْلِكَانِ سِوَى نَاضِحَيْنِ

-وَالنَّاضِحُ هُوَ الْبَعِيرُ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَاءُ لِلسُّقْيَا- فَحَجَّ زَوْجُهَا عَلَى أَحَدِ النَّاضِحَيْنِ، وَتَرَكَ الْآخَرَ لِسُقْيَا الْأَرْضِ الَّتِي لَهُمَا،فَأَرْشَدَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مُسَلِّيًا لَهَا وَمُخْبِرًا عَنْ عَمَلٍ يَعْدِلُ فِي ثَوَابِهِ عَمَلَ الْحَجِّ، وَهُوَ أَنْ تَعْتَمِرَ فِي رَمَضَانَ؛ فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ فِي ثَوَابِهَا ثَوَابَ الْحَجِّ -أَوْ ثَوَابَ حَجَّةٍ مَعَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، شَكَّ الرَّاوِي فِي ذَلِكَ- وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ الْعُمْرَةَ تَقْضِي بِهَا فَرْضَ الْحَجِّ أَوْ تَقُومُ مَقَامَهُ فِي إِسْقَاطِ الْفَرْضِ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ يُشْعِرُ بِذَلِكَ، بَلْ هُوَ

مِنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ وَإِلْحَاقِ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ؛ لِلتَّرْغِيبِ فِيهِ، وَهَذَا نَظِيرُ مَا جَاءَ عَنْهُ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }.(الإخلاص: ١)

تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ فَقِرَاءَةُ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }.(الإخلاص: ١) تَعْدِلُ ثَوَابَ ثُلُثِ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهَا لَا تُجْزِئُ عَنْ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ فِعْلِيًّا.

-وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ ثَوَابَ الْعَمَلِ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ شَرَفِ الْوَقْتِ، كَمَا يَزِيدُ بِحُضُورِ الْقَلْبِ، وَبِخُلُوصِ الْقَصْدِ.

-وَفِيهِ: بَيَانُ فَضْلِ الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ.

•تَنْبِيهَاتٌ مُهِمَّةٌ:

--الْفَضْلُ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ (كَحَجَّةٍ) عَامٌّ فِي كُلِّ أَحَدٍ لَمْ يَرِدْ مَا يُخَصِّصُهُ ، وَعَلَى هَذَا عَامَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ نَصَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ شُرَّاحِ الْحَدِيثِ وَفِي كُتُبِ الْفِقْهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ ، وَبَعْضُهُمْ يَذْكُرُ الْحَدِيثَ تَارِكًا فَضْلَهُ عَلَى عُمُومِهِ دُونَ تَخْصِيصٍ وَبَعْضُهُمْ بَوَّبَ عَلَيْهِ تَبْوِيبًا عَامَّةً ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يَذْكُرْ أَصْلًا مُخَصِّصًا لَهُ أَوْ قَائِلًا بِالتَّخْصِيصِ.

-تَبْوِيبُ الْأَئِمَّةِ عَلَى الْحَدِيثِ:

-فِي دَوَاوِينِ السُّنَّةِ الْأَبْوَابُ التَّالِيَةُ عَلَى الْحَدِيثِ:

-صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٣ / ٦٠٣) بَابُ عُمْرَةٍ فِي رَمَضَانَ.

-صَحِيحُ مُسْلِمٍ (٢ / ٩١٧) بَابُ فَضْلِ الْعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ.

-سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ (٤ / ٧): عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً.

-سُنَنُ ابْنِ مَاجَهْ (٢ / ٢٣٣): عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً.

-صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ (٩ / ١٢): ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْعُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ تَقُومُ مَقَامَ حَجَّةٍ لِمُعْتَمِرِهَا.

-مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (٣ / ١٥٨): فِي عُمْرَةِ رَمَضَانَ وَمَا جَاءَ فِيهَا.

•وَجَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ الْعُمُومُ وَالْعَمَلُ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣ / ١٥٨): عَنْ الشَّعْبِيِّ سُئِلَ: هَذَا الْحَجُّ الْأَكْبَرُ، فَمَا الْحَجُّ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: { عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ }.

-وَفِي الْآحَادِ وَالْمَثَانِي لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (٦ / ٤٩) بِرَقْمِ (٣٢٤٦) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ:{ كُنْتُ مِنْ رَكْبٍ مَعَ مَرْوَانَ حِينَ رَكِبَ إِلَى أُمِ مَعْقِلٍ وَكُنْتُ فِيمَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا مِنْ النَّاسِ فَسَمِعْتُهَا حِينَ حَدَّثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَعْتَمِرُ إِلَّا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا سَمِعَ مِنْ أُمِ مَعْقِلٍ }.

-وَذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ) ١ / ١٢٩.)

-وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ مُخْتَصَرًا (٣ / ١٥٩): عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ:{ لَا يَعْتَمِرُ إِلَّا فِي رَمَضَانَ }.

-نَعَمْ جَاءَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢ / ٢٠٤) بِرَقْمِ (١٩٨٩) عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِ مَعْقِلٍ ...

الْحَدِيثُ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{.. فَأَمَّا إِذْ فَاتَتْكُمْ هَذِهِ الْحَجَّةُ مَعَنَا فَاعْتَمِرُوا فِي رَمَضَانَ فَإِنَّهَا كَحَجَّةٍ } فَكَانَتْ تَقُولُ:

{ الْحَجُّ حَجَّةٌ، وَالْعُمْرَةُ عُمْرَةٌ، وَقَدْ قَالَ: هَذَا لِي رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا أَدْرِي أَلِي خَاصَّةً ؟ } وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْدُو كَوْنَهُ احْتِمَالًا إِنْ صَحَّ ذَلِكَ عَنْهَا حَيْثُ لَمْ يَرِدْ فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ وَلِهَذَا لَمْ يُصَحِّحْهَا الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ ،وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَعِبَارَةُ:

{ مَا أَدْرِي أَلِي خَاصَّةً } جَاءَ نَحْوُهَا فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى مَعَ الْإِجْمَاعِ عَلَى عُمُومِهَا.

•فَدَعْوَى تَخْصِيصِ الْحَدِيثِ لَا حَظَّ لَهَا مِنَ الْأَثَرِ وَالنَّظَرِ،ثُمَّ فِي قَوْلِ هَذَا الْجَهُولِ أَنَّ السَّفَرَ لِلعُمْرَةِ فِي رَمَضَانَ فِيهِ تَقْدِيمٌ لِلنَّافِلَةِ عَلَى الْفَرِيضَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِ لأَنَّ مَنْ أَرَادَ السَّفَرَ لِلعُمْرَةِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ سَيَخْرُجُ لَهَا فِي شَعْبَانَ،وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ فِي عَصْرِنَا زَالَتْ مَشَقَّةُ السَّفَرِ بِاخْتِرَاعِ الطَّائِرَاتِ وَالسَّيَّارَاتِ وَسَائِرِ وَسَائِلِ النَّقْلِ،أَيْضًا فِي قَوْلِهِ إِشَارَةٌ بَاطِلَةٌ مَفَادُهَا أَنَّ التَّشْرِيعَاتِ قَاصِرَةٌ عَلَى زَمَنِ النُّبُوَّةِ فَقَط وَهَذَا مِحْوَرٌ مِنْ مَحَاوِرَ ثَلَاثَةٍ لِهَدْمِ الْإِسْلَامِ يَسْلُكُهُ الْعَلْمَانِيُّونَ وَأَذْيَالُهُمْ هَذِهِ الْمَحَاوِرُ هِيَ:(الْعَقْلَنَةُ)،(الْأَرْخَنَةُ)،(الْأَنْسَنَةُ).

-وَالْعَقْلَنَةُ تَعْنِي أَنْ يَحْكُمَ الْعَقْلُ عَلَى النُّصُوصِ وَكُلٌّ يُفَسِّرُ النَّصَّ بِمَا يُوَافِقُ عَقْلَهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ عَقْلُهُ ضَعِيفَ الْفَهْمِ مَرِيضًا،وَيُقَدِّمُونَ عُقُولَهُمْ عَلَى النَّصِّ الشَّرْعِي دُونَ مُرَاعَاةٍ لِلتَّخَصُّصِ.

-وَالْأَرْخَنَةُ تَعْنِي حَصْرَ الْإِسْلَام عَلَى الْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِي بُعِثَ فِيهَا النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَكُلٌّ مَنْ يُنَادِي لِلإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ فَدَعْوَاهُ رَجْعِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِعَصْرِنَا.

-وَالْأَنْسَنَةُ الدَّعْوَةُ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَام تَجْرِبَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ خَاضِعَةٌ لِلنَّجَاحِ وَالْفَشَلِ.

•وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْمَحَاوِرِ يَبُثُّونَ سُمُومَهُمْ فِي عُقُولِ الْبُسْطَاءِ وَأَنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ بِإِثَارَةِ الشُّبُهَاتِ لِزَعْزَعَةِ الْإِيمَانِ فِي النُّفُوسِ وَصُولًا إِلَى الْإِلْحَادِ.

(٢) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ :عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ :{ جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ }. (أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ٢/٥٥٧).

(٣) وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ــ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَالَ :{ تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجِّ الْمَبْرُورِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ }. (النَّسَائِيُّ ، التِّرْمِذِيُّ ، ابْنُ مَاجَهْ ، وَأَحْمَدُ).

•وَأَخِيرًا أَنْصَحُ هَذَا الْمَفْتُونَ الْمُثِيرَ لِلشُّبُهَاتِ أَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فَرُبَّ كَلِمَةٍ أَهْلَكَتْ صَاحِبَهَا،وَكَثِيرًا مَا أَقُول:مِحْنَةُ الْعُلَمَاءِ فِي كَلَامِ الْجُهَلَاءِ،فَلَوْ سَكَتَ الْجُهَلَاءُ لَاسْتَرَاحَ الْعُلَمَاءُ.

•فَاللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٥)

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَرَدُّ شُبُهَاتِ الْمُعَانِدِين

(شبهات أخرى)



أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،وَاهِبِ النِّعَمِ وَالْعَطِيَّاتِ، أَمَرَ عِبَادَهُ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْمُسَارَعَةِ إِلَى الطَّاعَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى:{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.(الْحَجّ:٧٧).

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَمَرَ بِالْمُسَارَعَةِ وَالْمُسَابَقَةِ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ }.(الْبَقَرَة:١٤٨). وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، كَانَ يُحِبُّ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ }.(رَوَاهُ أَحْمَدُ).

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ أَزْكَى التَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَاتِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ:

•فَمِنْ شِيمَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ حُبُّ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ ،وَالْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرَاتِ،دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ،وَالسُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ،وَآثَارُ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

•فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَلِيءٌ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَتُبَيِّنُ فَضْلَهُ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،فَمِنْ ذَلِكَ:

(١) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٦١)الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.(الْبَقَرَة:٢٦١- ٢٦٢).

-هَذَا بَيَانٌ لِلْمُضَاعَفَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً } وهُنَا قَال: { مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ }– أَيْ: فِي طَاعَتِه ومَرْضَاتِه، وَأَوْلَاهَا إنْفَاقُهَا فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِه{ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ } وهَذَا إحْضَارٌ لِصُورَةِ الْمُضَاعَفَةِ بِهَذَا الْمَثَلِ، الَّذِي كَانَ الْعَبْدُ يُشَاهِدُه بِبَصَرِه فَيَشْهَدُ هَذِه الْمُضَاعَفَةَ بِبَصِيرَتِه، فَيَقْوَى شَاهِدُ الْإِيمَانِ مَعَ شَاهِدِ الْعِيَانِ، فَتَنْقَادُ النَّفْسُ مُذْعِنَةً لِلْإِنْفَاقِ سَامِحَةً بِهَا مُؤَمِّلَةً لِهَذِه الْمُضَاعَفَةِ الْجَزِيلَةِ وَالْمِنَّةِ الْجَلِيلَةِ، { وَاللّهُ يُضَاعِفُ } هَذِه الْمُضَاعَفَةَ { لِمَن يَشَاءُ }– أَيْ: بِحَسَبِ حَالِ الْمُنْفِقِ وإِخْلَاصِه وَصِدْقِه وَبِحَسَبِ حَالِ النَّفَقَةِ وَحِلِّهَا وَنَفْعِهَا وَوُقُوعِهَا مَوْقِعَهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ { وَاللّهُ يُضَاعِفُ } أَكْثَرَ مِنْ هَذِه الْمُضَاعَفَةِ { لِمَن يَشَاءُ } فَيُعْطِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ { وَاللّهُ وَاسِعٌ } الْفَضْلِ، وَاسِعُ الْعَطَاءِ، لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يُحْفِيه سَائِلٌ، فَلَا يَتَوَهَّمُ الْمُنْفِقُ أَنَّ تِلْكَ الْمُضَاعَفَةَ فِيهَا نَوْعُ مُبَالَغَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ وَلَا يَنْقُصُهُ الْعَطَاءُ عَلَى كَثْرَتِه، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ { عَلِيمٌ } بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذِه الْمُضَاعَفَةَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، فَيَضَعُ الْمُضَاعَفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لِكَمَالِ عِلْمِه وَحِكْمَتِه.

-{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } أَيْ:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّه وَسَبِيلِه، وَلَا يُتْبِعُونَهَا بِمَا يَنْقُصُهَا وَيُفْسِدُهَا مِنْ الْمَنِّ بِهَا عَلَى الْمُنْفِقِ عَلَيْه بِالْقَلْبِ أَوْ بِاللِّسَانِ، بِأَنْ يُعَدِّدَ عَلَيْه إحْسَانَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ مُقَابَلَتَهُ، وَلَا أَذِيَّةَ لَهُ قَوْلِيَّةً أَوْ فِعْلِيَّةً، فَهَؤُلَاء لَهُمْ أَجْرُهُمُ اللَّائِقُ بِهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، فَحَصَلَ لَهُمُ الْخَيْرُ وَانْدَفَعَ عَنْهُمُ الشَّرُّ لِأَنَّهُمْ عَمِلُوا عَمَلًا خَالِصاً لِلَّهِ سَالِماً مِنْ الْمُفْسِدَاتِ.

(٢) وَقَالَ تَعَالَى:{ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.(الْبَقَرَة:٢٦٥).

-وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ طَلَبًا لِرِضَا اللَّه وَاعْتِقَادًا رَاسِخًا بِصِدْقِ وَعْدِه، كَمَثَلِ بُسْتَانٍ عَظِيمٍ بِأَرْضٍ عَالِيَةٍ طَيِّبَةٍ هَطَلَتْ عَلَيْه أَمْطَارٌ غَزِيرَةٌ، فَتَضَاعَفَتْ ثَمَرَاتُهُ، وَإِنْ

لَمْ تسقُطْ علَيهِ الْأَمطَارُ الْغزيرةُ فيكفيهِ رذَاذُ الْمطَرِ ليُعطيَ الثَّمرةَ الْمضاعفَةَ، وكذَلك نفقاتُ الْمُخلصينَ تُقبلُ عنْد اللَّه وتُضاعفُ، قلَّت أَمْ كثُرتْ، فَاللَّهُ الْمُطَّلعُ علَى السَّرائرِ، الْبَصيرُ بالظَّواهرِ والْبواطنِ، يُثيبُ كُلًّا بحسبِ إخْلَاصه.

(٣) وقَالَ تعَالَى:{ لَّيْسَ علَيْكَ هُدَاهُمْ ولَكنَّ اللَّهَ يهدي من يشَاءُ ۗ ومَا تُنفقُواْ منْ خَيْرٍ فَلأنفُسكُمْ ومَا تُنفقُونَ إِلاَّ ابْتغَاء وجْهِ اللّهِ ومَا تُنفقُواْ منْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }.(الْبقَرة:٢٧٢).

-يقُولُ تعَالَى لنبيِّه-صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ- ليْس علَيْكَ هُدى الْخَلْقِ، وإِنَّمَا علَيْكَ الْبلَاغُ الْمُبينُ، والْهدايةُ بيد اللَّه تعالَى، فَفيها دلَالَةٌ علَى أَنَّ النفقَةَ كمَا تكُونُ علَى الْمُسلمِ تكُونُ علَى الْكَافرِ ولَوْ لَمْ يهتَد، فلهذَا قَالَ: { ومَا تُنفقُواْ منْ خَيْرٍ }- أَيْ:

قَليلٌ أَوْ كثيرٌ علَى أَيِّ شخْصٍ كَانَ منْ مُسلمٍ وكَافرٍ { فَلأنفُسكُمْ }- أَيْ: نفْعُهُ راجعٌ إِلَيْكُمْ { ومَا تُنفقُونَ إِلاَّ ابْتغَاء وجْهِ اللّهِ } هذَا إِخْبارٌ عنْ نفقَات الْمُؤْمنين الصَّادرة عنْ إِيمَانهِمْ أَنَّهَا لَا تكُونُ إِلَّا لوجْهِ اللَّه تعَالَى، لأَنَّ الْإِيمَان يمنَعُهُمْ عنْ الْمقَاصد الرَّديَّة ويُوجبُ لَهُمُ الْإِخْلَاص { ومَا تُنفقُواْ منْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ } يومَ الْقيامَة تستوْفُونَ أُجُوركُمْ { وأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }- أَيْ:

تُنْقَصُونَ منْ أَعمَالكُمْ شيْئًا ولَا مثْقَالَ ذرَّةٍ، كمَا لَا يُزَادُ في سيِّئَاتكُمْ.

(٤) وقَالَ تعَالَى:{ لاَّ خَيْرَ في كَثيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ منْ أَمرَ بصدَقَةٍ أَوْ معْرُوفٍ أَوْ إِصلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ومَن يفْعَلْ ذَلكَ ابْتغَاء مرْضَات اللّهِ فَسوْفَ نُؤْتيهِ أَجْرًا عظيمًا }.{النِّساء: ١١٤}.

-أَيْ:لَا خيْرَ في كثيرٍ منْ الْكَلَامِ الَّذي يُسرُّهُ النَّاسُ، ولَا نفْعَ منْهُ، إِلَّا إِنْ كَانَ كَلَامُهُمْ أَمرًا بصدَقَةٍ، أَوْ معرُوفٍ جاءَ بِه الشَّرْعُ ودلَّ علَيْه الْعقْلُ، أَوْ دعْوةً إِلَى الْإِصلَاحِ بيْنَ الْمُتنَازعين، ومنْ يفْعَلْ ذَلكَ طَلَبًا لرضَا اللَّهِ فَسوْفَ نُؤْتيه ثَوَابًا عظيمًا.

(٥)وقَالَ تعَالَى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعبُدوا ربَّكُمْ وافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلحُونَ }.{الْحجّ: ٧٧}.

-يَأْمُرُ تَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَاةِ، وَخَصَّ مِنْهَا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، لِفَضْلِهِمَا وَرُكْنِيَّتِهِمَا، وَعِبَادَتِهِ الَّتِي هِيَ قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَسَلْوَةُ الْقَلْبِ الْمَحْزُونِ، وَأَنْ رُبُوبِيَّتَهُ وَإِحْسَانَهُ عَلَى الْعِبَادِ، يَقْتَضِي مِنْهُمْ أَنْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَيَأْمُرُهُمْ بِفِعْلِ الْخَيْرِ عُمُومًا.

-وَعَلَّقَ تَعَالَى الْفَلَاحَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ فَقَالَ: { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أَيْ: تَفُوزُونَ بِالْمَطْلُوبِ الْمَرْغُوبِ، وَتَنْجُونَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الْمَرْهُوبِ، فَلَا طَرِيقَ لِلْفَلَاحِ سِوَى الْإِخْلَاصِ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ، وَالسَّعْيِ فِي نَفْعِ عَبِيدِهِ، فَمَنْ وُفِّقَ لِذَلِكَ، فَلَهُ الْقَدَحُ الْمُعَلَّى، مِنَ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ.

(٦) وَقَالَ تَعَالَى:{ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.{الْبَقَرَة: ١١٠}.

-أَيْ: وَاشْتَغِلُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- بِأَدَاءِ الصَّلَاةِ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ، وَإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ تُقَدِّمُونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ تَجِدُونَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ. إِنَّهُ تَعَالَى بَصِيرٌ بِكُلِّ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

(٧)وَقَالَ تَعَالَى:{ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. }.

-أَيْ:إِنَّ رَبَّكَ -أَيُّهَا الرَّسُولُ- يَعْلَمُ أَنَّكَ تُصَلِّي أَقَلَّ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ تَارَةً، وَتَقُومُ نِصْفَهُ تَارَةً، وَثُلُثَهُ تَارَةً، وَتَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيُحْصِي سَاعَاتِهِمَا، عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّكُمْ لَا تُقَدِّرُونَ عَلَى إِحْصَاءِ وَضَبْطِ سَاعَاتِهِ، فَيَشُقُّ عَلَيْكُمْ قِيَامُ أَكْثَرِهِ تَحَرِّيًا لِلْمَطْلُوبِ، فَلِذَلِكَ تَابَ عَلَيْكُمْ، فَصَلُّوا مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ، عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مَرْضَى أَجْهَدَهُمُ الْمَرَضُ، وَآخَرُونَ يُسَافِرُونَ يَطْلُبُونَ

رزقَ اللَّه، وَآخرُون يُقَاتلُون الْكُفَّارَ ابْتغَاء مرضَاة اللَّه ولتكُون كلمَةُ اللَّه هيَ الْعُلْيَا، فَهؤلَاء يَشُقُّ عَلَيْهِمْ قِيامُ اللَّيْلِ، فَصلُّوا مَا تيَسَّرَ لَكُمْ منْ اللَّيْلِ، وَأْتُوا بِالصَّلَاة الْمَفْرُوضَةَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْه، وَأَعْطُوا زكَاةَ أَموَالكُمْ، وَأَنْفقُوا منْ أَموَالكمْ في سَبِيلِ اللَّه، وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسكُم منْ أَيِّ خَيْرٍ، تَجدُوه هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ ثَوَابًا، وَاطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ منْ اللَّهِ، إنَّ اللَّه غَفُورٌ لمَنْ تَابَ منْ عبَاده، رَحيمٌ بهمْ.

•وَفِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ الْكَثِيرُ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى الْمُسَارَعَةِ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ مِنْ ذَلِكَ:

(١) مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ بِرَقَمِ(٦٠٢٦) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(٩٠٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي:

مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ }.

-فِي قَوْلِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ }، أَيْ: أَكْثَرُ مَنْ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، وَهَذَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْعِ الْمَادِّيِّ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ النَّفْعَ بِالْعِلْمِ، وَالنَّفْعَ بِالرَّأْيِ، وَالنَّفْعَ بِالنَّصِيحَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْمَشُورَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْجَاهِ، وَالنَّفْعَ بِالسُّلْطَانِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ النَّفْعِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَشْرُفُ بِحُبِّ اللَّهِ لَهُ:

(أ) نَفْعُ الْغَيْرِ بِالْمَالِ:

-فَلَقَدْ حثَّ الشَّرْعُ علَى التَّحلِّي بِالْفَضائِلِ ومَحاسِنِ الْأَخْلَاقِ، مثْل قَضاءِ حوَائِجِ النَّاسِ والتَّيْسيرِ علَيْهِمْ ونفعِهِمْ بِمَا يتيسر منْ مَالٍ وعِلْمٍ أَوْ معاونَة أَوْ مُشَاورَة.

-فقدْ أَخرَجَ الْإِمَامُ مسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تعالَى-في صَحِيحِهِ برقَمِ (2699)منْ حَدِيثِ أَبِي هُريرةَ-رضِي اللَّهُ تعالى عنْهُ-قَالَ:قَال رَسُولُ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ علَيْه وسلَّم -:

{ منْ نفَّس عنْ مؤْمِنٍ كُرْبةً منْ كُرَبِ الدنْيَا، نفَّس اللَّهُ عنْه كُرْبةً منْ كُرَبِ يومِ الْقِيامة، ومنْ يسَّر علَى معْسِرٍ، يسَّر اللَّهُ علَيْه فِي الدنْيَا والْآخِرة، ومنْ ستر مسْلماً، ستره اللَّهُ فِي الدنْيَا والْآخِرة، واللَّهُ فِي عونِ الْعبْدِ ما كَان الْعبْدُ فِي عونِ أَخِيه، ومنْ سلَكَ طَرِيقًا يلْتَمِس فِيه عِلْمًا، سهلَ اللَّهُ لَه بِه طَرِيقًا إِلَى الْجنَّة، وما اجْتَمع قَوْمٌ فِي بيْتٍ منْ بيوتِ اللَّه، يتْلُون كتَاب اللَّه، ويتَدارسونَه بينَهم؛ إِلَّا نزلَتْ علَيْهِم السكِينَةُ، وغَشِيتْهم الرحْمةُ، وحفَّتْهم الْملَائِكَةُ، وذَكَرهم اللَّهُ فِيمنْ عنْده، ومنْ بطَّأَ بِه عملُه، لم يسرِعْ بِه نسبه }.

-فقَوْلُه-صلَّى اللَّهُ علَيْه وسلَّم-:{ منْ نفَّس عنْ مؤْمِنٍ كُرْبةً }، أَيْ: رفَع عنْ مؤْمنٍ حزْنًا وعنَاءً وشدةً، ولَو كَان يسِيرًا، فيكُونُ الثَّوَابُ والْأَجر أَنْ ينفِّس اللَّهُ عنْه كُرْبةً منْ كُرَبِ يومِ الْقِيامة، وتَنْفِيسُ الْكُرَبِ إِحْسَانٌ، فَجزَاه اللَّهُ جزَاءً وفَاقًا، { ومنْ يسَّر علَى معْسِرٍ }، والتَّيْسِيرُ علَى الْمعْسِرِ فِي الدنْيَا منْ جِهةِ الْمالِ يكُونُ بِأَحدِ أَمْرينِ: إِمَّا بِإِنْظَارِهِ إِلَى الْميْسرة، وتَارةً بِالْوضْعِ عنْهُ إِنْ كَانَ غَرِيمًا، أَيْ: علَيْه دينٌ، وإِلَّا فَبِإِعْطَائِه ما يزُولُ بِه إِعْسارُهُ، وكِلَاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عظِيمٌ، وجزَاؤُه أَنْ ييسر اللَّهُ علَيْه فِي الدنْيَا والْآخِرة مقَابِلَ تَيْسِيرِه علَى عبْده؛ مجازَاةً لَه بِجِنْسِ عملِه.

-وأَخْرَجَ الْإِمَامُ مسْلِمٌ-رحِمهُ اللَّهُ تعالَى-أَيْضاً فِي صَحِيحِهِ برقَمِ (1728)منْ حَدِيثِ أَبِي سعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رضِي اللَّهُ تعَالَى عنْهُ-قَالَ: بيْنَما نحنُ فِي سفَرٍ مع النَّبِيِّ- صلَّى اللَّهُ علَيْه وسلَّم- إِذْ جاء رجُلٌ علَى راحِلَة لَه، قَال: فَجعلَ يصْرِفُ بصره يمِينًا وشمالًا، فقَالَ رسُولُ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ علَيْه وسلَّم-: { منْ كَانَ معهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيعدْ بِه علَى منْ لَا ظَهْر لَه، ومنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ منْ زَاد، فَلْيعدْ بِه علَى منْ لَا زَاد لَه. قَالَ: فَذَكَر منْ أَصنَافِ الْمالِ ما ذَكَر، حتَّى رأَيْنَا أَنَّهُ لَا حقَّ لِأَحدٍ منَّا فِي فَضْلٍ }.

-فَالتَّعَاوُنُ وبَذْلُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ فِطْرَةٌ جِبِلِّيَّةٌ، خَلَقَهَا اللَّهُ فِي جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِه، وَقَدْ حَضَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وأَمَرَ بِه، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-كَيْفِيَّةَ التَّعَاوُنِ وَالتَّآزُرِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ نَشْرِ الْمُؤَاخَاةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي الصَّحَابِيُّ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-أَنَّهُمْ كَانُوا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَاءَهُ رَجُلٌ عَلَى { رَاحِلَةٍ لَهُ } وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي اتُّخِذَتْ لِلسَّفَرِ وَالرُّكُوبِ عَلَيْهَا، فَشَرَعَ الرَّجُلُ فِي الِالْتِفَاتِ يَمِينًا وَشِمَالًا بِبَصَرِه، وَالْمَعْنَى: كَانَتْ رَاحِلَتُهُ ضَعِيفَةً لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْكَبَهَا، وَيَمْشِي مُتَرَجِّلًا، وَيَسْقُطُ مِنَ الضَّعْفِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَاحِلَتُهُ قَوِيَّةً، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا زَادَهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْكَبَهَا مِنْ ثِقَلِ حِمْلِهَا، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، قَالَ فِي أَصْحَابِه: مَنْ كَانَ مَعَهُ { فَضْلُ ظَهْرٍ } أَيْ: رَكُوبَةٌ زَائِدَةٌ عَمَّا يَرْكَبُهَا، وَالْمُرَادُ بِالظَّهْرِ: الدَّابَّةُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ، كَالسَّيَّارَةِ وَنَحْوِهَا، { فَلْيَعُدْ بِه } أَيْ: فَلْيَتَصَدَّقْ بِه وَيُعْطِهِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ مَا يَسِيرُ بِه وَيَحْمِلُهُ، { وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ }، وَهُوَ مَا فَضَلَ مِنْ طَعَامٍ مِنْهُ { فَلْيَعُدْ } لِيَجُدْ بِذَلِكَ الْفَاضِلِ وَلْيَرْجِعْ بِالْإِحْسَانِ بِهِ عَلَى الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ.

-وَأَخْبَرَ أَبُو سَعِيدٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَكَرَ مِنْ { أَصْنَافِ الْمَالِ } كَالثَّوْبِ وَالنِّعَالِ وَالْقِرْبَةِ وَالْمَاءِ وَالْخَيْمَةِ وَالنُّقُودِ وَنَحْوِهَا، حَتَّى ظَنَّ الصَّحَابَةُ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-وَفَهِمُوا مِنْ أَمْرِهِ هَذَا { أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ }، يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي إِمْسَاكِ مَا زَادَ عَلَى حَاجَتِه مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَرَحْلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ الْإِيثَارِ، وَهَكَذَا الْحُكْمُ إِذَا نَزَلَتْ حَاجَةٌ أَوْ مَجَاعَةٌ، فِي السَّفَرِ أَوْ فِي الْحَضَرِ؛ وَاسَى الْمُسْلِمُ بِمَا زَادَ عَلَى كِفَايَةِ تِلْكَ الْحَالِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرُّفْقَةِ وَالْأَصْحَابِ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَالسَّعْيِ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ.

-وَفِيهِ: التَّعَرُّضُ لِسُؤَالِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ لِلسَّائِلِ رَاحِلَةٌ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ.

-وَفِيهِ: أَنَّهُ يَكْفِي فِي حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ بِتَعَرُّضِه لِلْعَطَاءِ، وَتَعْرِيضُهُ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ.

-وَفِيهِ: مُوَاسَاةُ ابْنِ السَّبِيلِ وَالصَّدَقَةُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا.

•وَمِنْ أَعْظَمِ النَّفَقَاتِ فِي وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ النَّفَقَةُ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُوَحِّدِينَ فِي فَلَسْطِينَ فَهُمْ أَشَدُّ حَاجَةً بِسَبَبِ مَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنْ إِبَادَةٍ وَحِصَارٍ وَتَجْوِيعٍ فَإِنْفَاقُ الْمَالِ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى،وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى { مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }. (البقرة:٢٦١).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }. أَيْ: فِي طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَأَوْلَاهَا إِنْفَاقُهَا فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ } وَهَذَا إِحْضَارٌ لِصُورَةِ الْمُضَاعَفَةِ بِهَذَا الْمَثَلِ، الَّذِي كَانَ الْعَبْدُ يُشَاهِدُهُ بِبَصَرِهِ فَيُشَاهِدُ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ بِبَصِيرَتِهِ، فَيَقْوَى شَاهِدُ الْإِيمَانِ مَعَ شَاهِدِ الْعِيَانِ، فَتَنْقَادُ النَّفْسُ مُذْعِنَةً لِلْإِنْفَاقِ سَامِحَةً بِهَا مُؤَمِّلَةً لِهَذِهِ الْمُضَاعَفَةِ الْجَزِيلَةِ وَالْمِنَّةِ الْجَلِيلَةِ، { وَاللَّهُ يُضَاعِفُ } هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ { لِمَنْ يَشَاءُ } أَيْ: بِحَسَبِ حَالِ الْمُنْفِقِ وَإِخْلَاصِهِ وَصِدْقِهِ وَبِحَسَبِ حَالِ النَّفَقَةِ وَحِلِّهَا وَنَفْعِهَا وَوُقُوعِهَا مَوْقِعَهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ { وَاللَّهُ يُضَاعِفُ } أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةِ { لِمَنْ يَشَاءُ } فَيُعْطِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } الْفَضْلِ، وَاسِعُ الْعَطَاءِ، لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يُحْفِيهِ سَائِلٌ، فَلَا يَتَوَهَّمُ الْمُنْفِقُ أَنَّ تِلْكَ الْمُضَاعَفَةَ فِيهَا نَوْعُ مُبَالَغَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ وَلَا يَنْقُصُهُ الْعَطَاءُ عَلَى كَثْرَتِهِ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ { عَلِيمٌ } بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، فَيَضَعُ الْمُضَاعَفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ }.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2442)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ { الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

-فقوله-صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم-:{الْمُسْلمُ أَخُو الْمُسلمِ لَا يَظلمه ولَا يُسلمه}.بيانٌ لما ينبغي أن يكون عليه المسلم تجاه أخيه المسلم، فالمسلم -سواءٌ كان حرًّا أو عبدًا، بالغًا أو غير بالغٍ- أخو المسلم في الإسلام، لا يقوم بظلمه؛ فإنَّ اللَّه سبحانه حرَّم قليل الظُّلم وكثيره، وفي الوقت نفسه لا يتركه إلى الظُّلم دون أن يعينه، ولا يتركه مع من يؤذيه دون أن يحميه قدر استطاعته.

وقوله:{ومن كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته}.أي:من تولَّى قضاء حاجة أخيه وسعى فيها حتَّى تقضى،فإنَّ اللَّه سبحانه يكون في حاجته يقضي له ما يريد، ويقدم له ما يؤمِّل.

وقوله:{ومن فرَّج عن مسلمٍ كربةً،فرَّج اللَّه عنه كربةً من كربات يوم القيامة}.أي:من أزال عن أخيه المسلم همًّا أو غمًّا في الدنيا،أزال اللَّه عنه مثله في الآخرة،بل أعظم من ذلك؛لأنَّ الجزاء من جنس العمل،وما عند اللَّه أعظم.

وقوله:{ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه يوم القيامة}.أي:من أغضى عن عورة أخيه المسلم ولم يبيِّنها للناس،ستره اللَّه تعالى يوم القيامة ولم يخرجها في الموقف العظيم بين الخلائق.

(ب) نفع الغير بتعليمهم الخير:

-لقد جعل الله عزَّ و جلَّ للعلماء فضلًا وأجرًا عظيمًا؛ وذلك بما منَّ الله عليهم من العلم ينشرونه في النَّاس، فيرفعون به جهلهم، ويقودونهم به نحو معالم الخير الَّتي يصلح بها شأن دينهم ودنياهم.

-فقد أخرج الإمام التِّرمذيُّ-رحمه اللَّه تعالى-في سننه برقم (2685)من حديث أبي أمامة الباهليِّ-رضي اللَّه تعالى عنه-

قال: ذكر لرسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-رجلان؛ أحدهما عابدٌ، والآخر عالمٌ فقال رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-:{ فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثمَّ قال رسول اللَّه-صلَّى اللَّه عليه وسلَّم-:

إنَّ اللَّه وملائكته وأهل السَّماوات والأرض حتَّى النَّملة في جحرها وحتَّى الحوت ليصلُّون على معلِّم النَّاس الخير }.

-في هَذَا الْحَديث يَحكِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّهُ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالْآخَرُ عَالِمٌ، أَيْ: هَلْ هُمَا مُسْتَوِيَانِ فِي الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ؛ هَذَا بِعِبَادَتِه، وَهَذَا بِعِلْمِه؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { فَضْلُ الْعَالِمِ }، أَيْ: إِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا يَفْضُلُ وَيَزِيدُ { عَلَى الْعَابِدِ }، وَالْمُرَادُ بِالْعَالِمِ: هُوَ صَاحِبُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ قِيَامِهِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَاتٍ بَدَنِيَّةٍ مِنْ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَقَلْبِيَّةٍ مِنْ إِخْلَاصٍ وَخُشُوعٍ وَتَوَكُّلٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْمُرَادُ بِالْعَابِدِ:الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ، وَقَدْ حَصَّلَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا يَلْزَمُهُ مِنْ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ فِيمَا يَخُصُّهُ مِنْ عِبَادَاتٍ مَأْمُورٍ بِهَا أَوْ يَفْعَلُهَا تَطَوُّعًا، ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْفَرْقَ بَيْنَ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: { كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ }، أَيْ:

إِنَّ الْعَالِمَ يَتَقَدَّمُ فِي الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ عَلَى الْعَابِدِ، كَتَقَدُّمِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَدْنَى أَصْحَابِهِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وَفِي هَذَا مُبَالَغَةٌ شَدِيدَةٌ فِي بَيَانِ فَضْلِ الْعَالِمِ؛ إِذْ إِنَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَوْ قَالَ: كَفَضْلِي عَلَى أَعْلَاكُمْ لَكَفَى فَضْلًا وَشَرَفًا، فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ؟!{ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

{-، أَيْ: اسْتَأْنَفَ الْكَلَامَ لِيُبَيِّنَ سَبَبَ هَذَا التَّفْضِيلِ قَائِلًا: { إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ }، قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ: هُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَالْمُرَادُ بِأَهْلِ السَّموَاتِ: بَاقِي الْمَلَائِكَةِ،{ وَالْأَرْضِ }، أَيْ: وَأَهْلَ الْأَرْضِ،وَالْمُرَادُ بِهِمِ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَجَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ، { حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا }، أَيْ: مَسْكَنِهَا فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ : ثَقْبِهَا الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ أَيْنَمَا وُجِدَ{ وَحَتَّى الْحُوتَ } أَيْ:الَّذِي يَكُونُ فِي أَعَالِي الْبِحَارِ،{ لَيُصَلُّونَ } أَيْ: يَدْعُونَ بِالْخَيْرِ،{ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ }، أَيْ: لِلْعَالِمِ؛ وَذَلِكَ لِنَشْرِهِ لِلْعِلْمِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ هُنَا: هُوَ عِلْمُ الدِّينِ الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ وَمَا بِهِ النَّجَاةُ، قِيلَ: وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى وَجْهِ الْأَفْضَلِيَّةِ بِأَنَّ نَفْعَ الْعِلْمِ مُتَعَدٍّ وَنَفْعَ الْعِبَادَةِ قَاصِرٌ، مَعَ أَنَّ الْعِلْمَ فِي نَفْسِهِ فَرْضٌ، وَزِيَادَةَ الْعِبَادَةِ نَافِلَةٌ.

•تَنْبِيهٌ:

-بِالنِّسْبَةِ لِعُلُومِ الدُّنْيَا كَعِلْمِ الطِّبِّ وَعِلْمِ الْهَنْدَسَةِ وَغَيْرِهَا تَدْخُلُ فِي الْفَضْلِ تَبَعًا إِذَا صَحَّتْ النِّيَّةُ وَصَدَقَ الْقَصْدُ فَابْتُغِي بِهَا وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَخِدْمَةَ الدِّينِ وَنَفْعَ النَّاسِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى تَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ.

-وَفيهِ: الْحَثُّ عَلَى الْحِرْصِ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ فِي النَّفْعِ للغيْرِ.
-وَفيهِ: بَيَانٌ لِتَفَاوُتِ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ.

(ج) نَفْعُ الْغَيْرِ بِبَذْلِ النَّصِيحَةِ لَهُمْ:

-النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تُرَادِفُ الدِّينَ،فَإِذَا ضَاعَتِ النَّصِيحَةُ ضَاعَ الدِّينُ،وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْإِخْلَاصِ وتَخْلِيصِ الشَّيْئِ مِنْ الشَّوَائِبِ وَإِصْلَاحِ الْخَلَلِ،وعَدَمُ قَبُولِ النَّصِيحَةِ دَلِيلُ الْأَنَانِيَةِ وَحَظِّ النَّفْسِ،ويُثْمِرُ النِّفَاقَ الْاجْتِمَاعِيَّ،فَقَدْ هَلَكَتِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ بِسَبَبِ عَدَمِ قَبُولِ النَّصِيحَةِ.

-وَالنَّصِيحَةُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي أَعْلَنَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }.(الحجرات:١٠).،فَأُخُوَّةُ الْإِيمَانِ تَقْتَضِي أَنْ يُحِبَّ الْمُؤْمِنُ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ فَيَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ النَّفْعِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْمُؤْمِنُ لِلغَيْرِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٥) مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ }.

-فَالتَّنَاصُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِن مَعَالِمِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَمِنْ حُسْنِ التَّعَامُلِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَبِغَيْرِ أَنْ يُحْدِثُوا مُنْكَرًا أَكْبَرَ مِمَّا يَنْصَحُونَ بِهِ، مَعَ إِخْلَاصِ الْمَحَبَّةِ لِلْمَنْصُوحِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِ لإِسْلَامِهِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِ لِمَوْقِعِهِ فِي الْمُجْتَمَعِ.
-وَهَذَا الْحَدِيثُ يُوَضِّحُ مَعَالِمَ النُّصْحِ، وَلِمَنْ يَكُونُ وَكَيْفَ يَكُونُ؛ فَيُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَجَوْهَرُهُ، وَوَسِيلَةُ ظُهُورِهِ وَانْتِشَارِهِ، وَالنَّصِيحَةُ: هِيَ تَحَرِّي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فِيهِ صَلَاحٌ لِصَاحِبِهِ، أَوْ تَحَرِّي إِخْلَاصِ الْوُدِّ لَهُ، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَهِيَ لَفْظٌ جَامِعٌ لِمَعَانٍ شَتَّى، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي النُّصْحِ وَالتَّنَاصُحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَأَلَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لِمَنْ تَكُونُ النَّصِيحَةُ وَلِمَنْ تُوَجَّهُ؟ فَقَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ }.

-وَالنَّصِيحَةُ للهِ هِيَ التَّعْظِيمُ لأمْرِهِ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِهِ، وَتَكُونُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَنَفْيِ الشِّرْكِ وَجَمِيعِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا لَهُ سُبْحَانَهُ.

-وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، مَعَ شِدَّةِ حُبِّهِ، وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِ، وَتِلَاوَتِهِ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَالذَّبِّ عَنْ تَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ لَهُ، وَالتَّصْدِيقِ بِمَا فِيهِ، وَالاعْتِبَارِ بِمَوَاعِظِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي عَجَائِبِهِ، وَالْعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ، وَنَشْرِ عُلُومِهِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ.

-وَالنَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَكُونُ بِاتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَمُرَاعَاةِ هَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ، وَمُوَالَاةِ مَنْ وَالَاهُ، وَإِعْظَامِ حَقِّهِ، وَتَوْقِيرِهِ، وَبَثِّ دَعْوَتِهِ، وَنَشْرِ شَرِيعَتِهِ، وَنَفْيِ التُّهْمَةِ عَنْهَا.

-وَالنَّصِيحَةُ لأئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَكُونُ بِمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ فِي الْمَعْرُوفِ، وَتَنْبِيهِهِمْ وَتَذْكِيرِهِمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ بِأَنْسَبِ الطُّرُقِ عَلَى مَا غَفَلُوا عَنْهُ، مَعَ إِعَانَتِهِمْ فِي إِصْلَاحِ النَّاسِ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ، إِلَّا أَنْ يُرَى مِنْهُمْ كُفْرٌ بَوَاحٌ عِنْدَنَا فِيهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بُرْهَانٌ، وَهَذَا مَشْرُوطٌ بِالْقُدْرَةِ وَعَدَمِ حُصُولِ مَفْسَدَةٍ أَكْبَرَ.

-وَقَدْ يَشْمَلُ الْمُرَادُ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: عُلَمَاءُ الدِّينِ، فَمِنْ نَصِيحَتِهِمْ: قَبُولُ مَا رَوَوْهُ، وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ.

-وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَكُونُ بِتَعْرِيفِهِمْ بِأَوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَبِشَرَائِعِ الدِّينِ، وَبِالْعَمَلِ عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ، وَإِبْعَادِ الضَّرَرِ عَنْهُمْ، وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِرِفْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَوْقِيرِ كَبِيرِهِمْ،وَرَحْمَةِ صَغِيرِهِمْ،وَتَخَوُّلِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَتَرْكِ غِشِّهِمْ وَحَسَدِهِمْ

، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالشَّرِّ، وَالذَّبِّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ جَوْهَرَ الدِّينِ يَظْهَرُ فِي التَّنَاصُحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَعْرُوفِ.

-وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى النُّصْحِ لِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مُسْتَوَيَاتِهِمْ بَدْأً مِنْ رَأْسِ الدَّوْلَةِ حَتَّى عَامَّةِ النَّاسِ.

(د)نَفْعُ الْغَيْرِ بِبَذْلِ الْمَشُورَةِ لَهُمْ:

-مِنْ أَوْجُهِ نَفْعِ الْغَيْرِ بَذْلُ الْمَشُورَةِ لَهُمْ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَنَفْعُهُمْ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى بِرَقَمِ (٥٦٧/٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَزَلَ مَنْزِلًا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلٍ ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أَدْنَى مَاءٍ إِلَى الْقَوْمِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا ، وَنَقْذِفُ فِيهِ الْآنِيَةَ ، فَنَشْرَبُ وَنُقَاتِلُ ، وَنُغَوِّرُ مَا سِوَاهَا مِنَ الْقُلُبِ ، قَالَ:

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ: الرَّأْيُ مَا أَشَارَ بِهِ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { يَا حُبَابُ ، أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَفَعَلَ ذَلِكَ }.

-وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ الْكِنَانِيِّ ، أَخْبَرَنِي حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : أَشَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ بَدْرٍ بِخَصْلَتَيْنِ ، فَقَبِلَهُمَا مِنِّي ، خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزَاةِ بَدْرٍ فَعَسْكَرَ خَلْفَ الْمَاءِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبِوَحْيٍ فَعَلْتَ أَوْ بِرَأْيٍ؟ قَالَ

:بِرَأْيِي يَا حُبَابُ ، قُلْتُ : فَإِنَّ الرَّأْيَ أَنْ تَجْعَلَ الْمَاءَ خَلْفَكَ ، فَإِنْ لَجَأْتَ ، لَجَأْتَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنِّي }.

-وَجَمِيعُ رِوَايَاتِ هَذَا الْأَثَرِ لَا تَخْلُو مِنْ مَقَالٍ مِنْ حَيْثُ الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ الْقِصَّةَ لَهَا أَصْلٌ مَشْهُورٌ ، مَقْبُولٌ مُتَدَاوَلٌ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ السِّيَرِ ، وَلَمْ يَسْتَنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بَلْ إِنَّهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ : عَلَى مُشَاوَرَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَصْحَابِهِ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .-

-قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ (٢٧٤/٨) : { وَنَبِيُّنَا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ ، وَكَانَ أَحْيَانًا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي الرَّأْيِ، كَمَا قَالَ لَهُ الْحُبَابُ يَوْمَ بَدْرٍ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ: أَهُوَ مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ ، أَمْ هُوَ الْحَرْبُ وَالرَّأْيُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: { بَلْ هُوَ الْحَرْبُ وَالرَّأْيُ وَالْمَكِيدَةُ } فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلِ قِتَالٍ. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى رَأْيِ الْحُبَابِ }انتهى .

-مِنْ أجلِ ذَلكَ حثَّ رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتِهِمْ ،فَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ هُوَ مَنْ يَدُلُّ جَلِيسَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ؛ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ،وَلَنْ يَعْدَمَ جَلِيسُهُ مِنْ فَائِدَةٍ أَوْ مَشُورَةٍ نَافِعَةٍ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2101)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ،وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً }.

(هـــ) نَفْعُ الْغَيْرِ بِالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ:

-وَمِنْ شِيَمِ الْمُسْلِمِ النَّبِيلَةِ الدِّفَاعُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ،فَعِرْضُ الْمُؤمِنِ كَدَمِهِ؛ فَمَنْ هَتَكَ عِرْضَهُ، فَكَأَنَّهُ سَفَكَ دَمَهُ، وَمَنْ عَمِلَ عَلَى صَوْنِ عِرْضِهِ، فَكَأَنَّهُ صَانَ دَمَهُ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (1931)مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: { مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ }، أَيْ: مَنَعَ مَا يُقَالُ فِي حَقِّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَهُوَ غَائِبٌ، فَرَدَّ عَلَى مَنْ يَذْكُرُهُ وَيَعِيبُ فِيهِ؛ قِيلَ: وَرَدُّهُ أَنْ يَمْنَعَهُ قَبْلَ الْوُقُوعِ فِيهِ بِالزَّجْرِ وَالرَّدْعِ، وَإِمَّا بَعْدَهُ، فَيَرُدُّ مَا قَالَهُ عَلَيْهِ،{ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أَيْ: كَانَ أَجْرُهُ أَنْ يُجَازَى بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَهُوَ أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَنْهُ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: النَّهْيُ عَنْ غِيبَةِ الْمُسْلِمِ.

-وَفِيهِ: الْحَضُّ عَلَى نَهْيِ مَنْ وَقَعَ فِي غِيبَةِ الْمُسْلِمِ.

•وَأَوْلَى النَّاسِ بِالرَّدِّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ الْأَخْيَارُ الْأَبْرَارُ ،الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ،وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ،فَهُمْ أَئِمَّةُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى،فَهُمْ يَتَعَرَّضُونَ فِي زَمَانِنَا لِحَمَلَاتِ تَشْوِيهٍ وَإِسْقَاطٍ،مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ،وَكَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ

الْجُهَّالِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَلْبَسَهُمُ الشَّيْطَانُ لِبَاسَ زُورٍ وَكَذِبٍ بِأَنَّهُم حَامِلُوا لِوَاءِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ،وَمَا هُمْ إِلَّا حُدَثَاء أَسْنَانٍ، سُفَهَاءُ أَحْلَامٍ، قُلُوبُهُمْ سَوْدَاءٌ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْقَادِ،وَأَلْسِنَتُهُمْ حِدَادٌ لَا تَعْرِفُ إِلَّا الْبَذَاءَ،وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَمَجَالِسُهُمْ مَجَالِسُ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَكُفْرَانِ الْعَشِيرِ،فَهُمْ غُزَاةُ الْأَعْرَاضِ بِالْأَمْرَاضِ،

يَقِفُونَ عَلَى طَرِيقِ الْعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ فَرِيسَةٌ،وَمَا لَبِسُوا إِلَّا وَانْقَلَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَبَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،وَفَسَّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،وَهَكَذَا تَصْنَعُ الْبِدْعَةُ بِأَهْلِهَا،فَيَالَيْتَ أَتْبَاعُهُمْ يَنْتَبِهُونَ وَمِنْ غَفْلَتِهِمْ يَسْتَيْقِظُونَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ.

-فَمِنْ بَابِ حِفْظِ كَرَامَةِ الْعَالِمِ، وَالذَّبِّ عَنْ عِرْضِهِ وَتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِ، تَحَتَّمَ عَلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ وَطَالِبَاتِهِ الْوَفَاءُ بِحَقِّ عُلَمَائِنَا، وَأَنْ نَرُدَّ شَيْئًا مِنْ جَمِيلِهِمْ، بِالْعَمَلِ الدَّؤُوبِ وَالسَّعْيِ الْحَثِيثِ، فِي دَفْعِ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْدِشَ كَرَامَتَهُمْ، أَوْ يَنْتَهِكَ حُرْمَتَهُمْ، أَوْ يَنْتَقِصَ عِرْضَهُمْ،أَوْ يُقَلِّلَ شَأْنَهُمْ؛نَدْفَعُ الشُّبْهَةَ بِالدَّلِيلِ،وَالضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وَالظَّنَّ بِالْيَقِينِ، وَالْجَهْلَ بِالْعِلْمِ، مُحْتَسِبِينَ – فِي كُلِّ هَذَا – عَظِيمَ الْأَجْرِ، مُتَحَلِّينَ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ، وَاضِعِينَ فِي الْحُسْبَانِ أَنَّ الْغَالِطِينَ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ قِسْمَانِ:

قِسْمٌ مِنَ الْحُثَالَةِ الْحَسَدَةِ الْحَقَدَةِ الْمُعَانِدِينَ، وَقِسْمٌ مِنَ الضَّحَايَا التَّائِهِينَ الْمُضَلَّلِينَ، وَلِكُلِّ قِسْمٍ قِسْمَتُهُ مِنَ التَّعَامُلِ.

(2)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٣)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ،حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ}.

-يُبَيِّنُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ -الَّذِي قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ رُبُعُ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَحَادِيثَ أَرْبَعَةٍ تَتَفَرَّعُ عَنْهَا جِمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ- أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ -وَالنَّفْيُ هُنَا لَا يُقْصَدُ بِهِ نَفْيُ أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا نَفْيُ الْكَمَالِ- حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ فِي الدِّينِ

وَالدُّنيا، ويَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لنفسه، فَإنْ رأى في أَخيه الْمُسْلمِ نقْصًا في دينه، اجْتَهد في إصلَاحه، وَإنْ رأى فيه خيْرًا سَدَّدَهُ وأَعانَهُ عَلَى الثَّبات علَيْه والزِّيادة منْهُ؛ فلَا يكُونُ الْمُؤْمنُ مُؤمنًا حقًّا حَتَّى يَرْضَى للنَّاس ما يرْضَاهُ لنَفْسه، وَهَذَا إنَّما يأْتي منْ كمَال سلَامة الصَّدْر من الْغلِّ والْغشِّ والْحسد؛ فإنَّ الْحسدَ يقْتضي أَنْ يكْرهَ الْحَاسدُ أَنْ يَفُوقَهُ أَحَدٌ في خَيْرٍ، أَوْ يُساويَهُ فيه؛ لأَنَّه يُحبُّ أَنْ يمتَازَ عَلَى النَّاس بفضَائله، وَيَنْفَرد بها عَنْهُمْ، والْإيمَانُ يقْتضي خلَاف ذَلكَ، وَهُوَ أَنْ يُشْركهُ الْمُؤْمنُونَ كُلُّهُمْ فيمَا أَعطَاهُ اللَّهُ منَ الْخَيْر.

(3)وَأَخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلمٌ-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-أَيْضًا في صَحيحه كتَاب الْبرِّ وَالصِّلَة وَالْآدَاب بَاب تَحْريم ظُلْمِ الْمُسْلمِ وَخَذْله وَاحْتقَاره وَدَمه وَعرْضه وَمَاله برقَم (٢٥٦٤)منْ حَديث أَبي هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ- قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-:

{ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عبَادَ اللَّه إخْوَانًا الْمُسْلمُ أَخُو الْمُسْلمِ لَا يَظْلمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشيرُ إلَى صَدْره ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بحَسْب امْرِئٍ منْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقرَ أَخَاهُ الْمُسْلمَ كُلُّ الْمُسْلمِ عَلَى الْمُسْلمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعرْضُهُ }.

-نَهَى النَّبيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاق، وَمنْهَا- كَمَا جَاءَ في هَذَا الْحَديث-: الْحَسَدُ؛ فَأَمَرَ بأَلَّا يحسد بعضنَا بَعْضًا، وَالْحَسَدُ هُوَ كَرَاهيَةُ النِّعْمَة عَلَى أَخيه فَإنْ تَجَاوَزَ الْحدَّ وَوَقَعَ في الْجَوْر تَمَنَّى زَوَالَ نعْمَة الْمَحْسُود، وَهُوَ اعْترَاضٌ عَلَى اللَّه تَعَالَى لَهُ حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَى غَيْره مَعَ مُحَاولَة نَقْض فعْله وَإزَالَة فَضْله، وَمنْهَا: النَّجْشُ: فَأَمَرَ بأَلَّا يَنْجُش بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، وَهُوَ أَنْ يَزيدَ في السِّلْعَة لَا لرَغْبَة فيهَا بَلْ؛ ليَخْدَعَ غَيْرَهُ ليَشْتَريَهَا بسعْرٍ زَائدٍ، سَوَاءٌ كَانَ بمُوَاطَأَة الْبَائع أَمْ لَا؛ لأَنَّهُ غشٌّ وَخدَاعٌ. وَمنْهَا: التَّبَاغُضُ:

فَأَمَرَ أَلَّا يبْغَض بَعْضُنَا بَعْضًا، أَيْ: لَا يَتَعَاطَى الرَّجُلُ أَسْبَابَ الْبُغْض؛ لأَنَّهُ قَهْريٌّ كَالْحُبِّ لَا قُدْرَةَ للْإنْسَان عَلَى اكْتسَابه وَلَا يَمْلكُ التَّصَرُّفَ فيه، وَهُوَ النُّفْرَةُ عَنْ الشَّيْء لمَعْنًى فيه مُسْتَقْبَحٍ وَتُرَادفُهُ الْكَرَاهَةُ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ اثْنَيْن، إمَّا منْ جَانبَيْهمَا أَوْ منْ جَانب أَحَدهمَا، وَعَلَى كُلٍّ فَهُوَ لغَيْر اللَّه تَعَالَى مَنْهيٌّ عَنْهُ. وَمنْهَا :

-التَّدابرُ:
فأَمرَ أَلَّا يُدبِرَ بعضُنا عن بعضٍ، أَي: يُعرِضُ عمَّا يَجبُ لَهُ من حُقُوقِ الْإِسلَامِ كَالْإِعَانَةِ وَالنَّصرِ، وعدمِ الْهجرَانِ فِي الْكَلَامِ أَكثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا لِعذرٍ شرعِيٍّ. ومِنْهَا :
-الْبيعُ علَى بيعِ بعضٍ:
فَأَمرَ-صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ -بِأَلَّا يَبيعَ بعضُنا علَى بَيْعِ بعضٍ؛ فَلَا يَجوزُ لِأَحدٍ بِغيرِ إِذْنِ الْبَائِعِ أَنْ يَقُولَ لِمُشْتَرِي سِلْعَةً فِي زَمنِ الْخِيَارِ:
افْسَخْ هذَا الْبَيْعَ وأَنَا أَبِيعُكَ مِثْلَهُ بِأَرْخَصَ مِنْ ثَمَنِهِ أَوْ أَجْوَدَ مِنْهُ بِثَمَنِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ الْمُوجِبِ لِلتَّنَافُرِ وَالْبُغْضِ. ثُمَّ يَأْمُرُ النَّبِيُّ-صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نكُونَ عِبادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، ونَأْخُذَ بِأَسْبَابِ كُلِّ مَا يُوصِلُنَا لِمِثْلِ هذَا مِنَ الْموَدَّةِ والرِّفْقِ والشَّفَقَةِ وَالْمُلَاطَفَةِ والتَّعَاوُنِ فِي الْخَيْرِ مَعَ صفَاءِ الْقَلْبِ والنَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ، ويَقُولُ :
-الْمُسلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، أَي: الْأُخُوَّةُ الدِّينِيَّةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُخُوَّةِ النَّسَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ ثَمَرةَ هَذِهِ دُنْيَوِيَّةٌ وثَمَرَةَ تِلْكَ أُخْرَوِيَّةٌ، {لَا يَظْلِمُهُ ولَا يَخْذُلُهُ}، أَيْ: ولَا يَتْرُكُ إِعَانَتَهُ وَنَصْرَهُ،{ولَا يحقِرُهُ}، أَيْ: لَا يستَصغِرُ شأْنَهُ ويَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ؛ فَالِاحْتِقَارُ نَاشِئٌ عَنِ الْكِبْرِ فَهُوَ بِذَلِكَ يَحتَقِرُ غيرَهُ ويرَاهُ بِعَينِ النَّقْصِ، ولَا يرَاهُ أَهْلًا لِأَنْ يَقُومَ بِحَقِّهِ. {التَّقْوى هَاهُنَا} التَّقْوَى هِيَ اجْتِنَابُ عَذَابِ اللَّهِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وأَشَارَ -صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ- بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مرَّاتٍ، أَيْ: محلُّ مَادَّتِهَا مِنَ الْخَوفِ الْحَاصِلِ علَيهَا الْقَلْبُ، الَّذِي هُوَ عِنْدَ الصَّدْرِ .
-{بِحَسْبِ امْرِئٍ}، أَيْ: يَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّرِّ؛ وذَلِكَ لِعظَمِهِ فِي الشَّرِّ، كَافٍ لَهُ عَنْ اكْتِسَابِ آخرَ؛{أَنْ يحقِرَ أَخَاهُ الْمُسلِمَ}.{كُلُّ الْمُسْلِمِ علَى الْمُسْلِمِ حرَامٌ دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ}؛فَلَا يَقْتُلُ مُسلِمٌ مُسْلِمًا أَوْ يَسْرِقُهُ أَوْ يَزْنِي بِحَرِيمِهِ.
-وَفِي الْحَدِيثِ: تَحْرِيمُ دمِ الْمُسْلِمِ ومَالِهِ، وعِرْضِهِ ، وتَحرِيمُ خِذْلَانِهِ وخِيَانَتِهِ واحْتِقَارِهِ.
-وفِيهِ: أَنَّ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ.
-وفِيهِ: حُبُّ الْخَيرِ لِلْمُسْلِمِينَ.
(4)وأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى-فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ بِرَقْمِ(٦٠٨٦) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ(٣٧٩٦) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنهَا-قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وَسَلَّمَ-:{

صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ }.

-أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالتَّعَاوُنِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى بَيْنَ النَّاسِ، وَحَثَّ عَلَى عَمَلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَشَدَّدَ عَلَى الِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ }، وَهِيَ مَا اصْطَنَعْتَهُ مِنْ خَيْرٍ وَأَسْدَيْتَهُ لِغَيْرِكَ، "تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ"، أَيْ: يُجَازِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَعْرُوفِهِمْ، فَيُنَجِّيهِمْ مِنْ السُّقُوطِ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَوَاطِنِ الزَّلَلِ،{ وَالصَّدَقَةُ خُفْيَةً } فِي السِّرِّ دُونَ الْعَلَنِ، وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَنِ؛ وَذَلِكَ لِسَلَامَتِهَا مِنْ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ؛ فَهِيَ { تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ }؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ سَبَبًا لِذَلِكَ، فَيَحْتَمِلُ مِمَّنْ أَغْضَبَ رَبَّهُ بِمَعْصِيَةٍ أَنْ يَتَدَارَكَ ذَلِكَ بِصَدَقَةِ السِّرِّ؛ لِأَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْتَحِقُّ بِالذُّنُوبِ قَضَاءً مِنْ الْعُقُوبَةِ، فَإِذَا هُوَ تَصَدَّقَ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مَا قَدِ اسْتَحَقَّ مِنْ ذَلِكَ، وَإِطْلَاقُ لَفْظِ (الصَّدَقَةِ) يَشْمَلُ الْفَرْضَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَالْمُسْتَحَبَّ مِنْ مُطْلَقِ الصَّدَقَاتِ.

قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ } وَصِلُ الْأَقَارِبِ الْفُقَرَاءِ، ذُكُورًا وَإِنَاثًا بِالْمَالِ وَالنَّفَقَةِ، أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْهُمْ فَصِلَتُهُمْ تَكُونُ بِالْهَدَايَا، وَالتَّزَاوُرِ، وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ، وَالنُّصْحِ لِلْجَمِيعِ، وَمَعْنَى زِيَادَةِ الْعُمُرِ، هُوَ الزِّيَادَةُ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَصِيَانَتِهِ عَنِ الضَّيَاعِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

-{ وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ }، وَالْمَعْرُوفُ هُوَ مَا تَقْبَلُهُ الْأَنْفُسُ، وَلَا تَجِدُ مِنْهُ نَكِيرًا مِنْ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَى فَاعِلِهِ وَلَهُ أَجْرُهُ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَدَقَةِ الْأَمْوَالِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ صَدَقَةِ الْأَفْعَالِ الصَّالِحَةِ،{ وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ }،وَهَذَا تَنْوِيهٌ عَظِيمٌ بِفَضْلِ الْمَعْرُوفِ وَأَهْلِهِ، فَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ، وَأَهْلُ الْإِحْسَانِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ الَّذِي يُعْرَفُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،{ وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ }، وَالْمَعْنَى أَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْمَالِ الْمُنْكَرَةِ فِي الدُّنْيَا،

وَأَهْلَ التَّكْذِيبِ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فِي الدُّنْيَا يَكُونُونَ هُمْ أَهْلَ الْعَذَابِ الْمُنْكَرِ وَالْوَبَالِ فِي الْآخِرَةِ.
-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى عَمَلِ الْمَعْرُوفِ مُطْلَقًا، وَتَجَنُّبُ الْمُنْكَرِ.
-وَفِيهِ: بَيَانُ فَضْلِ صُنْعِ الْمَعْرُوفِ وَعَمَلِ الْبِرِّ فِي وِقَايَةِ صَاحِبِهِ مِنْ الْآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَمَصَارِعِ السُّوءِ.

(5)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِرَقْمٍ(٤٧٩) وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِرَقْمٍ(٣٧١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ -قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا }.
-شَجَّعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى إِعْمَارِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا، كَمَا رَغَّبَتِ الْمُسْلِمَ لِيَكُونَ إِجَابِيًّا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَأَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى كُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالصَّدَقَةِ وَالنَّفْعِ لِلْغَيْرِ حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَرَ الْفَاعِلُ ثَمَرَتَهُ، كَمَا قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ:
{ إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ }، أَيْ: إِذَا ظَنَّ أَحَدُكُمْ ظَنًّا أَكِيدًا أَنَّ الْقِيَامَةَ بِأَشْرَاطِهَا وَمُوَاصَفَاتِهَا قَدْ قَامَتْ { وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ }، أَيْ: نَبْتَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ النَّخْلِ،{ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا } أَيْ:
يَزْرَعُهَا فِي التُّرْبَةِ، وَلَا يَتْرُكُ عَمَلَ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ وَحَثٌّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ حَتَّى فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ، وَلَوْ ظَنَّ صَاحِبُهُ انْعِدَامَ الِانْتِفَاعِ بِهِ، وَمِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ غَرْسُ الْأَشْجَارِ وَحَفْرُ الْآبَارِ لِتَبْقَى الدُّنْيَا عَامِرَةً إِلَى آخِرِ أَمَدِهَا، فَكَمَا غَرَسَ غَيْرُكَ مَا شَبِعْتَ بِهِ؛ فَاغْرِسْ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى فَضْلَ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِطْعَامِ النَّاسِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَوْفِيرِ الْأَقْوَاتِ، وَكَمَا يَدُلُّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ عَمَلَ الْإِنْسَانِ الْخَيْرَ بِيَدِهِ أَمْرٌ مَحْمُودٌ.
-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَضُّ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ الْعَمَلِ فِي الْخَيْرِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْعُمُرِ.

•وَلَقَدْ كَانَ مَنْهَجُ السَّلَف الصَّالِحِ الْمُسَارَعَةَ فِي الْخَيْرَاتِ لِذَلِكَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنَّهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَأَثْنَى عَلَى عَبْدِهِ زَكَرِيَّا وَآلِ بَيْتِهِ: { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } (الأنبياء: ٩٠).

-{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى } النَّبِيَّ الْكَرِيم، الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا.{ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ } بَعْدَمَا كَانَتْ عَاقِرًا، لَا يَصْلُحُ رَحِمُهَا لِلْوِلَادَةِ فَأَصْلَحَ اللَّهُ رَحِمَهَا لِلْحَمْلِ، لِأَجْلِ نَبِيِّهِ زَكَرِيَّا، وَهَذَا مِنْ فَوَائِدِ الْجَلِيسِ، وَالْقَرِينِ الصَّالِحِ، أَنَّهُ مُبَارَكٌ عَلَى قَرِينِهِ، فَصَارَ يَحْيَى مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْوَالِدَيْنِ.

-وَلَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، كُلًّا عَلَى انْفِرَادِهِ، أَثْنَى عَلَيْهِمْ عُمُومًا فَقَالَ: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ }- أَيْ:

يُبَادِرُونَ إِلَيْهَا وَيَفْعَلُونَهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْفَاضِلَةِ، وَيُكَمِّلُونَهَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ الَّذِي يَنْبَغِي وَلَا يَتْرُكُونَ فَضِيلَةً يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، إِلَّا انْتَهَزُوا الْفُرْصَةَ فِيهَا، { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا }- أَيْ:

يَسْأَلُونَنَا الْأُمُورَ الْمَرْغُوبَ فِيهَا، مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَتَعَوَّذُونَ بِنَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَرْهُوبِ مِنْهَا، مِنْ مَضَارِّ الدَّارَيْنِ، وَهُمْ رَاغِبُونَ رَاهِبُونَ لَا غَافِلُونَ، لَاهُونَ وَلَا مُدِلُّونَ، { وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }- أَيْ: خَاضِعِينَ مُتَذَلِّلِينَ مُتَضَرِّعِينَ، وَهَذَا لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ.

-وَقَدْ كَانَ هَذَا حَالَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَدْ قَالَ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

{ صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ:

ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ }.(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

-وَالتِّبْرُ هُوَ الذَّهَبُ وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ ذَهَبُ الصَّدَقَةِ، وَالْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ: يَحْبِسُنِي أَيْ: مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَيْ يَصِيرُ شَاغِلًا لِي.

-ويستفاد من الحديث مبادرته إلى فعل الخير وأن من وجب عليه فرض فالأفضل له مبادرته إليه.
-وكان-صلى الله عليه وسلم-يحث أمته على المبادرة إلى فعل الخيرات، فقال: { بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا }.(رواه مسلم).
-وهنا يأمر النبي-صلى الله عليه وسلم- المؤمنين بالمسابقة إلى الخيرات والمسارعة بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن التي تكثر في آخر الزمان، أو قبل الانشغال عن الأعمال الصالحة بالشواغل والفتن التي تثبط العامل.
-وقال-صلى الله عليه وسلم-:
{ بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا، أو موتا مجهزا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر }.(رواه الترمذي).
-وكان أبو بكر بن عياش يقول:{ لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول: إنا لله، ذهب درهمي، وهو يذهب عمره، ولا يقول: ذهب عمري، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات، ويحفظون الساعات، ويلازمونها بالطاعات }.
-لقد كانت للسلف حالات عجيبة من المبادرة إلى الخيرات وفعل الصالحات، فمنهم من كان يسرد الصوم، ومنهم من يقوم الليل، ومنهم من يختم القرآن كل ليلتين، وقد قال الربيع رحمه الله:{ واعلم أن الراحة لا تنال بالراحة ومعالي الأمور لا تنال بالفتور، ومن زرع حصد ومن جد وجد }.
-عندما خرج النبي-صلى الله عليه وسلم- ومعه أبو بكر وعمر رأوا رجلا يصلي في المسجد، قال عمر:
فلما كدنا أن نعرفه قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:{ من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد . قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول له:

سَلْ تُعْطَه سَلْ تُعْطَه }. قَالَ عُمَرُ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–:{ قُلْتُ: وَاللَّه لَأَغْدُونَّ إِلَيْه فَلَأُبَشِّرَنَّهُ، قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَيْه لِأُبَشِّرَهُ فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ، وَلَا وَاللَّهِ مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا وَسَبَقَنِي إِلَيْه }.(رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ).

-وَهَذَا أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ، لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:{ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً }.(الْبَقَرَة: ٢٤٥).قَالَ لِلرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: وَإِنَّ اللَّهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:{ نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ، قَالَ:

أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّه، فَنَاوَلَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَدَهُ، فَقَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَائِطِي –أَيْ بُسْتَانِي، وَكَانَ فِيهِ ٦٠٠ نَخْلَةٍ– وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا، فَنَادَاهَا:

يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَخْرُجِي مِنْ الْحَائِطِ: يَعْنِي: أَخْرُجِي مِنْ الْبُسْتَانِ فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ أَنَّ امْرَأَتَهُ لَمَّا سَمِعَتْهُ يُنَادِيهَا عَمَدَتْ إِلَى صِبْيَانِهَا تُخْرِجُ التَّمْرَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وَتَنْفُضُ مَا فِي أَكْمَامِهِمْ. تُرِيدُ بِفِعْلِهَا هَذَا الْأَجْرَ كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ اللَّه. لِذَلِكَ كَانَتْ النَّتِيجَةُ لِهَذِهِ الْمُسَارَعَةِ أَنْ قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:

{ كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ–أَيْ: مُثْمِرٍ وَمُمْتَلِئٍ– فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ }.(رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِه:١٢٤٩٠).

-وَأَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–؛ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ:{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }.(آل عِمْرَانَ: ٩٢).

وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَكَانَتْ حَدِيقَةً يَدْخُلُهَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَيَسْتَظِلُّ بِهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَهِيَ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، أَرْجُو بِرَّهَا وَذَخِيرَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:

{ بخٍ يَا أَبَا طَلْحَةَ، ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَاكَ مَا رَابِحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فَاجْعَلْهُ فِي الْأَقْرَبِينَ، فَتَصَدَّقَ بِهِ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى ذَوِي رَحِمِهِ }.(رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ:١٤٦١،وَمُسْلِمٌ:٩٩٨).

-وَهَذِهِ صُورَةٌ مُشْرِقَةٌ، وَلَوْحَةٌ رَائِعَةٌ يُزَيِّنُهَا مُسَارَعَةُ الصَّحَابَةِ، وَمُبَادَرَتُهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ. فَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ نَتَصَدَّقَ، وَوَافَقَ ذَلِكَ مِنِّي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ. قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ فَقُلْتُ: مِثْلَهُ. وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَهُ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ عُمَرُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا }. (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ:١٦٧٨،وَالتِّرْمِذِيُّ:٣٦٧٥).

•فَالْمُؤْمِنُ الْفَطِنُ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْفَاسَهُ مَعْدُودَةٌ، وَسَاعَاتِ إِقَامَتِهِ فِي الدُّنْيَا مَحْدُودَةٌ، وَيُدْرِكُ أَنَّ الْحَيَاةَ فُرَصٌ، مَنْ اغْتَنَمَ هَذِهِ الْفُرَصَ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ، فَازَ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا خَابَ وَخَسِرَ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ بَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَالْمُسَارَعَةُ فِي الْخَيْرِ وَلَا يَنْتَظِرُ جَنِيَ الثَّمَرَةِ قَدْ يَجْنِيهَا غَيْرُهُ وَلَهُ الْأَجْرُ وَعَظِيمُ الثَّوَابِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.(النَّحْلِ:٩٧).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ } فَإِنَّ الْإِيمَانَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَقَبُولِهَا، بَلْ لَا تُسَمَّى أَعْمَالًا صَالِحَةً إِلَّا بِالْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مُقْتَضٍ لَهَا، فَإِنَّهُ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ الْمُثْمِرُ لِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } وَذَلِكَ بِطُمَأْنِينَةِ قَلْبِهِ، وَسُكُونِ نَفْسِهِ، وَعَدَمِ الْتِفَاتِهِ لِمَا يُشَوِّشُ عَلَيْهِ قَلْبَهُ، وَيَرْزُقُهُ اللَّهُ رِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .

{ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ } فِي الْآخِرَةِ { أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } مِنْ أَصْنَافِ اللَّذَّاتِ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ،فَيُؤْتِيهِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً.

•{ حُكِيَ أَنَّ كِسْرَى خَرَجَ يَوْمًا يَتَصَيَّدُ فَوَجَدَ شَيْخًا كَبِيرًا يَغْرِسُ شَجَرَ الزَّيْتُونِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا، أَنْتَ شَيْخٌ هَرِمٌ وَالزَّيْتُونُ لَا يُثْمِرُ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَلِمَ تَغْرِسُهُ؟! فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، زَرَعَ لَنَا مَنْ قَبْلَنَا فَأَكَلْنَا، فَنَحْنُ نَزْرَعُ لِمَنْ بَعْدَنَا فَيَأْكُلُ، فَقَالَ لَهُ كِسْرَى: زِهْ – وَكَانَتْ عَادَةُ مُلُوكِ الْفُرْسِ إِذَا قَالَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ أَعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ

– فَأَعْطَاهَا الرَّجُلُ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، شَجَرُ الزَّيْتُونِ لَا يُثْمِرُ إِلَّا فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهَذِهِ الزَّيْتُونَةُ قَدْ أَثْمَرَتْ فِي وَقْتِ غِرَاسِهَا، فَقَالَ كِسْرَى: زِهْ، فَأَعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، شَجَرُ الزَّيْتُونِ لَا يُثْمِرُ إِلَّا فِي الْعَامِ مَرَّةً، وَهَذِهِ قَدْ أَثْمَرَتْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ! فَقَالَ لَهُ: زِهْ، فَأَعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ أُخْرَى، وَسَاقَ جَوَادَهُ مُسْرِعًا وَقَالَ: إِنْ أَطَلْنَا الْوُقُوفَ عِنْدَهُ نَفِدَ مَا فِي خَزَائِنِنَا }.(يُنْظَرُ:فَيْضُ الْقَدِيرِ:٣/٣٠).

•فَاللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ رَقَدَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنَا فِي طَاعَتِكَ،اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ السَّابِقِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، الْمُسَارِعِينَ فِي الطَّاعَاتِ،اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْآخِرَةِ،وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٦)

سُجُودُ السَّهْوِ ضَوَابِطُ وَأَحْكَام



أبُو أحْمَدَ سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحمْدُ للَّه الَّذي جَعَل الصلَّاَة عِماَدَ الدِّين، وجَعَلَها كِتَابًا موْقُوتًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ،وَأَلْزَمَ بِهَا الْمُسْلِمين وَحَثَّهُمْ عَلَيْهَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ فَقَال تَعَالَى:
{حَافظُوا عَلَى الصلَّوَات وَالصلَّاَة الْوُسْطَى وَقُومُوا للَّه قَانِتِين}،أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُتَفَضِّلُ الْبَرُّ الْجَوَاد،وَأَشْكُرُهُ عزَّ وَجَلَّ عَلَى إنْعَامه الَّذي ما لَهُ منْ نَفَاد،وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعَلَى آله وَأَصحَابه وَالتَّابِعين وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يوْمِ الدين.

أَمَّا بَعْدُ:
•فَهَذِه رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَة بِ(سُجُودِ السَّهْو فِي الصلَّاة) عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { سُجُودُ السَّهْو ضَوَابِطُ وَأَحْكَامٌ } هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّه التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا: تَعْرِيفُ سُجُودِ السَّهْو:
-سُجُودُ السَّهْو: سَجْدَتَانِ يَسْجُدُهُمَا الْمُصَلِّي فِي آخرِ الصلَّاة؛ لِتَعْوِيضِ الْخَلَلِ أَوْ النَّقْصِ الَّذي وَقَعَ فِي صَلَاته سَهْوًا وَخَطَأً لَا عَمْدًا.

•ثَانيًا: الْحِكْمَةُ مِنْ سُجُودِ السَّهْو:
-شُرِعَ سُجُودُ السَّهْوِ لِجَبْرِ النَّقْصِ فِي الصلَّاة عِنْدَ النِّسْيَانِ بِالزِّيَادَةِ أَوْ النُّقْصَانِ أَوْ الشَّكِّ وَفِيهِ بَيَانٌ لِمَبْدَأِ الْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرَجِ وَهُوَ طَاعَةٌ لِلرَّحمَنِ وَتَرْغِيمٌ لِلشَّيْطَانِ.

•ثَالثًا: حُكْمُ سُجُودِ السَّهْو:
-سُجُودُ السَّهْوِ مَشْرُوعٌ لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحه بِرَقْمِ(٥٧١) منْ حَديث أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:{إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاته، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ}،وَلِمَا

أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمٍ(٤٠١)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ:

صَلَّى النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ – فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟

قَالَ:{ وَمَا ذَاكَ، قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ:إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنَّهُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ }.

•رَابِعًا: أَحَادِيثُ السَّهْوِ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ:

-قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّهْوِ إِذَا قَامَ مِنْ رَكْعَتَيْ الْفَرِيضَةِ:(١٢٢٤)حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ:{ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَنَظَرْنَا تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَلَّمَ }.

(1225)-حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ:{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَامَ مِنْ اثْنَتَيْنِ مِنْ الظُّهْرِ لَمْ يَجْلِسْ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ }.

-بَابُ إِذَا صَلَّى خَمْسًا(١٢٢٦)حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا فَقِيلَ لَهُ: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ:

{ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: صَلَّيْتَ خَمْسًا فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ.

-بَابُ إِذَا سَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ أَوْ فِي ثَلَاثٍ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ مِثْلَ سُجُودِ الصَّلَاةِ أَوْ أَطْوَلَ:(١٢٢٧)حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الظُّهْرَ أَوْ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَقَصَتْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لِأَصْحَابِهِ أَحَقٌّ مَا يَقُولُ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ }قَالَ سَعْدٌ:{ وَرَأَيْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ صَلَّى مِنْ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فَسَلَّمَ وَتَكَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى مَا بَقِيَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-}.

-بَابُ مَنْ لَمْ يَتَشَهَّدْ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ وَسَلَّمَ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ وَلَمْ يَتَشَهَّدَا وَقَالَ قَتَادَةُ:(لَا يَتَشَهَّدُ).(١٢٢٨)حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ؟ فَقَالَ النَّاسُ:

نَعَمْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَصَلَّى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ }،حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ: قُلْتُ لِمُحَمَّدٍ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ تَشَهُّدٌ قَالَ:

لَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

-بَابُ مَنْ يُكَبِّرُ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ(١٢٢٩)حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{ صَلَّى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشَبَةٍ فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَخَرَجَ سَرَعَانُ النَّاسِ فَقَالُوا:

أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ وَرَجُلٌ يَدْعُوهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ: أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتْ؟ فَقَالَ: بَلَى قَدْ نَسِيتَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ

أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ }.

(1230)-حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ الْأَسَدِيِّ حَلِيفِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَامَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ فَلَمَّا أَتَمَّ صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فَكَبَّرَ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَسَجَدَهُمَا النَّاسُ مَعَهُ مَكَانَ مَا نَسِيَ مِنْ الْجُلُوسِ }،تَابَعَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ فِي التَّكْبِيرِ.

-بَابُ إِذَا لَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ(١٢٣١)حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ }.

-بَابُ السَّهْوِ فِي الْفَرْضِ وَالتَّطَوُّعِ وَسَجَدَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–(سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ وِتْرِهِ):(١٢٣٢)حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ }.

•خَامِسًا: شَرْحُ أَحَادِيثِ سُجُودِ السَّهْوِ:

•الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ:

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي صَحِيحِهِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّهْوِ إِذَا قَامَ مِنْ رَكْعَتَيْ الْفَرِيضَةِ:(١٢٢٤)حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ

أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ:

{ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ وَنَظَرْنَا تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَلَّمَ }.

(1225)-حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُحَيْنَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّهُ قَالَ:{ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَامَ مِنْ اثْنَتَيْنِ مِنْ الظُّهْرِ لَمْ يَجْلِسْ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ }.

-شَرْحُ الْحَدِيث:

-الصَّلَاةُ عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ، وَفِيهَا يَقِفُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيَلْزَمُ فِيهَا الْخُشُوعُ وَالتَّدَبُّرُ وَعَدَمُ الِانْشِغَالِ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا، وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْهُو فِيهَا، فَيَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ فِي بَعْضِ أَفْعَالِهَا، وَهَذَا السَّهْوُ يَحْتَاجُ إِلَى مَا يَجْبُرُهُ، وَقَدْ شَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ لِمِثْلِ ذَلِكَ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ ابْنُ بُحَيْنَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَبُحَيْنَةُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى بِهِمْ إِحْدَى الصَّلَوَاتِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهَا كَانَتْ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَلَمَّا قَامَ مِنْ السُّجُودِ الثَّانِي فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، لَمْ يَجْلِسْ لِلتَّشَهُّدِ الْأَوْسَطِ، وَقَامَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ مُبَاشَرَةً، فَمَضَى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْجُلُوسِ وَاسْتَكْمَلَ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ الصَّلَاةِ وَتَشَهَّدَ التَّشَهُّدَ الْآخِرَ، انْتَظَرَ النَّاسُ أَنْ يُسَلِّمَ وَيُنْهِيَ الصَّلَاةَ، وَلَكِنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَبَّرَ وَسَجَدَ لِلسَّهْوِ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّلَاةِ، وَيُشْرَعُ فِي سَجْدَتَيِ السَّهْوِ مَا يُشْرَعُ فِي السُّجُودِ عَامَّةً.

وَفِي الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةُ سُجُودِ السَّهْوِ قَبْلَ التَّسْلِيمِ. وَفِيهِ:

وُقُوعُ السَّهْوِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَفْعَالِ، وَهَذَا غَيْرُ مُخِلٍّ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ الشَّرِيعَةِ.

•الْحَدِيثُ الثَّانِي:

-بَابُ إِذَا صَلَّى خَمْسًا(١٢٢٦)حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا فَقِيلَ لَهُ: أَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: صَلَّيْتَ خَمْسًا فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ}.

-وَفِي رِوَايَةٍ:{ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَمْسًا فَلَمَّا انْفَتَلَ تَوَشْوَشَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ لَا قَالُوا فَإِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا فَانْفَتَلَ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:

{ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَمْسًا، أَيْ: صَلَّى بِهِمْ خَمْسَ رَكَعَاتٍ فِي صَلَاةٍ رُبَاعِيَّةٍ، فَلَمَّا انْفَتَلَ تَوَشْوَشَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ، انْفَتَلَ، أَيْ: انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، تَوَشْوَشَ الْقَوْمُ: تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ مُخْتَلِطٍ لَا يُفْهَمُ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذِهِ الْوَشْوَشَةَ مِنْ الْمُصَلِّينَ سَأَلَهُمْ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟

وَهَذَا سُؤَالٌ بِأَدَبٍ وَلُطْفٍ؛ مُرَاعَاةً لِمَقَامِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: {لَا}، أَيْ: إِنَّ الصَّلَاةَ كَمَا هِيَ لَمْ تَزِدْ فِي الشَّرْعِ، قَالُوا:

فَإِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَمْسًا، أَيْ: خَمْسَ رَكَعَاتٍ بَدَلًا مِنْ أَرْبَعٍ، فَانْفَتَلَ، أَيْ: انْصَرَفَ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، أَيْ: سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ بِسَبَبِ زِيَادَةِ رَكْعَةٍ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ الزِّيَادَةَ فِي الصَّلَاةِ تَقْتَضِي أَنْ يُسْجَدَ لِلسَّهْوِ فَقَطْ، وَأَمَّا النُّقْصَانُ فَيَقْتَضِي الْإِتْيَانَ بِالنَّاقِصِ، ثُمَّ يُسْجَدُ لِلسَّهْوِ. ثُمَّ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ }، أَيْ: يَجْرِي عَلَيَّ أَحْكَامُ الْبَشَرِ مِنْ الْخَطَأِ وَالسَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ بِطَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ .

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- مِنْ أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ عِنْدَ مُرَاجَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

•الْحَدِيثُ الثَّالِثُ:

-بَابُ إِذَا سَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ أَوْ فِي ثَلَاثٍ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ مِثْلَ سُجُودِ الصَّلَاةِ أَوْ أَطْوَلَ:(١٢٢٧)حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

{ صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الظُّهْرَ أَوْ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَقَصَتْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَصْحَابِهِ أَحَقٌّ مَا يَقُولُ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ }.

،قَالَ سَعْدٌ:{ وَرَأَيْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ صَلَّى مِنْ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فَسَلَّمَ وَتَكَلَّمَ ثُمَّ صَلَّى مَا بَقِيَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَقَالَ: هَكَذَا فَعَلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-}.

-بَابُ مَنْ لَمْ يَتَشَهَّدْ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ وَسَلَّمَ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ وَلَمْ يَتَشَهَّدَا وَقَالَ قَتَادَةُ:{لَا يَتَشَهَّدُ}.(١٢٢٨)حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَانِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقَصُرَتْ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ؟ فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَصَلَّى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ }.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ: قُلْتُ لِمُحَمَّدٍ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ تَشَهُّدٌ قَالَ: لَيْسَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

-بَابُ مَنْ يُكَبِّرُ فِي سَجْدَتَيْ السَّهْوِ(١٢٢٩)حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{ صَلَّى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ قَالَ مُحَمَّدٌ:

وَأَكْثَرُ ظَنِّي الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشَبَةٍ فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ وَخَرَجَ سَرَعَانُ النَّاسِ

فَقَالُوا: أَقَصُرَتْ الصلَاةُ ورَجلٌ يدعوهُ النَّبيُّ -صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّم- ذُو الْيدين فقال: أَنَسيتَ أَمْ قَصُرَتْ؟

فَقَالَ: لَمْ أَنْسَ ولَمْ تُقْصَرْ قَالَ: بلَى قَدْ نَسيتَ فَصلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مثْلَ سُجُوده أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ فَسَجَدَ مثْلَ سُجُوده أَوْ أَطْوَلَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-فِي هَذَا الْحَديث يَرْوِي أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- صلَّى بِهِمْ إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعَشِيِّ: الظُّهْرَ أَوِ الْعَصْرَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ فَاتَّكَأَ إِلَى خَشَبَةٍ مَوْضُوعَةٍ بِعَرْضِ الْمَسْجِدِ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه، وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِينَ عَادَتُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا سَرِيعًا بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الصَّلَاةَ أَصْبَحَتْ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- مِمَّنْ صَلَّى خَلْفَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَكِنَّهُمَا خَشِيَا تَكْلِيمَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَهَابَةً وَاحْتِرَامًا لَهُ، فَكَلَّمَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ، فَقَالَ لَهُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسِيتَ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ؟

فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ، وَهَذَا ظَنٌّ مِنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي السَّهْوِ، ثُمَّ سَأَلَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُصَلِّينَ وَرَاءَهُ: هَلْ حَدَثَ أَنِّي صَلَّيْتُ اثْنَتَيْنِ فَقَطْ؟

فَقَالُوا: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ إِلَى مَكَانِ الْإِمَامِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَكْمِيلًا لِلْأَرْبَعَةِ الْمَفْرُوضَةِ، ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ لِلسَّهْوِ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَتَكُونُ السَّجْدَتَانِ جَبْرًا لِلسَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ وَجَبْرِ مَا فَاتَهُ مِنْ نَقْصٍ، كَمَا تَكُونَانِ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَقَصَ شَيْئًا فِي صَلَاتِهِ، فَالشَّيْطَانُ لَبَّسَ عَلَى الْمُسْلِمِ صَلَاتَهُ وَتَعَرَّضَ لِإِفْسَادِهَا وَنَقْصِهَا، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُصَلِّي طَرِيقًا إِلَى جَبْرِ صَلَاتِهِ وَتَدَارُكِ مَا لَبَّسَهُ عَلَيْهِ، وَإِرْغَامِ الشَّيْطَانِ وَرَدِّهِ خَاسِئًا مُبْعَدًا عَنْ مُرَادِهِ، وَكَمُلَتْ صَلَاةُ ابْنِ آدَمَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: أَهَمِّيَّةُ سُجُودِ السَّهْوِ، وَمَشْرُوعِيَّتُهُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ.

•الْحَدِيثُ الرَّابِعُ:

(1230)-حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ بُحَيْنَةَ الْأَسَدِيِّ حَلِيفِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- { أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَامَ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَعَلَيْهِ جُلُوسٌ فَلَمَّا أَتَمَّ صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فَكَبَّرَ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ وَسَجَدَهُمَا النَّاسُ مَعَهُ مَكَانَ مَا نَسِيَ مِنْ الْجُلُوسِ }.تَابَعَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ فِي التَّكْبِيرِ.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكٍ ابْنُ بُحَيْنَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَبُحَيْنَةُ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ:{ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَلَّى بِهِمْ إِحْدَى الصَّلَوَاتِ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهَا كَانَتْ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَلَمَّا قَامَ مِنْ السُّجُودِ الثَّانِي فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، لَمْ يَجْلِسْ لِلتَّشَهُّدِ الْأَوْسَطِ، وَقَامَ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ مُبَاشَرَةً، فَمَضَى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْجُلُوسِ وَاسْتَكْمَلَ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ الصَّلَاةِ وَتَشَهَّدَ التَّشَهُّدَ الْآخِرَ، انْتَظَرَ النَّاسُ أَنْ يُسَلِّمَ وَيُنْهِيَ الصَّلَاةَ، وَلَكِنَّهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَبَّرَ وَسَجَدَ لِلسَّهْوِ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّلَاةِ، وَيُشْرَعُ فِي سَجْدَتَيِ السَّهْوِ مَا يُشْرَعُ فِي السُّجُودِ عَامَّةً }.

-وَفِي الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةُ سُجُودِ السَّهْوِ قَبْلَ التَّسْلِيمِ.

وَفِيهِ: وُقُوعُ السَّهْوِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْأَفْعَالِ، وَهَذَا غَيْرُ مُخِلٍّ بِمَقَامِ النُّبُوَّةِ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْ الشَّرِيعَةِ.

•الْحَدِيثُ الْخَامِسُ:

-بَابُ إِذَا لَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ(١٢٣١)حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدَّسْتَوَائِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّى

يظَلَّ الرَّجلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صلَّى فَإِذَا لَمْ يَدرِ أَحدُكمْ كمْ صلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبعًا فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جالسٌ }.

-شَرْحُ الْحَدِيث:

-مَا زَالَ إِبْلِيس مُنْذُ أَنْ طَرَدَه اللَّهُ منْ رَحْمَته يُحَاولُ غَوَايَةَ الْإِنْسَان، ولَكَنَّهُ إِذَا سَمِعَ الْأَذَان وَالْإِقَامَةَ، فَإِنَّه -كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيث- يُدْبِر ويَهْرُبُ وَلَهُ ضُرَاطٌ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذين، لِشدَّة خَوْفه عنْدَ إِدْبَاره، فَإِذَا انْقَضَى الْأَذَانُ رَجَعَ الشَّيْطَانُ إِلَى الْإِنْسَانِ لِيُوَسْوِس إِلَيْه ويُلْهِيَهُ عَنْ أَعْمَال الطَّاعَة، ثُمَّ إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاة، أَيْ:
أُقِيمَ لَهَا هربَ مرَّةً أُخْرَى، وإِنَّمَا يَهْرُبُ لِمَا يَسْمَعُهُ مِنْ شَهَادَة التَّوْحيد وإِقَامَة الشَّرِيعَة كَمَا يَفْعَلُ يَوْمَ عَرَفَةَ؛ وَلِمَا يَرَى منْ اتِّفَاق الْكُلِّ عَلَى شَهَادَة التَّوْحِيد لِلَّه تَعالَى، وَتَنَزُّلِ الرَّحْمَة عَلَيْهِمْ، وَيَأْسه منْ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَمَّا أَعْلَنُوا بِه منْ ذَلكَ؛ وَلِذَلكَ فَإِنَّهُ يَعُودُ بَعْدَ الْأَذَان وَالْإِقَامَة؛ لِيُوَسْوِس لِلْإِنْسَانِ وَهُوَ فِي صلَاته؛ فَيَقُولَ لَهُ:{اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا}.

-يُرِيدُ أَنَّهُ يُذَكِّرُهُ منْ أُمُورِ الدُّنْيَا خَاصَّةً الْأُمُورَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَشْغَلُهُ وَهُوَ خَارِجَ صلَاته، فَيَظَلُّ الشَّيْطَانُ بِالْمُصَلِّي حَتَّى يَلْبس عَلَيْه صلَاتَهُ فَلَا يَدْرِي الْمُصَلِّي كَمْ صلَّى، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى نسيَانه عَدَدَ الرَّكَعَات وَأَجْزَاءً منْ صلَاته، فَيَزِيدُ فِيهَا وَيَنْقُص؛ لِانْشغَاله بِوَسْوَسَة الشَّيْطَان.

-وَفِي الْحَدِيث: فَضْلُ الْأَذَان وَالْإِقَامَة، وَمَا لَهُمَا مِنْ أَثَرٍ فِي هُرُوبِ الشَّيْطَانِ وَبُعْدِه بِوَسَاوِسه عَنْ الْمُسْلِمِ .
-وَفِيه: تَنْبِيهٌ لِلْمُصَلِّي إِلَى الْخُشُوعِ فِي صلَاتِهِ وَصَرْف نَفْسِهِ عَنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، وَأَنْ يَكُونَ مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ
.

•الْحَدِيثُ السَّادِسُ:

-بَابُ السَّهْوِ فِي الْفَرْضِ وَالتَّطَوُّعِ وَسَجَدَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- (سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ وِتْرِهِ): (١٢٣٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّه بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

{ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-حَذَّرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، وَكَانَ كَثِيرًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا يُعَلِّمُهُمُ التَّعَوُّذَ مِنْهُ وَتَجَنُّبَ اتِّبَاعِهِ؛ فَالشَّيْطَانُ قَعَدَ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ طَرِيقٍ لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْقِيَامِ بِهَا كَمَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ، لَا سِيَّمَا الصَّلَاةَ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طَرِيقَةَ التَّعَامُلِ إِذَا نَسَّى الشَّيْطَانُ الْمُصَلِّيَ بَعْضَ صَلَاتِهِ وَشَكَّكَهُ فِيهَا؛ فَيَقُولُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ مُصَلِّيًا جَاءَهُ الشَّيْطَانُ يُرِيدُ أَنْ يَخْلِطَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، وَيُشَكِّكَهُ فِيهَا، فَلَا يَدْرِي كَمْ رَكْعَةً صَلَّاهُ، فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ أَثَرَ هَذِهِ الْوَسْوَسَةِ وَنَسِيَ كَمْ صَلَّى مِنْ رَكَعَاتٍ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَمَا يَنْتَهِي مِنَ التَّشَهُّدِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى الْمُتَيَقَّنِ عِنْدَهُ مِنْ عَدَدِ الرَّكَعَاتِ -وَهُوَ الْعَدَدُ الْأَقَلُّ- وَيُكْمِلَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ لِلسَّهْوِ قَبْلَ السَّلَامِ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: مَشْرُوعِيَّةُ سُجُودِ السَّهْوِ قَبْلَ السَّلَامِ.

•سَادِسًا: أَسْبَابُ سُجُودِ السَّهْوِ:

-مِنْ خِلَالِ النُّصُوصِ السَّابِقَةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا أَنَّ هُنَاكَ ثَلَاثَةَ أَسْبَابٍ لِسُجُودِ السَّهْوِ، وَهِيَ كَمَا يَأْتِي:

(١) الزِّيَادَةُ فِي الصَّلَاةِ:

-إِذَا زَادَ الْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ فِعْلًا وَهُوَ مُتَعَمِّدٌ فَتَبْطُلُ صَلَاتُهُ، أَمَّا إِنْ سَهَا فَزَادَ شَيْئًا وَنَسِيَ الَّذِي زَادَهُ وَلَمْ يَتَذَكَّرْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنِ انْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهِ، فَعَلَيْهِ سُجُودُ السَّهْوِ فَحَسْبُ، وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ، وَإِذَا تَذَكَّرَ الزِّيَادَةَ أَثْنَاءَ الصَّلَاةِ وَجَبَ عَلَيْهِ الرُّجُوعُ عَنْ هَذَا الْخَطَأِ، ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ، وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ، فَمَنْ صَلَّى الظُّهْرَ خَمْسًا وَلَمْ يَتَذَكَّرْ ذَلِكَ إِلَّا فِي التَّشَهُّدِ الْآخِرِ، فَإِنَّهُ يُكْمِلُ التَّشَهُّدَ ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ وَيُسَلِّمُ.

(٢) النَّقْصُ فِي الصلَّاة:

-وتَفْصِيلُ ذَلِكَ فِيمَا يَأْتِي:

(أ) نَقْصٌ فِي الْأَرْكَان:

-إِذَا أَنْقَصَ الْمُصلِّي رُكْنًا مُتَعَمِّدًا تَبْطُلُ صلَاتُهُ، أَمَّا إِنْ كَانَ سَاهِيًا فَعَلَيْه إِعَادَةُ الرَّكْعَةِ؛ لِأَنَّهَا تُعَدُّ بَاطِلَةً بِفِقْدَانِ الرُّكْنِ، ثُمَّ يَسْجُدُ سُجُودَ السَّهْوِ بَعْدَ ذَلِك، وَمِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا نَسِيَ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ الرَّكْعَةِ الْأُولَى ثُمَّ تَذَكَّرَ ذَلِكَ عِنْدَ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فَهُنَا عَلَيْه أَنْ يُلْغِي الرَّكْعَةَ الْأُولَى وَلَا يَحْتَسِبُهَا.

وَيُصلِّي الثَّانِيَةَ وَكَأَنَّهَا الْأُولَى، وَيُكْمِلُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ، وَإِذَا تَذَكَّرَهَا فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى نَفْسِهَا قَبْلَ الِانْتِقَالِ إِلَى الثَّانِيَةِ؛ أَوْ قَبْلَ مَوْضِعِ الرُّكْنِ الَّذِي تَرَكَهُ مِنْ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ يَعُودُ لِأَدَاءِ ذَلِكَ الرُّكْنِ الَّذِي تَرَكَه، وَيُكْمِلُ مَا بَعْدَه بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ، أَمَّا إِذَا لَمْ يُؤَدِّ الْمُصلِّي رُكْنَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ فَإِنَّ صلَاتَهُ بَاطِلَةٌ، لِأَنَّهَا لَمْ تَنْعَقِدْ مُنْذُ الْبِدَايَةِ، سَوَاءٌ تَرَكَهَا سَهْوًا أَمْ عَمَدًا.

(ب) نَقْصٌ فِي الْوَاجِبَات:

-إِذَا لَمْ يُؤَدِّ الْمُصلِّي أَحَدَ وَاجِبَاتِ الصلَّاةِ بِغَيْرِ عَمْدٍ؛ كَمَنْ نَسِيَ التَّشَهُّدَ الْأَوَّلَ، فَإِنَّهُ إِنْ تَذَكَّرَهُ قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَى فِعْلٍ آخَرَ عَلَيْه أَنْ يُؤَدِّيَ ذَلِكَ الْوَاجِبَ وَيُكْمِلَ صلَاتَهُ، أَمَّا إِنْ تَذَكَّرَهُ بَعْدَ انْتِقَالِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ التَّشَهُّدُ، وَمَا عَلَيْه سِوَى أَنْ يَسْجُدَ لِلسَّهْوِ فِي آخِرِ صلَاتِه.

وَإِذَا سَلَّمَ الْمُصلِّي قَبْلَ الِانْتِهَاءِ مِنْ الصلَّاةِ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَطَلَتْ صلَاتُهُ، وَإِذَا كَانَ سَاهِيًا وَلَمْ يَتَذَكَّرْ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَجَبَتْ إِعَادَةُ الصلَّاةِ، وَإِذَا تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّلَامِ مُبَاشَرَةً فَإِنَّهُ يُصلِّي مَا كَانَ قَدْ بَقِيَ لَهُ ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ وَيُسَلِّمُ.

(٣) الشَّكُّ:

-إِذَا شَكَّ الْمُصلِّي فِي صلَاتِه؛ فِي أَنَّهُ صلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، أَوْ هَلْ هُوَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ أَمْ الرَّابِعَةِ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَجَّحَ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَتَيَقَّنَ مِنْهُ؛ بَنَى عَلَيْه وَأَكْمَلَ صلَاتَهُ، ثُمَّ

يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ فِي آخِرِهَا، أَمَّا إِذَا لَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَإِنَّهُ يَبْنِي عَلَى الْأَقَلِّ، وَيُكْمِلُ صَلَاتَهُ ثُمَّ يَسْجُدُ لِلسَّهْوِ.

•سَابِعًا: مَحَلُّ سُجُودِ السَّهْوِ:

-تَعَدَّدَتْ آرَاءُ الْعُلَمَاءِ فِي مَحَلِّ سُجُودِ السَّهْوِ، وَالْخِلَافُ هُنَا يَسِيرٌ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْأَفْضَلِ وَالْأَوْلَى، لَكِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ السُّجُودِ بِالْعُمُومِ، وَنَذْكُرُ آرَاءَهُمْ فِيمَا يَأْتِي:

-الْحَنَفِيَّةُ: يَكُونُ بَعْدَ السَّلَامِ دَائِمًا.

-الْمَالِكِيَّةُ: فَصَّلَ الْمَالِكِيَّةُ فَقَالُوا: قَبْلَ السَّلَامِ إِذَا كَانَ بِسَبَبِ نَقْصٍ أَوْ شَكٍّ، وَبَعْدَ السَّلَامِ إِذَا كَانَ بِسَبَبِ الزِّيَادَةِ.

-الشَّافِعِيَّةُ: سُجُودُ السَّهْوِ قَبْلَ السَّلَامِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

-الْحَنَابِلَةُ: الْخِيَارُ فِي ذَلِكَ لِلْمُصَلِّي نَفْسِهِ.

•كَانَتْ هَذِهِ نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنِ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِـ (سُجُودِ السَّهْوِ) أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَا كَاتِبَهَا وَنَاشِرَهَا وَقَارِئَهَا آمِين.

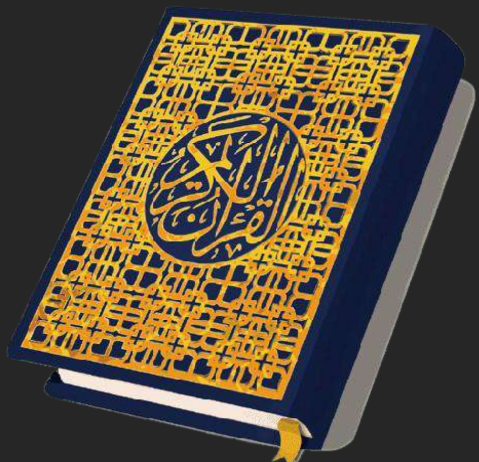
بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٧)

الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ وَتَوْضِيحُ الْمُسَلَّمَاتِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

•الْحَمْدُ لِله رَبِّ الأرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِه لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الألْبَابِ،وَعَدَ عِبَادَهُ
الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيم الثَّوَابِ،وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ
بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لايَخْفَى
عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأصْحَابِ.
أَمَّا بَعْدُ:

•فَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ اخْتَلَطَتْ فِيهِ الْمُسَلَّمَاتُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّى مَفْهُوم الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ،لِذَلِكَ كَانَ لِزَامًا عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ بَيَانُ تِلْكَ الْمُسَلَّمَاتِ ،وَتَوْضِيحُ الْوَاضِحَاتِ حِرْصًا عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ حَتَّى لَا نَرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَتَرَحَّمُ عَلَى كَافِرٍ أَوْ كَافِرَةٍ مَاتَ أَوْ مَاتَتْ عَلَى الْكُفْرِ،أَوْ مُلْحِدٍ أَوْ مُلْحِدَةٍ مَاتَ أَوْ مَاتَتْ عَلَى الْإِلْحَادِ، أَوْ مُشْرِكٍ أَوْ مُشْرِكَةٍ مَاتَ أَوْ مَاتَتْ عَلَى الشِّرْكِ بِاللهِ تَعَالَى،جَرْيًا وَرَاءَ عَاطِفَةٍ لَا تَتَقَيَّدُ بِمَنْهَجِ اللهِ الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ وَتَكْذِيبًا لِكِتَابِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم.-

-فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.(التّوبة:٨٠).

-فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْكُفْرَ مَانِعٌ لِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَالْكَافِرُ لَايَنْفَعُهُ الاسْتِغْفَارُ وَلَا الْعَمَلُ مَادَامَ كَافِرًا.

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ}.(التّوبة:٨٤).

-فَقَدْ نَهَى اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنِ الْوُقُوفِ

عَلَى قَبْرِ أحد مِنَ الْمُنَافقين للدُّعَاء لَه لأنَّ دُعاءَ النَّبِيِّ–صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّمَ–شَفَاعَةٌ ،ومَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْر لَا يَقْبَلُ الله فيه

شَفَاعَةً ،وفِي ذَلِك عِبْرَةٌ لِغَيْرِهم،وزَجْرٌ ونَكَالٌ لَهُمْ،وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ عُلِمَ مِنْهُ الْكُفْر والنِّفَاق لَا يُصَلَّى عَلَيْه ولَا يُتَرَحَّمُ عَلَيْه.

•فَالْإنْسَانُ يَنْقَسِمُ إلَى قِسْمَيْن رَئِيسَيْن:

-الْأَوَّلُ:الْمُسْلِمُ.

-الثَّانِي:الْكَافِرُ.

-وَالْمُسْلِمُ يَنْقَسِمُ إلَى قِسْمَيْن:طَائِع وَهُوَ الْمُؤمِنُ الْمُحْسِنُ الَّذِي عَاشَ عَلَى الْإيمَانِ وَمَاتَ عَلَيْه ، وهَذَا مُخَلَّدٌ فِي الْجَنَّة بِاتِّفَاق،والْمُسْلِمُ الْعَاصِي الَّذِي وقَعَ فِي الْكَبَائِرِ والصَّغَائِر وَمَات ولَمْ يَتُب فَهَذَا فِي الْمَشِيئة إنْ شَاءَ الله عَذَّبَه وإنْ شَاءَ الله عَفَا عَنْهُ لِقَوْلِه تَعالَى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}.(النّساء:٤٨).

وَقَالَ الْإمَامُ الشَّافعِيُّ–رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ–مُبَيِّنًا حُكْمَ مُرْتَكِب الْكَبِيرَة عِنْدَ أهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة:(مَنْ مَاتَ مُصِرًا عَلَى ذَنْبِه فَأمْرُهُ إلَى رَبِّه إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وإنْ شَاءَ عَفَا عَنْه)،فَالْمُسْلِمُ الْعَاصِي لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ وإنْ دَخَلَهَا.

-وَالْكَافِرُ الْكُفْرَ الْأكْبَرَ يَشْمَلُ:الشِّرْكَ الْأكْبَرَ،وَالنِّفَاقَ الْأكْبَرَ، وَالْإلْحَادَ،وَالرِّدَّةَ،فَمَنْ مَاتَ عَلَى هَذَا فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ بِاتِّفَاق.

•وَالْآنَ مَعَ تَصْحِيح الْمَفَاهِيم الْمُتَعَلِّقَة بِالْإيمَانِ وَالْكُفْر:

-الْإيمَانُ وَالْكُفْرُ دِينَانِ مُتَضَادَّان، فَالْإيمَانُ هُوَ: دِينُ الله الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَاده وَخَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ أجْلِه وأعَدَّ لأهْلِه الْهِدَايَةَ فِي الدُّنْيَا والْأمْنَ فِي الْآخِرَة ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}.(الأنعام: ٨٢)، وقال تعالى:{الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ }.(البَقَرَة: ٢٥٧).

-وَالْكُفْرُ هُوَ: دِينُ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ ضَلَالٌ فِي الدُّنْيَا وَشَقَاءٌ فِي الْآخِرَة. كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ لَمْ يَقْبَلُوا هُدَى الله وَأعْرَضُوا عَنْهُ:{الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى

الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.(البقرة: ٢٥٧) وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَابُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الدِّينَيْنِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ.

-فَالْإِيمَانُ هُوَ:الدُّخُولُ فِي دِينِ اللهِ عَنْ رَغْبَةٍ وَانْقِيَادٍ،وَهُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. فَالْعَاصِي بِمَا دُونَ الشِّرْكِ لَا يُسْلَبُ اسْمُ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَةِ وَلَا يُعْطَى اسْمَ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ.

-وَأَمَّا الْكُفْرُ فَهُوَ:الامْتِنَاعُ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ أَوِ الْخُرُوجُ مِنْهُ وَاخْتِيَارُ دِينٍ غَيْرِ دِينِ اللهِ، إِمَّا تَكَبُّراً وَعِنَاداً، وَإِمَّا حَمِيَّةً لِدِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَإِمَّا طَمَعاً فِي عَرَضٍ عَاجِلٍ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَنْصِبٍ.

-وَالْكُفْرُ يَكُونُ بِالتَّكْذِيبِ؛كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

(الأعراف: ١٤٧).

-وَيَكُونُ الْكُفْرُ بِالْقَوْلِ بِاللِّسَانِ؛كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ}.(التَّوبَة: ٧٤)، وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاءِ غَيْرِ اللهِ وَالاسْتِغَاثَةِ بِالْأَمْوَاتِ.

-وَيَكُونُ بِالاسْتِهْزَاءِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ؛كَمَا قَالَ تَعَالَى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥)لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}(.التَّوبَة: ٦٥-٦٦).

-وَيَكُونُ بِالاسْتِكْبَارِ وَالامْتِنَاعِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْلِيسَ:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.(الْبَقَرَة: ٣٤).

-وَيَكُونُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْ دِينِ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ؛كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ}.(الأحقاف: ٣)؛ فَلَا يَتَعَلَّمُ التَّوْحِيدَ وَلَا يَعْرِفُ مَا يُضَادُّهُ.

-وَيَكُونُ الْكُفْرُ بِالْعَمَلِ كَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ وَالسُّجُودِ لِغَيْرِ اللهِ وَعَمَلِ السِّحْرِ وَتَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ؛كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.(الأنعام:١٦٣:١٦٢)،{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.(الحجّ: ٧٧).

-فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الاعْمَالِ لِغَيْرِ اللهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُشْرِكًا كَافِرًا يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ؛ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللهِ.

-وَقَالَ فِي السِّحْرِ:

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.(البَقَرَة:١٠٢)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ الَّذِي يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ كَمَا يَكُونُ بِالاعْتِقَادِ وَالشَّكِّ وَالتَّرَدُّدِ

، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(٣٥)وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا(٣٦)قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً}.(الكهف: ٣٥ – ٣٧)؛ فَلَا يَكُونُ الْكُفْرُ بِالتَّكْذِيبِ فَقَطْ.

-ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْكَافِرُ كَافِرًا أَصْلِيًّا لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ أَصْلاً. وَقَدْ يَكُونُ كَافِرًا كُفْرَ رِدَّةٍ إِذَا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ ارْتَكَبَ نَاقِضاً مِنْ نَوَاقِضِهِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ؛ سَوَاءٌ كَانَ جَادًّا أَوْ هَازِلاً أَوْ قَاصِداً الطَّمَعَ مِنْ مَطَامِعِ الدُّنْيَا مِنَ الْحُصُولِ عَلَى مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ مَنْصِبٍ، إِلَّا مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ قَالَهُ مُكْرَهًا بِقَصْدِ دَفْعِ الْإِكْرَاهِ مَعَ بَقَاءِ قَلْبِهِ عَلَى الْإِيمَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠٦)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ استَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنيَا عَلَى الآْخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.(النَّحل: ١٠٦: ١٠٧).

-قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الْأَوَّابُ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالْوَهَّابِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفًا أَوْ مُدَارَاةً أَوْ مُشَحَّةً بِوَطَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ. أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْمِزَحِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ إِلَّا الْمُكْرَهَ

- وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

الْأُولَى: قَوْلُهُ:{إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ}فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى الْعَمَلِ أَوِ الْكَلَامِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآْخِرَةِ}.(النَّحل: ١٠٧) فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الْكُفْرَ وَالْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ أَوِ الْجَهْلِ أَوِ الْبُغْضِ لِلدِّينِ أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ؛ وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ}. انتهى من:("كشف الشُّبهات":١/١٨١:١٨٠).

-وَقَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لَمَّا ذَكَرَ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ الْعَشَرَةَ:{وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِهِ. نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ}.(انْظُرْ: مَجْمُوعَة رسائل في التَّوحيد والإيمان ص :٣٨٧، والرَّسائل الشَّخصية ص :٢١٤).

••تَنْبِيهٌ:

مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَى ضَرُورَةِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْكُفْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْكُفْرِ عَلَى التَّعْيِينِ،بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ كُفْرِيٌّ،فَتَكْفِيرُ الْمُعَيَّنِ لَابُدَّ لَهُ مِنْ تَوَافُرِ شُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعَ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَهَذَا مَا سَوْفَ نُفْرِدُ لَهُ مَقَالًا إِنْ شَاءَ اللهُ.

•اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

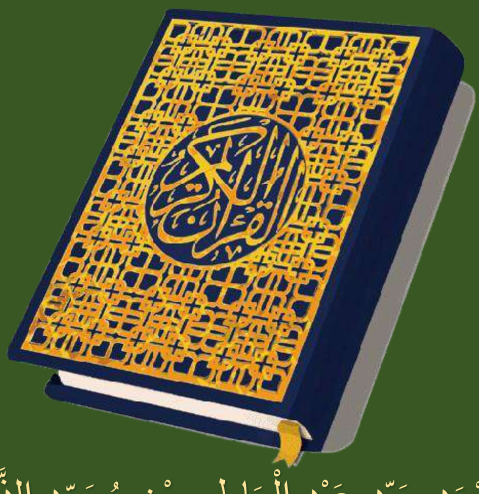
بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٨)

ضَوَابِطُ شَرْعِيَّة فِي مَرْحَلَةِ الاسْتِضْعَافِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}. (الْمُنَافِقُونَ: ٨)، وَالْقَائِلِ سُبْحَانَهُ:

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}. (آلُ عِمْرَانَ: ١٣٩)، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الذَّاكِرِ الشَّاكِرِ لِآلَائِهِ وَصُنُوفِ نِعَمِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَعَلَ الْعِزَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَالذِّلَّةَ لِمَنْ عَصَاهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفْوَةِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ، فَاعْتَرَفُوا بِوِلَايَتِهِ، وَسَعَوْا فِي نَشْرِهِ، وَإِعْلَاءِ بُنْيَانِهِ، وَرَفْعِ لِوَائِهِ .

أَمَّا بَعْدُ:

•فَمِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ مُرَاعَاةُ مَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ وَظُرُوفِهِمْ، وَهِيَ شَرِيعَةٌ تَقُومُ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرَجِ بِحَيْثُ يَجِدُ فِيهَا الْمُسْتَضْعَفُونَ الْمَنْهَجَ الَّذِي يُصْلِحُ أَحْوَالَهُمْ وَيُرَاعِي ظُرُوفَهُمْ حَالَ اسْتِضْعَافِهِمْ، وَيَجِدُ فِيهَا أَهْلُ التَّمْكِينِ وَالْقُوَّةِ مَنْهَجَهُمْ وَمَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، وَلَا شَكَّ لِلْبَصِيرِ الْعَاقِلِ أَنَّ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ فِي وَاقِعِهَا الْمُعَاصِرِ تَمُرُّ بِأَشَدِّ فَتَرَاتِ الِاسْتِضْعَافِ، مِمَّا يَجْعَلُ الْحَاجَةَ مُلِحَّةً لِمَعْرِفَةِ بَعْضِ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ لِحَالَةِ اسْتِضْعَافِهِمْ وَهَذَا مَا يُسَمَّى بِفِقْهِ الِاسْتِضْعَافِ وَإِلَيْكُمُ الْبَيَانُ:

•أَوَّلًا: الْحِكْمَةُ مِنَ الِابْتِلَاءِ:

-لَقَدْ خَلَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَسَنَّ فِينَا سُنَّةَ الِابْتِلَاءِ بِالسَّرَّاءِ تَارَةً لِيَسْتَخْرِجَ مِنَّا عِبَادَةَ الشُّكْرِ، وَبِالضَّرَّاءِ تَارَةً لِيَسْتَخْرِجَ مِنَّا عِبَادَةَ الصَّبْرِ.

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } . (الْبَقَرَةِ: ١٥٥-١٥٧).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }. (الْعَنْكَبُوتِ: ٢-٣).

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }. (الْمُلْك: ١-٢).
-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ }. (الْفَجْر: ١٥-١٦).
-وَوَعَدَ الصَّابِرِينَ بِالْعَطَاءِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حَدَّهُ وَعَدَّهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ تَعَالَى: { قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }. (الزُّمَر: ١٠).

-وَفِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (٩١٨)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:
{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا قَالَتْ:
فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ:
إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ }.

-وَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَسَلُّطِ أَعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ وَذَلِكَ لِلابْتِلَاءِ وَالتَّمْحِيصِ وَلِتَمْيِيزِ الْخَبِيثِ مِنَ الطَّيِّبِ وَهَذَا مُقْتَضَى سُنَّةِ الْمُدَافَعَةِ وَالصِّرَاعِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
{ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }. (الْأَنْعَامِ: ١١٢).

-وَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَسْلِيطِ أَعْدَائِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَاسْتِضْعَافِهِمْ لَهُمْ لِجُوءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ إِلَى رَبِّهِمْ وَدُعَائِهِمْ لَهُ وَيَقْظَةِ الْغَافِلِينَ وَاسْتِثَارَةِ هِمَمِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ فِي مُوَاجَهَةِ وَمُدَافَعَةِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ وَبَقَاءِ جَذْوَةِ الدِّينِ مُشْتَعِلَةً.

إِذَنْ فَفِي بَاطِنِ الِاسْتِضْعَافِ وَكَثْرَةِ الْمِحَنِ حِكَمٌ وَمِنَحٌ لِمَنْ فَقِهَهَا.

•ثَانِيًا: مَفْهُومُ الِاسْتِضْعَافِ:

-الِاسْتِضْعَافُ هُوَ الْحَالَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْفَرْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْجَمَاعَةُ الْمُسْلِمَةُ أَوِ الدَّوْلَةُ الْمُسْلِمَةُ ضُعَفَاءَ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ وَشَعَائِرِهِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا بِسَبَبِ عَدُوٍّ أَوْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، وَالضَّوَابِطُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي تَبْحَثُ فِيمَا تَقْتَضِيهِ حَالُ الِاسْتِضْعَافِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجُوزُ لَهُمْ فِعْلُهُ وَمَا لَا يَجُوزُ تُسَمَّى (فقه الاستضعاف)

•ثَالِثًا: الْقُرْآنُ وَبَيَانُ حَالِ الْمُسْتَضْعَفِينَ:

-وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنْ فَتْرَةِ الِاسْتِضْعَافِ وَحَالِ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) قَالَ الله تَعَالَى:{ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }. (الْأَنْفَال: ٢٦).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي تَفْسِيرِهَا:

{ يَقُولُ تَعَالَى مُمْتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ فِي نَصْرِهِمْ بَعْدَ الذِّلَّةِ، وَتَكْثِيرِهِمْ بَعْدَ الْقِلَّةِ،وَإِغْنَائِهِمْ بَعْدَ الْعَيْلَةِ { وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ } أَيْ: مَقْهُورُونَ تَحْتَ حُكْمِ غَيْرِكُمْ { تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ } أَيْ: يَأْخُذُونَكُمْ.

{ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ } فَجَعَلَ لَكُمْ بَلَدًا تَأْوُونَ إِلَيْهِ، وَانْتَصَرَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ، وَغَنِمْتُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا كُنْتُمْ بِهِ أَغْنِيَاءَ. { لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } اللَّهَ عَلَى مِنَّتِهِ الْعَظِيمَةِ وَإِحْسَانِهِ التَّامِّ، بِأَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا }.

(٢) وَقَالَ تَعَالَى عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاسْتِضْعَافِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ:

{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ }. (الْقَصَص: ٤–٥).

-أيْ: إنَّ فرعونَ تكبَّرَ وطغى في الْأَرْضِ، وجعلَ أهلَها طوائفَ متفرِّقةً، يستضعفُ طائفةً منهم، وهم بنو إسرائيلَ، يذبحُ أبناءَهم، ويستعبدُ نساءَهم، إنَّه كانَ منَ

الرد على النص السابق مع التشكيل الكامل:

-{ ونريدُ أن نمنَّ على الَّذينَ استضعفُوا في الْأَرْضِ } بأنْ نزيلَ عنْهُمْ موادَّ الاستضعافِ، ونهلكَ منْ قاومهم، ونخذلَ منْ ناوأَهمْ.

{ ونجعلَهم أئمَّةً } في الدِّينِ، وذلكَ لَا يحصلُ معَ استضعافٍ، بلْ لَا بدَّ منْ تمكينٍ في الْأَرْضِ، وقدرةٍ تامَّةٍ، { ونجعلَهمُ الوارثِينَ } للْأَرْضِ، الَّذينَ لهم العاقبةُ في الدُّنْيا قبلَ الْآخرةِ.

(٣) وقالَ سبحانَه:{ إنَّ الَّذينَ توفَّاهمُ الْمَلَائِكَةُ ظالمي أنْفُسِهمْ قالُوا فيمَ كنتُمْ قالُوا كنَّا مستضعفينَ في الْأَرْضِ قالُوا ألَمْ تكنْ أرضُ اللَّه واسعةً فتهاجرُوا فيها فأُولَئكَ مأْواهمْ جهنَّمُ وساءتْ مصيراً (٩٧)إلَّا الْمستضعفينَ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ والْوِلْدانِ لَا يستطيعُونَ حيلةً ولَا يهتدُونَ سبيلًا (٩٨)فأُولَئكَ عسى اللَّهُ أنْ يعفوَ عنهمْ وكانَ اللَّهُ عفوًّا غفوراً }. (النِّساءِ:٩٧-٩٩).

-هذَا الْوعيدُ الشَّديدُ لمنْ تركَ الْهجرةَ معَ قدرتِه عليْهَا حتَّى ماتَ، فإنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذينَ يقبضُونَ روحَه يوبِّخُونَه بهذَا التَّوبيخِ الْعظيمِ، ويقولُونَ لهمْ:

{ فيمَ كنتُمْ }- أيْ: علَى أيِّ حالٍ كنتُمْ؟

وبأيِّ شيءٍ تميَّزتُمْ عنِ الْمشركينَ؟ بلْ كثَّرتُمْ سوادَهمْ، وربَّما ظاهرتُموهُمْ علَى الْمؤمنينَ، وفاتَكُمُ الْخيرُ الْكثيرُ، والْجهادُ معَ رسولِه، والْكونُ معَ الْمسلمينَ، ومعاونتُهم علَى أعدائِهمْ.

{ قالُوا كنَّا مستضعفينَ في الْأَرْضِ }- أيْ:

ضعفاءَ مقهورينَ مظلُومينَ، ليسَ لنَا قدرةٌ علَى الْهجرةِ. وهمْ غيرُ صادقينَ في ذلكَ لأنَّ اللَّهَ وبَّخهمْ وتوعَّدهمْ، ولَا يكلِّفُ اللَّهُ نفساً إلَّا وسعَها، واستثْنَى الْمستضعفِينَ حقيقةً.

وَلِهَذَا قَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: { أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا } وَهَذَا اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ، أَيْ: قَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ أَنَّ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، فَحَيْثُمَا كَانَ الْعَبْدُ فِي مَحَلٍّ لَا يَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ دِينِهِ، فَإِنَّ لَهُ مُتَسَعًا وَفُسْحَةً مِنَ الْأَرْضِ يَتَمَكَّنُ فِيهَا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } قَالَ اللَّهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ: { فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ، فِيهِ ذِكْرُ بَيَانِ السَّبَبِ الْمُوجِبِ، فَقَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مُقْتَضَاهُ، مَعَ اجْتِمَاعِ شُرُوطِهِ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ، وَقَدْ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ. وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْهِجْرَةَ مِنْ أَكْبَرِ الْوَاجِبَاتِ، وَتَرْكَهَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، بَلْ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ تُوُفِّيَ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ وَاسْتَوْفَى مَا قُدِّرَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ وَالْأَجَلِ وَالْعَمَلِ، وَذَلِكَ مَأْخُوذٌ مِنْ لَفْظِ "التَّوْفِيَةِ" فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ لَوْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُتَوَفِّيًا. وَفِيهِ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَمَدْحُهُمْ، لِأَنَّ اللَّهَ سَاقَ ذَلِكَ الْخِطَابَ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيرِ وَالِاسْتِحْسَانِ مِنْهُمْ، وَمُوَافَقَتِهِ لِمَحَلِّهِ. -ثُمَّ اسْتَثْنَى الْمُسْتَضْعَفِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، الَّذِينَ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْهِجْرَةِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ { وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا }.

-{ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا } وَ (عَسَى) وَنَحْوُهَا وَاجِبٌ وُقُوعُهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمُقْتَضَى كَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَفِي التَّرَجِّي بِالثَّوَابِ لِمَنْ عَمِلَ بَعْضَ الْأَعْمَالِ فَائِدَةٌ، وَهُوَ أَنَّهُ قَدْ لَا يُوَفِّيهِ حَقَّ تَوْفِيَتِهِ، وَلَا يَعْمَلُهُ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ الَّذِي يَنْبَغِي، بَلْ يَكُونُ مُقَصِّرًا فَلَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ الثَّوَابَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَفِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمَأْمُورِ مِنْ وَاجِبٍ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْعَاجِزِينَ عَنِ الْجِهَادِ:

{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ } وَقَالَ فِي عُمُومِ الْأَوَامِرِ: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } وَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ } وَلَكِنْ لَا يُعْذَرُ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِذَا بَذَلَ جُهْدَهُ وَانْسَدَّتْ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الْحِيَلِ لِقَوْلِهِ:

{ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً } وَفِي الْآيَةِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الدَّلِيلَ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَنَحْوِهِمَا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى سَفَرٍ مِنْ شُرُوطِ الِاسْتِطَاعَةِ.

(٤) وقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:{ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا }. (النِّسَاء: ٧٥).

-هَذَا حَثٌّ مِنْ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَهْيِيجٌ لَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ قَدْ تَعَيَّنَ عَلَيْهِمْ، وَتَوَجَّهَ اللَّوْمُ الْعَظِيمُ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِهِ، فَقَالَ: { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وَالْحَالُ أَنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ نَالَهُمْ أَعْظَمُ الظُّلْمِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، فَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا لِأَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِالْأَذَى وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ الدَّعْوَةِ لِدِينِهِمْ وَالْهِجْرَةِ.

وَيَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ وَلِيًّا وَنَصِيرًا يَسْتَنْقِذُهُمْ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، فَصَارَ جِهَادُكُمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ بَابِ الْقِتَالِ وَالذَّبِّ عَنْ عِيَالَاتِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَمَحَارِمِكُمْ، لَا مِنْ بَابِ الْجِهَادِ الَّذِي هُوَ الطَّمَعُ فِي الْكُفَّارِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَيُلَامُ الْمُتَخَلِّفُ عَنْهُ أَعْظَمَ اللَّوْمِ، فَالْجِهَادُ الَّذِي فِيهِ اسْتِنْقَاذُ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْكُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا وَأَكْبَرُ فَائِدَةٍ، بِحَيْثُ يَكُونُ مِنْ بَابِ دَفْعِ الْأَعْدَاءِ.

-رَابِعًا: أَهَمُّ مَظَاهِرِ الِاسْتِضْعَافِ:

-لِلِاسْتِضْعَافِ مَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهَمِّهَا:

(1)وُقُوعُ قَتْلٍ أَوْ سِجْنٍ أَوْ تَعْذِيبٍ.

(2)عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى إِظْهَارِ شَعَائِرِ الدِّينِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا.

(3)عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى إِنْكَارِ الْمُنْكَرَاتِ، مِنْ تَرْكٍ لِلْوَاجِبَاتِ أَوْ فِعْلٍ لِلْمُحَرَّمَاتِ.

(4)قِلَّةُ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَمُحَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهِمْ فِي دَعْوَتِهِمْ وَأُمُورِهِمْ الْخَيْرِيَّةِ.

(5)عَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْهِجْرَةِ بِمَنْعِ السَّفَرِ.

(6)عدَمُ الْقُدْرَةِ علَى مُواجهةِ الْأَعْدَاءِ بسببِ تَفَاوُتِ موازِينِ الْقُوَى بحَيْثُ تَعُدُّ الْمواجهةُ الْحَرْبِيَّةُ انْتحارًا وَإِبَادَةً لِلْمُسْلِمين دُون نكايةٍ فِي الْأَعْدَاءِ.

-مَعَ التَّنْبِيه علَى الْآتي:

-هُناكَ تَفَاوُتٌ فِي قُدْرَات الْمُسْتَضْعَفين حَسَبَ ضَعْفِ إِيمَانِهِمْ وَتَحَمُّلِهِمْ، وَوُجُوبُ التَّحقُّق من وُقُوعِ الضَّرَرِ الْمُرَخِّص لارْتِكَاب الْمَحْظُور، وَالتَّفْرِيق بَيْنَ استضعاف الْعَالمِ الْمَتْبُوع واستضعَافِ غيرِه، وأَنَّ الضَّرُورةَ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا لِقَوْلِه تَعَالَى: { غير باغٍ ولَا عادٍ }.

، مع الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَقْدِيرِهَا ومَدَى تَحَقُّقِهَا، وأَنْ تَنْعَدِمَ الْوَسَائِلُ الْأُخْرَى لِمُوَاجَهَةِ الاستِضْعَاف، مع عدمِ الرُّكُون إِلَى حَالَةِ الاستضعَاف وكَأَنَّهَا حَالَةٌ دائمةٌ بلْ يُنْظَرُ إِلَيْهَا أَنَّهَا مُؤَقَّتَةٌ ويسعَى إِلَى رفْعِهَا ودَفْعِهَا وَإِعْدَاد الْعُدَّة لذَلك، وإِذَا كَانَ فِي الاستضعَاف إِكْرَاهٌ تُرَاعى شُرُوطُ الْإِكراه وضوابطُه، وَأَلَّا تُوقِع رُخَصُ الاستضعَاف فِي مُخَالَفَة أَصلٍ منْ أُصُول الشَّرِيعَة ومَبَادِئِهَا الْعَامَة أَو التَّلْبِيس عَلَى الْأُمَّة بِتَحْسِين الْبَاطلِ وتَقْبِيحِ الْحَقِّ أَوِ الْعُدْوانِ علَى الْأَنْفُسِ وَالْأَموالِ وَالْأَعرَاضِ.

•خَامِسًا:السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ وفِقْهُ الاستضعَاف:

-وَرَدَتْ مواقفُ كَثِيرةٌ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة تُوَضِّحُ فقهَ الاستضعَاف أَذْكُرُ منْهَا:

(1)تَرْكُهُ–صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– الْأَصْنَام فِي جوف الْكَعْبَة طيلَةَ الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ دُونَ تَحطيمٍ لِأَنَّه وَقْتُ استضعَافٍ، ثُمَّ تَحْطِيمُهُ لَهَا فِي فَتْحِ مَكَّةَ عِنْدَ التَّمكُّن.

(2)كَفُّ الْيَدِ عَنْ الْقِتَال فِي مكَّة وَالصَّبْرُ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِين وسُخْرِيَتِهِم لِأَنَّهَا مُدَّةُ اسْتِضْعَافٍ وَلَا قُدْرَةَ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكُفَّارِ ثُمَّ فَرْضُهُ لِلْجِهَادِ فِي الْمَدِينَة عِنْدَ التَّمَكُّن.

(3)كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْتَهْزِئُونَ بِالنَّبِيِّ–صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ– وَيَضَعُونَ سَلَا الْجَزُورِ عَلَى رَأْسه الشَّرِيف وَهُوَ سَاجِدٌ، ومع ذَلِك لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِم بَلْ صَبَرَ وَصَبَّرَ أَصْحَابَهُ، مُرَاعَاةً لِحَالِ الاستضعَاف. بَيْنَمَا فِي حَالِ التَّمَكُّن فِي الْمَدِينَة انْتَدَبَ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ مَنْ يَقْتُلُهُ حِينَمَا سَبَّ النَّبِيَّ–صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–وَتَشَبَّبَ بِنِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

(4)كَانَ آلُ يَاسرٍ يُعَذَّبُونَ فِي مَكَّةَ وَتُرْمَى أُمُّ عَمَّارٍ بِرُمْحٍ فِي عِفَّتِهَا وَتَمُوتُ وَالنَّبِيُّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَصْحَابُهُ يَسْمَعُونَ وَيَرَوْنَ ثُمَّ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: {صَبْرًا آلَ يَاسرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ}. لِأَنَّهُمْ فِي حَالِ اسْتِضْعَافٍ. بَيْنَمَا نَرَاهُمْ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ التَّمَكُّنِ لَمْ يَصْبِرْ ذَاكَ الصَّحَابِيُّ الَّذِي رَأَى يَهُودِيًّا فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ يَرْبُطُ ثَوْبَ امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ وَرَاءَهَا حَتَّى بَدَتْ عَوْرَتُهَا حَيْثُ قَامَ إِلَيْهِ وَقَتَلَهُ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِجْلَاءِ يَهُودِ بَنِي قَيْنُقَاعَ مِنْ الْمَدِينَةِ.

(5)وَأَوْضَحُ الْأَمْثِلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَرَاحِلُ فَرْضِ الْجِهَادِ فَبَيْنَمَا أُمِرَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ بِكَفِّ الْيَدِ وَتَرْكِ الْقِتَالِ جَاءَ الْإِذْنُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي رَدِّ الْمُعْتَدِي ثُمَّ خُتِمَ بِفَرْضِ الْجِهَادِ وَفَتْحِ الْبِلَادِ حَتَّى كَانَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ حِينَ حَصَلَتِ الْقُوَّةُ وَالتَّمْكِينُ.

•وإِلَيْكُم صور من ثبات النَّبيِّ–صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم–وَأَصْحَابِه–رضي الله عنهم–في مكّة زمن الاستضغاف:

-لَقَدْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَتَعَرَّضَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ لِلإِيذَاءِ وَالتَّنْكِيلِ وَشَتَّى أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرِيَ النَّاسَ مِنْ عَجَائِبِ تَحَمُّلِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَا تَمَثَّلَ فِي الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ فِي أَحْسَنِ بَلَاءٍ لِيَكُونَ هَذَا لِلنَّاسِ أُسْوَةً فِيمَا يَفْعَلُونَ أَوْ يَتْرُكُونَ، وَكَانَ هَذَا لِلتَّمْحِيصِ وَبَيَانِ أَنَّ النَّصْرَ يَحْتَاجُ إِلَى ثَبَاتٍ وَبَذْلٍ وَتَضْحِيَةٍ وَأَنَّهُ بَعْدَ الضِّيقِ وَالشِّدَّةِ يَأْتِي الْفَرَجُ، وَبَعْدَ الْعُسْرِ يَأْتِي الْيُسْرُ.

-قَالَ تَعَالَى :{ فَإِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥) إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }(الشَّرح:٥-٦ .)

-وَإِلَيْكُم بَعْضُ صُوَرِ الابْتِلَاءِ الَّتِي تَعَرّضَ لَهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَصَحْبُهُ الْغُرُّ الْمَيَامِينُ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ــ:

(أ) فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قَالَ :{ بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ ــ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ :

أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي؟ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ * آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ فَلَمَّا سَجَدَ

رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَتَ النَّبِيُّ سَاجِدًا فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ ــ عَلَيْهَا السَّلَامُ ــ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ الصَّلَاةَ قَالَ :{ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ } ثُمَّ سَمَّى { اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ } قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ :{ وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً }.(صحيح البخاريِّ بِرَقَم:٥٢٠، وَالْجَزُورُ: أَيْ الْبَعِيرِ أَوِ النَّاقَةِ).

(ب)وَرَوَتْ كُتُبُ السِّيرَةِ أَنَّ عُتَيْبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ أَتَى يَوْمًا رَسُولَ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَالَ : أَنَا أَكْفُرُ بِـ { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى }.(النّجم: ١). وَبِالَّذِي :{ دَنَا فَتَدَلَّى }.(النّجم:٨). ثُمّ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ بِالْأَذَى وَشَقَّ قَمِيصَهُ وَتَفَلَ فِي وَجْهِهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِلَّا أَنّ الْبُزَاقَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ وَحِينَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَقَالَ :{ اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ }وَقَدِ اسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَقَدْ خَرَجَ عُتَيْبَةُ إِثْرَ ذَلِكَ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا نَزَلُوا بِالزَّرْقَاءِ مِنَ الشَّامِ طَافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَجَعَلَ عُتَيْبَةُ يَقُولُ : يَا وَيْلَ أَخِي هُوَ وَاللهِ آكِلِي كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ عَلَيَّ ، قَتَلَنِي وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ ثُمَّ جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَنَامُوا مِنْ حَوْلِهِ وَلَكِنْ جَاءَ الْأَسَدُ وَتَخَطَّاهُمْ إِلَيْهِ فَضَغَمَ رَأْسَهُ }. (دلائل النّبوّة :٥٨٥/٢، ومختصر السّيرة للشّيخ عبدالله النّجديّ ص: ١٣٥) .

(ج) وَأَخْرَجَ الإمام البخاريّ ــ رحمه الله ــ فِي صَحيحه برَقَم(3856)منْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ

خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ }.(غافر: ٢٨). الآيَةَ.

(د) وَتَأَمَّلْ رِحْلَتَهُ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ إِلَى الطَّائِفِ سَيْرًا عَلَى قَدَمَيْهِ جِيئَةً وَذُهُوبًا وَمَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْن حَارِثَة وَكَانَ كُلَّمَا مَرّ عَلَى قَبِيلَةٍ فِي الطَّرِيقِ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ تُجِبْ إِلَيْهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا وَفِي الطَّائِف أَغْرَوا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ وَرَجَمُوا عَرَاقِيبَهُ حَتَّى اخْضَبَّ نَعْلَاهُ بِالدِّمَاءِ وَكَانَ زَيْدُ بْن حَارِثَة يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَصَابَهُ شِجَاجٌ فِي رَأْسِهِ.

-وَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ البخاريّ ــ رحمه الله ــ فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (3231)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنّ عَائِشَةَ ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ:

{لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا }.

-فَتَأَمَّلْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ ــ حَفِظَكَ اللهُ ــ إِذَا كَانَ هَذَا مَعَ رَأْسِ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولِ اللهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَمَا بَالُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسِهِمْ ؟!

(هــ) كَانَ أَبُو جَهْلٍ-عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ-إِذَا سَمِعَ بِرَجُلٍ قَدْ أَسْلَمَ لَهُ شَرَفٌ وَمَنْعَةٌ أَنَّبَهُ وَأَخْزَاهُ وَأَوْعَدَهُ بِإِبْلَاغِ الْخَسَارَةِ الْفَادِحَةِ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ،وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ. (انْظُرْ: سِيرَةَ ابْنِ هِشَام: ١/٣٢٠).

(و) وكَانَ عَمٌ عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ يَلُفُّهُ فِي حَصِيرٍ مِنْ وَرَقِ النَّخِيلِ ثُمَّ يُدَخِّنُهُ مِنْ تَحْتِهِ. (كِتَاب : رَحْمَة الْعَالَمِين ص: ١/٥٧).

(ز) ولَمَّا علِمَتْ أمُّ مُصْعَب بْن عُمَيْرٍ بإِسْلَامه منَعَتْهُ الطَّعَام وَالشَّرَاب وَأخْرَجَتْهُ مِنْ بَيْتِهِ وكَانَ مِنْ أنْعَمِ النَّاسِ عَيْشًا فتَخَشَّفَ جِلْدُهُ تَخَشُّفَ الْحيَّة. (انْظُرْ: أُسْد الْغَابَة: ٤/٤٠٦، وتَلْقِيح فُهُوم أهْلِ الْأثَرِ ص: ٦٠ وَ رَاجِع كِتَاب: الرَّحِيق الْمَخْتُوم لصَفِيِّ الرَّحْمَن الْمُبَارَكْفُورِيِّ ص:٩٠ ط: دار الوفاء).

(ح) وكَانَ صُهَيْب بْن سِنَان الرُّومِيُّ يُعَذَّبُ حَتَّى يَفْقِدَ وَعْيَهُ وَ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ .(انْظُرْ: الْإِصَابَة:٤،٣/٢٥٥ وابْن سَعْد في الطَّبَقَات: ٣/٢٤٨،وَالرُّومِيُّ :
لأنَّهُ أُسِرَ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي جُيُوشِ الرُّومَان وتَعَلَّمَ اللَّكْنَةَ الرُّومِيَّةَ فَلُقِّبَ بِالرُّومِيِّ وَلَكِنَّهُ عَرَبِيُّ الْأَصْلِ).

(ط) وكَانَ بِلَالُ بْنُ رَبَاح مَوْلَى أُمَيَّة بْنِ خَلَف الْجُمَحِيِّ ، فَكَانَ أمَيَّةُ يضَعُ فِي عُنُقِه حبْلًا ثُمَّ يُسلِمهُ إِلَى الصِّبْيَانِ يَطُوفُونَ بِه جِبالَ مَكَّةَ ويَجرُّونَه حَتَّى كَانَ الْحبْلُ يُؤَثِّرُ فِي عُنُقِهِ وهُوَ يَقُولُ: أحَدٌ أحَدٌ ، وكَانَ أميَّة يَشُدُّه شَدًّا ثُمَّ يضْرِبهُ بِالْعَصَا ويُلْجِئُهُ إِلَى الْجُلُوسِ فِي حرِّ الشَّمْسِ كمَا كَانَ يُكْرِهُهُ عَلَى الْجُوعِ وأشَدُّ مِنْ ذَلكَ كُلِّه أنَّهُ كَانَ يُخْرِجُهُ إِذَا حمِيَت الظَّهِيرَةُ فَيَطْرَحهُ عَلَى ظَهْرِه فِي الرَّمْضَاءِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَة فَتُوضَع عَلَى صَدْرِه ثُمَّ يَقُولُ:
لَا وَاللهِ لَا تَزَالُ هكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى فيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلكَ : أحَدٌ أحَدٌ ويَقُولُ :
لَوْ أعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أغْيَظ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا ومَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ فَاشْتَرَاهُ بِغُلَامٍ أسْوَد وَقِيلَ:
بسبْعِ أوَاقٍ أوْ خَمْسٍ مِنَ الْفِضَّة وَأعْتَقَهُ.(انْظُرْ:سِيرَة ابْن هِشَام:١/٣١٨،٣١٧ وتَلْقِيح فُهُومِ أهْلِ الْأثَرِ ص: ٦١ وتَفْسِير ابْن كَثِيرٍ سُورَة النَّحْل الْآيَة: ١٠٦ (٢/٦٤٨) وَرَاجِع الرَّحِيق الْمَخْتُوم ص: ٩٠ــ٩١ ط: دار الوفاء).

(ك) وكَانَ عمّارُ بْن يَاسرٍ ــ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ مَوْلَى لبَنِي مَخْزُوم، أسْلَمَ هُوَ وأبُوهُ وَأمُّهُ فكَانَ الْمُشْرِكُونَ ــوعَلَى رَأسِهِمْ أبُو جَهْلٍ ــ يُخْرِجُونَهمْ إلَى الْأبْطَحِ إذَا حَمِيَتِ الرَّمْضَاءُ فَيُعَذِّبُونَهُمْ بِحَرِّهَا ، وَمَرّ بِهِمُ النَّبِيُّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ :{ صَبْرًا آلَ يَاسر فَإنّ مَوْعدكُمُ الْجَنَّةُ }- وَفي سَنَده مَقَالٌ - فَمَاتَ يَاسرٌ فِي الْعَذَاب وَطَعَنَ أبُو جَهْلٍ سُمَيَّةَ ــ أمَّ عَمَّار ــ فِي قُبُلُهَا بِحَرْبَةٍ فَمَاتَتْ وَهِيَ أوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإسْلَامِ وَهِيَ (سُمَيَّةُ بِنْتُ خَيَّاط) مَوْلَاةُ أبِي حُذَيْفَةَ بْن الْمُغِيرَة بْن عَبْدِ اللهِ بْن عُمَر بْن مَخْزُوم وكَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً ضَعِيفَةً ، وَشَدَّدُوا الْعَذَابَ عَلَى (عَمَّار) بِالْحَرِّ تَارَّةً، وَبِوَضْعِ الصَّخْرِ الْأحْمَر عَلَى صَدْره تَارَّةً أخْرَى وبغَطِّه فِي الْمَاء حَتَّى كَانَ يَفْقدُ وَعيه وقَالُوا لَهُ: لَا نَتْرُكُكَ حَتّى تَسُبَّ مُحَمّدًا أوْ تَقُولُ فِي اللَّات وَالْعُزَّى خَيْرًا فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلكَ مُكْرَهًا وَ جَاءَ بَاكيًا مُعْتَذرًا إلَى النَّبِيّ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَأنْزَلَ اللهُ:{ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ بَعْدَ إيمَانِهِ إلَّا مَنْ أكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإيمَانِ }.(النَّحل:١٠٦) . (انْظُرْ: سِيرَةَ ابْنِ هِشَام: ١/٣٢٠،١٣٩ وَطَبَقَات ابْن سَعْد : ٣/٢٤٨ــ٢٤٩ وَرَوَى الْجُزْءَ الْأخِيرَ الْعُوفِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن عَبَّاسٍ تَفْسِير ابْن كَثِير وَلْيَنْظَر الدُّرّ الْمَنْثُور تَفْسِير الْآيَة: ١٠٦ سُورَة النَّحْل).

(ل) وَكَانَ أبُو فُكَيْهَةَ ــ وَاسْمُهُ أفْلَح ــ مَوْلًى لِبَنِي عَبْدِ الدّارِ وَكَانَ مِنَ الْأزْدِ فَكَانُوا يُخْرِجُونَهُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي حَرّ شَدِيدٍ وَفِي رِجْلَيْهِ قَيْدٌ مِنْ حَدِيدٍ فَيُجَرِّدُونَهُ مِنَ الثِّيَابِ وَيُبْطِحُونَهُ فِي الرَّمْضَاءِ ثُمَّ يَضَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ صَخْرَةً حَتَّى لَا يَتَحَرَّكَ فَكَانَ يَبْقَى كَذَلكَ حَتَّى لَا يَعْقل فَلَمْ يَزَلْ يُعَذّب كَذَلكَ حَتَّى هَاجَرَ إلَى الْحَبَشَة الْهِجْرَةَ الثَّانيَةَ وَكَانُوا مَرَّةً قَدْ رَبَطُوا رِجْلَه بِحَبْلٍ ثُمَّ جَرّوهُ وَألْقوهُ فِي الرَّمْضَاءِ وَخَنَقُوهُ حَتَّى ظَنُّوا أنَّهُ قَدْ مَاتَ فَمَرّ بِهِ أبُو بَكْرٍ فَاشْتَرَاهُ وَاعتَقَهُ لله.(انْظُرْ: أُسْد الْغَابَة: ٥/٢٤٨ وَالْإصَابَة: ٨،١٨٢/٧).

(م) وكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأرَتّ مَوْلَى أغَار بِنْت سِبَاعٍ الْخُزَاعيَّة وَكَانَ حَدَّادًا فَلَمَّا أسْلَمَ عَذَّبَتْهُ مَوْلَاتُهُ بِالنَّار كَانَتْ تَأتِي بِالْحَدِيدَة الْمُحمَاة فَتَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِه أوْ رَأسه ليَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ فَلَمْ يَكُنْ يُزِيدُهُ ذَلِكَ إلَّا إيمَانًا وَتَسْلِيماً وَكَانَ

الْمُشْرِكُون أَيْضًا يعذِّبونه فيلوون عنقه ويجذبون شعره وقد ألقوه على النار ثُمَّ سحبوه عليها فما أطفأها إلَّا ودك ظهره. (انْظُرْ: أسد الْغَابَة: ١/٥٩١ـ٥٩٢) .

(ن) وكانت زنيرة أمة رومية قد أسلمت فعذبت في الله وأصيبت في بصرها حتى عميت فقيل لها: أصابتك اللات والعزى ، فقالت: لا والله ما أصابتني وهذا من الله وإن شاء كشفه فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد.(انظر: طبقات ابن سعد: ٨/٢٥٦ وسيرة ابن هشام: ١/٣١٨).

•الْحَاصِلُ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ إِلَّا وتصدى لَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالْأَذَى وَالنَّكَال وكان هذا بقدر الله تعالى إعلانا وبيانا صريحا أن اعتناق هذا الدين مسؤولية عظيمة لن يصلح لحملها إلا الرجال وهذه المحن كلها تمهيد للهجرة المباركة التي كانت فرجا بعد شدة، ويسرا بعد عسر، ومسرة بعد مضرة، ومنحة بعد محنة ،وقوة وتمكينا بعد ضعف واستضعاف.

•تبصرة:

•يتبين مما سبق أهمية العلم بفقه الاستضعاف وفقه الممكن وأنه علم شريف يدل على شمول الشريعة وأنها قائمة على الحكمة والرحمة والعدل والمصلحة.

•والجهل بهذا الفقه يؤول إلى كوارث وعنت ومشقة على هذه الأمة وهذا مما يتنافى مع مقاصد الشريعة.

•ومن المعلوم أن صلب هذا الفقه وقاعدته التي ينطلق منها هو فقه الموازنات بتحقيق المصالح ودرء المفاسد والموازنة بينهما عند التعارض.

-يقول العز بن عبد السلام- رحمه الله تعالى-:{ إذا اجتمعت مصالح ومفاسد فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك، امتثالا لأمر الله تعالى لقوله تعالى:{ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ }.(التغابن:16).

فإن تعذر الدرء والتحصيل وكانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالي بفوات المصلحة }.(ينظر: قواعد الأحكام ص:٧٤).

-وَيَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ مَسْأَلَةُ الْإِكْرَاهِ وَالضَّرُورَةِ، وَمَسَائِلُ رَفْعِ الْحَرَجِ وَالتَّيْسِيرِ، وَسَدِّ الذَّرِيعَةِ، وَتَغَيُّرِ الْفَتْوَى بِتَغَيُّرِ الْحَالِ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَارْتِكَابِ أَهْوَنِ الْمَفْسَدَتَيْنِ عِنْدَ التَّعَارُضِ، وَتَحْصِيلِ أَعْظَمِ الْمَصْلَحَتَيْنِ عِنْدَ التَّعَارُضِ، بِشَرْطِ التَّحَقُّقِ مِنْ وُقُوعِهَا.

•كَمَا يَنْطَلِقُ هَذَا الْفِقْهُ (فِقْهُ الِاسْتِضْعَافِ) مِنْ مَسْأَلَةٍ أُخْرَى مُهِمَّةٍ أَلَا وَهِيَ التَّمَكُّنُ مِنْ فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ الْقَائِمِ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ الْعِلْمِ بِالْحُكْمِ وَالتَّمَكُّنِ مِنْ الْعَمَلِ بِهِ فَإِذَا انْتَفَى أَحَدُهُمَا: انْتَفَى التَّكْلِيفُ، وَانْتَفَتِ الْمُؤَاخَذَةُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ وَالْحُجَّةُ عَلَى الْعِبَادِ تَقُومُ بِشَيْئَيْنِ: بِشَرْطِ التَّمَكُّنِ مِنْ الْعِلْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْعَمَلِ بِهِ، لِأَنَّ الْوُجُوبَ وَالتَّحْرِيمَ مَشْرُوطٌ بِإِمْكَانِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ }.(يُنْظَرُ: مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى:٢٠/٥٩).

-وَالْقَاعِدَةُ الْفِقْهِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ تَقُولُ:{ لَا وَاجِبَ فِي الشَّرِيعَةِ مَعَ الْعَجْزِ، وَلَا حَرَامَ مَعَ الضَّرُورَةِ } وَأَدِلَّةُ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرَةٌ:

-مِثَالُ { لَا وَاجِبَ مَعَ الْعَجْزِ }: قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.(الْمُجَادَلَةُ :٤)، وَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-عِنْدَمَا كَانَتْ بِهِ بَوَاسِيرُ وَسَأَلَ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ لَهُ:{ صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ }.(صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ:١١١٧).

-مِثَالُ { لَا حَرَامَ مَعَ الضَّرُورَةِ }: قَوْلُهُ تَعَالَى:{ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(الْبَقَرَةُ:١٧٣).

•اللَّهُمَّ انْصُرْ أُمَّةَ خَلِيلِكَ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، اللَّهُمَّ انْصُرْ أُمَّةَ خَلِيلِكَ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،اللَّهُمَّ انْصُرْ أُمَّةَ خَلِيلِكَ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، اللَّهُمَّ أَخْرِجْهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، اللَّهُمَّ احْفَظِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّاللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ كَرْبَ أَهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ وَمَكِّنْ لَهُمْ يَا كَرِيمُ، وَأَهْلِكْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

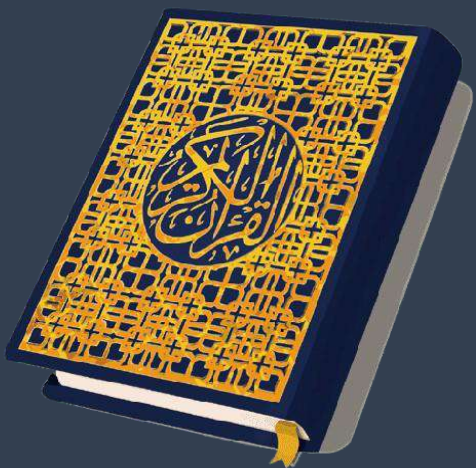
بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٩)

كَلِمَةُ(أَنَا) دَمّرَتْ وَبَنَتْ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْمُتَوَاضِعِينَ، يَكْرَهُ وَيُبْغِضُ الْجَبَابِرَةَ الْمُتَكَبِّرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ:

•فَهَذِهِ رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { كَلِمَةُ (أَنَا) دَمَّرَتْ وَبَنَتْ } أُوَضِّحُ فِيهَا أَثَرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْقَلِيلَةِ الْمَبْنَى الْعَظِيمَةِ الْمَعْنَى فَقَدْ دَمَّرَتْ أُمَمًا وَبَنَتْ أُمَمًا،دَمَّرَتْ عِنْدَمَا كَانَتْ كِبْرًا وَغُرُورًا،وَبَنَتْ عِنْدَمَا كَانَتْ تَوَاضُعًا وَرَحْمَةً وَإِلَيْكُمُ الْبَيَانَ:

•أَوَّلًا: كَلِمَةُ (أَنَا) دَمَّرَتْ أُمَمًا:

-لَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ الْقَصَصَ وَذَكَرَ لَنَا أُنَاسًا دَمَّرَتْهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ (أَنَا)بِسَبَبِ الْكِبْرِ وَالْغُرُورِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ:

(1)إِبْلِيسُ وَكَلِمَةُ (أَنَا):

-إِنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ (أَنَا) كِبْرًا فَدَمَّرَتْهُ وَطَرَدَتْهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ إِبْلِيسُ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (الأعراف :١١-١٣)

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ }.

أَيْ: وَلَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكُمْ بِخَلْقِ أَصْلِكُمْ -وَهُوَ أَبُوكُمْ آدَمُ مِنَ الْعَدَمِ- ثُمَّ صَوَّرْنَاهُ عَلَى هَيْئَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ، ثُمَّ أَمَرْنَا مَلَائِكَتَنَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِالسُّجُودِ لَهُ - إِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا وَإِظْهَارًا لِفَضْلِ آدَمَ- فَسَجَدُوا جَمِيعًا، لَكِنَّ إِبْلِيسَ الَّذِي كَانَ مَعَهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ لِآدَمَ؛ حَسَدًا لَهُ عَلَى هَذَا التَّكْرِيمِ الْعَظِيمِ.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ }.أَيْ: فَوَبَّخَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: { مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ } لِمَا خَلَقْتُ

بِيَدَيَّ، – أَيْ: شرفْتُه وفضلْتُه بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ، فَعَصَيْتَ أَمْرِي وَتَهَاوَنْتَ بِي؟ { قَالَ } إِبْلِيسُ مُعَارِضًا لِرَبِّهِ:

{ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ } ثُمَّ بَرْهَنَ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةِ بِقَوْلِهِ:

{ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } وَمُوجِبُ هَذَا أَنَّ الْمَخْلُوقَ مِنْ نَارٍ أَفْضَلُ مِنَ الْمَخْلُوقِ مِنْ طِينٍ لِعُلُوِّ النَّارِ عَلَى الطِّينِ وَصُعُودِهَا، وَهَذَا الْقِيَاسُ مِنْ أَفْسَدِ الْأَقْيِسَةِ، فَإِنَّهُ بَاطِلٌ مِنْ عِدَّةِ أَوْجُهٍ: مِنْهَا:

أَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَالْقِيَاسُ إِذَا عَارَضَ النَّصَّ، فَإِنَّهُ قِيَاسٌ بَاطِلٌ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْقِيَاسِ، أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ فِيهِ نَصٌّ، يُقَارِبُ الْأُمُورَ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهَا، وَيَكُونُ تَابِعًا لَهَا. فَأَمَّا قِيَاسٌ يُعَارِضُهَا، وَيَلْزَمُ مِنِ اعْتِبَارِهِ إِلْغَاءُ النُّصُوصِ، فَهَذَا الْقِيَاسُ مِنْ أَشْنَعِ الْأَقْيِسَةِ. وَمِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ:

{ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ } بِمُجَرَّدِهَا كَافِيَةٌ لِنَقْصِ إِبْلِيسَ الْخَبِيثِ.

فَإِنَّهُ بَرْهَنَ عَلَى نَقْصِهِ بِإِعْجَابِهِ بِنَفْسِهِ وَتَكَبُّرِهِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ. وَأَيُّ نَقْصٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟"

وَمِنْهَا: أَنَّهُ كَذِبٌ فِي تَفْضِيلِ مَادَّةِ النَّارِ عَلَى مَادَّةِ الطِّينِ وَالتُّرَابِ، فَإِنَّ مَادَّةَ الطِّينِ فِيهَا الْخُشُوعُ وَالسُّكُونُ وَالرَّزَانَةُ، وَمِنْهَا تَظْهَرُ بَرَكَاتُ الْأَرْضِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَأَنْوَاعِ النَّبَاتِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِ وَأَنْوَاعِهِ، وَأَمَّا النَّارُ فَفِيهَا الْخِفَّةُ وَالطَّيْشُ وَالْإِحْرَاقُ. وَلِهَذَا لَمَا جَرَى مِنْ إِبْلِيسَ مَا جَرَى، انْحَطَّ مِنْ مَرْتَبَتِهِ الْعَالِيَةِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ }.

أَيْ: فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: { فَاهْبِطْ مِنْهَا }– أَيْ: مِنَ الْجَنَّةِ { فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا } لِأَنَّهَا دَارُ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، فَلَا تَلِيقُ بِأَخْبَثِ خَلْقِ اللَّهِ وَأَشَرِّهِمْ. { فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ }– أَيْ:

الْمُهَانِينَ الْأَذَلِّينَ، جَزَاءً عَلَى كِبْرِهِ وَعُجْبِهِ بِالْإِهَانَةِ وَالذُّلِّ.

•فَكَانَتْ أَنَا الْكِبْرُ وَالْغُرُورُ سَبَبَ هَلَاكِهِ وَطَرْدِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

(2)النَّمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ وَكَلِمَةُ (أَنَا):

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }.(البقرة٢٥٨).

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِهَا:

{ يَقُولُ تَعَالَى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ }- أَيْ: إِلَى جَرَائِتِهِ وَتَجَاهُلِهِ وَعِنَادِهِ وَمُحَاجَّتِهِ فِيمَا لَا يَقْبَلُ التَّشْكِيكَ، وَمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا { أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } فَطَغَى وَبَغَى وَرَأَى نَفْسَهُ مُتَرَأِّسًا عَلَى رَعِيَّتِهِ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ فَزَعَمَ أَنَّهُ يَفْعَلُ كَمَا يَفْعَلُ اللَّهُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ { رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ }- أَيْ: هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفِ، وَخَصَّ مِنْهُ الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ لِكَوْنِهِمَا أَعْظَمَ أَنْوَاعِ التَّدَابِيرِ، وَلِأَنَّ الْإِحْيَاءَ مَبْدَأُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْإِمَاتَةَ مَبْدَأُ مَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ ذَلِكَ الْمُحَاجُّ: { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } وَلَمْ يَقُلْ أَنَا الَّذِي أُحْيِي وَأُمِيتُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّعِ الِاسْتِقْلَالَ بِالتَّصَرُّفِ، وَإِنَّمَا زَعَمَ أَنَّهُ يَفْعَلُ كَفِعْلِ اللَّهِ وَيَصْنَعُ صُنْعَهُ، فَزَعَمَ أَنَّهُ يَقْتُلُ شَخْصًا فَيَكُونُ قَدْ أَمَاتَهُ، وَيَسْتَبْقِي شَخْصًا فَيَكُونُ قَدْ أَحْيَاهُ، فَلَمَّا رَآهُ إِبْرَاهِيمُ يُغَالِطُ فِي مُجَادَلَتِهِ وَيَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ شُبْهَةً فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ حُجَّةً، اطَّرَدَ مَعَهُ فِي الدَّلِيلِ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:

{ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ }- أَيْ: عَيَانًا يُقِرُّ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى ذَلِكَ الْكَافِرُ { فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ }وَهَذَا إِلْزَامٌ لَهُ بِطَرْدِ دَلِيلِهِ إِنْ كَانَ صَادِقًا فِي دَعْوَاهُ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَمْرًا لَا قُوَّةَ لَهُ فِي شُبْهَةٍ تُشَوِّشُ دَلِيلَهُ، وَلَا قَادِحًا يَقْدَحُ فِي سَبِيلِهِ { بُهِتَ الَّذِي كَفَرَ }- أَيْ: تَحَيَّرَ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ جَوَابًا وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ وَسَقَطَتْ شُبْهَتُهُ، وَهَذِهِ حَالَةُ الْمُبْطِلِ الْمُعَانِدِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُقَاوِمَ الْحَقَّ وَيُغَالِبَهُ، فَإِنَّهُ مَغْلُوبٌ مَقْهُورٌ، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

بَلْ يُبْقِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُمُ الْحَقَّ وَالْهُدَى لَهَدَاهُمْ إِلَيْهِ وَيَسَّرَ لَهُمْ أَسْبَابَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بُرْهَانٌ قَاطِعٌ عَلَى تَفَرُّدِ الرَّبِّ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعِبَادَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذِهِ الْمُنَاظَرَةِ نُكْتَةٌ

لَطِيفَةٌ جِدًّا، وَهِيَ أَنَّ شِرْكَ الْعَالَمِ إِنَّمَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى عِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالْقُبُورِ، ثُمَّ صُوِّرَتِ الْأَصْنَامُ عَلَى صُوَرِهَا، فَتَضَمَّنَ الدَّلِيلَانِ اللَّذَانِ اسْتَدَلَّ بِهِمَا إِبْرَاهِيمُ إِبْطَالَ إِلَهِيَةِ تِلْكَ جُمْلَةً بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَلَا يَصْلُحُ الْحَيُّ الَّذِي يَمُوتُ لِلْإِلَهِيَةِ لَا فِي حَالِ حَيَاتِهِ وَلَا بَعْدَ مَوْتِهِ، فَإِنَّ لَهُ رَبًّا قَادِرًا قَاهِرًا مُتَصَرِّفًا فِيهِ إِحْيَاءً وَإِمَاتَةً، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا حَتَّى يُتَّخَذَ الصَّنَمُ عَلَى صُورَتِهِ، وَيُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَكَذَلِكَ الْكَوَاكِبُ أَظْهَرُهَا وَأَكْبَرُهَا لِلْحِسِّ هَذِهِ الشَّمْسُ وَهِيَ مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ مُسَخَّرَةٌ، لَا تَصَرُّفَ لَهَا بِنَفْسِهَا بِوَجْهٍ مَا، بَلْ رَبُّهَا وَخَالِقُهَا سُبْحَانَهُ يَأْتِي بِهَا مِنْ مَشْرِقِهَا فَتَنْقَادُ لِأَمْرِهِ وَمَشِيئَتِهِ،فَهِيَ مَرْبُوبَةٌ مُسَخَّرَةٌ مُدَبَّرَةٌ، لَا إِلَهَ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.(مِنْ مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ) .

-وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي (جَامِعِ الْبَيَانِ : ١٤/ ٢٠٤)، وَفِي (تَارِيخِ الرُّسُلِ وَالْمُلُوكِ:١/ ٢٨٧) : قَالَ :

{ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ : إِنَّ أَوَّلَ جَبَّارٍ كَانَ فِي الْأَرْضِ نُمْرُودُ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَعُوضَةً فَدَخَلَتْ فِي مَنْخَرِهِ ، فَمَكَثَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ يُضْرَبُ رَأْسُهُ بِالْمَطَارِقِ ، أَرْحَمُ النَّاسِ بِهِ مَنْ جَمَعَ يَدَيْهِ فَضَرَبَ رَأْسَهُ بِهِمَا ، وَكَانَ جَبَّارًا أَرْبَعَ مِائَةِ سَنَةٍ ، فَعَذَّبَهُ اللَّهُ أَرْبَعَ مِائَةِ سَنَةٍ كَمُلْكِهِ ، ثُمَّ أَمَاتَهُ اللَّهُ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ بَنَى صَرْحًا إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ :{ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ }.(النَّحْلُ: ٢٦)...} انْتَهَى.

-وَهُوَ خَبَرٌ مُرْسَلٌ لَا يَصِحُّ ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ كَانَ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ ، وَكَانَ يُرْسِلُ وَيُدَلِّسُ ، مَعَ كَوْنِهِ كَانَ إِمَامًا صَالِحًا .

-قَالَ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ :{ لَا أَعْلَمُ بِهِ بَأْسًا ، إِلَّا أَنَّهُ يُفَسِّرُ بِرَأْيِهِ الْقُرْآنَ وَيُكْثِرُ مِنْهُ }. انْتَهَى. -وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ :

{ كَانَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَكَانَ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ }. انْتَهَى . -وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي مُقَدِّمَةِ (التَّمْهِيدِ) مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُدَلِّسُ.(وَيُنْظَرُ : تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ /396. (

-وَعليْهِ: فهذَا الْخبرُ أَقْربُ للْإسرائيليَّاتِ ، ولَمْ يَصِحَّ مِثْلُ هَذَا الْخبرِ ولَا نَحْوُهُ عَنْ النَّبيِّ -صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ- .

-وقَدْ ضعَّفَه الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ صُبْحِي بْنُ حَسَنٍ حلَاقٌ - رحِمَهُ اللَّهُ - فِي :صَحِيح وَضَعيف الطَّبَرِيِّ(٦ /٢٠٤)

-ومعَ هذَا فقدْ تَنَاقَلَ هذَا الْخبَرَ عامَّةُ الْمُفسِّرِينَ والْمُؤَرِّخِينَ فِي كُتُبِهِمْ ، ولَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ بَابِ الْعِبْرَةِ بِنهايَةِ الظَّالمِينَ والطُّغَاةِ ، وأَنَّ الظَّالمَ مَهْمَا طَغَى وتَكَبَّرَ وتَجَبَّرَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تعالَى قادرٌ علَى هَلَاكِه بِأَضْعَفِ مَخْلُوقَاتِه .

-ومِثْلُ هذِه الْقصَصِ ، ونَحْوِهَا مِنْ الْإسْرائيليَّاتِ: لَا حرَجَ فِي نَقْلِهَا مِنْ بَابِ الْعِبْرَةِ والْعظَةِ؛ علَى أَلَّا يُنْسَبَ إِلَى رسُولِ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- إلَّا مَا علِمَ مَخْرَجَهُ، وثَبَتَ إِسْنَادُهُ . -فعَنْ عبْدِ اللَّهِ بْنِ عمْرٍو-رضِيَ اللَّهُ تعالَى عنْهُمَا-، أَنَّ النَّبِيَّ-صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ-، قَالَ:

{ بلِّغُوا عنِّي ولَوْ آيَةً، وحدِّثُوا عنْ بنِي إِسرائيلَ ولَا حرَجَ، ومَنْ كَذَبَ علَيَّ مُتَعمِّدًا، فَلْيتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ }.(روَاهُ الْبُخاريُّ فِي صَحِيحِه : ٣٤٦١) . •فانْظُرْ كيْفَ دمَّرَتْهُ كلِمَةُ (أَنَا) لِأَنَّهَا كَانَتْ كِبْرًا وتَجبُّرًا.!!

(3)فِرْعَوْنُ مِصْرَ وكَلمَةُ (أنَا):

-وهذَا فِرْعَوْنُ مِصْرَ الَّذِي دَمَّرَتْهُ كَلمَةُ (أنَا):

-قَالَ اللَّهُ تعَالَى:{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ }.(النَّازعات:١٥-٢٥)

-فقَوْلُه تعالَى:{ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ }.

-أَيْ: فَجمَعَ أَهْلَ مَمْلَكَتِه ونَادَاهُمْ، فقَالَ:

أَنَا رَبُّكُمُ الَّذي لَا رَبَّ فَوقَهُ، فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَعَلَهُ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ. إنَّ فِي فِرْعَوْنَ وَمَا نَزَلَ بِهِ مِنْ الْعَذَابِ لَمَوْعِظَةً لِمَنْ يَتَعَظُ وَيَنْزَجِرُ.

•قِصَّةُ غَرَقِ فِرْعَوْنَ:

-خَرَجَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَلَحِقَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِلَى الْبَحْرِ أَمَرَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ فَانْشَقَّ الْبَحْرُ بِقُدْرَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَظَهَرَ فِي وَسَطِهِ الطَّرِيقُ الَّذِي عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ أَنْ يَسيرُوا فِيهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

-وَعِنْدَمَا مَرَّ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْبَحْرِ وَخَرَجُوا مِنْهُ، دَخَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ إِلَى الْبَحْرِ بِالْكَامِلِ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْبَحْرَ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ وَعَادَ إِلَى حَالِهِ الْأَصْلِيَةِ، فَبِذَلِكَ نَجَّى اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنْدِهِ وَأَغْرَقَهُمْ جَمِيعًا.وَعِنْدَمَا غَرِقَ فِرْعَوْنُ قَالَ:

{ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ }، وَلَكِنَّ تَوْبَتَهُ هَذِهِ وَإِيمَانَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ فِي شَيْءٍ، وَقَدْ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ عَدَمَ قَبُولِ تَوْبَةِ فِرْعَوْنَ بِعَدَدٍ مِنْ الْأَسْبَابِ؛ مِنْهَا أَنَّهُ آمَنَ بَعْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ وَغَرَقِهِ وَهُوَ وَقْتٌ لَا تُقْبَلُ فِيهِ التَّوْبَةُ، وَسَبَبٌ آخَرُ هُوَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِيَدْفَعَ الْعَذَابَ عَنْ نَفْسِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ عِنْدَمَا يَطْلُبُ مِنْ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ذَلِكَ لِدَفْعِ الْبَلَاءِ .

-وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ فِرْعَوْنَ وَغَرَقِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَيْفَ نَجَّى اللَّهُ تَعَالَى جَسَدَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ آيَةً لِمَنْ خَلْفَهُ، وَعِبْرَةً لَهُمْ، قَالَ -تَعَالَى-:-

{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٩٠) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ }.(يونس:٩٠-٩٢).

•فَانْظُرْ إِلَى عَاقِبَةِ الْكِبْرِ وَالْغُرُورِ وَالتَّجَبُّرِ.

(4)قَارُونُ وَكَلِمَةُ (أَنَا):

-وَهذَا قَارُونُ صَاحِبُ الْكنوزِ دمَّرَتْه كَلمَةُ (أنَا):
-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.(القصص:٧٦-٨٢).
-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ }.
-فـــ { قَالَ } قَارُونُ –رَادًّا لِنَصِيحَتِهِمْ، كَافِرًا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ-:
{ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي }أَيْ: إِنَّمَا أَدْرَكْتُ هَذِهِ الْأَمْوَالَ بِكَسْبِي وَمَعْرِفَتِي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ، وَحِذْقِي، أَوْ عَلَى عِلْمٍ مِنْ اللَّهِ بِحَالِي، يَعْلَمُ أَنِي أَهْلٌ لِذَلِكَ، فَلِمَ تَنْصَحُونِي عَلَى مَا أَعْطَانِي اللَّهُ تَعَالَى؟
قَالَ تَعَالَى مُبَيِّنًا أَنَّ عَطَاءَهُ، لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى حُسْنِ حَالَةِ الْمُعْطِي: { أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا } فَمَا الْمَانِعُ مِنْ إِهْلَاكِ قَارُونَ، مَعَ مُضِيِّ عَادَتِنَا وَسُنَّتِنَا بِإِهْلَاكِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ وَأَعْظَمُ، إِذْ فَعَلَ مَا يُوجِبُ الْهَلَاكَ.{ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ }
بَلْ يُعَاقِبُهُمُ اللَّهُ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْهُمْ، فَهُمْ، وَإِنْ أَثْبَتُوا لِأَنْفُسِهِمْ حَالَةً حَسَنَةً، وَشَهِدُوا لَهَا بِالنَّجَاةِ، فَلَيْسَ قَوْلُهُمْ مَقْبُولًا، وَلَيْسَ ذَلِكَ دَافِعًا عَنْهُمْ مِنْ الْعَذَابِ شَيْئًا، لِأَنَّ ذُنُوبَهُمْ غَيْرُ خَفِيَّةٍ، فَإِنْكَارُهُمْ لَا مَحَلَّ لَهُ، فَلَمْ يَزَلْ قَارُونُ مُسْتَمِرًّا عَلَى عِنَادِهِ وَبَغْيِهِ،

وَعدَمِ قَبُولِ نَصِيحَةَ قَوْمِه، فَرِحًا بَطِرًا قَدْ أُعْجِبَتْه نَفْسُهُ، وَغرّهُ مَا أُوتِيَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ.

-وَظَلَّ عَلَى كِبْرِهِ وَغُرُورِه حَتَّى كَانَتْ عَاقِبَتُهُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى:

{ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ }.

-فَلَمَّا انْتَهَتْ بِقَارُون حَالَةُ الْبَغْيِ وَالْفَخْرِ، وَازَّيَّنَتْ الدُّنْيَا عِنْدَهُ، وَكَثُرَ بِهَا إِعْجَابُهُ، بَغَتَهُ الْعَذَابُ { فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ } جَزَاءً مِنْ جِنْسِ عَمَلِه، فَكَمَا رَفَعَ نَفْسَهُ عَلَى عِبَادِ اللَّه، أَنْزَلَهُ اللَّهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، هُوَ وَمَا اغْتَرَّ بِهِ، مِنْ دَارِهِ وَأَثَاثِه، وَمَتَاعِهِ.{ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ }

– أَيْ: جَمَاعَةٍ، وَعَصَبَةٍ، وَخَدَمٍ، وَجُنُودٍ { يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ)أَيْ: جَاءَهُ الْعَذَابُ، فَمَا نَصَرَ وَلَا انْتَصَرَ.

(5)صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ وَكَلِمَةُ (أَنَا):

-وَهَذَا صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ الَّذِي اغْتَرَّ بِمَالِهِ فَقَالَ كَلِمَةَ (أَنَا) الَّتِي أَهْلَكَتْ جَنَّتَيْهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ كِبْرًا وَفَخْرًا:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ

يَنصرُونَهُ من دُونِ اللَّهِ ومَا كَانَ مُنتَصِراً (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيرٌ عُقْبًا }.(الكهف:٣٢-٤٤).

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى حَاكِيًا قَوْلَ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ:

{ وكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ منكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفرًا (٣٤)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) ومَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا }.

-أَيْ: فَقَالَ صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ لِصَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ، وَهُمَا يَتَحَاوَرَانِ،

– أَيْ: يَتَرَاَسَانِ بيْنَهُمَا فِي بَعْضِ الْمَاجرِيَاتِ الْمُعْتَادَةِ، مُفْتَخِرًا عَلَيْهِ: { أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعزُّ نفَرًا } فَخْرًا بِكَثْرَةِ مَالِهِ، وعِزَّةِ أَنْصَارِهِ منْ عَبِيدٍ، وَخَدَمٍ، وَأَقَارِبَ، وهَذَا جَهْلٌ مِنْهُ، وَإِلَّا فَأَيْ: افْتِخَارٌ بِأَمْرٍ خَارِجِيٍّ لَيْسَ فِيهِ فَضِيلَةٌ نَفْسِيَّةٌ، وَلَا صِفَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ فَخْرِ الصَّبِيِّ بِالْأَمَانِيِّ، الَّتِي لَا حَقَائِقَ تَحْتَهَا، ثُمَّ لَمْ يَكُفَّهُ هَذَا الِافْتِخَارُ عَلَى صَاحِبِهِ، حَتَّى حَكَمَ، بِجَهْلِهِ وَظُلْمِهِ، وَظَنَّ لِمَا دَخَلَ جَنَّتَهُ، فـــ { قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ }

– أَيْ: تَنْقَطِعُ وَتَضمَحِلَّ { هَذِهِ أَبَدًا } فَاطْمَأَنَّ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، وَرَضِيَ بِهَا، وَأَنْكَرَ الْبَعْثَ، فَقَالَ: { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي } عَلَى ضَرْبِ الْمَثَلِ { لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا } أَيْ لِيُعْطِيَنَّهُ خَيْرًا مِنْ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، وَهَذَا لَا يَخْلُو مِنْ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِحَقِيقَةِ الْحَالِ، فَيَكُونَ كَلَامُهُ هَذَا عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ فَيَكُونَ زِيَادَةَ كُفْرٍ إِلَى كُفْرِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا ظَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ، فَيَكُونَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ، وَأَبْخَسِهِمْ حَظًّا مِنْ الْعَقْلِ، فَأَيُّ:

تَلَازُمٍ بَيْنَ عَطَاءِ الدُّنْيَا وَعَطَاءِ الْآخِرَةِ، حَتَّى يَظُنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ مَنْ أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا أُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ، بَلْ الْغَالِبُ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُزْوِي الدُّنْيَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَيُوَسِّعُهَا عَلَى أَعْدَائِهِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ الْحَالِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ، عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ }

فَإِثْبَاتُ أَنَّ وَصْفَهُ الظُّلْمَ، فِي حَالِ دُخُولِهِ، الَّذِي جَرَى مِنْهُ، مِنْ الْقَوْلِ مَا جَرَى، يَدُلُّ عَلَى تَمَرُّدِهِ وَعِنَادِهِ .

-فَنصحَهُ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ فقَال:{ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا }.

-أَيْ: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ، نَاصِحًا لَهُ، وَمُذَكِّرًا لَهُ حَالَهُ الْأُولَى، الَّتِي أَوْجَدَهُ اللَّهُ فِيهَا فِي الدُّنْيَا { مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا } فَهُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِنِعْمَةِ الْإِيجَادِ وَالْإِمْدَادِ، وَوَاصَلَ عَلَيْكَ النِّعَمَ، وَنَقَلَكَ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ، حَتَّى سَوَّاكَ رَجُلًا، كَامِلَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ الْمَحْسُوسَةِ، وَالْمَعْقُولَةِ، وَبِذَلِكَ يَسَّرَ لَكَ الْأَسْبَابَ، وَهَيَّأَ لَكَ مَا هَيَّأَ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا، فَلَمْ تَحْصُلْ لَكَ الدُّنْيَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، بَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَكْفُرَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا، وَتَجْحَدَ نِعْمَتَهُ، وَتَزْعُمَ أَنَّهُ لَا يَبْعَثُكَ، وَإِنْ بَعَثَكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ؟!

هَذَا مِمَّا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَلِيقُ. وَلِهَذَا لَمَّا رَأَى صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ حَالَهُ وَاسْتِمْرَارَهُ عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، قَالَ مُخْبِرًا عَنْ نَفْسِهِ، عَلَى وَجْهِ الشُّكْرِ لِرَبِّهِ، وَالْإِعْلَانِ بِدِينِهِ، عِنْدَ وُرُودِ الْمُجَادَلَاتِ وَالشُّبَهِ:

{ لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا }فَأَقَرَّ بِرُبُوبِيَّةِ رَبِّهِ، وَانْفِرَادِهِ فِيهَا، وَالْتَزَمَ طَاعَتَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَأَنَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَلَوْ مَعَ قِلَّةِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ، أَنَّهَا هِيَ النِّعْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَأَنَّ مَا عَدَاهَا مُعَرَّضٌ لِلزَّوَالِ وَالْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ وَالنَّكَالِ، فَقَالَ:

{ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا }.

-أَيْ: قَالَ لِلْكَافِرِ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ: أَنْتَ -وَإِنْ فَخَرْتَ عَلَيَّ بِكَثْرَةِ مَالِكَ وَوَلَدِكَ، وَرَأَيْتَنِي أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا -فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ، خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَمَا يُرْجَى مِنْ خَيْرِهِ وَإِحْسَانِهِ، أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الدُّنْيَا، الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ .

-{ فعسَى ربِّي أَنْ يُؤتِين خيْرًا منْ جنَّتِك ويُرسِل علَيها } أيْ: علَى جنَّتك الَّتي طَغيت بهَا وغَرتْك { حُسبَانًا منَ السَّماء } أيْ: عذَابًا، بمطَرٍ عظِيمٍ أوْ غيْره، { فَتُصْبِحَ } بسبَبِ ذَلك { صعِيدًا زلَقًا } أيْ: قدِ اقْتلَعتْ أشْجَارُها، وتَلَفتْ ثِمارُها، وغَرقَ زرْعُها، وزالَ نفْعُها .

-{ أوْ يُصبِحَ ماؤُهَا } الَّذي مَادَّتُها منْهُ { غوْرًا }- أيْ: غائرًا في الْأرْضِ { فلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طلَبًا }- أيْ: غائرًا لَا يُستَطَاعُ الْوصُولُ إليْه بالْمَعاولِ ولَا بغيْرِها، وإنَّما دَعَا علَى جنَّتِه الْمُؤمِنُ، غضَبًا لربِّه، لكونِهَا غرتْه وأطْغتْه، واطْمأنَّ إليها، لعلَّهُ ينيبُ، ويُراجِعُ رُشْدَه، ويبْصِرُ في أمرِه. فأَصبحَت الْعاقِبَةُ وخِيمةً قَال تَعالَى:

{ وأُحِيطَ بثَمرِه فأَصبحَ يقلِّبُ كَفَّيه علَىٰ ما أنْفقَ فيها وهِي خَاويَةٌ علَىٰ عُرُوشِها ويَقُولُ يا لَيْتَني لَمْ أُشْرِكْ بِربِّي أحدًا }.

-فاسْتَجاب اللَّهُ دُعَاءَه { وأُحِيطَ بثَمرِه }- أيْ: أَصابَهُ عذَابٌ، أحَاطَ بِه، واستَهْلَكَه، فَلمْ يَبْقَ منْهُ شَيْءٌ، والْإحَاطَةُ بالثَّمرِ تَسْتَلْزِمُ تلَفَ جمِيعِ أَشْجَارِه، وثِمَارِه، وزرْعِه، فنَدمَ كلَّ النَّدَامةِ، واشْتَدَّ لذَلكَ أسفُهُ، { فأَصبَحَ يُقَلِّبُ كفَّيه علَى ما أَنْفقَ فيها } أيْ علَى كَثْرَةِ نفَقَاتِه الدُّنيويَّة علَيهَا، حيْثُ اضمَحَلَّتْ وتَلَاشتْ، فلَمْ يبْقَ لهَا عوضٌ، ونَدمَ أيْضًا علَى شرْكِه، وشَرِّه، ولِهذَا قالَ: { ويقُولُ يا ليْتَني لَمْ أُشْرِكْ بربِّي أحَدًا } .

-فكَانَ النَّدمُ حيْثُ لَا ينْفعُ النَّدمُ فتَدبرْ.

•ثانيًا: كلِمَةُ (أَنَا) الَّتي بَنَتْ أُمَّةً:

-إنَّهَا (أَنَا) التَّواضعُ والرَّحْمَةُ الَّتي قَالَها خاتَمُ النَّبِيِّين مُحمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ–صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ–فبَنَى بهَا أُمَّةً وأَقَامَ بها دَولَةً، فقَدْ أمرَهُ ربُّهُ سبْحَانَهُ وتَعالَى أنْ يُبَلِّغَ للنَّاسِ فَقَالَ:{ قُلْ إنَّما أَنا بَشرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إلَيَّ أنَّما إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ واحِدٌ فَمَن كَانَ يرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عمَلًا صَالحًا ولَا يُشْرِكْ بعِبَادَةِ رَبِّه أَحدًا }.(الكهف:١١٠) .

-أَيْ: { قُلْ } يا مُحَمَّدُ لِلْكافِرينَ وغَيْرِهِمْ: { إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ }

– أَيْ: لَسْتُ بِإِلَه، ولَا لِي شَرِكَةٌ فِي الْمُلْك، ولَا عِلْمٌ بالْغَيْب، ولَا عِنْدي خَزَائِنُ اللَّه، { إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ } عَبْدٌ منْ عِبَادِ رَبِّي، { يُوحَى إِلَيَّ أَنَّما إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ }

– أَيْ: فَضلَّنِي علَيْكُمْ بِالْوَحْيِ، الَّذِي يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيَّ، الَّذِي أَجَلُّهُ الْإِخْبَارُ لَكُمْ: أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ،

– أَيْ: لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا أَحَدَ يَسْتَحِقُّ مِنْ الْعِبَادَةِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ غَيْرُهُ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُكُمْ مِنْهُ، وَيُنِيلُكُمْ ثَوَابَهُ، وَيَدْفَعُ عَنْكُمْ عُقُوبَتَهُ. وَلِهَذَا قَالَ: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً } وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِشَرْعِ اللَّهِ، مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً }

– أَيْ: لَا يُرَائِي بِعَمَلِهِ بَلْ يَعْمَلُهُ خَالِصاً لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهَذَا الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ الْإِخْلَاصِ وَالْمُتَابَعَةِ، هُوَ الَّذِي يَنَالُ مَا يَرْجُو وَيَطْلُبُ، وَأَمَّا مَنْ عَدَا ذَلِكَ، فَإِنَّهُ خَاسِرٌ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَقَدْ فَاتَهُ الْقُرْبُ مِنْ مَوْلَاهُ، وَنَيْلُ رِضَاهُ.

–وَأَمَرَهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَلِّغَ لِلنَّاسِ:فِيمَا أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(٢٢٧٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ }.وَفِي رِوَايَةٍ:{ أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ }. –فَقَوْلُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ وَلَا فَخْرَ }

:وَهَذَا مِنْ بَابِ ذِكْرِ كَرَامَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى رَبِّهِ بِلَا فَخْرٍ مِنْهُ وَلَا تَكَبُّرٍ، بَلْ هُوَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّوَاضُعِ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(3445)مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ } .

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي الْمُسْنَدِ بِرَقَمٍ(8939)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ}.،وَفِي رِوَايَةٍ:{ بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ }. –وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(٣٥٣٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ }.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(3532)مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ }.

وَفِي رِوَايَةٍ:{ إِنَّ لِي أَسْمَاءً : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ }.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(384)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ }.

•فَعِنْدَمَا قَالَهَا رَسُولُنَا الْأَمِينُ رَحْمَةً وَتَوَاضُعًا بَنَى بِهَا أُمَّةً وَأَقَامَ بِهَا دَوْلَةً،فَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاضُعِ فَمَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى،وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ فَإِنَّهُ مَهْلَكَةٌ،وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ،مَعَ التَّنْبِيهِ أَنَّ كَلِمَةَ(أَنَا) إِذَا قِيلَتْ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ فَلَا حَرَجَ فِيهَا وَلَا تُتْبَعُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ كَمَا يَفْعَلُ عَوَامُّ النَّاسِ.

•فَاللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،فَرِّجْ كَرْبَ أَهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاجْعَلْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ أَمْنًا أَمَانًا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٠)

الإِيمَانُ وَالأمَلُ قَرِينَان



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحمْدُلله وَحْدَهُ وَالصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَي مَنْ لانَبيَّ بَعْدَهُ

أَمَّا بَعْدُ:

-فَاعْلَمْ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللهُ وَإيَّاكَ-أَنَّ الإِيمَانَ وَالأَمَلَ قَرِينَانِ ، فَصَاحِبُ الإِيمَانِ الصَّادِقِ يُؤمِنُ أَنَّ الأَمْرَ بِيَدِ الله سُبْحَانَهُ فَيَطْمَئِنّ قَلْبُهُ لأَنَّ رَبَّهُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْعَفُوُّ الْغَفُورُ الَّذِي يُدَافِعُ عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَيَحْفَظُهُمْ بِحِفْظِهِ فَرَحْمَتُهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ ، فَيَبْعَثُ هَذَا الإِيمَانُ الأَمَلَ وَالتَّفَاؤلَ فِي نَفْسِ الْمُؤمِنِ، وَكُلَّمَا قَرأَ الْقُرآنَ بِتَدبرٍ زَادَ أَمَلُهُ وَحُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

•وَإِلَيْكَ يَاطَالِبَ الْعِلْمِ أَسُوقُ بَعْضَ النَّمَاذِجِ عَلَي مَائِدَةِ الْقُرآنِ تَبْعَثُ الأَمَلَ فِي النُّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ:

•النَّمُوذَجُ الأَوَّلُ:نَبِيُّ اللهِ زَكَرِيَا-عَلَيْهِ السَّلامُ:-

•قَالَ اللهُ تَعَالَي:{كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} .(مريم:٦:١).

•فَهَذَا نَبِيُّ اللهِ(زَكَرِيَّا)-عَلَيْهِ السَّلامِ-الَّذِي اشْتَاقَ لِنِعْمَةِ الْوَلَدِ رَغْمَ انْقِطَاعِ الأَسْبَابِ فَقَدْ كَبُرَتْ سِنُّهُ وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ عَاقِرًا لاتُنْجِب، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْطَعْ أَمَلَهُ فِي رَبِّهِ فَسَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ وَدَعَا رَبَّهُ فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ ووهبَ لَهُ"يَحيا"-عَلَيْهِ السَّلامِ.-

•قَالَ اللهُ تَعَالَي:{ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨)قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} .(مريم:١١:٧).

•النَّمُوذَجُ الثَّاني:نَبِيُّ اللهِ أَيُّوب–عَلَيْه السَّلامُ:-

•قَالَ اللهُ تَعالَى:{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }. (الأنبياء:٨٣).

•قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–في تَفْسِيرهَا:

{أي: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا وَرَسُولَنَا، أَيُّوب – مُثْنِيًا مُعظِّمًا لَهُ، رَافِعًا لِقَدْرِه – حِينَ ابْتَلاه، بِبلاءٍ شَدِيد، فَوَجَدَهُ صَابِرًا رَاضِيًا عَنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ سَلَّطَ عَلَى جَسَدِه، ابْتِلاءً مِنَ اللهِ، وَامْتِحَانًا فَنَفَخَ فِي جَسَدِه، فَتَقَرَّحَ قُرُوحًا عَظِيمَةً وَمَكَثَ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَاشْتَدَّ بِهِ الْبَلاءَ، وَمَاتَ أَهْلُهُ، وَذَهَبَ مَالُه، فَنَادَى رَبَّهُ:

رَبِّ { أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } فَتَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِالإِخْبَارِ عَنْ حَالِ نَفْسِه، وَأَنَّهُ بَلَغَ الضُّرُّ مِنْهُ كُلَّ مَبْلَغٍ}.

•فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ}(الأنبياء:٨٤).

•وبِرَحْمَة رَبِّه الْوَاسِعَة الْعَامَّة فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ، وقَالَ لَهُ: { ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } فَرَكَضَ بِرِجْلِه فَخَرَجَتْ مِنْ رَكْضَتِه عَيْنُ مَاءٍ بَارِدَة فَاغْتَسَلَ مِنْهَا وَشَرِبَ، فَأَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ مَا بِهِ مِنَ الأَذَى، { وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ } أَيْ:

رَدَدْنَا عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَمَالَهُ.{ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ } بِأَنْ مَنَحَهُ اللهُ الْعَافِيَةَ مِنَ الأَهْلِ وَالْمَالِ شَيْئًا كَثِيرًا، { رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا } بِه، حَيْثُ صَبَرَ وَرَضِيَ، فَأَثَابَهُ اللهُ ثَوَابًا عَاجِلًا قَبْلَ ثَوَابِ الآخِرَة.{ وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ } أَيْ:

جَعَلْنَاهُ عِبْرَةً لِلْعَابِدِينَ، الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِالْعِبَر، فَإِذَا رَأَوْا مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلاءِ، ثُمَّ مَا أَثَابَهُ اللهُ بَعْدَ زَوَالِه، وَنَظَرُوا السَّبَبَ، وَجَدُوهُ الصَّبْرَ، وَلِهَذَا أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ بِهِ فِي قَوْلِه: { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } فَجَعَلُوهُ أُسْوَةً وَقُدْوَةً عِنْدَمَا يُصِيبُهُمُ الضُّرُّ}

•النَّمُوذَجُ الثَّالِثُ:نَبِيُّ اللهِ يُونُسُ–عَلَيْهِ السَّلامُ:-

•قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}. (الأنبياء:٨٧).

•وَهذَا نَبيٌّ اللهِ(يُونس–عَلَيْه السَّلام–)الَّذي دَعَا قَوْمَهُ للْإيمَان فَلَمْ يَسْتَجيبُوا فَتَركَهُم فَالْتَقمَهُ الْحُوتُ بأمْرِ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَي، وذَهَب بِهِ إلَي ظُلُمَات الْبحَارِ، فَنَادَي فِي تِلْكَ الظُّلُمَات:{أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}.

فَأَقَرَّ لله تَعَالَى بِكَمَالِ الألُوهيَّة، ونَزَّهَه عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وعَيْبٍ وآفَةٍ، وَاعْتَرَفَ بِظُلْمِ نَفْسه وجنَايَته.

•فقَالَ الله تَعَالَي:{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ }.(الأنبياء:٨٨).

•قَال الْعلَّامَةُ السَّعْديُّ–رَحمَهُ اللهُ–في تَفْسيرهَا:{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ } أَيْ: الشِّدَّة الَّتِي وَقَعَ فيهَا.

{ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ } وَهَذَا وَعْدٌ وَبشَارَةٌ، لِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَقَعَ في شدَّة وَغَمٍّ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى سينْجيه منْهَا، ويَكْشفُ عَنْهُ ويُخَفِّفُ، لإيمانه كمَا فَعلَ بــ (يُونُسَ–عَلَيْه السَّلَامُ- .{

•النَّمُوذَجُ الرَّابعُ:خَاتَمُ النَّبيِّينَ مُحَمَّدٌ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-

•قَالَ اللهُ تَعَالَي:{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.(التَّوبة:٤٠).

•فعنْدَمَا خرَجَ النَّبيُّ–صَلَّي اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ–منْ مَكَّةَ مُهَاجراً وقَدْ تَآمرَتْ قُرَيْشٌ عَلَي قَتْله وجَمَعُوا منْ كُلِّ قَبيلَة فَتًى قَويًّا ومَعَهُ سَيْفٌ بَتَارٌ وأَحَاطُوا بدَاره ليَضْربُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحد عنْدَ خُرُوجه لصَلَاة الْغَدَاة فَيَتَفَرَّق دَمُهُ بَيْنَ الْقَبَائل ، نَصَرَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وأَخْرَجَهُ منْ بَيْنهم سَالماً، وعنْدَمَا تَبعُوهُ ومَعَهُ صَاحبُهُ أُبُو بَكْرٍ الصِّدِيق–رَضيَ اللهُ عَنْهُ–إلَي الْغَارِ صَرَفَ اللهُ أبْصَارَهُمْ وَنَصَرَ نَبيَّهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–وَصَاحبَهُ وأَنْزَلَ سَكينَتَهُ عَلَيْهمَا وجَعَلَ كَلمَةَ الَّذينَ كَفَروا السُّفْلَي وَهي هَكَذَا دَائمَاً أَبداً، وَكَلمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا وَهِيَ هَكَذَا دَائماً أَبدًا، { وَاللَّهُ عَزِيزٌ } لا يُغَالبُهُ مُغَالبٌ، وَلا يَفُوتُه هَاربٌ، {حَكيمٌ} يَضَعُ الأشْيَاءَ مَوَاضعهَا.

•هذَا وقَدْ نزلَتْ هَذه الآيَةُ أَثْنَاء غزْوَة(تَبُوك)فِي الْعَامِ التَّاسعِ منَ الْهجْرَة عنْدَمَا أَرَادَ بَعْضُ الْمؤْمنينَ التَّخَلُّفَ عَنْ رَسُولِ الله–صلَّى الله علَيْه وسلَّمَ–فنَزَلَت الآيَةُ تَحمل لَهُم عتَابًا وتَذْكيرًا.

•وَهَذِه نمَاذِجٌ علَى مَائدَة السنَّة الْمُطَهَّرَة تَبْعَثُ الأملَ فِي النُّفُوسِ الْمُؤْمنَة:

•النَّمُوذَجُ الأوَّلُ:الرَّهْطُ الثَّلاثَةُ وَالْغَارُ:

-أَخْرَجَ الإمَامُ مُسْلمٌ–رَحمَهُ الله–فِي صَحيحه كتَابُ الرِّقَاق برَقَم(٢٧٤٣)عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ –رَضي الله عنهما–عَنْ رَسُولِ اللَّه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ –أَنَّهُ قَالَ :{ بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا فَأَخَذَهُ

فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ }.

-فَبِسَبَبِ إِيمَانِهِم وَتَوَسُّلِهِم إِلَي الله بِأَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهُمُ وَأَذْهَبَ حُزْنَهُمُ وَنَجَّاهُم مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، فَهَذَا هُوَ الْبِرُّ الَّذِي يَرْفَعُ صَخْرَةً وَيَكْشِفُ غُمَّةً بِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَي.

•النَّمُوذَجُ الثَّانِي:قَاتِلُ الْمِئَةِ وَسَعَةُ رَحْمَةِ الله:

•وَأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ-أَيْضًا-فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ التَّوْبَةِ بِرَقَمِ(2766)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ :

{ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ:{ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ }

.

-فَانْظُرْ إِلَي سَعَةِ رَحْمَةِ الله تَعَالَي فَإِنَّهَا تَبْعَثُ الأَمَلَ فِي نُفُوسِ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الدَّعَوَاتِ بِرَقَمِ(٣٤٩١)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَقُولُ :{ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ

لَكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً }.

•فَالْإيمَانُ وَالْأَمَلُ قرينَانِ فَعَلَي كُلِّ مَكْرُوبٍ وَمَهْمُومٍ وَمُبْتَلي أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَ بِرَبِّهِ مَعَ حُسْنِ الْعَمَلِ، وَيُؤَمِّلَ الْخَيْرَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَي يَقُولُ:{...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}. (الطَّلَاق:٣:٢).

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ}. (اللَّيل:٧:٥).و.يَقُولُ سُبْحَانَهُ:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}. (الشَّرح:٦:٥).وَلا يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ.

•اللَّهُمَّ اغْفِرِ الذَّنْبَ، وَاسْتُرِ الْعَيْبِ، وَفَرِّجِ الْكَرْبَ، وَأَذْهِبِ الْهَمَّ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١١)

قَوَاعِد
مَنْهَجِيَّة فِي جِهَادِ الأعْدَاءِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ للَّهِ وَحْدَهُ،وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ.
أَمَّا بَعْدُ:

•فَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمَنْهَجِيَّةِ فِي فَرِيضَةِ الْجِهَادِ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ أَرْضًا لِلْمُسْلِمِينَ أَصْبَحَ الْجِهَادُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُغْتَصَبَةِ مَعَ ضَرُورَةِ الْإِعْدَادِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }.(الأنفال:٦٠).

،وبِالنِّسْبَةِ لِلدُّوَلِ الْمُسْلِمَةِ الْمُجَاوِرَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهَا النَّصْرُ مَعَ مُرَاعَاةِ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.(الأنفال:٧٢).

،قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{ هَذَا عَقْدُ مُوَالَاةٍ وَمَحَبَّةٍ، عَقَدَهَا اللّهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللّه، وَتَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ لِلّه لِأَجْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللّه، وَبَيْنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَوْا رَسُولَ اللّه ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ وَأَصْحَابَهُ وَأَعَانُوهُمْ فِي دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، لِكَمَالِ إِيمَانِهِمْ وَتَمَامِ اتِّصَالِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا } فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا وَلَايَتَكُمْ بِانْفِصَالِهِمْ عَنْكُمْ فِي وَقْتِ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى الرِّجَالِ،فَلَمَّا لَمْ يُهَاجِرُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ وَلَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْءٌ. لَكِنَّهُمْ { وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ } أَيْ: لِأَجْلِ قِتَالِ مَنْ قَاتَلَهُمْ لِأَجْلِ دِينِهِمْ { فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ } وَالْقِتَالُ مَعَهُمْ،وَأَمَّا مَنْ قَاتَلُوهُمْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ نَصْرُهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى:

{ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ } أي: عهدٌ بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون المتميزون الذين لم يهاجروا قتالهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق.{ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم }.

-فلابدَّ أن تنضبط العاطفة بالمنهج فهذا من عوامل النصر،وتذكروا موقف الفاروق عمر بن الخطاب-رضي الله تعالى عنه-يوم الحديبية ،فقد أخرج الإمام البخاري-رحمه الله تعالى-في صحيحه برقم(٣١٨٢)من حديث التابعي أبي وائل شقيق بن سلمة-رضي الله تعالى عنه-قال:{ كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال:
أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى. فقال:
ألیس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال:
فعلام نعطي الدنية في ديننا،أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال:
يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدا، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي-صلى الله عليه وسلم-، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله، أوفتح هو؟ قال: نعم }.،وفي رواية:
{ لما قدم سهل بن حنيف من صفين أتيناه نستخبره، فقال: اتهموا الرأي؛ فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أمره، لرددت، والله ورسوله أعلم، وما وضعنا أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا، إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خصما إلا انفجر علينا خصم، ما ندري كيف نأتي له }.

-وتذكروا قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو-رضي الله تعالى عنهما-يوم الحديبية في حديث البخاري الطويل برقم(٢٧٣١) وفيه:

{ .. فقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إلَّا رَدَدْتَهُ إلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟!

فَبَيْنَما هُمْ كَذَلكَ إذْ دَخَلَ أبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِه، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِه بيْنَ أظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا -يَا مُحَمَّدُ- أوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أنْ تَرُدَّهُ إلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
إنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ إذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيءٍ أبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
فَأَجِزْهُ لِي، قَالَ: مَا أنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: بَلَى فَافْعَلْ، قَالَ: مَا أنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أبُو جَنْدَلٍ: أيْ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، ألَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟! وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ ..}.

-وَتَذَكَّرُوا قِصَّةَ أَبِي بَصِير-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الَّتِي وَرَدَتْ فِي حَدِيثِ ابْن حِبَّان-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٨٧٢)

وَفِيهِ:{ ثُمَّ رَجَعَ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْمَدِينَةِ فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسلِمٌ فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ وَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فَدفعهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ فَخرَجَا حَتَّى بَلَغَا بِهِ ذَا الْحُلَيْفَةِ فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمرٍ لَهُمْ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللهِ لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا فَقَالَ:
أَجَلْ وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم:
لقد رأى هذا ذُعْرًا فلمَّا انتهى إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ: قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

وَيْلُ امِّهِ لَوْ كَانَ مَعَهُ أَحَدٌ فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ قَالَ: وَتَفَلَّتَ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ قَالَ: فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تُنَاشِدُهُ اللهَ وَالرَّحِمَ لَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مِمَّنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا:{ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ }.(الفتح: ٢٤) حَتَّى بَلَغَ { حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ }.(الفتح: ٢٦).

وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.{

-وَتَذَكَّرُوا مَا قَالَهُ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–فِي سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج (١) ص:(١٩٦):

{ لَا تُوَلُّوا الْبَرَاءَ بْنَ مَالِكٍ إِمْرَةَ جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ خَشْيَةَ أَنْ يُهْلِكَهُ بِإِقْدَامِهِ }.

-فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ الرَّأْيِ وَالْعَاطِفَةِ الْغَيْرِ مُقَيَّدَةٍ بِالْمَنْهَجِ فَإِنَّهَا عَاصِفَةٌ جَالِبَةٌ لِلفَوْضَى وَضَيَاعِ مُقَدَّرَاتِ الْمُسْلِمِينَ،وَالْزَمُوا وُلَاةَ أُمُورِكُمْ وَحُكَّامَكُمْ ، فَمِنْ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ كَمَا قَالَ صَاحِبُ الطَّحَاوِيَّةِ:

{ وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا شَيْءٌ }.(انْظُرْ: كِتَابَ شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِ خَالِد الْمُصْلِح ج١٧ ص:٨ المكتبة الشّاملة).

-وَالْزَمُوا الدُّعَاءَ فَإِنَّهُ عَامِلٌ مِنْ عَوَامِلِ النَّصْرِ لِمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنَّهُ قَالَ:{ هَلْ تُنْصَرُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ ؟ بِدَعْوَتِهِمْ وَ إِخْلَاصِهِمْ }.(انْظُرْ: صَحِيحَ الْجَامِعِ:٧٠٣٤).

-وَاسْتَقِيمُوا عَلَى أَمْرِ رَبِّكُمْ فَالاسْتِقَامَةُ عَامِلٌ مِنْ عَوَامِلِ النَّصْرِ فَلَا تَنْزِلُ الْعُقُوبَاتُ إِلَّا بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ قَالَ تَعَالَى:{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }.(الرُّوم:٤١).

-وَأَرْسِلُوا الْمُسَاعَدَاتِ الْمَالِيَّةَ لِلمُسْتَضْعَفِينَ الْمُوحِّدِينَ،فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٢٨٤٣) وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(١٨٩٥) مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا }.

•وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ تَفْسِيقِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا وَتَكْفِيرِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا وَتَخْوِينِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا وَتَأَدَّبُوا بِأَدَبِ الْخِلَافِ فَإِنَّ أَعْدَاءَكُمْ يَنْشَطُونَ فِي نَشْرِ الْأَكَاذِيبِ وَالشَّائِعَاتِ لِيَنَالُوا مِنْ وِحْدَتِكُمْ وَالاصْطِفَافِ خَلْفَ حُكَّامِكُمْ وَوُلَاةِ أُمُورِكُمْ وَاحْذَرُوا أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْكُمْ فِكْرُ الْخَوَارِجِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُونَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟

اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

•فَاللَّهُمَّ نَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَ،فَرِّجْ كَرْبَ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُوَحِّدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ،وَأَهْلِكْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ،وَأَمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٢)

تَقْوَى اللَّهِ غَايَةٌ مَنْشُودَةٌ وَدُرَّةٌ مَفْقُودَةٌ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحمْدُ لله الَّذي أكْمَلَ لَنَا الدِّين، وَأتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، وَجعَل أُمَّتنَا ولَهُ الْحمْدُ خَير أُمَّة، وبعَث فِينَا رَسُولًا منَّا يَتْلُو علَيْنَا آيَاته، ويُزَكِّينَا ويُعلِّمنَا الْكِتَابَ والْحكْمَةَ، وأَشْهَدُ أنْ لَّا إلَهَ إلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ، شَهَادَةً تكُونُ لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهَا خَيْر عِصْمَةَ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ أَرْسَلَهُ لِلعَالَمِينَ رَحْمَةً، وخَصَّهُ بِجوامِعِ الْكَلِمِ، فَرُبَّمَا جَمَعَ أشْتَاتَ الْحِكَمِ والْعِلْمِ فِي كَلِمَةٍ أوْ شَطْرِ كَلِمَةٍ، صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وأَصْحَابِه صَلَاةً تكُونُ لَنَا نُورًا مِنْ كُلِّ ظُلْمَةٍ، وسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا .أمَّا بعْدُ• :فَبيْنَ يدَيْكَ يا طَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وإِيَّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ } تَقْوَى اللَّه غَايَةٌ مَنْشُودَةٌ ودُرَّةٌ مَفْقُودَةٌ } ،فِيهَا بَيَانٌ لِوَصِيَّةِ اللَّه لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ تَقْوَى اللَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ هَذِه الْغَايَةِ الْمَنْشُودَةِ والدُّرَّةِ الْمَفْقُودَةِ،هَذَا وقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

أوَّلًا:تَعْرِيفُ التَّقْوَى

- (أ)لُغَةً- :

التَّقْوَى لُغَةً هِيَ: الصِّيَانَةُ وَالْحَذَرُ وَالْحِمَايَةُ وَالْحِفْظُ،فَهِيَ مِنَ الْوِقَايَةِ مَصْدَر وِقَاءِ بِمَعْنَى حِفْظ الشِّيء عَمَّا يُؤذِيه ومِنْهُ قَوْلُ اللَّه تَعَالَى:

{ ووَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }.(الدُّخان:٥٦).،ومَعْنَى قَوْلِكَ اتَّقِ اللَّهَ أيْ:اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّه وِقَايَةً ومِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-:{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ }.(الْبُخَارِيّ:١٤١٣، ومُسْلِم:٢٣٤٧ مِنْ حَدِيث عَدِيّ بْن حَاتِم)

.(ب)شَرْعًا:

- :تَعَدَّدَتْ تَعَارِيفُ التَّقْوَى فِي الشَّرْعِ ومُلَخَّصُهَا:فِعْلُ الْأوَامِرِ وَالْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ فِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ وَفِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ- .وعَرَّفَهَا طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فَقَالَ }:إذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ فَأَطْفِئُوهَا بِالتَّقْوَى قَالُوا:ومَا التَّقْوَى؟ قَالَ:هِيَ أنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّه عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّه رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّه، وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعَاصِي اللَّه عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّه مَخَافَةَ عَذَابِ اللَّه}.(رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِه:٣٠٩٩٣.)

- ورَوَى أبُو نُعَيْم فِي الْحِلْيَة :١٤٣/٢ :قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ يَا ابْنَ آدَمَ عَمَلَكَ عَمَلَكَ،فَإنَّمَا هُوَ لَحْمُكَ ودَمُكَ، فَانْظُرْ عَلَى أيِّ حَالٍ تَلْقَى عَمَلَكَ، إنَّ

لأهلِ التَّقوى عَلَامات يُعْرَفُون بِها: صدقُ الْحَديث ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْد ، وَصلةُ الرَّحمِ ، ورَحْمَةُ الضُّعفَاءِ ، وَقِلَّةُ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ ، وَقِلَّةُ الْمُبَاهَاةِ للنَّاسِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ }

• ثَانيًا:التَّقْوَى وَصيَّةُ اللَّه وَرَسُولِه وَالصَّالِحين:

-التَّقْوَى جماعُ الْخَيْرِ،وَهِي الْغَايَةُ الْمَنْشُودَةُ،وَهِي وَصيَّةُ اللَّه تَعَالَى للأَوَّلِين وَالْآخِرِين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَلِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا }.(النِّساء:١٣١)

-أي: وَلله وَحْدَه مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمُلْكُ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى أَهْلِ الْكِتَاب من الْيَهُود وَالنَّصارَى، وَعَهِدْنَا إِلَيْكُمْ بامْتِثَال أوامر الله وَاجْتِنَاب نَوَاهِيه، وَإِنْ تَكْفُرُوا بِهَذَا الْعَهْد فَلَنْ تَضرُّوا إِلَّا أَنْفُسَكُمْ، فَالله غَنِيٌّ عَنْ طَاعَتكُمْ، فَلَهُ مُلْكُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِه، الْمَحْمُودُ عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِه وَأَفْعَالِه- .وَالتَّقْوَى وَصيَّةُ النَّبيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–لأُمَّتِه:

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى–في سُنَنِه–وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–في صَحيحِ أبِي دَاوُدَ برقَمِ (4607)مِنْ حَديث عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ عَمْرو السُّلَمِيِّ وَحُجْرِ بْنِ حُجْرٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُمَا–قَالَا:أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيه {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْه} فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا : أَتَيْنَاكَ ؛ زَائِرِينَ، وَعَائِدِينَ، وَمُقْتَبِسِينَ . فَقَالَ الْعِرْبَاضُ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ . فَقَالَ قَائِلٌ :يَا رَسُولَ اللَّه!كَأَنَّ هَذِه مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ،فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : {أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّه وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ}

- .وأخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمِذيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى– في سُنَنِهِ برقَمِ(٦١٦ (مِنْ حَدِيث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ–رَضيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَال:سمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ– يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ:

{اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ- .{ وَأخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمِذيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى– في سُنَنِهِ برقَمِ (١٩٨٧) مِنْ حَدِيث أبي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ–رَضيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ–قَال :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ–:{ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ }

-وَالتَّقْوَى وَصيَّةُ الصَّالِحِينَ لِأَبْنَائِهِمْ ولِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ- :فَهَذِهِ وَصِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رَضيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ– لِابْنِهِ عَبْدِ الله–رَضيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُمَا– فِي غَيْبَةِ غَائِبِهَا: { أمَّا بَعْدُ: فَإنَّهُ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ، ومَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ. فَاجْعَلِ التَّقْوَى جِلَاءَ بَصَرِكَ، وعِمَادَ ظَهْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، ولَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ، ولَا خَيْرَ لِمَنْ لَا خَشْيَةَ لَهُ، ولَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ }.(انْظُرْ:الْعِقْدَ الْفَرِيدَ لابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، وَ : مَنَاقِبَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لابْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَ: الْمُنْتَخَبَ مِن وَصَايَا الْآبَاءِ للأَبْنَاءِ ل:وائل حَافظ خَلَف ص:٢٣)

- .وكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– إِلَى أَحَدِ عُمَّالِهِ فَقَالَ: { أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهَا، وَلَا يَرْحَمُ إِلَّا أَهْلَهَا، وَلَا يُثِيبُ إِلَّا عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ الْوَاعِظِينَ بِهَا كَثِيرٌ وَالْعَامِلِينَ بِهَا قَلِيلٌ، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ }.(انْظُرْ: الْبِدَايَةَ وَالنِّهَايَةَ لابْنِ كَثِيرٍ ج :٩ ص:٢٠١

- ثَالِثًا:بَعْضُ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ:

-وَرَدَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُوَضِّحُ بَعْضَ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ أَذْكُرُ مِنْهَا (1) :قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ الم (١)ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢)الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }.(البقرة:١-٥)

• الشَّرْحُ :

-{الم} هَذِهِ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهَا بَعْضُ سُورِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ حُرُوفٌ هِجَائِيَّةٌ لَا مَعْنَى لَهَا فِي نَفْسِهَا إِذَا جَاءَتْ مُفْرَدَةً هَكَذَا (أ، ب، ت، إلخ)، وَلَهَا حِكْمَةٌ وَمَغْزَى؛ حَيْثُ لَا يُوجَد فِي الْقُرْآنِ مَا لَا حِكْمَةَ لَهُ، وَمِنْ أَهَمِّ حِكَمِهَا: الْإِشَارَةَ إِلَى التَّحَدِّي بِالْقُرْآنِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنَ الْحُرُوفِ نَفْسِهَا الَّتِي يَعْرِفُونَهَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِهَا؛ لِذَا يَأْتِي غَالِبًا بَعْدَهَا ذِكْرٌ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ،وَمِنْ حِكَمِهَا:إِثْبَاتُ صِدْقِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أُمِّيًّا وَالْأُمِّيُّ لَا يَعْرِفُ الْأَحْرُفَ فَإِذَا جَاءَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ بِالْأَحْرُفِ فِي أَوَائِلِ بَعْضِ سُورِ الْقُرْآنِ فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِهِ وَأَنَّهُ يُبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا،وَمِنْ حِكَمِهَا:قَطْعُ الْغُرُورِ الْعِلْمِيِّ فَكُلُّ مَنْ شَمَخَتْ نَفْسُهُ بِالْعِلْمِ تَأْتِي هَذِهِ الْأَحْرُفُ لِتَقْطَعَ غُرُورَهُ وَكِبْرَهُ فَإِنْ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِهَا قَالَ: اللَّهُ أَعْلَم

- .ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَا شَكَّ فِيهِ، لَا مِنْ جِهَةِ تَنْزِيلِهِ، وَلَا مِنْ حَيْثُ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، فَهُوَ كَلَامُ اللهِ، يَهْدِي الْمُتَّقِينَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ- .الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَهُوَ كُلُّ مَا لَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ وَغَابَ عَنَّا، مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَوْ أَخْبَرَ عَنْهُ رَسُولُهُ، كَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِأَدَائِهَا وَفْقَ مَا شَرَعَ اللهُ مِنْ شُرُوطِهَا، وَأَرْكَانِهَا، وَوَاجِبَاتِهَا، وَسُنَنِهَا، وَهُمُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ، بِإِخْرَاجِ الْوَاجِبِ كَالزَّكَاةِ، أَوْ غَيْرِ الْوَاجِبِ كَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ؛ رَجَاءَ ثَوَابِ اللهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْوَحْيِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ – أَيُّهَا النَّبِيُّ – وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قَبْلِكَ دُونَ تَفْرِيقٍ، وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِيمَانًا جَازِمًا بِالْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ- .هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى تَمَكُّنٍ مِنْ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ، وَهُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِنَيْلِهِمْ مَا يَرْجُونَ وَنَجَاتِهِمْ مِمَّا يَخَافُونَ

(2) .وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

أَنفسَهُمْ ذَكرُوا اللَّهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }.(آل عمران:١٣٣-١٣٦)

- الشَّرْحُ.

- أيْ: وبَادِرُوا وسَابِقُوا إِلَى فعلِ الْخَيْرَات، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى الله بِأنْوَاعِ الطَّاعَات؛ لِتَنَالُوا مَغْفِرَةً مِن الله عَظِيمَةً، وتَدْخُلُوا جَنَّةً عَرضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْض، هَيَّأهَا الله لِلْمُتَّقِين مِنْ عِبَادِه- .الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِين يَبْذُلُونَ أموَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله، فِي حَالِ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ، وَالْمَانِعُونَ غَضَبَهُمْ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الانْتِقَام، وَالْمُتَجَاوِزُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، وَالله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ الْمُتَّصِفِين بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ- .وَهُمُ الَّذِين إذَا فَعَلُوا كَبِيرَةً مِن الذُّنُوب، أَوْ نَقَصُوا حَظَّ أَنْفُسِهِمْ بِارْتِكَابِ مَا دُونَ الْكَبَائِر، ذَكَرُوا اللهَ تَعَالَى، وَتَذَكَّرُوا وَعِيدَهُ لِلعَاصِين، وَوَعْدَهُ لِلْمُتَّقِين، فَطَلَبُوا مِنْ رَبِّهِمْ نَادِمِينَ سَتْرَ ذُنُوبِهِمْ وَعَدَمَ مُؤاخَذَتِهِمْ بِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى ذُنُوبِهِمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُذْنِبُونَ، وَأَنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا.

-أولَئِكَ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَة، وَالْخِصَالِ الْمَجِيدَة، ثَوَابُهُمْ أَنْ يَسْتُرَ اللهُ ذُنُوبَهُمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْهَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ، مُقِيمِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَنِعْمَ ذَلِكَ الْجَزَاء لِلعَامِلِينَ بِطَاعَةِ الله• .رَابِعًا: ثِمَارُ التَّقْوَى فِي الْحَالِ وَالْمَآل :

- لِلتَّقْوَى آثَارٌ كَثِيرَة،وَثِمَارٌ جَلِيلَة فِي الدنيَا وَالْآخِرَةِ أَذْكُرُ مِنْهَا) :أ) ثِمَارُ التَّقْوَى فِي الْحَالِ(الدُّنيَا

-مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى فِي الْحَالِ(الدُّنْيَا)

(1) :التَّقْوَى سَبِيلُ اسْتِجْلَابِ الرِّزْقِ- :

مِنْ وَسَائِلِ اسْتِجْلَابِ الرِّزْقِ تَقْوَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ وَتَصْدِيقِ أَخْبَارِهِ وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا }.(الطَّلَاق:٢-٣)

- .جَاءَ فِي تَفْسِيرِ أَبِي السُّعُودِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ} الخ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ، مُؤَكِّدَةٌ لِمَا سَبَقَ مِنْ وُجُوبِ مُرَاعَاةِ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوَعْدِ عَلَى الاتِّقَاءِ عَنْ تَعَدِّيهَا، كَمَا أَنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، مُؤَكِّدٌ لَهُ بِالْوَعِيدِ عَلَى تَعَدِّيهَا. فَالْمَعْنَى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَطَلَّقَ لِلسُّنَّةِ، وَلَمْ يُضَارَّ الْمُعْتَدَّةَ، وَلَمْ يُخْرِجْهَا مِنْ مَسْكَنِهَا، وَاحْتَاطَ فِي الْإِشْهَادِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأُمُورِ

: {يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، مِمَّا عَسَى يَقَعُ فِي شَأْنِ الْأَزْوَاجِ مِنَ الْغُمُومِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمَضَايِقِ، وَيُفَرِّجْ عَنْهُ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْكُرُوبِ {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} أَيْ مِنْ وَجْهٍ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ وَلَا يَحْتَسِبُهُ- .وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍۢ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}.(الأعراف:٩٦)

- .أَيْ:لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ إِيمَانًا صَادِقًا صَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، وَاسْتَعْمَلُوا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِتَرْكِ جَمِيعِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، لَفَتَحَ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَأَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَأَنْبَتَ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ مَا بِهِ يَعِيشُونَ وَتَعِيشُ بَهَائِمُهُمْ، فِي أَخْصَبِ عَيْشٍ وَأَغْزَرِ رِزْقٍ،مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ وَلَا تَعَبٍ،وَلَا كَدٍّ وَلَا نَصَبٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَيَتَّقُوا { فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }

بِالْعُقُوبَاتِ وَالْبَلَايَا وَنَزْعِ الْبَرَكَاتِ، وَكَثْرَةِ الْآفَاتِ، وَهِيَ بَعْضُ جَزَاءِ أَعْمَالِهِمْ، وَإِلَّا فَلَوْ أَخَذَهُمْ بِجَمِيعِ مَا كَسَبُوا،مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ.{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }.(الرُّوم:٤١)

- .فَعَدَمُ التَّقْوَى يُثْمِرُ الضِّيقَ وَالْكَرْبَ وَالْمَفَاسِدَ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ- .فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(4019)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ:{يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ!خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ؛حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ،وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ

السَّمَاءِ،وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ. }

(2) التَّقْوَى سَبِيلُ تَيْسِيرِ الْأُمُورِ

- :تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى سَبِيلٌ لِتَيْسِيرِ أُمُورِ الْإِنْسَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً }.(الطَّلَاق:٤).أَيْ :وَمَنْ يَخَفِ الله، فَيُنَفِّذْ أَحْكَامَهُ، يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ- .وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ(٥)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ(٦ (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ}.(اللّيل:٥-٧ }- .(فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى }. أَيْ: مَا أُمِرَ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ، كَالزَّكَوَاتِ، وَالْكَفَّارَاتِ وَالنَّفَقَاتِ، وَالصَّدَقَاتِ، وَالْإِنْفَاقِ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، وَالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ كَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ وَنَحْوِهِمَا،وَالْمُرَكَّبَةِ مِنْهُمَا، كَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَنَحْوِهِمَا. { وَاتَّقَى } مَا نُهِيَ عَنْهُ، مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَعَاصِي، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا}

- .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى } أَيْ: صَدَّقَ بِـــ (لَا إِلَهَ إِلَّا الله) وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، مِنْ جَمِيعِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، وَمَا تَرَتَّبَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَزَاءِ الْأُخْرَوِيِّ }- .فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى } أَيْ: نُسَهِّلُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَنَجْعَلُهُ مُيَسَّرًا لَهُ كُلَّ خَيْرٍ، مُيَسَّرًا لَهُ تَرْكُ كُلِّ شَرٍّ، لِأَنَّهُ أَتَى بِأَسْبَابِ التَّيْسِيرِ، فَيَسَّرَ الله لَهُ ذَلِكَ.

(3)التَّقْوَى سَبِيلُ النَّجَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ- :مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا سَبِيلُ النَّجَاةِ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ }.(الأعراف:٢٠١- .(أَيْ:إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوُا الله بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ إِذَا أَصَابَتْهُمْ وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَأَذْنَبُوا؛ تَذَكَّرُوا عَظَمَةَ الله وَعِقَابَهُ لِلْعُصَاةِ وَثَوَابَهُ لِلْمُطِيعِينَ، فَتَابُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، فَإِذَا هُمْ قَدِ اسْتَقَامُوا عَلَى الْحَقِّ، وَصَحَوْا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَانْتَهَوْا

(4) .التَّقْوَى سَبِيلُ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ- :

مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى فِي الدُّنْيَا التَّوْفِيقُ لِلتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }.(الأنفال:٢٩- .(أيْ: يَا أيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ إِنْ تَتَّقُوا اللهَ بِفِعْلِ أوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فَصلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيَمْحُ عَنْكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَسْتُرْهَا عَلَيْكُمْ، فَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهَا وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

(5)التَّقْوَى سَبِيلُ الْوِلَايَةِ- :

وَمِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى فِي الدُّنْيَا أنَّهَا سَبِيلُ الْوِلَايَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }.(الأنفال:٣٤- .(فَقَوْلُهُ..}:

إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ..}.أيْ:إنْ أوْلِيَاءُ اللهِ إلَّا الَّذِينَ يَتَّقُونَهُ بِأدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ.

(ب) ثِمَارُ التَّقْوَى فِي الْمَآلِ(الْآخِرَةِ) :

مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى فِي الْمَآلِ(الْآخِرَةِ)

(1) :التَّقْوَى سَبَبٌ لِلْإكْرَامِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:

- مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى فِي الْآخِرَةِ أنَّهَا سَبَبُ الْإِكْرَامِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : }إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .{ الحجرات:١١- .(أيْ: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ، أتْقَاكُمْ، أيْ أكْثَرُكُمْ طَاعَةً وَانْكِفَافًا عَنِ الْمَعَاصِي، لَا أكْثَرُكُمْ قَرَابَةً وَقَوْمًا، وَلَا أشْرَفُكُمْ نَسَبًا.

(2) التَّقْوَى: سَبَبٌ لِلفَوْزِ وَالْفَلَاحِ- :

وَمِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى أنَّهَا سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }.(النُّور:٥٢- .(أيْ: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فِي الْأمْرِ وَالنَّهْيِ، وَيَخَفْ عَوَاقِبَ الْعِصْيَانِ، وَيَحْذَرْ عَذَابَ اللهِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْفَائِزُونَ بِالنَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ.

(3) التَّقْوَى سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ—:

–وَمِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى أنَّهَا سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى } :وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا }.(مريم:٧١–٧٢).وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}.(اللَّيل:١٧ .)

(4)التَّقْوَى سَبَبٌ لِقَبُولِ الْأعْمَالِ:

- ومن ثمار التَّقوى أنها سببٌ لقبول الأعمال قال اللَّهُ تعالى: { واتْلُ عليهم نبأَ ابنَي آدمَ بالحق إذْ قرَّبا قربانا فتُقبِّل من أحدهما ولم يُتقبَّل من الآخرِ قال لأَقتُلنَّك ۖ قال إنَّما يَتَقبَّلُ اللَّهُ من المُتَّقين }. (المائدة:٢٧.)

- أي: واقصص -أيها الرَّسولُ- على بني إسرائيل خبر ابنَي آدمَ ، وهو خبرٌ حقٌ: حين قدَّم كلٌّ منهما قربانا -وهو ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى - فتقبَّل الله قُربان هابيل؛ لأنَّه كان تقيًّا، ولم يَتقبَّل قُربان قابيل؛ لأنَّه لم يكنْ تقيًّا، فحسد قابيلُ أخاه، وقال: لأقتُلنَّك، فردَّ هابيل: إنما يتقبَّل الله ممَّن يخشونه

(5) .التَّقوى سببٌ قويٌ لأنْ يرِثوا الْجنَّة:

-ومن ثمار التَّقوى أنَّها سببٌ قويٌّ لأنَّ يرث أصحابُها الْجنَّة ، قال اللَّهُ تعالى: { تلْك الْجنَّةُ الَّتي نورثُ من عبادنا من كان تقيًّا }. (مريم:٦٣- .(أيْ: هذه الْجنَّةُ الْموصوفةُ بهذه الصِّفات هي الَّتي نورثُها من عبادنا منْ كان ممتثلًا للأوامرِ، مُجتنبًا للنَّواهي

(6) .إنَّ الْمُتَّقين لهُمْ في الْجنَّة غُرفٌ- :

ومنْ ثمار التَّقوى أنَّ المتَّقين لهمْ في الْجنَّة غُرفٌ مبنيَّةٌ منْ فوقها غرفٌ، قال اللَّهُ تعالى: { لكن الَّذين اتَّقوْا ربهم لهمْ غرفٌ مِّن فوقها غُرفٌ مبنيَّةٌ تجري من تحتها الأنْهارُ وعْدَ اللَّه لا يُخلفُ اللَّهُ الميعادَ }. (الزُّمر:٢٠)

(7) .إنَّ الْمُتَّقين فوقَ الَّذين كفرُوا

- :ومنْ ثمار التَّقوى أنَّ أهلَها بسبب تقواهُمْ يكُونُون فوقَ الَّذين كفرُوا يومَ الْقيامَة في محشرِهمْ، ومنْشرِهم، ومأواهُمْ، فاستقرُّوا في الدَّرجات في أعلَى علِّيين، قال اللَّهُ تعالى: { زيِّن للَّذين كفروا الْحياةُ الدُّنيا ويسخرُون من الَّذين آمنُواْ والَّذين اتَّقواْ فوقهُمْ يومَ الْقيامَة واللَّهُ يرزُقُ من يشاء بغيْرِ حساب } .(البقرة:٢١٢)

(8) .التَّقْوى سببٌ في دُخول الْجنَّة :

-ومنْ ثمار التَّقوى أنَّها سببٌ لدُخول أهلها الْجنَّة، وذلك لأنَّ الْجنَّة أُعدتْ لهُمْ، قال اللَّهُ تعالى:{ وسارعواْ إلى مغفرة مِّن ربكُمْ وجنَّة عرضُها السَّماوات والأرضُ أُعدتْ للْمُتَّقين }. (آل عمران:١٣٣). وقال اللَّهُ تعالى:{ ولوْ أنَّ أهلَ الْكتاب آمنُواْ واتَّقوْاْ لكفَّرنا عنهُمْ سيِّئاتهمْ ولأدْخلْناهُمْ جنَّات النَّعيم(.{ المائدة:٦٥)

(9) .التَّقْوى سببٌ للتَّكْفيرِ منَ السَّيِّئات:

- ومَنْ ثمَارِ التَّقْوَى أنَّهَا سَبَبٌ للتَّكْفِيرِ منَ السَّيِّئاتِ والْعفْوِ عَنِ الزلَّاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ويُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا }.(الطَّلاق:٥)، وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ واتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ولَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ .} (المائدة:٦٥)

(10) التَّقْوَى سَبَبٌ لِنَيْلِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ، وتَلَذُّ الْأَعْيُنُ

- :ومَنْ ثمَارِ التَّقْوَى أنهَا سَبَبٌ لِنَيْلِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ، وتَلَذُّ الْأَعْيُنُ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ) .{ النَّحل:٣١.)

(11) التَّقْوَى سَبَبٌ لِعَدَمِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ:

- ومَنْ ثمَارِ التَّقْوَى أنَّهَا سَبَبٌ لِعَدَمِ الْخَوْفِ والْحُزْنِ وعَدَمِ الْمَسَاسِ بِالسُّوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }.(الزُّمر:٦١).

وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى :{ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ }) .يونس:٦٢-٦٣)

(12)إنَّ الْمُتَّقِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفْدًا:

-ومَنْ ثمَارِ التَّقْوَى فِي الْآخِرَةِ أنَّ الْمُتَّقِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفْدًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والْوَفْدُ: هُمُ الْقَادِمُونَ رُكْبَانًا، وَهُوَ خَيْرُ مَوْفُودٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا }. (مريم:٨٥.)

• فَاللَّهُمَّ اهْدِنَا واهْدِ بِنَا،ويَسِّرِ الْهُدَى لَنَا، واجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنَ اهْتَدَى،آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وصَلِّ اللَّهُمَّ وسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

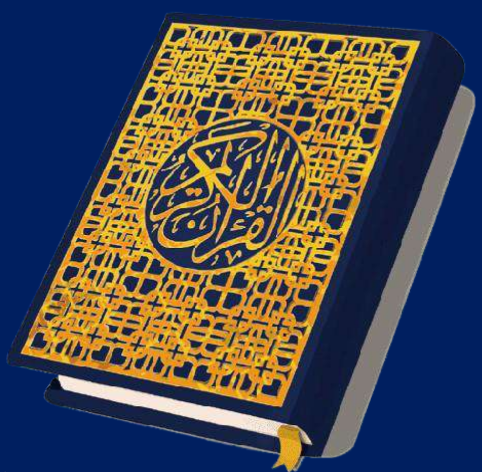
بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٣)

أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الحَمْدُ لِله رَبِّ الأرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأسْبَابِ، وَخَالِقِ البَحْرِ العُبَابِ، بَثّ فِي الكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الألبَابِ، وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ :

•فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-أَنَّ السَّعْيَ فِي نَفْعِ الْآخَرِينَ وَفِعْلِ الْخَيْرِ لَهُمْ مِنْ أعْظَمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا الْإِنْسَانُ؛ فَقَدْ قَرَنَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَعْظَمِ عِبَادَةٍ وَهِيَ الصَّلَاةُ فَقَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.(الحجّ:٧٧)

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: { يَأْمُرُ تَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤمنينَ بالصلَاة، وَخَصَّ منْهَا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، لفضلهما ورُكْنيَّتهمَا، وَعبادَته الَّتي هي قُرَّةُ الْعُيُون، وَسَلْوَةُ الْقَلْبِ الْمَحْزُونِ، وَأَنَّ رُبُوبيَّتَهُ وإحسَانَهُ عَلَى الْعِبَاد، يَقْتَضي منْهُمْ أَنْ يُخْلصُوا لَهُ الْعبَادَةَ، وَيَأمُرُهُم بِفعلِ الْخَيْرِ عُمُومًا. وَعَلَّقَ تَعَالَى الْفَلَاحَ عَلَى هذه الْأُمُورِ فَقَالَ: { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أي: تَفُوزُونَ بِالْمَطْلُوبِ الْمَرْغُوبِ، وَتَنْجونَ منَ الْمَكْرُوه الْمَرْهُوب، فَلَا طَرِيق للفَلَاحِ سوى الْإِخْلَاصِ في عبَادَةِ الْخَالق، وَالسَّعْي في نَفْعِ عَبيده، فَمَنْ وُفِّقَ لذَلك، فَلَهُ الْقدحُ الْمُعلَّى، منَ السَّعادَة وَالنَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ }

-وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أصفيَائِهِ-عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-: {..وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ..}. (الأنبياء:٧٣).

-أيْ: يَفْعَلُونَهَا وَيَدْعُونَ النَّاس إِلَيْهَا، وَهَذَا شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ، مِنْ حُقُوقِ اللهِ، وَحُقُوقِ الْعِبَادِ

•وَقَدْ صَنَّفْتُ هَذِه الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الْمُهِمّ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّه أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ }. هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّه التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا:الْإِسْلَامُ وَالدَّعْوَةُ لِنَفْعِ الْغَيْرِ:

•لَقَدْ حَرَصَ الْإِسْلَامُ عَلَى تَرْبِيَةِ الْمُسْلِمِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي تَرْبِطُ الْمُسْلِمَ بِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ،وَهَذِه الْعَقِيدَةُ بِدَوْرِهَا تُثْمِرُ الْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ وَحُبَّ الْخَيْرِ لِلغَيْرِ مِمَّا يُحَقِّقُ لِلمُسْلِمِ السَّلَامَ النَّفْسِيَّ،وَيُحَقِّقُ الاسْتِقْرَارَ لِلمُجْتَمَعِ.

(1)أَخْرَجَ الْإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ بِرَقَمِ(٦/٥٨)وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(٤٢٦)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ}.

–قَالَ الْمَنَاوِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي شَرْحِ قَوْلِه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ}قَالَ:لِحُسْنِ أَخْلَاقِه،وَسُهُولَةِ طِبَاعِه، وَلِينِ جَانِبِه وَفِي رِوَايَةٍ:{أَلِفٌ مَأْلُوفٌ} وَالْأَلْفُ اللَّازِمُ لِلشَّيءِ فَالْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ الْخَيْرَ وَأَهْلَه وَيَأْلَفُونَه بِمُنَاسَبَةِ الْإِيمَانِ ، قَالَ الطِّيبِيُّ:

وَقَوْلُهُ:{الْمُؤْمِنُ أَلِفٌ} يُحْتَمَلُ كَوْنُهُ مَصْدَرًا عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ كَرَجُلٍ عَدْلٍ أَوْ اسْمَ كَانَ أَيْ يَكُونُ مَكَانَ الأُلْفَةِ وَمُنْتَهَاهَا وَمِنْهُ إِنْشَاؤُهَا وَإِلَيْه مَرْجِعُهَا{وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ} لِضَعْفِ إِيمَانِه ، وَعُسْرِ أَخْلَاقِه ، وَسُوءِ طِبَاعِه، وَالْأُلْفَةُ سَبَبٌ لِلاعْتِصَامِ بِاللَّه وَبِحَبْلِه وَبِه يَحْصُلُ الْإِجْمَاعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَبِضِدِّه تَحْصُلُ النَّفْرَةُ بَيْنَهُمْ،وَإِنَّمَا تَحْصُلُ الْأُلْفَةُ بِتَوْفِيقٍ إِلَهِيٍّ ، وَمِنَ التَّأَلُّفِ تَرْكُ الْمُدَاعَاةِ وَالاعْتِذَارِ عِنْدَ تَوَهُّمِ شَيءٍ فِي النَّفْسِ وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَكَثْرَةِ الْمُزَاحِ}.(انْظُرْ:مَوْسُوعَةَ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص:٧٥).

–وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{بَيَّنَ بِهِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُصْلِحُ حَالَهُ إِلَّا الْأُلْفَةَ

الْجَامِعَةُ فَإِنَّهُ مَقْصُودٌ بِالْأَذِيَّةِ ، مَحْسُودٌ بِالنِّعْمَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَلفًا مَأْلُوفًا تَخْتَطِفُهُ أَيْدِي حَاسِدِيهِ، وَتَحَكَّمُ فِيهِ أَهْوَاءُ أَعَادِيهِ، فَلَمْ تَسْلَمْ لَهُ نِعْمَةٌ،وَلَمْ تَصْفُ لَهُ مُدَّةٌ،وَإِذَا كَانَ أَلِفًا مَأْلُوفًا انْتَصَرَ بِالْأُلْفِ عَلَى أَعَادِيهِ، وَامْتَنَعَ بِهِمْ مِنْ حُسَّادِهِ، فَسَلِمَتْ نِعْمَتُهُ مِنْهُمْ،وَصَفَتْ مَوَدَّتُهُ بَيْنَهُمْ وَإِنْ كَانَ صَفْوُ الزَّمَانِ كَدَرًا،وَيُسْرُهُ عُسْرًا،وَسِلْمُهُ خَطَرًا).(انْظُرْ:مَوْسُوعَةَ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص:٧٥)

-وَقَالَ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{وَلِذَلِكَ حَثَّنَا عَلَى الاجْتِمَاعَاتِ فِي الْجَمَاعَاتِ وَالْجُمُعَاتِ، لِكَوْنِ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْأُلْفَةِ، بَلْ لِذَلِكَ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمِنَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِيقَاعِ الْأُلْفَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .. وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الْإِنْسَانِ فَقَط، بَلْ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلَّفَ بَيْنَ الْأَرْكَانِ الْمُتَضَادَّةِ، لَمَا اسْتَقَامَ الْعَالَمُ}.(انْظُرْ:مَوْسُوعَةَ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص:٧٥.)

-وَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ
.أَيْ:أَفْضَلُ النَّاسِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:{أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ}.
أَيْ: أَكْثَرُ مَنْ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، وَهَذَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْعِ الْمَادِّيِّ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ النَّفْعَ بِالْعِلْمِ، وَالنَّفْعَ بِالرَّأْيِ، وَالنَّفْعَ بِالنَّصِيحَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْمَشُورَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْجَاهِ، وَالنَّفْعَ بِالسُّلْطَانِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ النَّفْعِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَشْرُفُ بِحُبِّ اللَّهِ لَهُ.

(2)وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ أَيْضًا بِرَقَمِ(٦٠٢٦)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمِ(٩٠٦) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
{أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَ لَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ اعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ ، يَعْنِي

مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا ، وَ مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَورَتَهُ ، وَ مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ مَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ ، وَ إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ }.

-لَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ –لِحِرْصِهِمْ عَلَى الطَّاعَاتِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا مَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، وَأَكْثَرِهَا قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،فَكَانَتْ إِجَابَاتُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ أَشْخَاصِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَمَا هُوَ أَكْثَرُ نَفْعًا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ}، أَيْ: أَكْثَرُ مَنْ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، وَهَذَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْعِ الْمَادِّيِّ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ النَّفْعَ بِالْعِلْمِ، وَالنَّفْعَ بِالرَّأْيِ،وَالنَّفْعَ بِالنَّصِيحَةِ،وَالنَّفْعَ بِالْمَشُورَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْجَاهِ،وَالنَّفْعَ بِالسُّلْطَانِ،وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ النَّفْعِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَشْرُفُ بِحُبِّ اللَّهِ لَهُ، {وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ}، أَيْ: أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ: هِيَ السَّعَادَةُ الَّتِي تُدْخِلُهَا عَلَى قَلْبِ الْمُسْلِمِ، وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَفْرَادِ، فَقَدْ يَتَحَقَّقُ السُّرُورُ فِي قَلْبِ الْمُسْلِمِ بِسُؤَالِ أَخِيهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِزِيَارَةِ أَخِيهِ لَهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِهَدِيَّةِ أَخِيهِ لَهُ، وَقَدْ يَتَحَقَّقُ بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَى ذَلِكَ، الْأَصْلُ أَنْ تُدْخِلَ السُّرُورَ عَلَيْهِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ اسْتَطَعْتَ،{أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً}، وَالْكُرْبَةُ: هِيَ الشِّدَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْهَمِّ وَالْغَمِّ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ أَخِيهِ كُرَبَهُ، وَيَرْفَعَ عَنْهُ غَمَّهُ، فَقَدْ وُفِّقَ بِذَلِكَ إِلَى أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، {أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا}، أَيْ: تَقْضِي عَنْ صَاحِبِ الدَّيْنِ دَيْنَهُ؛ وَذَلِكَ فِيمَنْ يَعْجَزُ عَنِ الْوَفَاءِ بِدَيْنِهِ،{أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا}،أَيْ:

بِإِطْعَامِهِ أَوْ إِعْطَائِهِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْإِطْعَامِ،{وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا}، فَفِي قَوْلِهِ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ الْمَشْيِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَتَيْسِيرِ الْعَقَبَاتِ لَهُمْ، حَتَّى جَاوَزَ هَذَا الْفَضْلُ الِاعْتِكَافَ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَلَا يَدُلُّ هَذَا إِلَّا عَلَى

عَظِيمِ فَضْلِ السَّعْيِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ،{وَمَنْ كَفَّ غَضَبَه سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ}، وَفِيهِ إِرْشَادٌ إِلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ الْمُسْلِمُ بِهِ نَفْسَهُ وَقْتَ الْغَضَبِ، مِنْ كَفِّ الْغَضَبِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ ذَلِكَ طَيِّبَةٌ، وَهِيَ سَتْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعَوْرَتِهِ، }وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ}، وَهَذَا فَضْلُ مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ لِلَّهِ، مَعَ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُمْضِيَ غَيْظَهُ، وَلَكِنَّهُ كَظَمَهُ وَمَنَعَهُ لِلَّهِ؛ وَلِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَزِيزٌ عَلَى النَّفْسِ، فَكَانَ فَضْلُهُ عَظِيماً،{وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ}، أَيْ: حَتَّى تُقْضَى لَهُ،{أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ}، أَيْ: ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ.ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ،كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ}،خَتَمَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِهَذِهِ الْعِبَارَاتِ، وَهَذَا الْإِرْشَادِ، بَعْدَ أَنْ أَرْشَدَ السَّائِلَ إِلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،وَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ لَهُ:إِنْ فَعَلْتَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَإِيَّاكَ أَنْ يَفُوتَكَ حُسْنُ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، فَسَاداً عَظِيماً، كَمَا يُفْسِدُ الْعَسَلُ إِذَا وُضِعَ عَلَيْهِ الْخَلُّ، فَعَلَيْكَ –إِذَنْ– أَنْ تَجْتَنِبَ سُوءَ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُحْبِطُ الْأَعْمَالَ، وَيُضَيِّعُ الثَّوَابَ.

–وَفِي الْحَدِيثِ:الْحَثُّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ كَيْ يُحَقِّقَ الْمُسْلِمُ السَّلَامَ النَّفْسِيَّ.

(3)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (13)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ،حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}.

•وَفِي رِوَايَةٍ:{وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ}.

–يُبَيِّنُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ –الَّذِي قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ رُبُعُ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ أَحَادِيثَ أَرْبَعَةٍ تَتَفَرَّعُ عَنْهَا جِمَاعُ آدَابِ الْخَيْرِ– أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ –وَالنَّفْيُ هُنَا لَا يُقْصَدُ بِهِ نَفْيُ أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا نَفْيُ

الْكَمَالِ- حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَأَنْوَاعِ الْخَيْرَاتِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَيَكْرَهَ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، فَإِنْ رَأَى فِي أَخِيهِ الْمُسْلِمِ نَقْصًا فِي دِينِهِ، اجْتَهَدَ فِي إِصْلَاحِهِ، وَإِنْ رَأَى فِيهِ خَيْرًا سَدَّدَهُ وَأَعَانَهُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَيْهِ وَالزِّيَادَةِ مِنْهُ؛ فَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَقًّا حَتَّى يَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَأْتِي مِنْ كَمَالِ سَلَامَةِ الصَّدْرِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ وَالْحَسَدِ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَقْتَضِي أَنْ يَكْرَهَ الْحَاسِدُ أَنْ يَفُوقَهُ أَحَدٌ فِي خَيْرٍ، أَوْ يُسَاوِيَهُ فِيهِ؛ لأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَمْتَازَ عَلَى النَّاسِ بِفَضَائِلِهِ، وَيَنْفَرِدَ بِهَا عَنْهُمْ، وَالْإِيمَانُ يَقْتَضِي خِلَافَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يَشْرَكَهُ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ فِيمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ.

(4)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ بِرَقَمِ(٢٥٦٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
{لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ }.

-نَهَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْهَا- كَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ-: الْحَسَدُ؛ فَأَمَرَ بِأَلَّا يَحْسُدَ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَالْحَسَدُ هُوَ كَرَاهِيَةُ النِّعْمَةِ عَلَى أَخِيهِ فَإِنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ وَوَقَعَ فِي الْجَوْرِ تَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى لَهُ حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَى غَيْرِهِ مَعَ مُحَاوَلَتِهِ نَقْضَ فِعْلِهِ وَإِزَالَةَ فَضْلِهِ، وَمِنْهَا: النَّجْشُ: فَأَمَرَ بِأَلَّا يَنْجُشَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ فِي السِّلْعَةِ لَا لِرَغْبَةٍ فِيهَا بَلْ؛ لِيَخْدَعَ غَيْرَهُ لِيَشْتَرِيَهَا بِسِعْرٍ زَائِدٍ، سَوَاءٌ كَانَ بِمُوَاطَأَةِ الْبَائِعِ أَمْ لَا؛ لأَنَّهُ غِشٌّ وَخِدَاعٌ. وَمِنْهَا:

التَّبَاغُضُ: فَأَمَرَ أَلَّا يَبْغَضَ بَعْضُنَا بَعْضًا، أَيْ: لا يَتَعَاطَى الرَّجُلُ أَسْبَابَ الْبُغْضِ؛ لأَنَّهُ قَهْرِيٌّ كَالحُبِّ لَا قُدْرَةَ لِلإِنْسَانِ عَلَى اكْتِسَابِهِ وَلَا يَمْلِكُ التَّصرُّفَ فِيهِ، وَهُوَ النُّفْرَةُ عَنِ الشَّيءِ لِمَعْنًى فِيهِ مُسْتَقْبَحٍ وَتُرَادِفُهُ الْكَرَاهَةُ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، إِمَّا مِنْ جَانِبَيْهِمَا أَوْ مِنْ جَانِبِ أَحَدِهِمَا، وَعَلَى كُلٍّ فَهُوَ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى مَنْهِيٌّ عَنْهُ. وَمِنْهَا: التَّدَابُرُ: فَأَمَرَ أَلَّا يُدبِرَ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ، أَيْ: يُعرِضُ عَمَّا يَجِبُ لَهُ مِنْ حُقُوقِ الْإِسْلَامِ كَالْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ، وَعَدَمِ الْهِجرَانِ فِي الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ. وَمِنْهَا: الْبَيْعُ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ:فَأَمَرَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-بِأَلَّا يَبِيعَ بَعْضُنَا عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ؛ فَلَا يَجُوزُ لأَحدٍ بِغَيْرِ إِذْنِ الْبَائِعِ أَنْ يَقُولَ لِمُشْتَرِي سِلْعَةٍ فِي زَمَنِ الْخِيَارِ: افْسَخْ هَذَا الْبَيعَ وَأَنَا أَبِيعُكَ مِثْلَهُ بِأَرْخَصَ مِنْ ثَمَنِهِ أَوْ أَجْوَدَ مِنْهُ بِثَمَنِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ الْمُوجِبِ لِلتَّنَافُرِ وَالبُغْضِ.

ثُمَّ يَأْمُرُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَكُونَ عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَنَأْخُذَ بِأَسْبَابِ كُلِّ مَا يُوَصِّلُنَا لِمِثْلِ هَذَا مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرِّفْقِ وَالشَّفَقَةِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاوُنِ فِي الْخَيْرِ مَعَ صَفَاءِ الْقَلْبِ وَالنَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَيَقُولُ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، أَيْ:

الأُخُوَّةُ الدِّينِيَّةُ، وَهِيَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُخُوَّةِ النَّسَبِيَّةِ؛ لأَنَّ ثَمرةَ هَذِهِ دُنْيَوِيَّةٌ وَثَمَرَةَ تِلْكَ أُخْرَوِيَّةٌ، {لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ}، أَيْ: وَلَا يَتْرُكُ إِعَانَتَهُ وَنَصْرَهُ،{وَلَا يَحْقِرُهُ}، أَيْ:

لَا يَسْتَصغِرُ شَأْنَهُ وَيَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ؛ فَالاحْتِقَارُ نَاشِئٌ عَنِ الْكِبْرِ فَهُوَ بِذَلِكَ يَحْتَقِرُ غَيْرَهُ وَيَرَاهُ بِعَيْنِ النَّقْصِ، وَلَا يَرَاهُ أَهْلًا لأَنْ يَقُومَ بِحَقِّهِ .

{التَّقْوَى هَاهُنَا} التَّقْوَى هِيَ اجْتِنَابُ عَذَابِ اللهِ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَأَشَارَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَيْ: مَحَلُّ مَادَّتِهَا مِنَ الخَوْفِ الْحَاصِلِ عَلَيْهَا الْقَلْبُ، الَّذِي هُوَ عِنْدَ الصَّدْرِ.

{بِحَسْبِ امْرِئٍ}، أَيْ: يَكْفِي الْإِنْسَانَ مِنَ الشَّرِّ؛ وَذَلِكَ لِعِظَمِهِ فِي الشَّرِّ، كَافٍ لَهُ عَنِ اكْتِسَابٍ آخَرَ؛{ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ}.{كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ}؛فَلَا يَقْتُلُ مُسْلِمٌ مُسْلِمًا أَوْ يَسْرِقُهُ أَوْ يَزْنِي بِحَرِيمِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: تَحْرِيمُ دَمِ الْمُسْلِمِ وَمَالِهِ، وَعِرْضِهِ ، وَتَحْرِيمُ خِذْلَانِهِ وَخِيَانَتِهِ وَاحْتِقَارِهِ.
-وَفِيهِ: أَنَّ التَّقْوَى فِي الْقَلْبِ.

(5)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ كِتَاب الْأَدَبِ بَاب مَا جَاءَ لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ وَقَالَ:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ بِرَقَمِ(٢٨٢٥)مِنْ حَدِيث سُفْيَانَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:
{ إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا وَقَالَ سُفْيَانُ فِي حَدِيثِهِ لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ}.

-لَقَدْ حَرَصَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةُ عَلَى تَأْلِيفِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ بَعْضِهِمِ الْبَعْضِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ}،وَهَذَا نَهْيٌ عَنْ تَنَاجِي الرَّجُلَيْنِ؛ وَالتَّنَاجِي هُوَ أَنْ يُكَلِّمَ الرَّجُلُ الْآخَرَ سِرًّا بِحُضُورِ ثَالِثٍ، حَتَّى وَإِنْ كَانَتِ النَّجْوَى فِي مُبَاحٍ، وَقَدْ بَيَّنَ عِلَّةَ هَذَا النَّهْيِ كَمَا فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، فَقَالَ:
{إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ}، أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ وَالتَّنَاجِي دُونَهُ يُحْزِنُهُ؛ لِمَا قَدْ يُوَسْوِسُ لَهُ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ أَنَّهُمَا يَتَنَاجَيَانِ لِلإِضْرَارِ بِهِ، أَوْ يَحْزَنُ لاخْتِصَاصِ غَيْرِهِ بِالْمُنَاجَاةِ، وَبَيَّنَ كَذَلِكَ أَنَّ النَّهْيَ يَزُولُ إِذَا كَانُوا فِي جَمَاعَةٍ وَخُلْطَةٍ بِالنَّاسِ؛ لِزَوَالِ الرِّيبَةِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى تَقْلِيلِ الْخِلَافِ وَتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ مَا أَمْكَنَ.
•فَبِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ يَتَحَقَّقُ لِلْمُسْلِمِ الْعَامِلِ بِهَا السَّلَامُ النَّفْسِيُّ،وَيَتَحَقَّقُ الاسْتِقْرَارُ الْمُجْتَمَعِيُّ،وَتَتَحَقَّقُ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

•ثَانِيًا:أَوْجُهُ نَفْعِ الْغَيْرِ:

-فِي قَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنفَعُهُمْ لِلنَّاسِ }، أَيْ: أَكْثَرُ مَنْ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، وَهَذَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى النَّفْعِ الْمَادِّيِّ فَقَطْ، وَلَكِنَّهُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ النَّفْعَ بِالْعِلْمِ، وَالنَّفْعَ بِالرَّأْيِ، وَالنَّفْعَ بِالنَّصِيحَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْمَشُورَةِ، وَالنَّفْعَ بِالْجَاهِ، وَالنَّفْعَ بِالسُّلْطَانِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَكُلُّ هَذِهِ مِنْ صُوَرِ النَّفْعِ الَّتِي تَجْعَلُ صَاحِبَهَا يَشْرُفُ بِحُبِّ اللهِ لَهُ.

(أ)نَفْعُ الْغَيْرِ بِالْمَالِ:

-لَقَدْ حَثَّ الشَّرْعُ عَلَى التَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، مِثْلِ قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَالتَّيْسِيرِ عَلَيْهِمْ وَنَفْعِهِمْ بِمَا يَتَيَسَّرُ مِنْ مَالٍ وَعِلْمٍ أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ مُشَاوَرَةٍ.

(1)فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٦٩٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ }.

-فَقَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً }، أَيْ: رَفَعَ عَنْ مُؤْمِنٍ حُزْنًا وَعَنَاءً وَشِدَّةً، وَلَوْ كَانَ يَسِيرًا، فَيَكُونُ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ أَنْ يُنَفِّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَنْفِيسُ الْكُرَبِ إِحْسَانٌ، فَجَزَاهُ اللهُ جَزَاءً وِفَاقًا، { وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ }، وَالتَّيْسِيرُ عَلَى الْمُعْسِرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْمَالِ يَكُونُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِإِنْظَارِهِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ، وَتَارَةً بِالْوَضْعِ عَنْهُ إِنْ كَانَ غَرِيمًا، أَيْ: عَلَيْهِ دَيْنٌ، وَإِلَّا فَبِإِعْطَائِهِ مَا يَزُولُ بِهِ إِعْسَارُهُ، وَكِلَاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، وَجَزَاؤُهُ أَنْ يُيَسِّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُقَابِلَ تَيْسِيرِهِ عَلَى عَبْدِهِ؛ مُجَازَاةً لَهُ بِجِنْسِ عَمَلِهِ.

(2)وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-أيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٧٢٨)) مِنْ حَدِيثِ أبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ. قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ }

-فَالتَّعَاوُنُ وَبَذْلُ الْخَيْرِ لِلغَيْرِ فِطْرَةٌ جِبِلِّيَّةٌ، خَلَقَهَا اللهُ فِي جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَدْ حَضَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، وَعَلَّمَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَصْحَابَهُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-كَيْفِيَّةَ التَّعَاوُنِ وَالتَّآزُرِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ نَشْرِ الْمُؤَاخَاةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ النَّاسِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي الصَّحَابِيُّ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّهُمْ كَانُوا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَاءَهُ رَجُلٌ عَلَى { رَاحِلَةٍ لَهُ } وَهِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي اتُّخِذَتْ لِلسَّفَرِ وَالرُّكُوبِ عَلَيْهَا، فَشَرَعَ الرَّجُلُ فِي الالْتِفَاتِ يَمِينًا وَشِمَالًا بِبَصَرِهِ، وَالْمَعْنَى:

كَانَتْ رَاحِلَتُهُ ضَعِيفَةً لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْكَبَهَا، وَيَمْشِي مُتَرَجِّلًا، وَيَسْقُطُ مِنَ الضَّعْفِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ رَاحِلَتُهُ قَوِيَّةً، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا زَادَهُ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْكَبَهَا مِنْ ثِقَلِ حِمْلِهَا، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، قَالَ فِي أَصْحَابِهِ: مَنْ كَانَ مَعَهُ { فَضْلُ ظَهْرٍ } أَيْ:

رَكُوبَةٌ زَائِدَةٌ عَمَّا يَرْكَبُهَا، وَالْمُرَادُ بِالظَّهْرِ: الدَّابَّةُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ وَالْمُعَاصِرَةِ، كَالسَّيَّارَةِ وَنَحْوِهَا، { فَلْيَعُدْ بِهِ } أَيْ: فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ وَيُعْطِهِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ مَا يَسِيرُ بِهِ وَيَحْمِلُهُ، { وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ }، وَهُوَ مَا فَضَلَ مِنْ طَعَامٍ مِنْهُ { فَلْيَعُدْ } لِيَجُدْ بِذَلِكَ الْفَاضِلِ وَلْيَرْجِعْ بِالْإِحْسَانِ بِهِ عَلَى الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ.

-وَأَخْبَرَ أَبُو سَعِيدٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَكَرَ مِنْ{ أَصْنَافِ الْمَالِ } كَالثَّوْبِ وَالنِّعَالِ وَالْقِرْبَةِ وَالْمَاءِ وَالْخَيْمَةِ وَالنُّقُودِ وَنَحْوِهَا، حَتَّى ظَنَّ الصَّحَابَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-وَفَهِمُوا مِنْ أَمْرِهِ هَذَا { أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ }، يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي إِمْسَاكِ مَا زَادَ عَلَى حَاجَتِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

وَالرَّحْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ بَابِ الْإِيثَارِ، وَهَكَذَا الْحُكْمُ إِذَا نَزَلَتْ حَاجَةٌ أَوْ مَجَاعَةٌ، فِي السَّفَرِ أَوْ فِي الْحَضَرِ؛ وَاسَى الْمُسْلِمُ بِمَا زَادَ عَلَى كِفَايَةِ تِلْكَ الْحَالِ

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرُّفْقَةِ وَالْأَصْحَابِ وَالاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَالسَّعْيِ فِي قَضَاءِ حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ.

-وَفِيهِ: التَّعَرُّضُ لِسُؤَالِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ لِلسَّائِلِ رَاحِلَةٌ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ.
-وَفِيهِ: أَنَّهُ يَكْفِي فِي حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ بِتَعَرُّضِهِ لِلعَطَاءِ، وَتَعْرِيضُهُ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ.
-وَفِيهِ: مُوَاسَاةُ ابْنِ السَّبِيلِ وَالصَّدَقَةُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا.
•وَمِنْ أَعْظَمِ النَّفَقَاتِ فِي وَاقِعِنَا الْمُعَاصِرِ النَّفَقَةُ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُوَحِّدِينَ فِي فَلَسْطِين فَهُمْ أَشَدُّ حَاجَةً بِسَبَبِ مَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنْ إِبَادَةٍ وَحِصَارٍ وَتَجْوِيعٍ فَإِنْفَاقُ الْمَالِ مِنَ النُّصْرَةِ وَالْمُعَاوَنَةِ وَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى،وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }.(البقرة:٢٦١.)

-قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }
أي:فِي طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَأَوْلَاهَا إِنْفَاقُهَا فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ { كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ } وَهَذَا إِحْضَارٌ لِصُورَةِ الْمُضَاعَفَةِ بِهَذَا الْمَثَلِ، الَّذِي كَانَ الْعَبْدُ يُشَاهِدُهُ بِبَصَرِهِ فَيُشَاهِد هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ بِبَصِيرَتِهِ، فَيَقْوَى شَاهِدُ الْإِيمَانِ مَعَ شَاهِدِ الْعِيَانِ، فَتَنْقَادُ النَّفْسُ مُذْعِنَةً لِلإِنْفَاقِ سَامِحَةً بِهَا مُؤَمِّلَةً لِهَذِهِ الْمُضَاعَفَةِ الْجَزِيلَةِ وَالْمِنَّةِ الْجَلِيلَةِ، { وَاللهُ يُضَاعِفُ } هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ}
لِمَنْ يَشَاءُ } أَيْ: بِحَسْبِ حَالِ الْمُنْفِقِ وَإِخْلَاصِهِ وَصِدْقِهِ وَبِحَسْبِ حَالِ النَّفَقَةِ وَحِلِّهَا وَنَفْعِهَا وَوُقُوعِهَا مَوْقِعَهَا،وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ { وَاللهُ يُضَاعِفُ } أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةِ { لِمَنْ يَشَاءُ } فَيُعْطِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ { وَاللهُ وَاسِعٌ } الْفَضْلِ، وَاسِعُ الْعَطَاءِ، لَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ وَلَا يَحْفِيهِ سَائِلٌ، فَلَا يَتَوَهَّمُ الْمُنْفِقُ أَنَّ تِلْكَ الْمُضَاعَفَةَ فِيهَا نَوْعُ مُبَالَغَةٍ،

لأنَّ اللهَ تَعالَى لَا يَتعَاظَمُهُ شَيءٌ ولَا يُنقِصهُ الْعَطَاء عَلَى كَثْرَتِهِ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ { عَلِيمٌ } بِمَنْ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةَ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، فَيَضَعِ الْمُضَاعَفَةَ فِي مَوْضِعِهَا لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ }.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2442)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:{ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ}.بَيَانٌ لِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ تُجَاهَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَالْمُسْلِمُ

-سَوَاءٌ كَانَ حُرًّا أَوْ عَبْدًا، بَالِغًا أَوْ غَيْرَ بَالِغٍ- أَخُو الْمُسْلِمِ فِي الْإِسْلَامِ، لَا يَقُومُ بِظُلْمِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ حَرَّمَ قَلِيلَ الظُّلْمِ وَكَثِيرَهُ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَا يَتْرُكُهُ إِلَى الظُّلْمِ دُونَ أَنْ يُعِينَهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيهِ دُونَ أَنْ يَحْمِيَهُ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ.

(ب) نَفْعُ الْغَيْرِ بِتَعْلِيمِهِمِ الْخَيْرَ:

-لَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِلعُلَمَاءِ فَضْلًا وَأَجْرًا عَظِيمًا؛ وَذَلِكَ بِمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْمِ يَنْشُرُونَهُ فِي النَّاسِ، فَيَرْفَعُونَ بِهِ جَهْلَهُمْ، وَيَقُودُونَهُمْ بِهِ نَحْوَ مَعَالِمِ الْخَيْرِ الَّتِي يَصْلُحُ بِهَا شَأْنُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (2685)مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-رَجُلَانِ؛ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ }.

–فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: أَنَّهُ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالْآخَرُ عَالِمٌ، أَيْ: هَلْ هُمَا مُسْتَوِيَانِ فِي الْفَضْلِ وَالْأَجْرِ؛ هَذَا بِعِبَادَتِهِ، وَهَذَا بِعِلْمِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: { فَضْلُ الْعَالِمِ }، أَيْ: إِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا يَفْضُلُ وَيَزِيدُ { عَلَى الْعَابِدِ }، وَالْمُرَادُ بِالْعَالِمِ: هُوَ صَاحِبُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَعَ قِيَامِهِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَاتٍ بَدَنِيَّةٍ مِنْ صَلَاةٍ وَصَوْمٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَقَلْبِيَّةٍ مِنْ إِخْلَاصٍ وَخُشُوعٍ وَتَوَكُّلٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالْمُرَادُ بِالْعَابِدِ:الْمُجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ، وَقَدْ حَصَّلَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا يَلْزَمُهُ مِنْ عِلْمٍ شَرْعِيٍّ فِيمَا يَخُصُّهُ مِنْ عِبَادَاتٍ مَأْمُورٍ بِهَا أَوْ يَفْعَلُهَا تَطَوُّعًا، ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–الْفَرْقَ بَيْنَ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: { كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ }، أَيْ:

إِنَّ الْعَالِمَ يَتَقَدَّمُ فِي الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ عَلَى الْعَابِدِ، كَتَقَدُّمِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى أَدْنَى أَصْحَابِهِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–، وَفِي هَذَا مُبَالَغَةٌ شَدِيدَةٌ فِي بَيَانِ فَضْلِ الْعَالِمِ؛ إِذْ إِنَّهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَوْ قَالَ: كَفَضْلِي عَلَى أَعْلَاكُمْ لَكَفَى فَضْلًا وَشَرَفًا، فَكَيْفَ وَقَدْ قَالَ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ؟!{ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

{–، أَيْ: اسْتَأْنَفَ الْكَلَامَ لِيُبَيِّنَ سَبَبَ هَذَا التَّفْضِيلِ قَائِلًا: } إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ }، قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ: هُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَالْمُرَادُ بِأَهْلِ السَّمَوَاتِ: بَاقِي الْمَلَائِكَةِ،{ وَالْأَرْضِ }، أَيْ: وَأَهْلَ الْأَرْضِ،وَالْمُرَادُ بِهِمْ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَجَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ، { حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا }، أَيْ:

مَسْكَنِهَا فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: ثَقْبِهَا الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ أَيْنَمَا وُجِدَ{ وَحَتَّى الْحُوتَ } أَيْ:الَّذِي يَكُونُ فِي أَعَالِي الْبِحَارِ،{ لَيُصَلُّونَ } أَيْ: يَدْعُونَ بِالْخَيْرِ،{ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ }، أَيْ: لِلعَالِمِ؛ وَذَلِكَ لِنَشْرِهِ لِلعِلْمِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ هُنَا: هُوَ عِلْمُ الدِّينِ الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ وَمَا بِهِ النَّجَاةُ، قِيلَ:

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى وَجْهِ الْأَفْضَلِيَّةِ بِأَنَّ نَفْعَ الْعِلْمِ مُتَعَدٍّ وَنَفْعَ الْعِبَادَةِ قَاصِرٌ، مَعَ أَنَّ الْعِلْمَ فِي نَفْسِهِ فَرْضٌ، وَزِيَادَةَ الْعِبَادَةِ نَافِلَةٌ.

•تَنْبيهٌ:

-بالِّنسْبَة لِعُلُومِ الدُّنْيَا كَعِلْمِ الطِّبِّ وَعِلْمِ الْهَنْدَسَة وَغيْرِهَا تَدْخُلُ فِي الْفَضْلِ تَبَعًا إذَا صَحَّتْ النِّيَّةُ وَصَدَقَ الْقَصْدُ فَابْتَغَى بِهَا وَجْه اللَّه تَعَالَى وَخِدْمَةَ الدِّين وَنَفْعَ النَّاسِ.

-وَفي هَذَا الْحَديث: الْحَثُّ عَلَى تَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ.

-وَفِيه: الْحَثُّ عَلَى الْحِرْصِ عَلَى الْعِبَادَاتِ الْمُتَعَدِّيَة فِي النَّفْعِ للغَيْرِ

-وَفِيه: بَيَانٌ لِتَفَاوُتِ الصَّحَابَة-رَضِيَ الله عَنْهُمْ-بَعْضهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَفْضَلِيَّة.

(ج) نَفْعُ الْغَيْرِ بِبَذْلِ النَّصِيحَة لَهُمْ:

-النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تُرَادِفُ الدِّينَ،فَإِذَا ضَاعَت النَّصِيحَةُ ضَاعَ الدِّينُ،وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَتَخْلِيصِ الشَّيْئِ مِنْ الشَّوَائِبِ وَإِصْلَاحِ الْخَلَلِ،وَعَدَمُ قَبُول النَّصِيحَةَ دَلِيلُ الْأَنَانِيَةِ وَحَظِّ النَّفْسِ،وَيُثْمِرُ النِّفَاقَ الْاجْتِمَاعِيِّ،فَقَدْ هَلَكَت الْأُمَمُ السَّابِقَةُ بِسَبَبِ عَدمِ قَبُولِ النَّصِيحَة.

-وَالنَّصِيحَةُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّة الَّتِي أَعْلَنَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:{ إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ إِخْوَةٌ }.(الحجرات:١٠).فَأُخُوَّةُ الْإِيمَانِ تَقْتَضِي أَنْ يُحبَّ الْمُؤمِنُ لأَخِيه مَا يُحِبُّه لِنَفْسه مِنَ الْخَيرِ فَيَأمُرُه بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاه عَنِ الْمُنْكَرِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ النَّفعِ الَّذِي يُقَدِّمُه الْمُؤمِنُ للغَيْرِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٥٥) مِنْ حَدِيث تَمِيمِ الدَّارِيِّ-رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟

قَالَ: لِلَّه وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِه وَلِأَئِمَّة الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ }

-فَالتَّنَاصُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِن مَعَالِمِ الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَمِنْ حُسْنِ التَّعَامُلِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ، وَبِغَيْرِ أَنْ يُحْدِثُوا مُنْكَرًا أَكْبَرَ مِمَّا يَنْصَحُونَ بِهِ، مَعَ إِخْلَاصِ الْمَحَبَّة لِلْمَنْصُوحِ، وَمَعْرِفَةِ حَقِّه لإِسْلَامِه، وَمَعرِفَة حَقِّه لمَوقِعِه فِي الْمُجْتَمَعِ.

-وَهَذَا الْحَدِيثُ يُوَضِّحُ مَعَالِمَ النُّصْحِ، وَلِمَنْ يَكُونُ وَكَيْفَ يَكُونُ؛ فَيُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أَنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَجَوهَرُهُ، وَوَسِيلَةُ ظُهُورِه وَانْتِشَارِه، وَالنَّصِيحَةُ: هِيَ تَحَرِّي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فِيه صَلَاحٌ لِصَاحِبِه، أَوْ تَحَرِّي إِخْلَاصِ الْوُدِّ لَهُ، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ إِرَادَةُ الْخَيْرِ لِلمَنْصُوحِ لَهُ، وَهِيَ لَفْظٌ جَامِعٌ لِمَعَانٍ شَتَّى،

وَيَظْهَرُ ذَلِكَ فِي النُّصْحِ وَالتَّناصُحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَأَلَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ- رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

لِمَنْ تَكُونُ النَّصِيحَةُ وَلِمَنْ تُوَجَّهُ؟ فَقَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ }

-وَالنَّصِيحَةُ لله هِيَ التَّعْظِيمُ لأَمْرِهِ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِهِ، وَتَكُونُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَنَفْيِ الشِّرْكِ وَجَمِيعِ النَّقَائِصِ عَنْهُ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا لَهُ سُبْحَانَهُ.

-وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكُونُ بِالْإِيمَانِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، مَعَ شِدَّةِ حُبِّهِ، وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِ، وَتِلَاوَتِهِ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَالذَّبِّ عَنْ تَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ لَهُ، وَالتَّصْدِيقِ بِمَا فِيهِ، وَالِاعْتِبَارِ بِمَوَاعِظِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي عَجَائِبِهِ، وَالْعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ، وَنَشْرِ عُلُومِهِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ.

-وَالنَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَكُونُ بِاتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ، وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ، وَالِانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَمُرَاعَاةِ هَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، وَمُعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ، وَمُوَالَاةِ مَنْ وَالَاهُ، وَإِعْظَامِ حَقِّهِ، وَتَوْقِيرِهِ، وَبَثِّ دَعْوَتِهِ، وَنَشْرِ شَرِيعَتِهِ، وَنَفْيِ التُّهْمَةِ عَنْهَا.

-وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَكُونُ بِمُعَاوَنَتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ فِي الْمَعْرُوفِ، وَتَنْبِيهِهِمْ وَتَذْكِيرِهِمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ بِأَنْسَبِ الطُّرُقِ عَلَى مَا غَفَلُوا عَنْهُ، مَعَ إِعَانَتِهِمْ فِي إِصْلَاحِ النَّاسِ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ، إِلَّا أَنْ يُرَى مِنْهُمْ كُفْرٌ بَوَاحٌ عِنْدَنَا فِيهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى بُرْهَانٌ، وَهَذَا مَشْرُوطٌ بِالْقُدْرَةِ وَعَدَمِ حُصُولِ مَفْسَدَةٍ أَكْبَرَ.

-وَقَدْ يَشْمَلُ الْمُرَادُ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: عُلَمَاءُ الدِّينِ، فَمِنْ نَصِيحَتِهِمْ: قَبُولُ مَا رَوَوْهُ، وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ

-وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَكُونُ بِتَعْرِيفِهِمْ بِأَوَامِرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَبِشَرَائِعِ الدِّينِ، وَبِالْعَمَلِ عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ، وَإِبْعَادِ الضَّرَرِ عَنْهُمْ، وَأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِرِفْقٍ وَإِخْلَاصٍ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَوْقِيرِ كَبِيرِهِمْ،وَرَحْمَةِ صَغِيرِهِمْ،وَتَخَوُّلِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَتَرْكِ غِشِّهِمْ وَحَسَدِهِمْ ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ

وَالشَّرِّ، وَالذَّبِّ عَنْ أَموَالِهِمْ وَأَعرَاضِهِمْ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانُ أَنَّ جَوْهَرَ الدِّينِ يَظْهَرُ فِي التَّنَاصُحِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَعْرُوفِ.

-وَفِيهِ: الْحَثُّ عَلَى النُّصحِ لِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مُسْتَوَيَاتِهِمْ بَدأً مِن رَأْسِ الدَّوْلَةِ حَتَّى عَامَّةِ النَّاسِ.

(د)نَفْعُ الْغَيْرِ بِبَذْلِ الْمَشُورَةِ لَهُمْ:

-مِنْ أَوْجُهِ نَفْعِ الْغَيْرِ بَذْلُ الْمَشُورَةِ لَهُمْ بِمَا فِيهُ صَلَاحُهُمْ وَنَفْعُهُمْ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى بِرَقَمِ (٣/٥٦٧) مِن حَدِيث عَبْدِ اللَّه بْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى–:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَزَلَ مَنْزِلًا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلٍ ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أَدْنَى مَاءٍ إِلَى الْقَوْمِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا ، وَنَقْذِفُ فِيهِ الْآنِيَةَ ، فَنَشْرَبُ وَنُقَاتِلُ ، وَنُغَوِّرُ مَا سِوَاهَا مِنَ الْقُلُبِ ، قَالَ: فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ:

الرَّأْيُ مَا أَشَارَ بِهِ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: { يَا حُبَابُ ، أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَفَعَلَ ذَلِكَ }

-وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ الْكِنَانِيِّ ، أَخْبَرَنِي حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : أَشَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ بَدْرٍ بِخَصْلَتَيْنِ ، فَقَبِلَهُمَا مِنِّي ، خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي غَزَاةِ بَدْرٍ فَعَسْكَرَ خَلْفَ الْمَاءِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبِوَحْيٍ فَعَلْتَ أَوْ بِرَأْيٍ؟

قَالَ :بِرَأْيِي يَا حُبَابُ ، قُلْتُ : فَإِنَّ الرَّأْيَ أَنْ تَجْعَلَ الْمَاءَ خَلْفَكَ ، فَإِنْ لَجَأْتَ ، لَجَأْتَ إِلَيهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنِّي}

-وَجَمِيعُ رِوَايَاتِ هَذَا الْأَثَرِ لَا تَخْلُو مِنْ مَقَالٍ مِنْ حَيْثُ الْإِسْنَادِ غَيْرَ أَنَّ الْقِصَّةَ لَهَا أَصْلٌ مَشْهُورٌ ، مَقْبُولٌ مُتَدَاوَلٌ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ السِّيَرِ ، وَلَمْ يَسْتَنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بَلْ إِنَّهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ : عَلَى مُشَاوَرَةِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَصْحَابِهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .–

-قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابنُ تَيمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى- فِي مِنْهَاجِ السُّنَّة النَّبوِيَّة (٢٧٤/٨) : { ونَبِيُّنَا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كَانَ يُشاوِرُ أَصْحَابَهُ ، وكَانَ أَحْيَانًا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي الرَّأْيِ، كَمَا قَالَ لَهُ الْحُبَاب يوم بَدْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّه أَرَأَيْت هَذَا الْمَنْزِل: أَهُوَ مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَعَدَّاهُ ، أَمْ هُوَ الْحَرْبُ وَالرَّأْيُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: { بَلْ هُوَ الْحَرْبُ وَالرَّأْيُ وَالْمَكِيدَةُ } فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا بِمَنْزِلِ قِتَالٍ. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى رَأْيِ الْحُبَابِ }انتهى

-مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَثَّ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَلَى صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَالَسَتِهِمْ ،فَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ هُوَ مَنْ يَدُلُّ جَلِيسَهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ؛ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ،وَلَنْ يُعْدَمَ جَلِيسُهُ مِنْ فَائِدَةٍ أَوْ مَشُورَةٍ نَافِعَةٍ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2101)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ،وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً }

(هــ) نَفْعُ الْغَيْرِ بِالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ:

-وَمِنْ شِيَمِ الْمُسْلِمِ النَّبِيلَةِ الدِّفَاعُ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ،فَعِرْضُ الْمُؤمِنِ كَدَمِهِ؛ فَمَنْ هَتَكَ عِرْضَهُ، فَكَأَنَّهُ سَفَكَ دَمَهُ، وَمَنْ عَمِلَ عَلَى صَوْنِ عِرْضِهِ، فَكَأَنَّهُ صَانَ دَمَهُ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (1931)مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ }، أَيْ: مَنَعَ مَا يُقَالُ فِي حَقِّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَهُوَ غَائِبٌ، فَرَدَّ عَلَى مَنْ يَذْكُرُهُ وَيَعِيبُ فِيهِ؛ قِيلَ:

وَرَدُّهُ أَنْ يَمْنَعَهُ قَبْلَ الْوُقُوعِ فِيهِ بِالزَّجْرِ وَالرَّدْعِ، وَإِمَّا بَعْدَهُ، فَيَرُدُّ مَا قَالَهُ عَلَيْهِ،{ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } أَيْ: كَانَ أَجْرُهُ أَنْ يُجَازَى بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَهُوَ أَنْ يَرُدَّ اللهُ عَنْهُ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

-وَفي الْحَديث: النَّهْيُ عَنْ غيبَةِ الْمُسْلِمِ

-وَفيه: الْحَضُّ عَلَى نَهْيِ مَنْ وقَعَ فِي غيبَةِ الْمُسْلِمِ.

•وَأَوْلَى النَّاسِ بِالرَّدِّ عَنْ أعْرَاضِهِمْ وَالدِّفَاعِ عَنْهُمْ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ الْأَخْيَارُ الْأَبْرَارُ ،الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ،وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ،فَهُمْ أئِمَّةُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى،فَهُمْ يَتَعَرَّضُونَ فِي زَمَانِنَا لِحَمَلاتِ تَشْويه وَإِسْقَاط،مِنْ أعْدَاءِ الدِّينِ،وَكَذلكَ مِنْ بَعْضِ الْجُهَّالِ مِنَ الْمُسْلِمينَ الَّذِينَ أَلْبَسَهُمُ الشَّيْطَانُ لِبَاسَ زُورٍ وَكَذِبٍ بِأَنَّهُم حَامِلُوا لِوَاءِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ،وَمَا هُمْ إِلَّا حُدَثَاءُ أَسْنَانٍ، سُفَهَاءُ أَحْلَامٍ، قُلُوبُهُمْ سَوْدَاءُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْقَادِ،وَأَلْسِنَتُهُمْ حِدَادٌ لَا تَعْرِفُ إِلَّا الْبَذَاءَ،وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَمَجَالِسُهُمْ مَجَالِسُ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَكُفْرَانِ الْعَشِيرِ،فَهُمْ غُزَاةُ الْأَعْرَاضِ بِالْأَمْرَاضِ،

يَقِفُونَ عَلَى طَرِيقِ الْعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ فَرِيسَةٌ،وَمَا لَبِسُوا إِلَّا وَانْقَلَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ فَبَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،وَفَسَّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،وَهَكَذَا تَصْنَعُ الْبِدْعَةُ بِأَهْلِهَا،فَيَالَيْتَ أَتْبَاعُهُمْ يَنْتَبِهُونَ وَمِنْ غَفْلَتِهِمْ يَسْتَيْقِظُونَ قَبْلَ الْفَوْتِ وَقَبْلَ الْمَوْتِ.

-فَمِنْ بَابِ حِفْظِ كَرَامَةِ الْعَالِمِ، وَالذَّبِّ عَنْ عِرْضِهِ وَتَعْظِيمِ حُرْمَتِهِ، تَحَتَّمَ عَلَى طُلَّابِ الْعِلْمِ وَطَالِبَاتِهِ الْوَفَاءُ بِحَقِّ عُلَمَائِنَا، وَأَنْ نَرُدَّ شَيْئًا مِنْ جَمِيلِهِمْ، بِالْعَمَلِ الدَّؤُوبِ وَالسَّعْيِ الْحَثِيثِ، فِي دَفْعِ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَخْدِشَ كَرَامَتَهُمْ، أَوْ يَنْتَهِكَ حُرْمَتَهُمْ، أَوْ يَنْتَقِصَ عِرْضَهُمْ،أَوْ يُقَلِّلَ شَأْنَهُمْ؛نَدْفَعُ الشُّبْهَةَ بِالدَّلِيلِ،وَالضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وَالظَّنَّ بِالْيَقِينِ، وَالْجَهْلَ بِالْعِلْمِ، مُحْتَسِبِينَ – فِي كُلِّ هَذَا – عَظِيمَ الْأَجْرِ، مُتَحَلِّينَ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ، وَاضِعِينَ فِي الْحُسْبَانِ أَنَّ الْغَالِطِينَ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ مِنَ الْحُثَالَةِ الْحَسَدَةِ الْحَقَدَةِ الْمُعَانِدِين، وَقِسْمٌ مِنَ الضَّحَايَا التَّائِهِينَ الْمُضَلَّلِينَ، وَ لِكُلِّ قِسْمٍ قِسْمَتُهُ مِنَ التَّعَامُلِ.

•فَاللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ،وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، اهْدِنَا وَاهْدِنَا، وَيَسِّرِ الْهُدِيَ لَنَا، وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَي، وَكُنْ لِأَهْلِنَا فِي فِلَسْطِين نَاصِرًا وَمُعِينًا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٤)

خَالِدُ الْجُنْدِيّ وَالْعَيْنُ الْعَوْرَاءُ لِلسَّلَفِيِّ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لله جلَّ وعَلَا،ذي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى والصِّفَاتِ الْعُلَا،وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى،وعَلَى آله وصحبه ومن اهْتَدَى .أمَّا بعْدُ• :فبَيْنَ الْحين والْحين يُفَاجِئُنَا هَذَا الدَّعِيُّ الْمُتَسَلِّقُ خَالِد الْجِنْدِيّ بِطَامَّةٍ مِنْ طَوَامه وخَلْطٍ يُثْبِتُ ضَحَالَةَ علْمه وسَقِيمَ فَهْمه،فهذه الْمَرَّةَ يَقُولُ }:

السَّلَفِيُّ عَيْنُهُ الْفِقْهِيَّةُ عَوْرَاءُ،حيْثُ يُطَالِبُنَا بِاللِّحْيَة لأنَّهَا فعْلُ النَّبِيِّ،ولَكِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَكْتَحِلُ..أسأَلُ أيَّ سَلَفِيّ يُطَالِبُنَا بِاللِّحْيَة سُنَّة الْكُحْل ليه مهْجُورَة عنْدَكُمْ؟ والنَّبِيُّ أمَرَ بِهَا،لَو اللِّحْيَة وَاجِبَة يَبْقَى الْكُحْل واجِبٌ،وَإذَا اقْتَنَعْتَ أنَّ الْكُحْلَ فَرِيضَة أنَا هَقْتَنِع إن اللِّحْيَة فَرِيضَة ،يَلا يا عَمّ وَرِينَا عضلَاتك{

- .عنْدَمَا قَرأْتُ هَذَا الْعَبَثَ تَعجَّبْتُ لِهَذَا الْخَلْطِ والْجُرْأة في مُخَالَفَة النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّة وَإِلَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاة الرَّدّ عَلَى هَذِهِ الْفِرْيَة وَهَذَا التَّدْلِيس في عِدَّةِ نقاطٍ :

•أوَّلًا:التَّعْمِيمُ فِي الْحُكْمِ دَلِيلُ الْجَهَالَةِ

- :لَقَدْ عَمَّمَ الْمَذْكُورُ الْمَنْكُورُ الْحُكْمَ عَلَى كُلِّ سَلَفِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ عنْدَمَا قَالَ:{ السَّلَفِيُّ عيْنُهُ الْفِقْهِيَّة عَوْرَاءٌ } وَهَذَا التَّعْمِيمُ فِي الْحُكْمِ دَلِيلٌ عَلَى جَهَالَته لقَوْلِ اللَّه تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}.(الحُجُرَات:٦).

فَالْأَحْكَامُ الْمُسْبَقَةُ عَلَى النَّاسِ تَكُونُ ظَالِمَةً، لِأَنَّهَا تَفْتَقِرُ إِلَى الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى كَلَامِ الْآخَرِينَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي بَابِ الْغِيبَةِ وَالْبُهْتَانِ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْغِيبَةَ وَنَفَّرَ مِنْهَا أَشَدَّ التَّنْفِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}.(الحُجُرَات:١٢).،وَلَا يُوجَدُ مُغْتَابٌ عَدْلٌ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ الْمُغْتَابِ فِي فلْسٍ، فَكَيْفَ تُقْبَلُ فِي رَجُلٍ؟ -وَالْأَحْكَامُ الْمُسْبَقَةُ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى مُجَرَّدِ كَلَامٍ يُقَالُ تَدُلُّ أَيْضًا عَلَى حَمَاقَةِ مَصْدَرِهَا وَسَطْحِيَّتِهِ وَنَقْصِ عَقْلِهِ، أَوْ تَدُلُّ عَلَى خُبْثِهِ وَقَصْدِهِ السُّوءَ فِي مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ، حَسَدًا لَهُ أَوْ حِقْدًا عَلَيْهِ، وَالْحَاسِدُ يُعْرَفُ مَهْمَا كَانَ، وَلَا يَزِيدُ مَحْسُودَهُ إِلَّا رِفْعَةً مَهْمَا تَقَوَّلَ حَوْلَهُ مِنْ

كَلَامٍ أوْ أصدَرَ مِنْ أحكَامٍ، كَمَا أنَّ رائحةَ الْحقدِ تَفوحُ من فمِ الْحَاقدِ وهُوَ يتَحدَّثُ ويطْلقُ أحكَامَهُ عَلَى من يَحْقدُ علَيْهِ، وبِهذَا يُكْشفُ عجزُهُ وهَوَانُهُ، فإنَّ الْبُغْضَ انْتِقَامُ الْجبَانِ، والْغيبةَ جُهْدُ الْعَاجزِ.

•ثانيا:جهلُهُ بِعلُومِ الْآلَة :

- -اتَّضحَ منْ كَلَامه جَهْلُهُ الْمُرَكَّبُ بعُلُومِ الْآلَة كَعلْمِ أصُول الْفقْه فَالْمسْكينُ لَا يُفرِّقُ في بَاب الْأمْر بين أمرِ الْوُجُوب والْحتْمِ وبين أمرِ الْإرْشَاد للاسْتحْبَاب والنَّدب،فتَسويَتُهُ في الْحُكْمِ بَيْنَ إطْلَاقِ اللّحيَة والاكْتحَال للرِّجَال دَليلٌ قَاطعٌ عَلَى جَهْلِه بعلْمِ أصُول الْفقْه لذَا سَنُوضحِّ حُكْمَ إطْلَاقِ اللِّحْيَة وحُكْمَ الاكْتحَالِ للرِّجَال في النِّقَاط التَّالية.

•ثَالثًا::حُكْمُ إعفَاءِ اللِّحْيَة للرِّجَال :

-إعفَاءُ اللِّحْيَة للرِّجَال واجبٌ لوُرُود الْأمْر بذَلكَ في السُّنَّة الصَّحيحَة،وكَذَلكَ النَّهْي عَنْ التَّشبُّه بالْمَجُوس،فَاللِّحْيَة كرامَةٌ ومنَّةٌ من الله تعالَى عَلَى الرِّجَال،وجَعلَها اللهُ تعَالَى مَيْزَةً للرِّجَال عَن النِّساءِ،وجَعَلَهَا ميزَةً لَهُمْ عن الْكَفَرة والْعُصَاة الَّذين يَحْلقُونَ لِحَاهُمْ،فَهي زِينَةٌ للرِّجَالِ ،وهي نُورٌ في الْوَجْهِ،وسَبَبٌ للفحُولَة،وهي ميْزَةٌ للرِّجَالِ عن النِّساء.

-فقَدْ أخرَجَ الْإمَامُ الْبُخَاريُّ–رَحمَهُ الله تعَالَى–في صَحيحه–برقَمِ(٥٨٩٢)منْ حَديث عَبْد الله بْن عمر–رَضي الله تعَالَى عَنْهُمَا–عَن النَّبيِّ–صَلَّى الله علَيْه وسَلَّمَ–قَالَ:{خَالفُوا الْمُشْرِكين وفِّرُوا اللِّحَى وأَحفُوا الشَّوَارِبَ- .{وأخرَجَ الْإمَامُ مُسلْمٌ–رَحمَهُ الله تعَالَى–في صَحيحه–برقَمِ (259)منْ حَديث عَبْد الله بْن عُمَرَ–رَضي الله عَنْهُمَا–عَن النَّبيِّ–صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ–قَالَ:{أَحفُوا الشَّوَارِبَ،وأَعفُوا اللِّحَى}

• رَابِعًا:حُكْمُ حَلْقِ اللِّحْيَة :

-يَحْرُمُ حَلْقُ اللِّحْيَة للرِّجَال وكَذَلكَ لَا يَجُوزُ نَتْفُهَا ولَا قَصّ الْكَثير منْهَا،وَهُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ :الْحَنَفيَّة،والْمَالكيَّة،والْحنَابِلة،وبَعْض الشَّافعيَّة،وَحُكي الْإجْمَاعُ عَلَى ذَلك- :قَالَ ابْنُ حَزْم–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–:

{واتَّفَقُوا أنَّ حلقَ جَميعِ اللِّحْيَة مُثْلَةٌ لَا تَجُوزُ}.(انْظُر:"مراتب الإجماع"ص: ١٥٧)، ولَمْ يَتَعَقَّبْه شَيْخُ الْإسلَام ابْنُ تَيْميَّةَ–رَحمَهُ اللهُ تعَالَى– في "نقد مراتب الإجماع- ."وقَالَ ابْنُ الْقَطَّان–رَحمَهُ الله تَعَالَى–:{واتَّفَقُوا أنَّ حَلْقَ جَميعِ اللِّحْيَة مُثْلَةٌ لَا

تَجُوزُ).(انْظُرْ:"الإقناع في مسائل الإجماع": ٢/٢٩٩- .(وَقَالَ النَّفْرَاوِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

{لَا شَكَّ فِي حُرْمَتِهِ أيْ:حَلْق اللِّحْيَة عِنْدَ جَمِيعِ الْأَئِمَّة؛ لِمُخَالَفَتِهِ لِسُنَّة الْمُصْطَفَى-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-}.(انْظُرْ:"الفواكه الدّواني":٢/٣٠٦).

•أدِلَّةُ التَّحْرِيمِ

- :أمَا أخْرَجَه الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه-بِرَقَمِ (5892)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-قَالَ:{خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ}

.ب-ومَاأخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه-بِرَقَمِ(٢٥٩)

مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{أَحْفُوا الشَّوَارِبَ،وَأَعْفُوا اللِّحَى}

.ج-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٥٨٩٣)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:

{أنْهِكُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى}

.د-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ (259)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-أيْضًا عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:

{أحْفُوا الشَّوَارِبَ،وَأَوْفُوا اللِّحَى .{هـــ-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٢٦٠)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى،خَالِفُوا الْمَجُوسَ}.وَفِي رِوَايَةٍ:

{أرْجُوا اللِّحَى .{و-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٥٨٨٥)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:{لَعَنَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ}

• .أوْجُهُ الدلَالَة مِنْ هَذِه النُّصُوص :

أولًا: أنَّهُ حصَلَ من مَجْمُوعِ الْأَحَادِيث خَمْسُ روَايَات: (أعفُوا- أوفُوا- أرْخُوا- أرْجُوا- وفِّرُوا) ولَا شَكَّ أنَّ حَلْقَ اللِّحْيَة وعدم تكْثِيرِها يُخَالفُ هَذِه الْأوامر ويتَنَافى معَهَا، والْأصلُ في الْأمرِ الوُجُوب- . ثَانِيًا: أنَّ فِي حَلْقِ اللِّحْيَة تشبهًا بالْكُفَّار، كمَا في حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وأبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ الله تَعالَى عنْهُمْ- .-ثَالثًا:الدَّلَالَةُ مِنْ حَدِيث عَبْد الله بْنِ عبَّاس–رَضِي الله تعالَى عَنْهُمَا–أنَّ فِي حَلْقِ اللِّحْيَة- الَّتِي مَيَّزَ الله تَعَالَى بِهَا الرَّجُلَ عَلَى الْمَرْأة- تَشَبُّهًا بِالنِّسَاء

• .خَامسًا:حُكْمُ الْأخْذ من اللِّحْيَة :

-يَجُوزُ الْأخْذُ منَ اللِّحْيَة مَا زَادَ عَن الْقَبْضَة، وهَذَا مَذْهَبُ الْحَنَابِلَة ، واخْتَارَهُ الْبَاجِيُّ مِنَ الْمَالكيَّة، وابْن تَيْمِيَّة،وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَة منَ السَّلَف• .الْأدلَّةُ عَلَى ذَلِك - :أ–مَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–في صَحِيحه برقَم (5892)منْ حَدِيث نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ–رَضِي الله تَعَالَى عَنْهُمَا -عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ–قَالَ:{خَالفُوا الْمُشْرِكِين،وفِّرُوا اللِّحَى،وأحفُوا الشَّوارِب} وكَانَ ابْنُ عُمَرَ: إذَا حَجَّ أو اعتَمَر قَبَضَ عَلَى لِحْيَته، فمَا فَضَلَ أخَذَهُ .ب–مَا أخْرَجَهُ الْخَلَّالُ–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–في كتَاب(التَّرَجُّل (بإسْنَادَيْن صَحيحَيْن كمَا قَالَ الشَّيْخُ الْألْبَانِيُّ–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–في السِّلْسِلَة الضعيفَة برقَم(٥/٣٧٩)عَنْ أبي زُرْعَة بْن جَرِير قَال:{كَانَ أبُو هُرَيْرَة يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَته ،فمَا كَانَ أسْفَلَ مِنْ قَبْضَته جزَّهُ}.وفِي رِوَايَة:{يَقْبِضُ عَلَى لِحيَته ،ثُمَّ يأخُذُ مَا فَضَلَ عَن الْقَبْضَة}

• .أوْجُهُ الدلَالَة مِنَ الْأَثَرَيْنِ :

-أوَّلًا:أنَّ في أخْذ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُمَا –مَا زَادَ عَلَى الْقَبْضَة منْ لِحْيَته في الْحَجِّ دَلِيلًا عَلَى جوَازِ ذَلِكَ في غيْرِ الْحَجِّ؛ لأنَّهُ لَوْ كَانَ غيْرَ جَائِزٍ لَمَا جَازَ في الْحَجِّ- . ثَانِيًا: أنَّ الْأخْذَ فيمَا زَاد عَلَى الْقَبْضَة لَا يُنَافِي الْإِعْفَاء ولَا التَّوْفِير؛ فَهَذَا ابْنُ عُمَرَ رَوى حَدِيثَ:{وفِّرُوا اللِّحَى} وفَهِمَ الْمَعْنَى، ومعَ ذلك فقَدْ كَانَ يَأخُذُ مَا زَادَ عَلَى الْقَبْضَة، وكَذَلك أبُو هُرَيْرَةَ، وَرَاوِي الْحَدِيث أعْرَفُ بالْمُرَاد منْهُ مِن الَّذِين لَمْ يَسْمَعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ–صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ–،وأحْرَصُ عَلَى اتِّبَاعه منْهُمْ• . سَادِسًا:حُكْمُ حَلْقِ اللِّحْيَة أوْ تَخْفِيفهَا للضَّرُورَة

• أوَامرُ اللهِ تَعَالَى مَبْنِيَّة عَلَى رَفْعِ الْحَرَجِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ- .قَالَ اللهُ تَعالَى:{ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا }.(البقرة:٢٨٦- .(وَقَال تَعَالَى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. (البقرة:١٧٣.)

- وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ (1337)مِنْ حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ قَالَا :كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ:{ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ

- .{وَعَلَى هَذَا فَإِذَا كَانَ إِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ يُسَبِّبُ لِلمَرْءِ ضَرَرًا مُجْحِفًا مُحَقَّقًا، كَالْقَتْلِ أَوِ التَّشْرِيدِ أَوِ الْحَبْسِ أَوِ التَّعْذِيبِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ دَفْعَ ذَلِكَ الضَّرَرِ إِلَّا بِالتَّخْفِيفِ مِنْ لِحْيَتِه أَوْ حَلْقِهَا، فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَهُ اللُّجُوءُ إِلَى الْأَخَفِّ وَهُوَ التَّخْفِيفُ، وَلَا يَصِيرُ إِلَى الْحَلْقِ إِلَّا إِذَا ثَبَتَ أَنَّ مَا دُونَهُ لَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى، لِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ ضَرُورَةً، وَالضَّرُورَةُ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَمَتَى زَالَتْ عَادَ الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ مُرَخَّصًا فِيهِ مِنْ أَجْلِهَا إِلَى أَصْلِه مِنَ التَّحْرِيمِ• .فَيَا طَالِبَ النَّجَاةِ إِلْزَمِ الدَّلِيلَ وَدُرْ مَعَهُ حَيْثُمَا دَار،وَلَا تَسْمَعْ لِأَهْلِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ أَعْيَتْهُمْ النُّصُوص أَنْ يَحْفَظُوهَا فَلَجَأوا إِلَى الرَّأْيِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَى،وَمَا ذُكِرَ الْهَوَى فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى إِلَّا وَذَمَّهُ اللهُ تَعَالَى• .سَابِعًا:حُكْمُ الاكْتِحَالِ لِلرِّجَالِ:

- جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– اسْتَخْدَمَ الْكُحْلَ،وَحَثَّ عَلَى التَّكَحُّلِ بِالْإِثْمِدِ خَاصَّةً ؛ لِمَزَايَاهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ (1) : مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه بِرَقَمِ (3878)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ إِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمْ الْإِثْمِدُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ }.(وَالحَدِيثُ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٥١١٣) وَابْنُ مَاجه (٣٤٩٧) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي :صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ

(2) .(وَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (1757)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ : { اكْتَحِلُوا بِالإِثْمِدِ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ }.

(وَالْحَدِيثُ ضَعَّفَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَصَحَّحَهُ بَعْضُهُمْ وَمِمَّنْ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ(3) .(وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي الْكَبِيرِ بِرَقَمِ: 1/109)رقم:١٨٣) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–أَنَّ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ : { عَلَيْكُمْ بِالإِثْمِدِ فَإِنَّهُ مَنْبَتَةٌ لِلشَّعْرِ ، مَذْهَبَةٌ لِلْقَذَى ، مَصْفَاةٌ لِلْبَصَرِ }.

(وَالْحَدِيثُ حَسَّنَهُ الْمُنْذِرِيُّ وَالْعِرَاقِيُّ وَابْنُ حَجَرٍ ، وانْظُرْ: التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب:٣/٨٩، وَ : فَتْح الْبَارِي: ١٠/١٥٧• . (وَمَعْنَى { يَجْلُو الْبَصَرَ } أَيْ : يُحَسِّنُ النَّظَرَ ، وَيَزِيدُ نُورُ الْعَيْنِ .{ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ } الْمُرَادُ بِالشَّعْرِ هُنَا : الْهدب ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبُتُ عَلَى أَشْفَارِ الْعَيْنِ .(انظُرْ: عَوْنَ الْمَعْبُود : ١١/٧٥)

• . (وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي اكْتِحَالِ الرِّجَالِ وَرَدَتْ فِي بَابِ التَّدَاوِي وَالْأَمْرُ الْوَارِدُ لِلإِرْشَادِ فَيُفِيد النَّدْبِ وَالاسْتِحْبَابِ وَلَا يُفِيدُ الْوُجُوبَ وَالْإِلْزَامِ لِلقَرِينَةِ الصَّارِفَةِ لِلأَمْرِ الْوَارِدِ فِي بَابِ التَّدَاوِي- :أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَه–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٧٨٩)مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا فَقَالَ لَهُمْ:

{ عِبَادَ اللَّهِ وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ إِلَّا مَنِ اقْتَرَضَ مِنْ عِرْضِ أَخِيهِ شَيْئًا فَذَاكَ الَّذِي حَرِجَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ لَّا نَتَدَاوَى؟ قَالَ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً إِلَّا الْهَرَمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ؟ قَالَ: خُلُقٌ حَسَنٌ

- .فَالْأَمْرُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ } أَمْرُ نَدْبٍ وَاسْتِحْبَابٍ لِلقَرِينَةِ الصَّارِفَةِ فِيمَا أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٥٦٥٢)مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ لِي ابْنُ

عبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ؛ أَتَتِ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ:{ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ،

فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَلَّا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا}.(وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَطَاءٍ): { أَنَّه رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ، امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ عَلَى سِتْرِ الْكَعْبَةِ }

- .فَالْقَرِينَةُ الصَّارِفَةُ للأمْرِ بِالتَّدَاوِي مِنَ الْوُجُوبِ إِلَى النَّدبِ وَالاسْتِحْبَابِ هِيَ تَخْيِيرُ الْمَرِيضَةِ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالدُّعَاءِ فَاخْتَارَتِ الصَّبْرَ فِي قَوْلِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ}

• .إِذَن فَالْأَمْرُ الْوَارِدُ فِي اكْتِحَالِ الرِّجَالِ بِالْإِثْمِدِ أَمْرُ إِرْشَادٍ يُفِيدُ النَّدبَ وَالاسْتِحْبَابَ، وَإِلَيْكَ أَقْوَالُ الْفُقَهَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي حُكْمِ الاكْتِحَالِ للرِّجَالِ) :أ) يُستَحَبُّ اكْتِحَالُ الرِّجَالِ بِالْإِثْمَدِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

(ب) يُبَاحُ اكْتِحَالُ الرِّجَالِ للزِّينَةِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَنْقُولٌ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) .ج) يُكْرَهُ اكْتِحَالُ الرَّجُلِ للزِّينَةِ، وَيُبَاحُ لِغَيْرِهَا كَالتَّدَاوِي، وَهُوَ قَوْلُ الْحَنَفِيَّةِ) .د) يَحْرُمُ اكْتِحَالُ الرَّجُلِ للزِّينَةِ، وَيُبَاحُ لِغَيْرِهَا، وَهَذَا مَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ- .وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِين– رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

{ وَالاكْتِحَالُ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا :

اكْتِحَالٌ لِتَقْوِيَةِ الْبَصَرِ ، وَجَلَاءِ الْغِشَاوَةِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَتَنْظِيفِهَا وَتَطْهِيرِهَا بِدُونِ أَنْ يَكُونَ لَهُ جَمَالٌ ، فَهَذَا لَا بَأسَ بِهِ ، بَلْ إِنَّهُ مِمَّا يَنْبَغِي فِعْلُهُ؛لأَنَّ النَّبِي–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ يَكْتَحِلُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ بِالْإِثْمِدِ

. النَّوعُ الثَّانِي :

مَا يُقْصَدُ بِهِ الْجَمَالِ ، وَالزِّينَةِ ، فَهَذَا للنِّسَاءِ مَطْلُوبٌ ؛ لأَنَّ الْمَرْأَةَ مَطْلُوبٌ مِنْهَا أَنْ تَتَجَمَّلَ لِزَوْجِهَا . وَأَمَّا الرِّجَالُ : فَمَحَلُّ نَظَرٍ ، وَأَنَا أَتَوَقَّفُ فِيهِ ، وَقَدْ يُفَرَّقُ فِيهِ بَيْنَ

الشَّابِّ الَّذِي يُخْشَى مِنَ اكْتِحَالِهِ فِتْنَة ، فَيُمْنَع ، وَبَيْنَ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا يُخْشَى ذَلِكَ مِنَ اكْتِحَالِهِ ، فَلَا يُمْنَعُ } .(مجموع فتاوى الشَّيخ العثيمين: ١١/٧٣)

• . إِذَنْ فَالْأَمْرُ الْوَارِدُ فِي إِعْفَاءِ اللِّحْيَة يُفِيدُ الْوُجُوبَ وَالْإِلْزَام،بَيْنَمَا الْأَمْر الْوَارِدُ فِي اكْتحَالِ الرِّجَالِ بِالْإِثْمِد أَمْر إِرْشَاد للنَّدْبِ وَالاسْتِحْبَاب،فَيَا طَالِبَ النَّجَاة–رَحمَني اللَّهُ وَإِيَّاكَ–أُوصِيك أَنْ لَّا تَأْخُذِ الْعِلْمَ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ لأَنَّ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ دِينٌ ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي مُقَدِّمَةِ صَحِيحِهِ(١/١٦)عَنْ مُحَمَّد بْنِ سِيرِينَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–قَالَ:

{ إِنَّ هَذَا الْعِلمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ }.

• فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ وَالْمُتَابَعَةَ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَسَائِرِ الْأَحْوَال،وَصَلِّ وَسَلِّم وَبَارِك عَلَى النَّبِيِّ الْقُدْوَة وَالرَّسُولِ الْأُسْوَة وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُون،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٥)

•دُعَاةٌ عَلَى أبْوَابِ جَهَنَّم خَالِد الْجِندِيّ وَحُكْمُ الْأغَانِي



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ• .
أَمَّا بَعْدُ• :فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–حَلَقَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ سِلْسِلَةِ { دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ } وَهِيَ سِلْسِلَةٌ أُحَاوِلُ خِلَالَهَا الرَّدَّ عَلَى دُعَاةِ التَّغْرِيبِ الْجُدُدِ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ حَرْبًا شَعْوَاءَ مِنْ أَجْلِ هَدْمِ ثَوَابِتِ الْإِسْلَامِ ،وَالْحَجْرِ عَلَى الْفَضِيلَةِ، وَتَيْسِيرِ أَمْرِ الرَّذِيلَةِ،وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَقُطَّاعُ الطَّرِيقِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِأَنَّهُمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ .

•فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (6673)مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–يَقُولُ:كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ:
{يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟قَالَ:نَعَمْ قُلْتُ:وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟قَالَ:نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ:وَمَا دَخَنُهُ؟قَالَ:قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ:فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟قَالَ:نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ:فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟قَالَ:تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ}.

• نَعَمْ إِنَّهُمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا• .نَعَمْ إِنَّهُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا• .نَعَمْ إِنَّ النَّجَاةَ مِنْ شَرِّهِمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ وَالصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُعَظِّمُونَ شَعَائِرَ اللهِ تَعَالَى وَيَلْزَمُونَ غَرْزَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ فَهُمْ مُتَوَافِرُونَ فِي الْأُمَّةِ،وَكَذَلِكَ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْأَئِمَّةِ الْمُعَظِّمِينَ لِشَرِيعَةِ اللهِ تَعَالَى الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَدْيِ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَإِلَّا اعْتِزَالُ جَمِيعِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَتَطْبِيقُ مَنْهَجِ النَّجَاةِ الْمُتَمَثِّلِ فِي لُزُومِ الْبَيْتِ،وَإِمْسَاكِ

اللِّسَانِ،وَالْبُكَاءِ عَلَى الْخَطَايَا وَالتَّوبَة مِنهَا• .فَقَدْ أَخْرَجَ الْإمَامُ التِّرمِذِيُّ–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–في سُنَنه وقَالَ :

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ برقَم(٢٤٠٦)من حَدِيث عُقْبَةَ بنِ عَامرٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنْهُ–قَالَ :قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمسِكْ عَلَيْكَ لِسانَكَ ولْيَسعكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلى خَطِيئَتِكَ}

• .فَمِنْ طَامَّاتِ الدَّعِيِّ الْمَنْكُورِ (خَالد الْجنْدِيّ) قَوْلُهُ: { الْمُوسيقَى وَالْغنَاء مِنْ نعمِ اللَّه فِيهمَا تَطْرِيبٌ للنَّفْس }، وقَوْلُهُ: { اللِّي يحرَمهَا يشيل جرَسَ الْبَاب وكَلَاكْس الْعَرَبيَّة }،. وعَلَى دربْهِ سَارَ الْمدْعُو)أحْمَد كرِيمَة) وكَأَنَّهَا حمْلَةٌ مُمَنْهَجَةٌ لنَشْرِ الرَّذِيلَة حَيْثُ قَالَ :{ بحب أسمَع أغَانِي فَيْرُوز لأنَّ أغانيهَا هَادفَة }.،ورَدًّا عَلَى هَذَا الْعبَث إِلَيْكُم بَيَان حُكْمِ الْغنَاءِ وَالْمعَازِف• :لَقَدْ تضَافَرتِ النُّصُوص فِي الْكِتَاب، وَالسنّةِ،وَآثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، عَلَى تَحْرِيمِ الْمَعَازِفِ وَالْغنَاءِ نَذْكُرُ مِنْهَا:

• أوَّلًا: مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيم

(1) :قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيث لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ ويَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }.(لقمان:٦.)

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ الله–فِي تَفْسِيرهَا:{ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ السُّعدَاء ، وَهُمْ الَّذِينَ يَهْتَدُونَ بِكِتَابِ الله وَيَنْتَفِعُونَ بِسمَاعه ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى :{ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيث كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الله ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِل اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد }.(الزُّمر : ٢٣)، عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ الأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ الانْتِفَاعِ بِسمَاعِ كَلَامِ الله، وأَقْبَلُوا عَلَى اسْتِمَاعِ الْمَزَامِير وَالْغنَاءِ بِالْأَلْحَانِ وآلَاتِ الطَّرَبِ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِه تَعَالَى :

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيث }قَالَ : هُوَ – وَالله – الْغنَاءُ . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي يُونُس بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ يُونُس، عَنْ أَبِي صَخْرٍ ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ الْبَجَلِيِّ ، عَنْ سَعِيدٍ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي الصَّهْبَاءِ الْبَكْرِيِّ ،

أَنَّهُ سمعَ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ – وَهُوَ يُسأَلُ عَنْ هَذهِ الآيَةِ :{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ }– فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : الْغِنَاءُ، وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

. ..وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٌ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَمَكْحُولٌ ، وَعَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ، وَعَلِيُّ بْنُ بَذِيمَةَ . وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ } فِي الْغِنَاءِ وَالْمَزَامِيرِ . وَقَالَ قَتَادَةُ: قَوْلُهُ :

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ }: وَاللهِ لَعَلَّهُ لا يُنْفِقُ فِيهِ مَالاً وَلَكِنْ شِرَاؤُهُ اسْتِحْبَابُهُ، بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الضَّلَالَةِ أَنْ يَخْتَارَ حَدِيثَ الْبَاطِلِ عَلَى حَدِيثِ الْحَقِّ، وَمَا يَضُرُّ عَلَى مَا يَنْفَعُ .وَقِيلَ:عَنَى بِقَوْلِهِ :{ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ }: اشْتِرَاءَ الْمُغَنِّيَاتِ مِنَ الْجَوَارِي

(2) .وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا }.(الإسراء:٦٤)

- .قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي تَفْسِيرِهَا:{وَقَوْلُهُ:{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ }قِيلَ هُوَ الْغِنَاءُ قَالَ مُجَاهِدٌ: بِاللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ أَي:اسْتَخِفَّهُمْ بِذَلِكَ،وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : { وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ } قَالَ: كُلُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ(3) .وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:

{ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا }.(الفرقان:٧٢)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَهَذِهِ أَيْضاً مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُمْ :

{ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ }قِيلَ : هُوَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ الأَصْنَامِ. وَقِيلَ : الْكَذِبُ ،وَالْفِسْقُ ، وَاللَّغْوُ، وَالْبَاطِلُ .وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ :

هُوَ اللَّهْوُ وَالْغِنَاءُ- .{ وَقَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ }

أَيْ:لَا يحضرُونَ الزُّورَ أيْ:الْقوْلُ والفِعْلُ الْمُحَرَّمُ، فيَجْتَنِبُونَ جميعَ الْمَجالِسِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْأَقْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ أوِ الْأفْعَالِ الْمحرَّمَةِ، كَالْخَوْضِ في آيَاتِ الله والْجِدالِ الْبَاطلِ والْغِيبَةِ والنَّمِيمةِ والسَّبِّ والْقَذْفِ والاستِهْزاءِ والْغِناءِ الْمُحَرَّمِ وشُرْبِ الْخَمْرِ وفَرْشِ الْحَريرِ، والصُّوَرِ ونحوِ ذَلِكَ، وإذَا كانُوا لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ فمِنْ بَابٌ أَوْلَى وأحْرَى أنْ لَا يقُولُوهُ ويَفْعَلُوهُ }.

•ثانِيًا: منَ السنَّةِ النَّبَوِيَّةِ :

(1) روَى الإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رحِمَهُ اللهُ–في صَحِيحِه مُعلَّقاً مَجْزُوماً به –كتَاب الأشْرِبَةِ برقَمِ (٥٢٨٦) بَاب مَا جاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الْخَمْرَ ويُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِه وقَالَ هِشَامُ بْنُ عمَّارٍ حدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالدٍ حدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يزِيدَ بْنِ جَابِرٍ حدَّثَنَا عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ الْأَشْعَرِيُّ قالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ واللَّهِ مَا كَذَبَنِي سمِعَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ–يقُولُ:{ لَيَكُونَنَّ من أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ والْحَرِيرَ والْخَمْرَ والْمَعَازِفَ ولَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يعْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً فَيُبَيِّتُهُمْ اللَّهُ ويَضَعُ الْعَلَمَ ويَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }

- .ولَا يُلْتَفَتُ إِلَى طَعْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ–عَفَا اللهُ عَنْهُ– فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وإِعْلَالِه لَهُ بالانْقِطَاعِ ، وبِجَهَالَةِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ! كَمَا فِي الْمُحَلَّى:(٥٩/٩)،ورِسَالَتِهِ فِي الْغِنَاءِ الْمُلْهِي أَمُبَاحٌ هُوَ أَمْ مَحْظُورٌ؟! كَمَا فِي رَسَائِلِه(٤٣٤/١).

-فَالْحَدِيثُ وَصَلَهُ ابْنُ حبَّان في صحيحِه (6574)،والطَّبَرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ (3339)،ومُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ (٥٨٨)، والْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الصُّغْرَى (4320)،والسُّنَنِ الْكُبْرَى (٦٣١٧ (وهُوَ صَحِيحٌ- .قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ(٦٧)

}:ولَا الْتِفَاتَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ الْحَافِظِ فِي رَدِّهِ مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَامِرٍ ، أَوْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ :

{ لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ والْخَمْرَ والْمَعَازِفَ . . } الْحَدِيثَ . مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْبُخَارِيَّ أَوْرَدَهُ قَائِلًا فِيهِ : قَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ وسَاقَهُ بِإِسْنَادِهِ ، فَزَعَمَ ابْنُ

حَزْمٍ أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ فيمَا بيْنَ الْبُخَارِيِّ وَهِشَامٍ ، وَجعَلَه جوَابًا عَنِ الاحْتِجَاجِ بِه عَلَى تَحْرِيمِ الْمَعَازِفِ . وَأَخْطَأَ فِي ذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ ، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ مَعْرُوفُ الِاتِّصَالِ بِشَرْطِ الصَّحِيحِ }

- . وَقَالَ الإمَامُ ابْنُ القَيِّم فِي رَوْضَةِ الْمُحِبِّينَ (١٣٠):{ وَأَمَّا أَبُو مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ عَلَى قَدْرِ يُبْسِهِ وَقَسْوَتِهِ فِي التَّمَسُّكِ بِالظَّاهِرِ وَإِلْغَائِه للمَعَانِي وَالْمُنَاسِبَاتِ وَالْحِكَمِ وَالْعِلَلِ الشَّرْعِيَّةِ انْمَاعَ فِي بَابِ الْعِشْقِ وَالنَّظَرِ وَسماعِ الْمَلَاهِي الْمُحَرَّمَةِ فَوسَّعَ هَذَا الْبَابَ جِدًا وَضيَّقَ بَابَ الْمُنَاسَبَاتِ وَالْمعَانِي وَالْحِكَمِ الشَّرْعِيَّةِ جِدًّا وَهُوَ مَعَ انْحِرَافِه فِي الطَّرَفَيْنِ حِينَ رَدَّ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِه فِي تَحْرِيمِ آلَاتِ اللَّهْوِ بِأَنَّهُ مُعَلَّقٌ غَيْرُ مُسْنَدٍ وَخَفِي عَلَيْه أَنَّ الْبُخَارِيَّ لَقِيَ مَنْ عَلَّقَهُ عَنْهُ وَسمعَ مِنْهُ وَهُوَ هِشَامٌ بْنُ عَمَّارٍ وَخَفِيَ عَلَيْهِ أَنَّ الْحَدِيثَ قَدْ أَسْنَدَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ غَيْرِ هِشَامٍ بْنِ عَمَّارٍ فَأَبْطَلَ سُنَّةً صَحِيحَةً ثَابِتَةً عَنْ رَسُولِ اللهِ لَا مَطْعَنَ فِيهَا بِوَجْهٍ }.

(وانظر تهذيب سنن أبي داود(٢٢٨/٢)وقال في إغاثة اللهفان (١ / ٢٥٩) تغليق التَّعليق(٥ / ٢٢)فتح الباري:١٠ / ٥٢)

• .ووَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى تَحْرِيمِ الْمَعَازِفِ أَنَّهُ لَوْ كَانَتْ حَلَالاً لَمَا ذَمَّهُمْ عَلَى اسْتِحْلَالِها وَلَمَا قَرَنَ اسْتِحْلَالَهَا بِاسْتِحْلَالِ الزِّنَا وَالْخَمْرِ وَالْحَرِيرِ (2) .!وَأَخْرَجَ الإمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِه–كِتَابُ الْفِتَنِ–بَاب مَا جَاءَ فِي عَلَامَةِ حُلُولِ الْمَسْخِ وَالْخَسْفِ بِرَقَمِ(٢٢١٢)مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– أَنَّ رَسُولَ اللَّه–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–قَالَ:

{ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَاكَ قَالَ إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ }

.(وَحَسَّنَهُ لِغَيْرِه الشَّوْكَانِيُّ في(نيل الأوطار)8/262: ،وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ في: صحيح سنن التِّرْمذِيِّ)

(3) .وَأَخْرَجَ الإمَامُ ابْنُ مَاجَه–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِه–كِتَاب الْفِتَنِ–بَاب الْعُقُوبَاتِ بِرَقَمِ (4051)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ : قَالَ رَسُولُ–اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا ،

يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ ، وَالْمُغَنِّيَاتِ ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ }.

(والحديث صحيح بشواهده وصحَّحه ابن القيِّم في(اغاثة اللّهفان)وقال الألبانيُّ في: صحيح سنن ابن ماجه :صحيح• .(ووَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ السَّابِقَيْنِ عَلَى تَحْرِيمِ الأغَانِي وَالْمَعَازِفِ ذَلِكَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ بِالْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالْقَذْفِ لِمَنْ اسْتَحَلَّهَا،فَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ لِلعُصَاةِ مِنْ أَهْلِ الْمَعَازِفِ وَشَارِبِي الْخُمُورِ بِالْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالْقَذْفِ،وَهِي نَذِيرٌ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَتَخْوِيفٌ مِن الله لِعبَادِه، وَعُقُوبَةٌ لِأَهْلِ الْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي، كَي يَعْتَبِرَ النَاسُ وَيَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَيَعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ أَزِفَتْ، وَأَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ الله إِلَّا إِلَيْه.

•ثَالثًا:مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ الصَّالِحِ :

- تَضَافَرَتْ أَقْوَالُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي ذَمِّ الْغِنَاءِ وَالْمَعَازِفِ وَمِنْ هَذِه الْأَقْوَالِ (1) : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ–رَحِمَهُ الله– إِلَى مُؤَدِّبِ وَلَدِه: { لِيَكُنْ أَوَّلَ مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أَدَبِكَ بُغْضُ الْمَلَاهِي، الَّتِي بَدْؤُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَعَاقِبَتُهَا سَخَطُ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّه بَلَغَنِي عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ حُضُورَ الْمَعَازِفِ وَاسْتِمَاعَ الْأَغَانِي وَاللَّهْجَ بِهَا يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْعُشْبَ الْمَاءُ }.(أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذَمِّ الْمَلَاهِي :ص ٤٠ ــ ٤١).

(2) وَيَقُولُ الْعَلَّامَةُ بْنُ الْقَيِّمِ–رَحِمَهُ الله تَعَالَى–:{ الْغِنَاءُ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ وَمَصَايِدِه الَّتِي يَكِيدُ بِهَا مَنْ قَلَّ نَصِيبُه مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالدِّينِ وَيُفْسِدُ بِهَا قُلُوبَ الْجَاهِلِينَ وَالْمُبْطِلِينَ. يُبْعِدُ بِه الْقُلُوبَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَيَجْعَلُهَا عَاكِفَةً عَلَى الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ. هُوَ قُرْآنُ الشَّيْطَانِ، وَالْحِجَابُ الْكَثِيفُ عَنِ الرَّحْمَنِ،وَهُوَ رُقْيَةُ اللِّوَاطِ وَالزِّنَا، وَبِه يَنَالُ الْعَاشِقُ الْفَاسِقُ مِنْ مَعْشُوقِه غَايَةَ الْمُنَى، كَادَ بِه الشَّيْطَانُ النُّفُوسَ الْمُبْطِلَةَ، وَحَسَّنَهُ لَهَا مَكْرًا وَغُرُورًا، وَأَوحَى إِلَيْهَا الشُّبَهَ الْبَاطِلَةَ عَلَى حُسْنِه، فَقَبِلَتْ وَحْيَهُ، وَاتَّخَذَتْ لِأَجْلِه الْقُرْآنَ مَهْجُورًا... وَهَذَا السَّمَاعُ الشَّيْطَانِيُّ الْمُضَادُّ لِلسَّمَاعِ الرَّحْمَانِيِّ، لَهُ فِي الشَّرْعِ بِضْعَةَ عَشَرَ اسْمًا: اللَّهْوُ، وَاللَّغْوُ، وَالْبَاطِلُ، وَالزُّورُ، وَالْمُكَاءُ، وَالتَّصْدِيَةُ، وَرُقْيَةُ الزِّنَا، وَمُنْبِتُ النِّفَاقِ فِي الْقَلْبِ، وَالصَّوْتُ الْأَحْمَقُ، وَالصَّوْتُ الْفَاجِرُ، وَصَوْتُ الشَّيْطَانِ، وَمَزْمُورُ الشَّيْطَانِ، وَالسُّمُودُ }

(3) .ويَقُولُ أيْضاً واصِفاً أهْلَ الْغِنَاء: { قَضُوا حيَاتَهُمْ لَذَّةً وطَرَبًا، واتَّخَذُوا دينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا. مَزَاميرُ الشَّيْطَانِ أَحبُّ إِلَيْهِمْ منْ استْمَاعِ سُوَرِ الْقُرْآنِ. لَوْ سَمعَ أَحَدُهُمْ الْقُرْآنَ منْ أَوَّله إلَى آَخره لَمَا حرَّكَ فيه سَاكنًا، ولَا أَزْعَجَ لَهُ قَاطنًا. حتَّى إذَا سَمعَ قُرْآنَ الشَّيْطَانِ تَفَجَّرتْ يَنَابيعُ الْوَجْدِ منْ قَلْبِه عَلَى عَيْنَيْه فَجَرَتْ، وَعَلَى أَقْدَامه فَرَقَصَتْ وَعَلَى يَدَيْه فَطَقْطَقَتْ وَصَفَّقَتْ، وعَلَى سَائرِ أَعْضَائه فَاهْتَزَّتْ وطَرِبَتْ، وعَلَى زَفَرَاته فَتَزَايَدَتْ، وَعَلَى ميزَانِ أَشْوَاقه فَاشْتَعَلَتْ }. (انظُر: إغاثةاللَّهْفَان: ج١ ص :224:237)

(4) .وقَالَ الْإمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ– رَحمَهُ الله } : -آلَةُ اللَّهْوِ كَالطُّنْبُورِ ،وَالْمزْمَارِ،وَالشَّبَّابَةِ ... آلَةٌ للْمَعْصيَةِ ، بالْإجْمَاعِ }. انتهى من :المغني : ١٣٢/٩)

• .فَائدَةٌ مُهمَّةٌ :

-يَخْلطُ الْبَعْضُ بَيْنَ حكْمِ الشِّعْرِ وَحكْمِ الْغنَاءِ الْيَوْمِ إمَّا جَهْلاً منْهُ وَإمَّا تَدْليساً لإبَاحَة الْحَرَامِ،فإذَا سُئلَ أَحَدُهُمْ عَنْ حكْمِ الْغنَاءِ فَيَسْتَدلّ بحَديث أُمِّ الْمُؤمنينَ عَائشَةَ–رَضيَ الله عَنْهَا–قَالَتْ:{سُئلَ رَسُولُ الله–صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ– عَنِ الشِّعْرِ فَقَالَ : { هُوَ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ }.(انظُر:السِّلْسلَة الصَّحيحَة للألبانِيِّ:١/٨٠٨وحَسَّنَهُ)

-وَفي روَايَة عَنْ عَبْد الله بْنِ عَمْرو–رَضيَ الله عَنْهُمَا–وَأُمِّ الْمُؤمنينَ عَائشَةَ–رَضيَ الله عَنْهَا–أَنَّ النَّبيَّ–صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ–قَالَ:{ الشِّعْرُ بمَنْزلَة الْكَلَامِ ، فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ ، وَ قَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ }.(انْظُرْ:صَحيح الْجَامع للألبانِيِّ برقَمِ: ٣٧٣٣ وهو صحيح.)

- قَالَ شُرَّاحُ الْحَديث:الفَصَاحَةُ والْبَيَانُ وذَكَاءُ الْقَلْبِ مَعَ اللِّسَانِ ممَّا يُعِينُ عَلَى التَّعْليمِ، وَعَلَى إقَامَة الدَّعْوَة، والشِّعْرُ نَوْعٌ خَاصٌّ من الْكَلَامِ الْمَوْزُونِ لَهُ تَأْثيرٌ في الْقُلُوبِ وحكْمَةٌ، وفي هَذَا الْحَديث يَقُولُ–صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ–:

{ الشِّعْرُ بمَنْزلَة الْكَلَامِ } والشِّعْرُ هُوَ كَلَامٌ ذُو مَعْنًى مَوْزُونٌ عَلَى قَافيَة مُحَدَّدَة، أَوْ هُوَ مَجْمُوعَةٌ منَ الأَلْفَاظ مُرَتَّبَةٌ بطَريقَة عَلَى قَوَاعد الوَزْنِ والقَافيَة بحَيْثُ تُكْسبُهُ حلَّةً جَميلَةً، والْمَعْنَى: أنَّ الشِّعْرَ الْمَوْزُونَ مثْلُ الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ وَفي حُكْمه؛ { فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ }

يَعْنِي: أَنَّ الشِّعْرَ كَالنَّثْرِ، فَإِذَا خَلَا مِنْ مَحْذُورٍ شَرْعِيٍّ فَهُوَ مُبَاحٌ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ إِذَا اشْتَمَلَ الشِّعْرُ عَلَى مَعْنًى حَسَنٍ كَالتَّوْحِيدِ، وَحَمْدِ اللهِ، وَمَدْحِ الرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِغَيْرِ غُلُوٍّ، وَسَائِرِ مَعَانِي الْبِرِّ وَالْخَيْرِ فَهُوَ مُبَاحٌ، كَمَا بَيَّنَ أَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الشِّعْرِ هُوَ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الْكُفْرِ أَوْ عَلَى الْفِسْقِ كَالدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ، أَوْ عَلَى الْكَلَامِ الْفَاحِشِ كَالتَّغَزُّلِ بِأَجْنَبِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ بِالأَمْرَدِ أَوْ هِجَاءِ إِنْسَانٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَكَذَلِكَ يُذَمُّ مِنَ الشِّعْرِ مَا غَلَبَ عَلَى الإِنْسَانِ بِحَيْثُ يَصُدُّهُ عَنِ الْقُرْآنِ، وَالْعِلْمِ، وَذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}.(الشُّعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧).

- فَتَجِدْ بَعْضَ الْجَاهِلِينَ أَوْ الْمُدَلِّسِينَ إِذَا سُئِلُوا عَنْ حُكْمِ الْغِنَاءِ عَبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمَسْمُوعَةِ أَوِ الْمَقْرُوءَةِ أَوِ الْمَرْئِيَّةِ يُجِيبُ :وَالْغِنَاءُ كَلَامٌ حَسَنُهُ حَسَنٌ وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْغِنَاءِ الْمُحَرَّمِ الْمَصْحُوبِ بِالْمَعَازِفِ وَالْكَلَامِ الدَّاعِي لِلفَاحِشَةِ وَالْمُثِيرِ لِلغَرَائِزِ،وَالْمَصْحُوبِ بِالْاخْتِلَاطِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ،وَيُغَنِّي فِيهِ الرِّجَالُ لِلنِّسَاءِ،وَالنِّسَاءِ لِلرِّجَالِ فَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى

• .وَأَمَّا عَنْ قَوْلِ الْمَنْكُورِ عَنِ الْغِنَاءِ:{ اللّي يحَرِّمهَا يِشِيل جَرَس الْبَاب وَكَلَاكس الْعَرَبِيَّة } فَيُقَالُ لَهُ: جَرَسُ الْبَابِ وَكَلَاكس السَّيَّارة وَكَذَلِكَ رَنَّة الْهَاتِف إِذَا كَانَتْ لِمُجَرَّدِ التَّنْبِيه وَلَمْ تَصْحَبْهَا مُوسِيقَى وَلَا قَوْل قَبِيح فَلَا حَرَج فِيهَا،قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِين ــ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

ــ فِي شَرْحِ رِيَاضِ الصَّالِحِين: { فَإِنَّ بَعْضَ الْأَبْوَابِ يَكُونُ عِنْدَهَا جَرَسٌ لِلاسْتِئْذَانِ، هَذَا ــ أَيْضًا ــ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا يَدْخُلُ فِي النَّهْيِ، لأَنَّهُ لَيْسَ مُعَلَّقًا عَلَى بَهِيمَةٍ وَشَبَهِهَا، وَلَا يَحْصُلُ بِهِ الطَّرَبُ الَّذِي يَكُونُ مِمَّا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- }. اهــ.

•فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ هَؤُلَاءِ ،وَأَنْ يَكْفِيَنَا شَرَّهُمْ،فَاللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا،وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا،وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَى،وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٦)

مَفْهُومُ قَوْلِ النَّبِيِّ: أفَتَّانٌ أنْتَ يَا مُعَاذ ؟



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِله رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأَحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ الْعُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الأَلْبَابِ، وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَ الثَّوَابِ، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ

أَمَّا بَعْدُ.

•فَاعْلَمْ يَاطَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–أَنَّ الْوَسَطِيَّةَ أَصْعَبُ الطُّرُقِ فَهِيَ حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ بَيْنَ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ،فَالإِفْرَاطُ وَهُوَ التَّنَطُّعُ وَالتَّشَدُّدُ سَهْلٌ مَيْسُورٌ يُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَهُوَ سَيِّئَةٌ،

وَكَذَلِكَ التَّفْرِيطُ وَهُوَ التَّمَيُّعُ وَالتَّسَيُّبُ وَالتَّقْصِيرُ سَهْلٌ مَيْسُورٌ يُحْسِنُهُ كُلُّ أَحَدٍ وَهُوَ سَيِّئَةٌ ، لَكِنَّ الْوَسَطِيَّةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الإِسْلامُ وَوُصِفَ بِهَا أَتْبَاعُهُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَي:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَي النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً..}.(البقرة:١٤٣).

-فَهِيَ أَصْعَبُ طَرِيقٍ لأَنَّهَا عَدْلٌ وَإِنْصَافٌ وَاحْتِكَامٌ لِلدَّلِيلِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–وَبُعْدٌعَنِ الْهَوَي وَحَظِّ النَّفْسِ،وَهِيَ طَرِيقُ الْعِصْمَةِوَ النَّجَاةِ لِسَالِكِيهَا وَهِيَ الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ كَمَا أَخْبَرَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.–

•هَذَا وَقَدْ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { مَفْهُومُ قَوْلِ النَّبِيِّ:أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذ؟! } وَهِيَ جُمْلَةٌ نَبَوِيَّةٌ تُوَضِّحُ مَحَاسِنَ الْإِسْلَامِ فِي النَّهْيِ عَنِ إِلْحَاقِ الْمَشَقَّةِ بِالْمُسْلِمِ،فَالْإِسْلَامُ يَقُومُ عَلَى الْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرَجِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ }.(الحجّ:٧٨)

-فَقَوْلُهُ:{..هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }.

أي:هوَ اصطفاكُمْ لِحَمْلِ هذا الدِّين، وقدْ منَّ عليْكُمْ بأنْ جعَل شريعتَكُمْ سمْحَةً، ليْسَ فِيهَا تضْيِيقٌ ولَا تشْدِيدٌ فِي تكَالِيفِهَا وأحكَامِهَا، كمَا كانَ فِي بعْضِ الْأممِ قبْلَكُمْ.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ شَهْرُ رمضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وبيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فمن شهد منكمُ الشَّهرَ فلْيَصمهُ ومن كَان مريضًا أَوْ علَىٰ سفرٍ فعدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخرَ يريدُ اللَّهُ بكمُ اليسرَ ولَا يريدُ بكمُ الْعسرَ ولِتُكملُوا الْعدةَ ولِتُكبِّروا اللَّهَ علَىٰ ما هداكُمْ ولعلَّكُمْ تشْكرُونَ).{البقرة:١٨٥)

-فقولُه:{ يرِيدُ اللَّهُ بكمُ اليسْرَ ولَا يرِيدُ بكمُ الْعسرَ }

أيْ: يرِيدُ اللهُ تعَالى أنْ ييسِّرَ عليكمُ الطُّرُقَ الْموصلَةَ إلى رضْوانِه أعظَم تيْسيرٍ، ويسهلَهَا أشدّ تسْهيلٍ، ولِهذَا كانَ جَميعُ مَا أمرَ اللهُ بِهِ عبادَه في غايَةِ السهُولَةِ في أصلْه،وإذا حصلَتْ بعْضُ الْعوارضِ الْموُجبَةِ لثِقلِه، سهلَّه تسْهيلًا آخر، إمَّا بإسقَاطه، أوْ تخْفيفِه بأنْواعِ التَّخفيفات،وهذه جُملَةٌ لَا يمكنُ تفْصيلُهَا، لأنَّ تفاصيلَها، جميعُ الشَّرْعيَّات، ويدخُلُ فيها جميعُ الرُّخصِ والتَّخْفيفات.

•وفي قولِ النَّبيِّ–صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّم–لمُعاذِ بْنِ جبلٍ–رضيَ اللَّهُ تعَالَى عنْهُ–:{ أفتَّانٌ أنْتَ يَا معُاذ }بيانٌ لِهذَا الْمبدأ منْ مبادئ التَّشْرِيعِ فِي الْإسلَامِ مَبْدَأ اليُسْرِ ورَفْعِ الْحرَجِ،وفي هذه الرسالَةِ سألْقي الضوْءَ علَى هذَا الْمبْدأ منْ خلَالِ شرْحِ الْحديث،هذَا وقدْ حانَ أوانُ الشُّروعِ فِي الْمقْصودِ فأقُولُ وباللَّهِ التَّوْفيقُ:

•أخرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقَمٍ(٧٠١) ومُسلْمٌ برقَمٍ(٤٦٥) منْ حَديثِ جابرِ بْنِ عبْدِ اللَّه–رضِيَ اللَّهُ تعالَى عنهما–قَالَ: كانَ معُاذٌ يصلِّي معَ النَّبيِّ–صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ–ثُمَّ يرجِعُ فيؤمُّنَا –قَال مرَّةً: ثُمَّ يرجِعُ فيصلِّي بقوْمِه– فَأخَّرَ النَّبيُّ–صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّم–لَيْلَةً الصلَّاة –وقَال مرَّةً: الْعِشاءَ– فصلَّى معُاذٌ معَ النَّبيِّ–صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ–، ثُمَّ جاءَ يؤمُّ قومَه، فقرأَ الْبقرَة، فاعتَزلَ رجُلٌ منَ الْقوْمِ فصلَّى، فقِيلَ: نافقْتَ يا فُلَانُ! فقَالَ: مَا نَافقْتُ، فأتَى رسُولَ الله–صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ–فقَال: إنَّ معُاذًا يصلِّي معَكَ، ثُمَّ يرجِعُ فيؤمُّنَا يا رسُولَ الله، وإنَّمَا نحْنُ أصحَابُ نواضِحَ، ونعمَلُ بأيْدِينا، وإنَّه جاءَ يؤمُّنَا فقرأَ بسورَةِ الْبقرَةِ! فقَال:

{ يَا مُعاذُ، أَفتَّانٌ أنتَ؟! أفتَّانٌ أنْتَ؟! اقرَأ بِكَذَا اقرأْ بِكَذَا }، قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِـــ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} وفي روايةٍ:{ يا مُعاذُ، لَا تكُنْ فتَّانًا؛ فإنَّه يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ وَالْمُسَافِرُ!}.

-وفي روايةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ برقمِ(٦١٠٦):كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ، فقَرَأَ بهِمُ الْبَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فبلَغ ذَلِكَ الرجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، ونَسْقِي بنَوَاضِحِنَا، وإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ، فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟! -ثَلَاثًا- اقْرَأْ: { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا }،وَ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى }، وَنَحْوَهَا }

.

•أولًا:نُبْذَةٌ عَنِ الصَّحَابِيِّ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ:

-لَمَّا أشْرَقَتْ جزِيرَةُ الْعَرَبِ بِنُورِ الْهُدَى وَالْحَقِّ، كَانَ الْغُلَامُ الْيَثْرِبِيُّ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَتًى يَافِعًا.

-وَكَانَ يَمْتَازُ مِنْ بَيْنِ أَتْرَابِهِ بِحِدَّةِ الذَّكَاءِ، وَقُوَّةِ الْعَارِضَةِ، وَرَوْعَةِ الْبَيَانِ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ.

-وَكَانَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، قَسِيمًا وَسِيمًا أَكْحَلَ الْعَيْنِ جَعْدَ الشَّعْرِ بَرَّاقَ الثَّنَايَا، يَمْلأُ عَيْنَ مُجْتَلِيهِ وَيَمْلِكُ عَلَيْهِ فُؤَادَهُ.

-أَسْلَمَ الْفَتَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَلَى يَدِي الدَّاعِيَةِ الْمَكِّيِّ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- . وَفِي لَيْلَةِ الْعَقَبَةِ امْتَدَّتْ يَدُهُ الْفَتِيَّةُ فَصَافَحَتْ يَدَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَبَايَعَتْهُ.

-فَقَدْ كَانَ مُعَاذٌ مَعَ الرَّهْطِ الاثْنَيْنِ وَالسَّبْعِينَ الَّذِينَ قَصَدُوا مَكَّةَ، لِيَسْعَدُوا بِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَيَتَشَرَّفُوا بِبَيْعَتِهِ، وَلِيَخُطُّوا فِي سِفْرِ التَّارِيخِ أَرْوَعَ صَفْحَةٍ وَأَزْهَاهَا.

-وَمَا إِنْ عَادَ الْفَتَى مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى كَوَّنَ هُوَ وَنَفَرٌ صَغِيرٌ مِنْ لِدَاتِهِ جَمَاعَةً لِكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَانْتِزَاعِهَا مِنْ بُيُوتِ الْمُشْرِكِينَ فِي يَثْرِبَ فِي السِّرِّ أَوْ فِي الْعَلَنِ. وَكَانَ

مِنْ أَثرِ حَرَكَةِ هؤلَاءِ الْفِتْيَانِ الصِّغَارِ أنْ أسْلَمَ رَجُلٌ كَبِيرٌ مِنْ رِجَالَاتِ يَثْرِبَ، هُوَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.-

-كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي سَلَمَةَ، وَشَرِيفًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ.
-وَكَانَ قَدْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ صَنَمًا مِنْ نَفِيسِ الْخَشَبِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ الْأَشْرَافُ.
-وَكَانَ شَيْخُ بَنِي سَــلَمَةَ يُعْنَى بِصَنَمِهِ هَذَا أَشَدَّ الْعِنَايَةِ فَيُجَلِّلُهُ بِالْحَرِيرِ، وَيُضَمِّخُهُ كُلَّ صَبَاحٍ بِالطِّيبِ.
-فَقَامَ الْفِتْيَانُ الصِّغَارُ إِلَى صَنَمِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ وَحَمَلُوهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَخَرَجُوا بِهِ إِلَى خَلْفِ مَنَازِلَ بَنِي سَــلَمَةَ، وَأَلْقَوْهُ فِي حُفْرَةٍ كَانَتْ تُجْمَعُ فِيهَا ا لْأَقْذَارُ.

-فَلَمَّا أَصْبَحَ الشَّيْخُ افْتَقَدَ صَنَمَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَبَحَثَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى أَلْفَاهُ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ فِي الْحُفْرَةِ غَارِقًا فِي الْأَقْذَارِ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ مَنْ عَدَا عَلَى إِلَهِنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟!

-ثُمَّ أَخْرَجَهُ وَغَسَلَهُ، وَطَهَّرَهُ، وَطَيَّبَهُ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَكَانِهِ، وَقَالَ لَهُ:أَيْ (مَنَاةُ)، وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ مَنْ صَنَعَ بِكَ هَذَا لَأَخْزَيْتُهُ.
-فَلَمَّا أَمْسَى الشَّيْخُ وَنَامَ تَسَلَّلَ الْفِتْيَةُ إِلَى صَنَمِهِ وَفَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوهُ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ.
-فَمَا زَالَ يَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي حُفْرَةٍ أُخْرَى مِنْ تِلْكَ الْحُفَرِ.
-فَأَخْرَجَهُ وَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَعَطَّرَهُ وَتَوَعَّدَ مَنْ عَدَوْا عَلَيْهِ أَشَدَّ الْوَعِيدِ
-فَلَمَّا تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ، وَغَسَلَهُ.
-ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ يُخَاطِبُهُ:
وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَعْلَمُ مَنْ يَفْعَلُ بِكَ هَذَا الَّذِي تَرَاهُ.
فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ – يَا مَنَاةُ- فَادْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ،وَهَذَا السَّيْفُ مَعَكَ.

-فَلَمَّا أمْسَى الشَّيْخُ ونَامَ، عدَا الْفتْيَةُ علَى الصنَّمِ، وأَخذَا، السيْفَ المُعَلَّقَ فِي رَقَبَتِه،ورَبطُوه بِعُنُقِ كَلْبٍ مَيِّتٍ وأَلْقَوْهُمَا فِي حُفْرَةٍ منْ تلْكَ الْحُفَرِ، فَلَمَّا أصبْحَ الشَّيْخُ جَدَّ فِي طَلَبِ صنَمِهِ حَتَّى وجدَه مُلْقًى بينَ الْأَقْذَارِ مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيْتٍ مُنَكَّسًا عَلَى وَجْهِهِ.

عِنْدَ ذَلكَ نظَرَ إِلَيْهِ وقَالَ:

تَا للّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ

أنْتَ وَكَلْبٌ وَسْطَ بِئْرٍ فِي قَرَنْ.

-ثُمَّ أسلَمَ شَيْخُ بَنِي سَلَمَةَ وَحَسُنَ إِسلَامُهُ.

-وَلَمَّا قَدِمَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَى الْمَدِينَةِ مُهاجِرًا، لَزِمَهُ الْفَتَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- مُلَازَمَةَ الظِّلِّ لِصَاحِبِهِ، فَأَخَذَ عَنْهُ الْقُرْآنَ، وتَلَقَّى عَلَيْهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، حَتَّى غدَا مِنْ أَقْرَأ الصَّحَابَةِ لِكِتَابِ اللّهِ، وَأَعْلَمِهِمْ بِشَرْعِهِ.

-حَدَّثَ يَزِيدُ بْنُ قُطَيْبٍ قَالَ:دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمْصَ فَإِذَا أنَا بِفَتًى جَعْدِ الشَّعْرِ، قَدْ اجتَمَعَ حَوْلَهُ النَّاسُ،فَإِذَا تَكَلَّمَ كَأَنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ نُورٌ وَلُؤْلُؤٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟!فَقَالُوا: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ.

-وَرَوَى أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ قَالَ: أَتَيْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا حَلْقَةٌ فِيهَا كُهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

وَإِذَا شَابٌّ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَاقُ الثَّنَايَا، كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى؟ فَقُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا؟!فَقَالَ: مُعَاذ بْن جَبَل.

-وَلَا غَرْوَ فَمُعَاذٌ رُبِّيَ فِي مَدْرَسَةِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُنْذُ نُعُومَةِ الْأَظْفَارِ وَتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ فَنَهِلَ الْعِلْمَ مِنْ يَنَابِيعِهِ الْغَزِيرَةِ،وَأَخَذَ الْمَعْرِفَةَ مِنْ مَعِينِهَا الْأَصِيلِ، فَكَانَ خَيْرَ تِلْمِيذٍ لِخَيْرِ مُعَلِّمٍ.

-وَحَسْبُ مُعَاذٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-شَهَادَةً أَنْ يَقُولَ عَنْهُ الرَّسُولُ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ }.(أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ:١٢٥٤٩

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ:٨٦٨)؛ وَحَسْبُهُ فَضْلًا عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ النَّفَرِ السِّتَّةِ الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-

-وَلِذَا كَانَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا تَحَدَّثُوا وَفِيهِمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- نَظَرُوا إِلَيْهِ هَيْبَةً لَهُ وَتَعْظِيماً لِعِلْمِهِ.
-وَقَدْ وَضَعَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَصَاحِبَاهُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- مِنْ بَعْدِهِ هَذِهِ الطَّاقَةَ الْعِلْمِيَّةَ الْفَرِيدَةَ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

-فَهَذَا هُوَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَرَى جُمُوعَ قُرَيْشٍ تَدْخُلُ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجاً، بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ،وَيَشْعُرُ بِحَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ الْجُدُدِ إِلَى مُعَلِّمٍ كَبِيرٍ يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ بِشَرَائِعِهِ، فَيَعْهَدُ بِخِلَافَتِهِ عَلَى مَكَّةَ لِعَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-، وَيَسْتَبْقِي مَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرَانَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي دِينِ اللّهِ.

-وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُ مُلُوكِ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، تُعْلِنُ إِسْلَامَهَا وَإِسْلَامَ مَنْ وَرَاءَهَا، وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهَا مَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ انْتَدَبَ لِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ نَفَراً مِنَ الدُّعَاةِ الْهُدَاةِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-

-وَقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يُوَدِّعُ بَعْثَةَ الْهُدَى وَالنُّورِ هَذِهِ،وَطَفِقَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَةِ مُعَاذٍ ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ،وَأَطَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَشْيَهُ مَعَهُ، حَتَّى لَكَأَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَمَلَّى مِنْ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ:{يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَلَّا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي}.(صَحِيح ابْنِ حِبَّانَ:٦٤٧وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ)،
فَبَكَى مُعَاذٌ جَزَعاً لِفِرَاقِ نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَبَكَى مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ.

-وَصَدَقَتْ نُبُوءَةُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَمَا اكْتَحَلَتْ عَيْنَا مُعَاذٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ تِلْكَ السَّاعَةِ،فَقَدْ فَارَقَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْحَيَاةَ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-مِنَ الْيَمَنِ.

-وَفِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-كَانَ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-خَيْرَ مُعَلِّمٍ

-وَفِي أَيَّامِ الْفَارُوقِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَرْسَلَ إِلَيْهِ وَالِيهِ عَلَى الشَّامِ يَزِيدُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ يَقُولُ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ قَدْ كَثُرُوا وَمَلَؤوا الْمَدَائِنَ، وَاحْتَاجُوا إِلَى مَنْ يُعَلِّمُهُمْ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهُهُمْ بِالدِّينِ فَاعِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرِجَالٍ يُعَلِّمُونَهُمْ؟ فَدَعَا عُمَرُ النَّفَرَ الْخَمْسَةَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَهُمْ: مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ،وَأَبُو أَيوبَ الْأَنْصَارِيُّ،وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَدِ اسْتَعَانُونِي بِمَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ فَأَعِينُونِي- رَحِمَكُمُ اللَّهُ- بِثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ؟

فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ فَاقْتَرِعُوا وَإِلَّا انْتَدَبْتُ ثَلَاثَةً مِنْكُمْ.فَقَالُوا: وَلِمَ نَقْتَرِعُ؟فَأَبُو أَيُّوبَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَأُبَيٌّ رَجُلٌ مَرِيضٌ ، وَبَقِينَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ، فَقَالَ عُمَرُ: ابْدَؤُوا بِحِمْصَ فَإِذَا رَضِيتُمْ حَالَ أَهْلِهَا؛ فَخَلِّفُوا أَحَدَكُمْ فِيهَا وَلْيَخْرُجْ وَاحِدٌ مِنْكُمْ إِلَى دِمَشْقَ، وَالْآخَرُ إِلَى فِلَسْطِينَ،فَقَامَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ الثَّلَاثَةُ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ الْفَارُوقُ فِي حِمْصَ،ثُمَّ تَرَكُوا فِيهَا عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، وَذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى دِمَشْقَ وَمَضَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- إِلَى فِلَسْطِينَ،وَهُنَاكَ أُصِيبَ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- بِالْوَبَاءِ،فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَجَعَلَ يُرَدِّدُ هَذَا النَّشِيدَ:

مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ مَرْحَبًا

زَائِرٌ جَاءَ بَعْــدَ غِيَابٍ.

وَحَبِيبٌ وَفَدَ عَلَى شَوْقٍ.

-ثُمَّ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ ويَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ الدُّنْيَا وَطُولَ الْبَقَاءِ فِيهَا لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَجَرْيِ الْأَنْهَارِ،ولَكِنْ لِظَمَأِ الْهَوَاجِرِ، ومُكَابَدَةِ السَّاعَاتِ، وَمُزَاحَمَةِ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكَبِ عِنْدَ حِلَقِ الذِّكْرِ، اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ نَفْسِي بِخَيْرِ مَا تَتَقَبَّلُ بِهِ نَفْسًا مُؤْمِنَةً.

-ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ بَعِيدًا عَنِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرِ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ، مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِهِ.

-وَتُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ،وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَقِيلَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ .

(انْظُرْ:الْإِصَابَةَ:٣/٤٠٦،والاسْتِيعَابَ:٣/٤٠٢،وَأُسْدَ الْغَابَةِ:٤/٣٧٤،وَسِيَرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ: ١/٣١٨).

•ثَانِيًا: شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نِعْمَ الْمُعَلِّمُ وَالمُرَبِّي لِأَصْحَابِهِ وَأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَانَ يَخْتَارُ لِلنَّاسِ مَا يُصْلِحُهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ، وَمَا يُصْلِحُ غَيْرَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ عَلَى النَّاسِ فِي أُمُورِ الْعِبَادَةِ، وَخُصُوصًا الصَّلَاةَ؛ حَتَّى لَا يَنْفِرَ النَّاسُ وَيَمَلُّوا.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ بَنِي سَلِمَةَ، فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلَاةَ الَّتِي صَلَّاهَا مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَالصَّلَاةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ هِيَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِ أَدَاءِ مُعَاذٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ مَرَّتَيْنِ؛إِذِ الْأَصْلُ أَنَّ الْفَرِيضَةَ لَا تُؤَدَّى مَرَّتَيْنِ إِلَّا لِسَبَبٍ؛ وَذَلِكَ لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ:

{...لَا تُصلُّوا صلَاةً فِي يوْمٍ مرَّتيْنِ }، فقيلَ: يَحتَمِلُ أنْ يكُونَ فعلُ مُعاذٍ-رَضِيَ الله عَنْهُ -كَانَ فِي أولِّ الْإسلَامِ، حينَ كَانَ عَدَدُ الْقُرَّاءِ قَليلًا، وفِي وقْت لَا عوَض للقَوْمِ فيه عَنْ مُعَاذٍ، فكَانَ يصلِّي مع رَسُولِ الله-صَلَّى الله علَيْه وَسَلَّمَ-فَرْضًا، ثُمَّ يأتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّيهَا لَهُمْ نَفْلًا، كمَا فِي روايَة الطَّحَاويِّ فِي شَرْحِ معَانِي الْآثَارِ، عَنْ جابِرِ بْنِ عبْد الله-رَضِيَ الله عَنْهُمَا-:{ كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مع النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّمَ-الْعِشَاءَ، ثُمَّ يَطْلُعُ إِلَى قَوْمِهِ فيُصَلِّيهَا لَهُمْ؛ هِيَ لَهُ تَطَوُّعٌ، وَلَهُمْ فَرِيضَةٌ }.

وَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ وقْتَ أَنْ كَانَ يُبَاحُ أَنْ تُصَلَّى الْفَرِيضَةُ مَرَّتَيْنِ؛ فَإِنَّ ذَلكَ قَدْ كَانَ يُفْعَلُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، حَتَّى نَهَى عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومَعْلُومٌ أَنَّ النَّهْيَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْإِبَاحَةِ.

وَيُخْبِرُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله-رَضِيَ الله عَنْهُمَا- أَنَّ مُعَاذًا-رَضِيَ الله عَنْهُ-صَلَّى بِهِمْ يَوْمًا، فَقَرَأَ بِهِمْ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ -قِيلَ: هُوَ حَزْمُ بْنُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ- فَصَلَّى مُنْفَرِدًا صَلَاةً خَفِيفَةً؛ بِأَنْ قَطَعَ الصَّلَاةَ، أَوْ قَطَعَ الْقُدْوَةَ بِمُعَاذٍ-رَضِيَ الله عَنْهُ-،وَأَكْمَلَ مُنْفَرِدًا،فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا-رَضِيَ الله عَنْهُ-،فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ.

قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا ظَانًّا أَنَّ التَّارِكَ لِلْجَمَاعَةِ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَقَالَ:{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا } جَمْعُ نَاضِحٍ، الْبَعِيرُ الَّذِي يُسْقَى عَلَيْهِ،{ وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ فِي صَلَاتِي، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ } فَقَالَ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟!} قَالَ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَمَعْنَى فَتَّانٍ:

مُنَفِّرٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَصَادٌّ عَنْهَا؛ لِأَنَّ التَّطْوِيلَ سَبَبٌ لِخُرُوجِهِمْ مِنَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ وَجَّهَهُ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنْ يَقْرَأَ إِذَا كَانَ إِمَامًا بِسُورَةِ: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، وَسُورَةِ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، وَنَحْوِهِمَا مِنْ قِصَارِ الْمُفَصَّلِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: تَخْفِيفُ الْإِمَامِ الصَّلَاةَ مُرَاعَاةً لِحَالِ الْمَأْمُومِينَ.

•ثَالِثًا:أَحَادِيثُ أُخْرَى تَدْعُو لِلتَّيْسِيرِ:

(1) أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (704)مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ }.

-وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ بِرَقَمِ(٧١٥٩):جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ؛ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فِيهَا، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَطُّ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الْحَاجَةِ }.

-شَرْحُ الْحَدِيثِ:

-جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرَجِ عَنِ الْمُكَلَّفِينَ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا، لَا سِيَّمَا مَعَ أَصْحَابِ الْأَعْذَارِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَرْوِي أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَشَكَا لَهُ أَنَّهُ يَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْإِمَامَ الَّذِي يُصَلِّي وَرَاءَهُ يُطِيلُ فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَلِكَ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَانَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ فِي الْأَيَّامِ الْأُخَرِ، ثُمَّ قَالَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ }، يَعْنِي: يُنَفِّرُونَ النَّاسَ مِنَ الصَّلَاةِ وَيُكَرِّهُونَ إِلَيْهِمُ الصَّلَاةَ وَيُثَقِّلُونَهَا عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الْخِطَابَ لِلنَّاسِ وَلَمْ يُعَيِّنِ الْمُطَوِّلَ كَرَمًا وَلُطْفًا عَلَيْهِ،وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ لَا يُخَصِّصُ الْعِتَابَ وَالتَّأْدِيبَ بِمَنْ

يَسْتحِقُّهُ؛ لكَي لَا يَحْصلَ لَهُ الْخَجَلُ ونَحْوُهُ عَلَى رُؤوسِ الْأشْهَادِ، وَحَتَّى يَكُونَ النُّصْحُ للجَمِيعِ.ثُمَّ أوْصَى النَّاسَ أنَّ مَنْ صَلَّى إمَامًا بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ صَلَاتَهُ؛ لأنَّ مِنَ الْمَأمُومِينَ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ ومَنْ لَهُ حَاجَةٌ يُرِيدُ قَضَاءَهَا، فَيَكُونُ التَّطْوِيلُ مَدْعَاةً للنُّفُورِ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ وَعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِيهَا، أمَّا التَّخْفِيفُ فَفِيهِ تَيْسِيرٌ وَتَسْهِيلٌ عَلَى الْمَأمُومِينَ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ الصَّلَاةِ وَهُمْ لَهَا رَاغِبُونَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْغَضَبُ لِمَا يُنْكَرُ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ.

(2)وَأخْرَجَ الْإمَامُ أبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(336)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْألْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ أبِي دَاوُدَ بِرَقَمِ(٣٣٦)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:

خرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَألَ أصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟

فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ:

{قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ألَا سَألُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤالُ إنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أوْ يَعْصِبَ شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ}.

-لَقَدْ جَاءَ الْإسْلَامُ مُيَسِّرًا لَا مُعَسِّرًا، يَحْفَظُ أرْوَاحَ النَّاسِ وَلَا يُبَدِّدُهَا، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فَيَقُولُ:{خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ}، أيْ: جَرَحَهُ {فِي رَأسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ}، أيْ: نَزَلَ مِنْهُ الْمَنِيُّ فِي حَالِ نَوْمِهِ،فَأصَابَتْهُ جَنَابَةٌ،{فَسَألَ أصْحَابَهُ}، أيْ:

بَعْضَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ الرَّجُلُ : {هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟}، أيْ: هَلْ لِي أنْ أتَيَمَّمَ لِجُرْحِي دُونَ غَسْلٍ؟

{فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً}، أيْ: لَا نَجِدُ لَكَ عُذْرًا لِلتَّيَمُّمِ {وَأنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ}، وَالْمَعْنَى: أنَّهُمْ فَرَضُوا عَلَيْهِ الْغُسْلَ؛ {فَاغْتَسَلَ} الرَّجُلُ {فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُخْبِرَ بِذَلِكَ}،أيْ:بِقِصَّةِ الرَّجُلِ، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{قَتَلُوهُ}، أيْ: الَّذِينَ أوْجَبُوا عَلَى صَاحِبِهِمِ الْغُسْلَ، قَتَلُوهُ بِفَتْوَاهُمْ دُونَ عِلْمٍ،

{قَتَلَهُمُ اللَّهُ!}، أيْ: دَعَا عَلَيْهِمْ مِنْ بَابِ الزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ لَهُمْ، {أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟!}، أيْ: أَلَا طَلَبُوا الْعِلمَ فِيمَا لَا يَعْرِفُونَهُ؛{فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ}،أيْ:لَا شِفَاءَ لِدَاءِ الْجَهْلِ إِلَّا التَّعَلُّمُ.

ثُمَّ وَضَّحَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا كَانَ لِلرَّجُلِ مِنْ رُخْصَةٍ فِي أَمْرِهِ بِقَوْلِهِ:{إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ"}،أيْ:الرَّجُلَ الْمُحْتَلِمَ{أَنْ يَتَيَمَّمَ، وَيَعْصِرَ– أَوْ يَعْصِبَ،} شَكَّ مُوسَى– وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَحَدُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ، أيْ: شَكَّ أَيُّهُمَا قَوْلُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟ وَالْمَعْنَى: يَرْبِطُ {عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً}، أيْ: قِطْعَةً مِنَ الثِّيَابِ لِيَمْنَعَ وُصُولَ الْمَاءِ إِلَيْهَا، {ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا}، أيْ: عَلَى الْخِرْقَةِ بِالْمَاءِ، {وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ}، أيْ: ثُمَّ يُعَمِّمَ الْمَاءَ عَلَى بَاقِي جَسَدِهِ دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى جُرْحِهِ.

–وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: وَعِيدٌ لِمَنْ يُفْتِي بِدُونِ عِلْمٍ، وَخَاصَّةً لِمَنْ يَتَصَدَّرُ لِلفَتْوَى (3) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(4341)مِنْ حَدِيثِ أَبِي بُرْدَةَ ابْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ:
وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ، قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ، ثُمَّ قَالَ: يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَيُّمَ هَذَا؟
قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ، فَانْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا،

قالَ:فكَيْفَ تَقْرَأُ أنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أنَامُ أوَّلَ اللَّيْلِ، فَأقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أحْتَسِبُ قَوْمَتِي}.

-كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُوَلِّي أصْحَابَهُ عَلَى الْبُلْدَانِ، وكَانَ يُوصِيهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ، وَبِمَا يُقِيمُ الْعَدْلَ فِيهِمْ، وكَانَ يُوصِيهِمْ بِالتَّشَاوُرِ فِي الْمُعْضِلَاتِ حَتَّى يَصْدُرُوا عَنِ اجْتِهَادٍ، وَرَأْيِ الْجَمَاعَةِ

.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَحْكِي التَّابِعِيُّ أَبُو بُرْدَةَ عَامِرُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأشْعَرِيِّ، أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرْسَلَ أبَا مُوسَى الْأشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- إلَى الْيَمَنِ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تُوحِي بِأَنَّهُمَا أُرْسِلَا مَعًا، وَأَوْصَاهُمَا مَعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنْ وَرَدَ عِنْدَ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأشْعَرِيِّ:

{أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بَعَثَهُ إلَى الْيَمَنِ، ثُمَّ أرْسَلَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ}، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ:{ثُمَّ أتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ}.

ثُمَّ أخْبَرَ أَبُو بُرْدَةَ أنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَدْ بَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى {مِخْلَافٍ}،أيْ:إقْلِيمٍ،وكَانَتِ الْيَمَنُ مُقَسَّمَةً إلَى إقْلِيمَيْنِ، وكَانَتْ جِهَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الْعُلْيَا إلَى صَوْبِ عَدَنَ،وكَانَ مِنْ عَمَلِهِ مِنْطَقَةُ الْجَنَدِ:بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالنُّونِ، وَلَهُ بِهَا مَسْجِدٌ مَشْهُورٌ إلَى الْيَوْمِ، وَجِهَةُ أَبِي مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- السُّفْلَى،فَقَالَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا}، أيْ: خُذَا بِمَا فِيهِ الْيُسْرُ وَالسُّهُولَةُ،وَلَا تَأْخُذَا بِمَا فِيهِ الشِّدَّةُ،أوْ يَسِّرَا فِيمَا كَانَ مِنَ النَّوَافِلِ مِمَّا كَانَ شَاقًّا؛ لِئَلَّا يُفْضِيَ بِصَاحِبِهِ إلَى الْمَلَلِ، فَيَتْرُكَهُ أصْلًا، أوْ يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ، فَيُحْبَطَ، وَفِيمَا رُخِّصَ فِيهِ مِنَ الْفَرَائِضِ، كَصَلَاةِ الْفَرْضِ قَاعِدًا لِلْعَاجِزِ، وَالْفِطْرِ فِي الْفَرْضِ لِمَنْ سَافَرَ فَيَشُقُّ عَلَيْهِ، {وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا}،أيْ:بَشِّرَا،وَلَا تُنْذِرَا،وَآنِسَا، وَلَا تُنَفِّرَا، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا؛ لِيَعُمَّ الْبِشَارَةَ، وَالنِّذَارَةَ، وَالتَّأْنِيسَ، وَالتَّنْفِيرَ.

وَفِي الْإِتْيَانِ بِلَفْظِ الْبِشَارَةِ وَالتَّنْفِيرِ؛ للإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ لَا يُنفَى مُطْلَقًا،بخِلَافِ التَّنْفِيرِ،فكَأَنَّهُ قِيلَ: إنْ أَنْذَرتُمْ، فَلْيَكُنْ بِغَيرِ تَنْفِيرٍ.

فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عمَلِه، وكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ منْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِه، وكَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِه جدَّدَ الْعَهْدَ بزِيَارَةِ صَاحِبِه،فيَزُورُه،ويسَلِّمُ عَلَيْه،فسَارَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-يوْمًا فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِه أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنْهُ-،فذَهَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنْهُ-زَائِرًا، وكَانَ رَاكِبًا عَلَى بَغْلَتِه، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-،فرَآهُ جَالِسًا وقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، ووَجَدَ عِنْدَه رَجُلًا قَدْ جُمِعَتْ يدَاهُ إِلَى عُنُقِه، فَنَادَى مُعَاذٌ أَبَا مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-بِاسْمِه:{يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ}، ثُمَّ قَالَ:{أَيُّمَ هَذَا؟}

أَيْ: أَيُّ شَيءٍ هَذَا؟ فَأَجَابَهُ أَبُو مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنْهُ-:هَذَا رَجُلٌ ارتَدَّ وكَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِه. فقَالَ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنْهُ-:

لَا أَنْزِلُ عَنْ دَابَّتِي حَتَّى يُقْتَلَ،فقَالَ أَبُو مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّمَا جِيءَ بِه لِذَلِكَ، فَانْزِلْ، قَالَ: مَا أَنزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ أَبُو مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-،فقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ مُعَاذٌ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-.

فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ لأَبِي مُوسَى-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:يَا عَبْدَ الله،كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَأَجَابَهُ:{أَتَفَوَّقُه تَفوُّقًا}،أَي:أَقْرَؤُه شَيْئًا بَعْدَ شَيءٍ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَعْنِي لَا أَقْرَؤُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ بَلْ أُفَرِّقُ قِرَاءَتَهُ عَلَى أوْقَات، مَأْخُوذٌ مِنْ فوَاقِ النَّاقَةِ، وَهُوَ أَنْ تُحلَبَ، ثُمَّ تُتْرَكَ مُدَّةً حَتَّى تدِرَّ، ثُمَّ تُحلَبَ، فَسَأَلَ أَبُو مُوسَى مُعَاذًا-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأُجَزِّئُ اللَّيْلَ أَجْزَاءً؛ جُزْءًا لِلنَّوْمِ، وَجُزْءًا لِلقِرَاءَةِ وَالْقِيَامِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي، أَيْ:

أَطْلُبُ الثَّوَابَ فِي الرَّاحَةِ كَمَا أَطْلُبُهُ فِي التَّعَبِ؛ لأَنَّ الرَّاحَةَ إِذَا قُصِدَ بِهَا الْإِعَانَةُ عَلَى الْعِبَادَةِ، حَصَلَ بِهَا الثَّوَابُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: أنَّ الْعَالِمَ وَالْوَاعِظَ وَالْمَقْبُولَ مِنْ قَوْلِهِ مَأْمُورٌ بِأَلَّا يُقَنِّطَ النَّاسَ، وَأَنْ يُيَسِّرَ عَلَى الْمُبْتَدِئِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا يُفَاجِئَهُ بِالشِّدَّةِ.

-وَفِيهِ: الْأُلْفَةُ وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

-وَفِيهِ: تَقْدِيمُ أَفَاضِلِ النَّاسِ عَلَى الْعَمَلِ وَاخْتِصَاصِ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ.

-وَفِيهِ:سُؤَالُ الصَّاحِبِ صَاحِبَهِ عَنْ عِبَادَتِهِ وَحَالِهِ مَعَ رَبِّهِ.

-وَفِيهِ: أَنَّ الْقَتْلَ عُقُوبَةُ الْمُرْتَدِّ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ يُنَفِّذُ الْعُقُوبَةَ وَلِيُّ الْأَمْرِ أَوْ نَائِبُهُ.

(4)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(39)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ.}

-فَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ الْيُسْرِ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُلَازَمَةِ الرِّفْقِ فِي الْأَعْمَالِ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا يُطِيقُهُ الْعَامِلُ، وَيُمْكِنُهُ الْمُدَاوَمَةُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مَنْ شَادَّ الدِّينَ وَتَعَمَّقَ انْقَطَعَ، وَغَلَبَهُ الدِّينُ وَقَهَرَهُ.

وَقَدْ أَسَّسَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ هَذَا الْأَصْلَ الْكَبِيرَ، فَقَالَ:{إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ}، فَهُوَ مُيَسَّرٌ مُسَهَّلٌ فِي عَقَائِدِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ وَتُرُوكِهِ. ثُمَّ وَصَّى بِالتَّسْدِيدِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَتَقْوِيَةِ النُّفُوسِ بِالْبِشَارَةِ بِالْخَيْرِ، وَعَدَمِ الْيَأْسِ، وَالتَّسْدِيدُ: هُوَ الْعَمَلُ بِالْقَصْدِ، وَالتَّوَسُّطُ فِي الْعِبَادَةِ، فَلَا يُقَصِّرُ فِيمَا أُمِرَ بِهِ، وَلَا يَتَحَمَّلُ مِنْهَا مَا لَا يُطِيقُهُ، مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ. وَقَوْلُهُ:{وَقَارِبُوا}، أَيْ:

إِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا الْأَخْذَ بِالْأَكْمَلِ، فَاعْمَلُوا بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ:{وَأَبْشِرُوا}، أَيْ: بِالثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ وَإِنْ قَلَّ.ثُمَّ أَرْشَدَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَى مَا يُسَاعِدُ عَلَى السَّدَادِ وَالْمُقَارَبَةِ، فَقَالَ:{وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ،وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ}؛فَهَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ أَوْقَاتُ الْعَمَلِ وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ؛ فَالْغَدْوَةُ: أَوَّلُ النَّهَارِ، وَالرَّوْحَةُ: آخِرُهُ، وَالدُّلْجَةُ:

سَيْرُ آخِرِ اللَّيْلِ، وَسَيْرُ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْمُودٌ فِي سَيْرِ الدُّنْيَا بِالْأَبْدَانِ، وَفِي سَيْرِ الْقُلُوبِ إِلَى اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ. وَقَالَ: وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَلَمْ يَقُلْ: وَالدُّلْجَةِ؛ تَخْفِيفًا؛ لِمَشَقَّةِ عَمَلِ اللَّيْلِ. وَصَدَرَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَأَنَّهُ يُخَاطِبُ مُسَافِرًا يَقْطَعُ طَرِيقَهُ إِلَى مَقْصِدِهِ، فَنَبَّهَهُ عَلَى أَوْقَاتِ نَشَاطِهِ الَّتِي يَزْكُو فِيهَا عَمَلُهُ، فَشَبَّهَ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا بِالْمُسَافِرِ، وَكَذَلِكَ هُوَ عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ انْتِقَالٍ وَطَرِيقٌ إِلَى الْآخِرَةِ، فَنَبَّهَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ أَنْ يَغْتَنِمُوا أَوْقَاتَ فُرْصَتِهِمْ وَفَرَاغِهِمْ.
-وَفِي الْحَدِيثِ: تَنْشِيطُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ، وَتَبْشِيرُهُمْ بِالْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الْمُرَتَّبِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

(5)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(5063)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟! قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟!
أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي}.

-فَلَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَكَلَّفَ مَا لَا يُطِيقُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الْغُلُوِّ مُتَأَسِّيًا فِي ذَلِكَ بِأَتْقَى الْخَلْقِ وَأَخْشَاهُمْ لِلَّهِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛فَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُهُ.
-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّهُ جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ -وَالْمَقْصُودُ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ- إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَسَأَلُوا عَنْ عِبَادَتِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَأُخْبِرُوا بِكَمِّهَا وَكَيْفِهَا، فَكَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، أَيْ:
رَأَوْهَا قَلِيلَةً، وَقَالُوا:أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَعَزَمَ أَحَدُهُمْ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ أَبَدًا دُونَ انْقِطَاعٍ، وَالثَّانِي:
عَلَى صِيَامِ الدَّهْرِ وَأَلَّا يُفْطِرَ، وَالثَّالِثُ: أَلَّا يَتَزَوَّجَ أَبَدًا، وَيَعْتَزِلُ النِّسَاءَ.

فلمَّا علِمَ النَّبيُّ -صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- بمقالتِهِمْ جاءهُمْ وقالَ لهُمْ مُستنكِرًا عليْهِم: {أنْتُمُ الَّذين قُلتُمْ كذَا وكذَا؟! أمَا واللَّه إنِّي لأخشاكُمْ للَّه وأتقاكُمْ لهُ} ،أيْ :

مع كونِي أكثرَكُمْ خشيةً للَّهِ وأكثرَكُمْ تقوى لهُ، ولكنِّي مع ذلكَ لا أُبالِغُ في العبادةِ المُبالغةَ الَّتي تُريدُونَ؛ فإنِّي أصومُ وأُفطِرُ، وأتزوَّجُ النساءَ، وأقُومُ وأنامُ؛ وذلكَ لأنَّ المُتشدِّدَ لا يأمَنُ منَ الملَلِ بخلافِ المُقتصِدِ؛ فإنَّهُ أمكَنُ لاستمرارِهِ، وخيرُ العملِ ما داومَ عليْهِ صاحبُهُ، ثُمَّ حذَّرهُمُ النبيُّ -صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- منَ الغُلُوِّ والابتعادِ عنْ سُنَّتِهِ في العبادةِ، فقالَ لهُمْ: {فمنْ رغِبَ عنْ سُنَّتِي فليسَ منِّي}، أيْ: فمنْ أعرَضَ عنْ نهجِي وطريقتِي فإنَّهُ بعيدٌ كُلَّ البُعْدِ عنْ مُتابعةِ النبيِّ -صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ-.فإنْ كانَ ميلُهُ عنْ سُنَّتِهِ -صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- عنْ كُرهٍ لها أوْ عدمِ اعتقادٍ بها، كانَ كافرًا خارجًا عنِ الإسلامِ. وإنْ كانَ ميلُهُ عنها لغيرِ ذلكَ،فإنَّهُ مُخالِفٌ لطريقتِهِ -صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- السهْلَةِ السمْحةِ الَّتي لا تشدُّدَ فيها ولا عنَتَ.

-وفي الحديثِ: الأمرُ بالتَّرفُّقِ في العبادةِ، معَ المُحافظةِ عليْها وعلَى الفرائضِ والنَّوافلِ؛ ليُراعيَ المُسلِمُ حُقوقَ غيرِهِ عليْهِ.

-وفيهِ: الزَّجرُ عنِ التَّشديدِ علَى النفْسِ في العباداتِ بما لا تُطيقُ.

-وفيهِ:بيانُ ما كانَ عليْهِ الصَّحابةُ منْ حِرصٍ علَى العبادةِ وهِمَّةٍ عاليةٍ في التَّقرُّبِ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

(6)وأخرجَ الإمامُ البُخاريُّ -أيضًا- في صحيحه برقَم(١٤٠٠)منْ حديث عَبْدِ الله بْنِ عبَّاسٍ -رضيَ اللَّهُ عنْهما-:أنَّ رسُولَ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- لمَّا بعثَ معاذًا -رضيَ اللَّهُ عنْهُ- علَى اليمنِ ،قالَ :

{إنَّكَ تقْدَمُ علَى قومٍ أهلِ كتابٍ ، فليكنْ أوَّلَ ما تدعُوهمْ إليْهِ عبادةُ اللَّه ، فإذا عرفُوا اللَّهَ ، فأخبرْهُمْ أنَّ اللَّهَ قدْ فرضَ عليْهِمْ خمسَ صلَواتٍ في يومِهِمْ وليلَتِهِمْ ، فإذا فعلُوا ، فأخبرْهُمْ أنَّ اللَّهَ فرَضَ عليْهِمْ زكاةً منْ أموالِهِمْ وتُرَدُّ علَى فُقرائِهِمْ ، فإذا أطاعُوا بِها ، فخُذْ منْهُمْ وتوَقَّ كرائمَ أموالِ النَّاسِ.

-هَذَا الْحَدِيثُ أَصلٌ عَظِيمٌ فِيمَا يَجِبُ عَلَى الدَّاعِي إِلَى دِينِ اللَّه تَعَالَى، وَفِي مُعَامَلَةِ الْوَالِي لِلرَّعِيَّةِ، فَيَروِي عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَرسَلَ مُعَاذًا-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-إِلَى الْيَمَنِ كَيْ يَدْعُوَهُمْ لِلإِسْلَامِ، وَأَنَّ دَعْوَةَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ تَبْدَأُ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّه تَعَالَى، وَرِسَالَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأَنَّهُ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَصِحَّةِ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلأَنَّ بِهَا يَدْخُلُ الْمَرْءُ فِي الْإِسْلَامِ، وَبِدُونِهَا يَظَلُّ عَلَى الْكُفْرِ فَلَا يُخَاطَبُ بِغَيْرِهَا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ حِينَئِذٍ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِالتَّوْحِيدِ للَّه تَعَالَى وَلِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ الْعَامَّةِ لِلعَالَمِينَ، فَنُعَلِّمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الصَّلَاةَ آكَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ، وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ، فَإِذَا أَقَرُّوا، فَنُعَلِّمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ

افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، مِمَّنْ يَمْلِكُ النِّصَابَ الشَّرْعِيَّ، وَتُرَدُّ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَهِيَ عِبَادَةٌ مَالِيَّةٌ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ مَالٍ بَلَغَ النِّصَابَ وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ -وَهُوَ الْعَامُ الْقَمَرِيُّ أَوِ الْهِجْرِيُّ- فَيُخْرَجُ مِنْهُ رُبُعُ الْعُشْرِ، وَأَيْضًا يَدْخُلُ فِيهَا زَكَاةُ الْأَنْعَامِ وَالْمَاشِيَةِ، وَزَكَاةُ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، وَعُرُوضِ التِّجَارَةِ، وَزَكَاةُ الرِّكَازِ، بِحَسَبِ أَوْقَاتِهَا وَأَنْصِبَتِهَا الْمُقَدَّرَةِ شَرْعًا. وَمَصَارِفُ الزَّكَاةِ قَدْ بَيَّنَهَا الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّه}.(التَّوبة:٦٠)، وَهَذَا مِنَ التَّدَرُّجِ فِي الدَّعْوةِ إِلَى اللَّهِ بِمَا يُوَافِقُ أَهْلَ الْمَكَانِ مِنَ الْمَدْعُوِّينَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِ الكَافِرِ إِلَّا بِالنُّطقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ.
-وَفِيهِ : أَنَّ الْحَدَّ الْفَارِقَ مَا بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ هُوَ امْتِلَاكُ قَدْرِ الْمَالِ الَّذِي تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ.
-وَفِيهِ:تَوْصِيَةُ الْإِمَامِ عَامِلَهُ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا.

(7)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(1827)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ -وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا}.

(8) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(1828)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:{أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ:
كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي، أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا:
{اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ}.

(9) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمٍ(616)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ بِرَقَمٍ(٦١٦)مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ:{ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ}.

(10)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ (3792)مِنْ حَدِيثِ أُسَيْدِ بْنِ الْحُضَيْرِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ

قَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ قَالَ: سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ}.

(11)وأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(537)مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

{بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ:يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ :وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قُلْتُ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ :وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ :ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ قَالَ قُلْتُ:

وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ قَالَ :وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ :ائْتِنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا :أَيْنَ اللَّهُ ؟قَالَتْ:

فِي السَّمَاءِ قَالَ :مَنْ أَنَا ؟قَالَتْ :أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ:أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ}.

-فَمِنْ إِنْسَانِيَّتِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرِّفقُ بِالجاهِلِ، وحُسنُ تَعْلِيمِ□ِهِ، وَاللُّطفُ بِهِ، وتَقْرِيبُ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ.

(12)وأخرجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رحِمهُ اللهُ تَعَالَى–في صَحِيحِهِ برقَم(772)من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–:{أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–دَخَلَ المَسْجِدَ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ ، فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَرَدَّ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَيْهِ السَّلَامَ ، فَقَالَ :

ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ ، فَعَلِّمْنِي ، قَالَ : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا}.

–فَفِي الْحَدِيثِ:حُسْنُ التَّعلِيمِ بالرِّفق،دُونَ التَّغلِيظِ والتَّعنِيفِ.

–وَفِيهِ: حُسْنُ خُلُقِهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلُطْفُ مُعَاشَرَتِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ.

(13)وأخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ برقَم(285)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مَهْ مَهْ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ}.

–وَفِي الْحَدِيثِ: حُسْنُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورِفْقُهُ.

–وَفِيهِ: الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ وتَعْلِيمُهُ مَا يَلْزَمُهُ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ وَلَا إِيذَاءٍ إِذَا لَمْ يَأْتِ بِالْمُخَالَفَةِ اسْتِخْفَافًا أَوْ عِنَادًا.

-وَفيهِ: إثْبَاتُ نَجَاسَةِ بَوْلِ الْآدَمِيِّ.
-وَفِيهِ: تَطْهِيرُ البَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ بِصَبِّ الْمَاءِ عَلَيْهِ.

(14) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(21708)مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: {ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ:
لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ:أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟
قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ:
لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ:وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ. قَالَ:فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ:{اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ } قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ}.

-وَفِي الْحَدِيثِ: بَيَانٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ وَحُسْنِ التَّعْلِيمِ.
-وَفِيهِ: مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِهَذَا الشَّابِّ، حَيْثُ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، الَّتِي هِيَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَدُعَاؤُهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُسْتَجَابٌ.

(15)وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6704)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:بَيْنَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ،نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ،وَلَا

يستظلَّ، ولَا يتكلَّمَ، ويصومَ. فقَالَ النَّبِيُّ –صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ–: {مُرْهُ فَلْيَتَكلَّمْ، ولْيَسْتظِلَّ، ولْيَقعُدْ، ولْيُتِمَّ صومَهُ}

.

•رَابِعًا:ضَابِطُ الْيُسْرِ فِي الْإِسْلَامِ:

–يَجِبُ أنْ نَعلَمَ أنَّ ضابِطَ الْيُسرِ في شَرِيعَةِ الْإسْلَامِ هُوَ الْتِزامُ الدَّلِيلِ،فَالدِّينُ يُسْرٌ كَمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وكَمَا يَسَّرَهُ رَسُولُهُ الْأمِينُ–صلّى اللّهُ علَيْهِ وسلّمَ–ففي الاهْتِدَاءِ بالسُّنَّةِ حمَايَةٌ للْعَبْدِ منَ الْجُنُوحِ إلَى الْإفْرَاطِ أَوِ التَّفْرِيطِ، ووِقَايَةٌ لَهُ من الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وبُعْدٌ عَنْ مواطِنِ الْفِتْنَةِ والْهلَاكِ؛ ذَلِك أَنَّ الْوُقُوعَ فِي الْفِتَنِ سَبَبُهُ اتِّصافُ الْعبْدِ بِالْهَوَى أَوْ بالْجَهْلِ أَوْ بكلَيْهِمَا.

وَالمُعَظِّمُ لِلْأَثَرِ، المُلَازِمُ لِلسُّنَنِ يَكْبَحُ هَوَاهُ بِالتَّأَسِّي، ويُزِيلُ ظَلَامَ الْجَهْلِ بِأَنْوَارِ السُّنَّةِ.

•فَعِنْدَمَا نُنْكِرُ الْبِدَعَ وَالْمَوَالِدَ وَالْأعْيَادَ الْبِدْعِيَّةَ كَعِيدِ الْأُمِّ وَعِيدِ الْحُبِّ وَالاحْتِفَالَ بِمَوْلِدِ رَسُولِ اللّهِ–صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسَلَّمَ–وَغَيْرَهَا ممَّا ابْتَدَعَهُ الْمُبْتَدِعُونَ فَإِذَا بأهْلِ الْأهْوَاءِ مِنَ الْأغْتَامِ الْجَاهِلِينَ وأنْصَافِ الْمُتَعَلِّمِينَ يَتَّهِمُونَنَا بِالْجَفَاءِ والْغُلُوِّ،وهَذِهِ تُهْمَةٌ بَاطِلَةٌ فَالْمُحِبُّ الصَّادِقُ هُوَ الصَّادِقُ في الاتِّبَاعِ والْتِزامِ الدَّلِيلِ إنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبّ مُطِيعٌ فَمِنْ أُصُولِ الْإيمَانِ صِدْقُ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ–صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسَلَّمَ–لقَوْلِهِ تَعَالَى:

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(آل عمران:٣١). فَتَدَبَّرْ.

•فَاللّهُم اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ،وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، اهْدِنَا وَاهْدِنَا، وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا، وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَى، وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٧)

الْمَاءُ نِعْمَةٌ فَاشْكُرُوهَا



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمِ الأحْزَابِ، وَمُنَزِّلِ الْكِتَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَابِ، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَاتِ عَظَمَتِهِ لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُوا الأَلْبَابِ،وَعَدَ عِبَادَهُ

الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَ الثَّوَابِ،وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِينَ بِأَلِيمِ الْعِقَابِ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَابَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { الْمَاءُ نِعْمَةٌ فَاشْكُرُوهَا } .،فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ كَثِيرَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ}.(النّحل:٥٣).،فَاللهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ { ظَاهِرَةٍ وَبَاطِنَةٍ { فَمِنَ اللَّهِ } لَا أَحَدَ يُشْرِكُهُ فِيهَا، }ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ } مِنْ فَقْرٍ وَمَرَضٍ وَشِدَّةٍ } فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } أَيْ:

تَضِجُّونَ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ لَا يَدْفَعُ الضُّرَّ وَالشِّدَّةَ إِلَّا هُوَ، فَالَّذِي انْفَرَدَ بِإِعْطَائِكُمْ مَا تُحِبُّونَ، وَصَرْفِ مَا تَكْرَهُونَ، هُوَ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَجْحَدُونَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ إِذَا نَجَّاهُمْ مِنَ الشِّدَّةِ فَصَارُوا فِي حَالِ الرَّخَاءِ أَشْرَكُوا بِهِ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ الْفَقِيرَةِ.

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.(النَّحل:٧٨).

،فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُنْفَرِدُ بِهَذِهِ النِّعَمِ حَيْثُ { أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا } وَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ثُمَّ إِنَّهُ } جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ } خَصَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الثَّلَاثَةَ، لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا وَلِأَنَّهَا مِفْتَاحٌ لِكُلِّ عِلْمٍ، فَلَا وَصَلَ لِلْعَبْدِ عِلْمٌ إِلَّا مِنْ أَحَدِ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ وَإِلَّا فَسَائِرُ الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ هُوَ الَّذِي

أعْطَاهُمْ إيَّاهَا، وَجَعَلَ يُنَمِّيهَا فِيهِمْ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَصِلَ كُلُّ أَحَدٍ إِلَى الْحَالَةِ اللَّائِقَةِ بِهِ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يَشْكُرُوا الله، بِاسْتِعْمَالِ مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ فِي طَاعَةِ الله، فَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ كَانَتْ حُجَّةً عَلَيْهِ وَقَابَلَ النِّعْمَةَ بِأَقْبَحِ الْمُقَابَلَةِ.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ}.(لقمان:٢٠).

،فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَمْتَنُّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِنِعَمِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى شُكْرِهَا وَرُؤْيَتِهَا؛ وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ عَنْهَا فَقَالَ: { أَلَمْ تَرَوْا } أَيْ: تُشَاهِدُوا وَتُبْصِرُوا بِأَبْصَارِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ، { أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ { مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ، كُلُّهَا مُسَخَّرَاتٌ لِنَفْعِ الْعِبَادِ.{ وَمَا فِي الْأَرْضِ } مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ، وَالْأَنْهَارِ وَالْمَعَادِنِ وَنَحْوِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا }.

،{ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ } أَيْ: عَمَّكُمْ وَغَمَرَكُمْ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ الَّتِي نَعْلَمُ بِهَا؛ وَالَّتِي تَخْفَى عَلَيْنَا، نِعَمَ الدُّنْيَا، وَنِعَمَ الدِّينِ، حُصُولَ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعَ الْمَضَارِّ، فَوَظِيفَتُكُمْ أَنْ تَقُومُوا بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعَمِ؛بِمَحَبَّةِ الْمُنْعِمِ وَالْخُضُوعِ لَهُ؛ وَصَرْفِهَا فِي الِاسْتِعَانَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَى مَعْصِيَتِهِ.{ وَ } لَكِنْ مَعَ تَوَالِي هَذِهِ النِّعَمِ؛ { مِنَ النَّاسِ مَنْ } لَمْ يَشْكُرْهَا؛ بَلْ كَفَرَهَا؛ وَكَفَرَ بِمَنْ أَنْعَمَ بِهَا؛ وَجَحَدَ الْحَقَّ الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ؛ وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، فَجَعَلَ { يُجَادِلُ فِي اللَّهِ } أَيْ:

يُجَادِلُ عَنِ الْبَاطِلِ؛ لِيُدْحِضَ بِهِ الْحَقَّ؛ وَيَدْفَعَ بِهِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا الْمُجَادِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، فَلَيْسَ جِدَالُهُ عَنْ عِلْمٍ، فَيَتْرُكَ وَشَأْنَهُ، وَيُسْمَحَ لَهُ فِي الْكَلَامِ { وَلَا هُدًى } يَقْتَدِي بِهِ بِالْمُهْتَدِينَ { وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ } غَيْرِ مُبَيِّنٍ لِلْحَقِّ فَلَا مَعْقُولَ وَلَا مَنْقُولَ وَلَا اقْتِدَاءَ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنَّمَا جِدَالُهُ فِي اللَّهِ مَبْنِيٌّ عَلَى تَقْلِيدِ آبَاءٍ غَيْرِ مُهْتَدِينَ، بَلْ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(النَّحل:١٨).،أي:وَإِنْ تُحَاوِلُوا حَصْرَ نِعَمِ الله عَلَيْكُمْ لَا تَفُوا بِحَصْرِهَا؛ لِكَثْرَتِهَا

وَتَنَوُّعِهَا. إنَّ اللهَ لَغفُورٌ لَكُم رَحِيمٌ بكُمْ؛ إذْ يَتجاوَزُ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ فِي أدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ، وَلَا يَقْطَعُهَا عَنْكُمْ لِتَفْرِيطِكُمْ، وَلَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

•أنْوَاعُ النِّعَمِ:

-هَذِهِ النِّعَمُ الَّتِي أنعمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى عِبَادِهِ لَهَا صُوَرٌ ثَلَاثَةٌ:

(1) الصُّورَةُ الْأولَى

-النِّعَمُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَخُصُّكَ وَحْدَكَ كَسَمْعِكَ،وَبَصَرِكَ،وَقَلْبِكَ، وَصِحَّتِكَ،وَهِمَّتِكَ فَهَذِهِ نِعَمٌ خَاصَّةٌ بِكَ: {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ }.(التَّغابن:٣.)

(2)الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ:

-الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ النِّعَمُ الْعَامَّةُ وَالَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ النَّاسِ وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرِ الْإنْسَانِ نَصِيبٌ فِيهَا مِثْلِ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالظِّلِّ وَالنَّارِ وَالْعُشْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ الْعَامَّةِ الْقَدِيمَةِ قِدَمِ الْإِنْسَانِ.،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ أَبُو دَاوُد–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٤٧٧)مِنْ حَدِيثِ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْكَلَأِ ، وَالْمَاءِ ، وَالنَّارِ}.

(3)الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ:

-الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ أيْضًا مِنَ النِّعَمِ الْعَامَّةِ وَمِنَ الْمَنَافِعِ الْعَامَّةِ وَالَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ النَّاسِ لَكِنَّهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ هِيَ نِعَمٌ اسْتَحْدَثَهَا النَّاسُ بِهِدَايَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى كَالْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْمَشَافِي وَالْمَسَاجِدِ وَالطُّرُقِ وَالْبِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ وَهِيَ نِعَمٌ لِكُلِّ إنْسَانٍ فِيهَا سَهْمٌ.

•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ:

•أولًا:الْمَاءُ نِعْمَةٌ:

•فَالْمَاءُ نِعْمَةٌ مِنَ النِّعَمِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا كُلُّ النَّاسِ بَلْ وَالْحيوانَات وَالطُّيُور،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ أَوَلَمْ يرَ الَّذِينَ كفَرُوا أَنَّ السمَّاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يؤْمِنُونَ }. (الأنبياء:٣٠)

-فَقَوْلُهُ:{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }. أىْ: وَخَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ بِقُدْرَتِنَا النَّافِذَة، كُلَّ شَيءٍ مُتَّصِفٍ بِالْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَهُوَ الْحيوَانُ، أوْ كُلّ شَيءٍ نَامٍ فَيَدْخُلُ النَّبَاتُ، وَيُرَادُ مِنَ الْحَيَاةِ مَا يَشْمَلُ النُّمُوَّ.
-وَهَذَا الْعَامُّ مَخْصُوصٌ بِمَا سِوَى الْمَلَائِكَة وَالْجِنّ مِمَّا هُوَ حَيٌّ، لأنَّ الْمَلَائِكَةَ- كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ خُلِقُوا مِنَ النُّورِ، وَالْجِنَّ مَخْلُوقُونَ مِنَ النَّارِ.

-قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}.
-قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: { وَفِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } ثَلَاثُ تَأْوِيلَاتٍ:
-أَحَدُهَا: أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الْمَاءِ.
قَالَهُ قَتَادَةُ
-الثَّانِي: حَفِظَ حَيَاةَ كُلّ شَيءٍ بِالْمَاءِ.
-الثَّالِثُ: وَجَعَلْنَا مِنْ مَاءِ الصُّلْبِ- أىْ: النُّطْفَة- كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ.
-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }.(الشُّورى:٢٨).
-فَقَوْلُهُ: { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ }. أيْ: الْمَطَرَ الْغَزِير الَّذِي بِهِ يَغِيثُ الْبِلَادَ وَالْعِبَاد، { مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا } وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ مُدَّةً ظَنُّوا أنَّهُ لَا يَأْتِيهِمْ، وَأَيِسُوا وَعَمِلُوا لِذَلِكَ الْجَدْبِ أعْمَالًا، فَيُنَزِّلُ اللهُ الْغَيْثَ { وَيَنْشُرُ } بِهِ { رَحْمَتَهُ } مِنْ إخْرَاجِ الْأَقْوَاتِ لِلْآدَمِيِّينَ وَبَهَائِمِهِمْ، فَيَقَعُ عِنْدَهُمْ مَوْقِعاً عَظِيماً، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذَلِكَ وَيَفْرَحُونَ.

{وَهُوَ الْوَلِيُّ } الَّذِي يَتَوَلَّى عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ، وَيَتَوَلَّى الْقِيَامَ بِمَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. { الْحَمِيدُ } فِي وِلَايَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، الْحَمِيدُ عَلَى مَا لَهُ مِنَ الْكَمَالِ، وَمَا أَوْصَلَهُ إِلَى خَلْقِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِفْضَالِ.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.(النَّحل:١٠-١١.)

-أَيْ:هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا، فَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهُ مَاءً تَشْرَبُونَهُ، وَأَخْرَجَ لَكُمْ بِهِ شَجَرًا تَرْعَوْنَ فِيهِ دَوَابَّكُمْ، وَيَعُودُ عَلَيْكُمْ دَرُّهَا وَنَفْعُهَا. -يُخْرِجُ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِهَذَا الْمَاءِ الْوَاحِدِ الزُّرُوعَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَيُخْرِجُ بِهِ الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ، وَيُخْرِجُ بِهِ كُلَّ أَنْوَاعِ الثِّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ. إِنَّ فِي ذَلِكَ الْإِخْرَاجِ لَدَلَالَةً وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَتَأَمَّلُونَ، فَيَعْتَبِرُونَ.

•ثَانِيًا:شُكْرُ نِعْمَةِ الْمَاءِ:

-بِدَايَةً لَا بُدّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَى الشُّكْرِ وَمَرَاتِبِهِ:

(أ)مَعْنَى الشُّكْرِ:

-قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ ج: ٢ ص: ٢٣٦-٢٤٢: { قَالَ صَاحِبُ (الْمَنَازِلِ): الشُّكْرُ: اسْمٌ لِمَعْرِفَةِ النّعْمَةِ. لِأَنّهَا السّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ. وَلِهَذَا سَمّى اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ فِي الْقُرْآنِ: شُكْرًا.

-فَمَعْرِفَةُ النّعْمَةِ: رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الشُّكْرِ. لَا أَنّهَا جُمْلَةُ الشُّكْرِ، كَمَا تَقَدّمَ: أَنّهُ الِاعْتِرَافُ بِهَا، وَالثّنَاءُ عَلَيْهِ بِهَا، وَالْخُضُوعُ لَهُ وَمَحَبّتُهُ، وَالْعَمَلُ بِمَا يُرْضِيهِ فِيهَا. لَكِنْ لَمّا كَانَ مَعْرِفَتُهَا رُكْنَ الشُّكْرِ الْأَعْظَمِ، الّذِي يَسْتَحِيلُ وُجُودُ الشُّكْرِ بِدُونِهِ: جُعِلَ أَحَدُهُمَا اسْمًا لِلْآخَرِ.

-قَوْلُهُ: لِأَنَّهُ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ.يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا عَرَفَ النِّعْمَةَ تَوَصَّلَ بِمَعْرِفَتِهَا إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ بِهَا.

-وَهَذَا مِنْ جِهَةِ مَعْرِفَةِ كَوْنِهَا نِعْمَةً، لَا مِنْ أَيِّ جِهَةٍ عَرَفَهَا بِهَا. وَمَتَى عَرَفَ الْمُنْعِمَ أَحَبَّهُ. وَجَدَّ فِي طَلَبِهِ. فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ لَا مَحَالَةَ. وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا أَبْغَضَهَا لَا مَحَالَةَ.

-وَعَلَى هَذَا:يَكُونُ قَوْلُهُ:الشُّكْرُ اسْمٌ لِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ. مُسْتَلْزِمًا لِمَعْرِفَةِ الْمُنْعِمِ.

-وَمَعْرِفَتُهُ تَسْتَلْزِمُ مَحَبَّتَهُ. وَمَحَبَّتُهُ تَسْتَلْزِمُ شُكْرَهُ.

-فَيَكُونُ قَدْ ذَكَرَ بَعْضَ أَقْسَامِ الشُّكْرِ بِاللَّفْظِ. وَنَبَّهَ عَلَى سَائِرِهَا بِاللُّزُومِ. وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ اخْتِصَارِهِ. وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ وَتَصَوُّرِهِ، قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ.

-قَالَ: وَمَعَانِي الشُّكْرِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ. ثُمَّ قَبُولُ النِّعْمَةِ. ثُمَّ الثَّنَاءُ بِهَا. وَهُوَ أَيْضًا مِنْ سُبُلِ الْعَامَّةِ.

-أَمَّا مَعْرِفَتُهَا: فَهُوَ إِحْضَارُهَا فِي الذِّهْنِ، وَمُشَاهَدَتُهَا وَتَمْيِيزُهَا.

-فَمَعْرِفَتُهَا: تَحْصِيلُهَا ذِهْنًا، كَمَا حَصَلَتْ لَهُ خَارِجًا. إِذْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تُحْسِنُ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي. فَلَا يَصِحُّ مِنْ هَذَا الشُّكْرُ.

قَوْلُهُ: ثُمَّ قَبُولُ النِّعْمَةِ.

-قَبُولُهَا : هُوَ تَلَقِّيهَا مِنَ الْمُنْعِمِ بِإِظْهَارِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ إِلَيْهَا. وَأَنَّ وُصُولَهَا إِلَيْهِ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُ، وَلَا بَذْلِ ثَمَنٍ. بَلْ يَرَى نَفْسَهُ فِيهَا كَالطُّفَيْلِيِّ. فَإِنَّ هَذَا شَاهِدٌ بِقَبُولِهَا حَقِيقَةً.

-قَوْلُهُ: ثُمَّ الثَّنَاءُ بِهَا.الثَّنَاءُ عَلَى الْمُنْعِمِ، الْمُتَعَلِّقُ بِالنِّعْمَةِ نَوْعَانِ: عَامٌّ، وَخَاصٌّ. فَالْعَامُّ: وَصْفُهُ بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ، وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَسَعَةِ الْعَطَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَالْخَاصُّ: التَّحَدُّثُ بِنِعْمَتِهِ، وَالْإِخْبَارُ بِوُصُولِهَا إِلَيْهِ مِنْ جِهَتِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}.(الضحى:١١).

وَفِي هَذَا التَّحْدِيثِ الْمَأْمُورِ بِهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا:

أَنَّهُ ذِكْرُ النِّعْمَةِ، وَالْإِخْبَارُ بِهَا

وَقوْلُهُ: أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيّ بِكَذَا وكَذَا. قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي اشْكُرْ مَا ذَكَرَ مِنَ النّعَمِ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ السّورَةِ: مِنْ جَبْرِ الْيُتْمِ، وَالْهُدَى بَعْدَ الضّلَالِ، وَالْإِغْنَاءِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ.

-وَالتّحَدّثُ بِنِعْمَةِ اللّهِ شُكْرٌ.كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا:(مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلْيَجْزِ بِهِ. فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَا يَجْزِي بِهِ فَلْيُثْنِ. فَإِنّهُ إِذَا أَثْنَى عَلَيْهِ فَقَدْ شَكَرَهُ. وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ، وَمَنْ تَحَلّى بِمَا لَمْ يُعْطَ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ).

-فَذَكَرَ أَقْسَامَ الْخَلْقِ الثّلَاثَةَ:شَاكِرُ النّعْمَةِ الْمُثْنِي بِهَا، وَالْجَاحِدُ لَهَا وَالْكَاتِمُ لَهَا .

-وَالْمُظْهِرُ أَنّهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا. فَهُوَ مُتَحَلّ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ. وَفِي أَثَرٍ آخَرَ مَرْفُوعٍ:(مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ. وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللّهَ. وَالتّحَدّثُ بِنِعْمَةِ اللّهِ شُكْرٌ. وَتَرْكُهُ كُفْرٌ. وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ) .

-وَالْقَوْلُ الثّانِي: أَنّ التّحَدّثَ بِالنّعْمَةِ الْمَأْمُورَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: هُوَ الدّعْوَةُ إِلَى اللّهِ، وَتَبْلِيغُ رِسَالَتِهِ، وَتَعْلِيمُ الْأُمّةِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ النّبُوّةُ. قَالَ الزّجّاجُ: أَيْ بَلّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَحَدّثْ بِالنّبُوّةِ الّتِي آتَاكَ اللّهُ. وَقَالَ الْكَلْبِيّ: هُوَ الْقُرْآنُ. أَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَهُ.

-وَالصّوَابُ: أَنّهُ يَعُمّ النّوْعَيْنِ. إِذْ كُلّ مِنْهُمَا نِعْمَةٌ مَأْمُورٌ بِشُكْرِهَا وَالتّحَدّثِ بِهَا. وَإِظْهَارِهَا مِنْ شُكْرِهَا.

-قَوْلُهُ: وَهُوَ أَيْضًا مِنْ سُبُلِ الْعَامّةِ.يَا لَيْتَ الشّيْخَ صَانَ كِتَابَهُ عَنْ هَذَا التّعْلِيلِ.إِذْ جَعَلَ نِصْفَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مِنْ أَضْعَفِ السّبُلِ.

-بَلِ الشّكْرُ سَبِيلُ رُسُلِ اللّهِ وَأَنْبِيَائِهِ –صَلّى اللّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلّمَ أَجْمَعِينَ – أَخَصّ خَلْقِهِ، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ.

-وَيَا عَجَبًا! أَيّ مَقَامٍ أَرْفَعُ مِنَ الشّكْرِ الّذِي يَنْدَرِجُ فِيهِ جَمِيعُ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ، حَتّى الْمَحَبّةُ وَالرّضَا، وَالتّوَكّلُ وَغَيْرُهَا؟ فَإِنّ الشّكْرَ لَا يَصِحّ إِلّا بَعْدَ حُصُولِهَا. وَتَاللّهِ لَيْسَ لِخَوَاصّ أَوْلِيَاءِ اللّهِ، وَأَهْلِ الْقُرْبِ مِنْهُ سَبِيلٌ أَرْفَعُ مِنَ الشّكْرِ وَلَا أَعْلَى. لِأَنّ الشّكْرَ عِنْدَهُمْ يَتَضَمّنُ نَوْعَ دَعْوَى. وَأَنّهُ شَكَرَ الْحَقّ عَلَى إِنْعَامِهِ. فَفِي الشّاكِرِ بَقِيّةٌ مِنْ بَقَايَا رَسْمِهِ. لَمْ يَتَخَلّصْ عَنْهَا، وَيَفْرُغْ مِنْهَا. فَلَوْ فَنِيَ عَنْهَا – بِتَحَقّقِهِ أَنّ الْحَقّ سُبْحَانَهُ هُوَ الّذِي شَكَرَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَنّ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَيْفَ يَشْكُرُ مَنْ لَمْ يَزَلْ – عَلِمَ أَنّ الشّكْرَ مِنْ

مَنَازِلِ الْعَامّة. ولَوْ أنّ السُّلْطَانَ كَسَا عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِه. فَأَخَذَ يَشْكُرُ السُّلْطَانَ عَلَى ذَلِكَ: لَعُدّ مُخْطِئًا، مُسِيئًا لِلْأَدَبِ.
فَإِنّهُ مُدّعٍ بِذَلِكَ مُكَافَأَةَ السُّلْطَانِ بِشُكْرِه. فَإِنّ الشُّكْرَ مُكَافَأَةٌ. وَالْعَبْدُ أَصْغَرُ قَدْرًا مِنَ الْمُكَافَأَة. وَالشُّهُودُ لِلْحَقِيقَةِ يَقْتَضِي اتّحَادَ نِسْبَةِ الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ، وَرُجُوعَهَا إِلَى وَصْفِ الْمُعْطِي وَقُوّتِهِ. فَالْخَاصّةُ يَسْقُطُ عِنْدَهُمُ الشُّكْرُ بِالشُّهُودِ، وَفِي حَقّهِمْ مَا هُوَ أَعْلَى مِنْهُ.

هَذَا غَايَةُ تَقْرِيرِ كَلَامِهِمْ. وَكَسَوْتُهُ أَحْسَنَ عِبَارَةٍ. لِئَلّا يُتَعَدّى عَلَيْهِمْ بِسُوءِ التّعْبِيرِ الْمُوجِبِ لِلتّنْفِيرِ.

-وَنَحْنُ مَعَنَا الْعِصْمَةُ النّافِعَةُ:أَنّ كُلّ أَحَدٍ - غَيْرَ الْمَعْصُومِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ - فَمَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ وَمَتْرُوكٌ. وَكُلّ سَبِيلٍ لَا يُوَافِقُ سَبِيلَهُ فَمَهْجُورٌ غَيْرُ مَسْلُوكٍ }.

(ب)مَرَاتِبُ الشُّكْرِ:

-وَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ ج: ٢ ص: ٢٣٤-٢٣٦:{ وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ:خُضُوعُ الشّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ. وَحُبّهُ لَهُ. وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ. وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا. وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ
.

-فَهَذِهِ الْخَمْسُ:هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ. وَبِنَاؤُهُ عَلَيْهَا. فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةٌ: اخْتَلّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قَاعِدَةٌ.
-وَكُلّ مَنْ تَكَلّمَ فِي الشُّكْرِ وَحْدِهِ، فَكَلَامُهُ إِلَيْهَا يَرْجِعُ. وَعَلَيْهَا يَدُورُ.
-فَقِيلَ: حَدّهُ الِاعْتِرَافُ بِنِعْمَةِ الْمُنْعِمِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ.
-وَقِيلَ: الثّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ.
-وَقِيلَ:هُوَ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى مَحَبّةِ النّعَمِ، وَالْجَوَارِحِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَجَرَيَانُ اللّسَانِ بِذِكْرِهِ، وَالثّنَاءِ عَلَيْهِ.
-وَقِيلَ:هُوَ مُشَاهَدَةُ الْمِنّةِ. وَحِفْظُ الْحُرْمَةِ.

وَمَا أَلْطَفَ مَا قَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ: شُكْرُ النِّعْمَةِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِيهَا طُفَيْلِيًّا.
-وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ الْعَجْزِ عَنِ الشُّكْرِ.
-وَقِيلَ: الشُّكْرُ إِضَافَةُ النِّعَمِ إِلَى مُولِيهَا بِنَعْتِ الِاسْتِكَانَةِ لَهُ.
-وَقَالَ الْجُنَيْدُ:الشُّكْرُ أَنْ لَا تَرَى نَفْسَكَ أَهْلًا لِلنِّعْمَةِ.
هَذَا مَعْنَى قَوْلِ حَمْدُونَ أَنْ يَرَى نَفْسَهُ فِيهَا طُفَيْلِيًّا.
-وَقَالَ رُوَيْمٌ: الشُّكْرُ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ.
-وَقَالَ الشِّبْلِيُّ: الشُّكْرُ رُؤْيَةُ الْمُنْعِمِ لَا رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ.
-قُلْتُ: يَحْتَمِلُ كَلَامُهُ أَمْرَيْنِ.
-أَحَدُهُمَا: أَنْ يَفْنَى بِرُؤْيَةِ الْمُنْعِمِ عَنْ رُؤْيَةِ نِعَمِهِ
-وَالثَّانِي: أَنْ لَا تَحْجُبَهُ رُؤْيَةُ نِعَمِهِ وَمُشَاهَدَتُهَا عَنْ رُؤْيَةِ الْمُنْعِمِ بِهَا. وَهَذَا أَكْمَلُ. وَالْأَوَّلُ أَقْوَى عِنْدَهُمْ.
-وَالْكَمَالُ: أَنْ تَشْهَدَ النِّعْمَةَ وَالْمُنْعِمَ. لِأَنَّ شُكْرَهُ بِحَسَبِ شُهُودِ النِّعْمَةِ. فَكُلَّمَا كَانَ أَتَمَّ كَانَ الشُّكْرُ أَكْمَلَ. وَاللَّهُ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ: أَنْ يَشْهَدَ نِعَمَهُ، وَيَعْتَرِفَ لَهُ بِهَا. وَيُثْنِيَ عَلَيْهِ بِهَا. وَيُحِبَّهُ عَلَيْهَا. لَا أَنْ يَفْنَى عَنْهَا. وَيَغِيبَ عَنْ شُهُودِهَا.
-وَقِيلَ:الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعَمِ الْمَوْجُودَةِ،وَصَيْدُ النِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ.
-وَشُكْرُ الْعَامَّةِ:عَلَى الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ، وَقُوتِ الْأَبْدَانِ.
-وَشُكْرُ الْخَاصَّةِ:عَلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَقُوتِ الْقُلُوبِ.

وَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:(يَا رَبِّ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ؟ وَشُكْرِي لَكَ نِعْمَةٌ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِكَ تَسْتَوْجِبُ بِهَا شُكْرًا. فَقَالَ: الْآنَ شَكَرْتَنِي يَا دَاوُدُ)
-وَفِي أَثَرٍ آخَرَ إِسْرَائِيلِيٍّ:(أَنَّ مُوسَى- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: يَا رَبِّ، خَلَقْتَ آدَمَ بِيَدِكَ. وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِكَ. وَأَسْجَدْتَ لَهُ مَلَائِكَتَكَ. وَعَلَّمْتَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ. وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ. فَكَيْفَ شَكَرَكَ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي. فَكَانَتْ مَعْرِفَتُهُ بِذَلِكَ شُكْرًا لِي).
-وَقِيلَ:الشُّكْرُ التَّلَذُّذُ بِثَنَائِهِ، عَلَى مَا لَمْ تَسْتَوْجِبْ مِنْ عَطَائِهِ.

-وَقَالَ الْجُنَيْدُ-وَقَدْ سَأَلَهُ سَرِيٌّ عَنِ الشُّكْرِ، وَهُوَ صَبِيٌّ - الشُّكْرُ: أَنْ لَا يُسْتَعَانَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى مَعَاصِيهِ. فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ مُجَالَسَتِكَ.
-وَقِيلَ: مَنْ قَصُرَتْ يَدَاهُ عَنِ الْمُكَافَآتِ فَلْيَطُلْ لِسَانُهُ بِالشُّكْرِ

وَالشُّكْرُ مَعَهُ الْمَزِيدُ أَبَدًا.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ }.(إبراهيم:٧).فَمَتَى لَمْ تَرَ حَالَكَ فِي مَزِيدٍ. فَاسْتَقْبِلِ الشُّكْرَ .
-وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:(أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ مُجَالَسَتِي، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَادَتِي، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كَرَامَتِي، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أُقَنِّطُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي. إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا فَأَنَا طَبِيبُهُمْ. أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ، لِأُطَهِّرَهُمْ مِنَ الْمَعَايِبِ)- تَنْبِيهٌ:هذا الأثر لا يصحّ.-
-وَقِيلَ: مَنْ كَتَمَ النِّعْمَةَ فَقَدْ كَفَرَهَا. وَمَنْ أَظْهَرَهَا وَنَشَرَهَا فَقَدْ شَكَرَهَا. وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:(إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)
وَفِي هَذَا قِيلَ:

وَمِنَ الرَّزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِي صَامِتٌ
عَمَّا فَعَلْتَ وَأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ
وَأَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسِرُّهَا
إِنِّي إِذًا لِنَدَى الْكَرِيمِ لَسَارِقُ }.

•فَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ الْمَاءِ الْفَرَحُ بِهَا تَأَسِّيًا بِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ كَانَ يَفْرَحُ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ.
-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (898)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللهِ-

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: { لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى }.

-فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَفْرَحَ وَنَسْعَدَ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ الَّتِي غَمَرَ اللهُ الْعِبَادَ بِهَا عِنْدَمَا أَنْزَلَ لَهُمُ الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ بِأَمْرِهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا }.(الفرقان:٤٨)،، فَهُوَ مَاءٌ طَيِّبٌ طَهُورٌ مُبَارَكٌ، قَالَ تَعَالَى:{ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥)وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا }.(النَّبأ:١٤-١٦)

-فَبِالْمَاءِ يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى جَمِيعَ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ وَالْخُضْرَوَاتِ، وَبِالْمَاءِ يَشْرَبُ الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيءٍ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَاءِ، قَالَ تَعَالَى: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }. (الأنبياء:٣٠)

-وَالْمَاءُ مِنَّةٌ مِنَ اللهِ مَنَّ بِهَا عَلَيْنَا، قَالَ تَعَالَى:{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ(٦٨) أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ }. (الواقعة:٦٨-٦٩)

-فَسُبْحَانَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيءٍ ! سُبْحَانَ الْمُتَفَضِّلِ وَالْمُنْعِمِ وَالْمُعْطِي ! لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }.(يس:٨٢)

-وَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ الْمَاءِ عَدَمُ الْإِسْرَافِ فِيهِ لِعُمُومِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }.(الأعراف:٣١)

-وَالْإِسْرَافُ هُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي اسْتِعْمَالِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ ابْنُ عَابِدِين-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي رَدِّ الْمُحْتَارِ (١٣٢/١): { الْإِسْرَافُ صَرْفُ الشَّيءِ فِيمَا يَنْبَغِي زَائِدًا عَلَى مَا يَنْبَغِي }. انتهى.

-وَالْإِسْرَافُ خُلُقٌ مَذْمُومٌ، أَفْتَى الْعُلَمَاءُ بِحُرْمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِكَرَاهتِهِ، وَالْقَوْلُ بِالْحُرْمَةِ، أَوْلَى، لأَنَّ الْأَدِلَّةَ تَشْهَدُ لَهُ، وَقَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ تُعَضِّدُهُ وَتُقَوِّيهِ.

-وَقَدْ ورَدَ النَّهْيُ عَنِ الْإسْرَافِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِي الْوُضُوءِ فِي عِدَّةِ أحَادِيث أذْكُرُ مِنْهَا:
-مَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ أحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمٍ (12/23)وقَالَ الشَّيْخُ أحْمَد شَاكِر فِي تَخْرِيجِهِ:إسْنَادُهُ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-مَرَّ بِسَعدٍ وهُوَ يَتَوضَّأُ، فَقَالَ : { مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ : أفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ :نعم،وإنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ }
-وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ أحْمَدُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-أيْضًا فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(١٦٨٠١) مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ أبِي نَعَامَةَ قَيْسِ بْنِ عَبَايَةَ الْحَنَفِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهم إنِّي أسْألُكَ الْقَصرَ الْأبْيَضَ مِنَ الْجَنَّةِ إذَا دَخَلْتُهَا عَنْ يَمِينِي. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ، وَتَعوَّذْهُ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُولُ:{ سَيَكُونُ بَعْدِي قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطَّهُورِ }
-وَالاعْتِدَاءُ فِي الطَّهُورِ(الْوضُوءِ):أنْ يَغسِلَ الْأعْضَاءَ أكثَرَ مِنْ ثَلَاث مَرَّات، أوْ يُسْرِفَ فِي اسْتِخْدَامِ الْمَاءِ فِي الاسْتِنْجَاءِ، وَالْوُضُوءِ، وَالْغُسْلِ، وكَذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي تَحَرِّي طُهُورِيَّتِهِ؛ حَتَّى يُفْضِيَ إلَى الْوَسَاوِسِ

.

-وَمَا أخْرَجَهُ أبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٣٥) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-:أنَّ رَجُلًا أتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ؟ فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ثُمَّ غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأسِهِ فَأدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنَ أُذُنَيْهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:{ هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أوْ نَقُصَ فَقَدْ أسَاءَ وَظَلَمَ أوْ ظَلَمَ وَأسَاءَ }
-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا }. يَعْنِي: عَلَى الثَّلَاثِ،{ أوْ نَقَصَ }عَنِ الثَّلَاثِ { فَقَدْ أسَاءَ } بِتَرْكِ السُّنَنِ وَآدَابِ الشَّرْعِ، { وَظَلَمَ } بِأنْ تَرَكَ مُتَابَعَةَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَخَالَفَهُ، وَقَدْ ذَكَرَ هُنَا فَرَائِضَ الْوُضُوءِ،

وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَا الْمَضْمَضَةَ وَلَا الاسْتِنْشَاقَ؛ وَلَعَلَّهُمَا دَاخِلَتَانِ فِي غَسْلِ الْوَجْهِ، أَوْ لَيْسَ غُسْلُهُمَا فَرْضًا؛ فَلَمْ يَذْكُرْهُمَا.

-وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى تَضْعِيفِ زِيَادَةِ { أَوْ نَقَصَ } وَعَدُّوهُ مِنْ جُمْلَةِ مَا أُنْكِرَ عَلَى عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ؛ لأَنَّ ظَاهِرَهُ ذَمُّ النَّقْصِ عَنِ الثَّلَاثَةِ، وَالنَّقْصُ عَنِ الثَّلَاثَةِ جَائِزٌ؛ فَقَدْ فَعَلَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَكَيْفَ يُعَبَّرُ عَنْهُ بـــ{ أَسَاءَ }؟ فَقِيلَ: إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّفْظُ شَكًّا مِنَ الرَّاوِي، فَهُوَ مِنَ الْأَوْهَامِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي لَا خَفَاءَ لَهَا؛ إِذِ الْوُضُوءُ مَرَّةً مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ، وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ صَحِيحَةٌ. وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ:{ أَوْ نَقَصَ }: هُنَاكَ حَذْفٌ، تَقْدِيرُهُ: مَنْ نَقَصَ شَيْئًا مِنَ الْغَسْلَةِ الْوَاحِدَةِ؛ بِأَنْ تَرَكَ لُمْعَةً فِي الْوُضُوءِ مَرَّةً، فَقَدْ أَسَاءَ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقِ الْمُطَّلِبِ بْنِ حَنْطَبٍ مَرْفُوعًا:{ الوُضُوءُ مَرَّةً مَرَّةً، وَثَلَاثًا، فَإِنْ نَقَصَ مِنْ وَاحِدَةٍ، أَوْ زَادَ عَلَى ثَلَاثَةٍ، فَقَدْ أَخْطَأَ}

-قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُبَارَكْفُورِي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي(تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ): ١٥٧/١:{ وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى كَرَاهِيَةِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ لِلوُضُوءِ،وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ وَلَوْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ}.أهـــ.

•فَاللَّهُمَّ اسْقِنَا رَبَّنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.
اللَّهُمَّ احْفَظْ بِلَادَنَا، وَحُدُودَنَا، وَانْصُرْ جُنُودَنَا، وَوَفِّقْ وُلَاةَ أَمْرِنَا، وَأَيِّدْهُمْ بِتَأْيِيدِكَ، وَارْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ وَالْوَبَاءَ وَالْغَلَاءَ يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ،وَانْصُرْ أَهْلَنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاحْقِنْ دِمَاءَ أَهْلِنَا فِي السُّودَانِ،وَاجْعَلْ بِلَادَ الْإِسْلَامِ أَمْنًا أَمَانًا سَخَاءً رَخَاءً،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٨)

حتى لاينخدع البسطاء ويجترئ السفهاء



أبو أحمد سيّد عبد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غفر الله لَهُ وَعفا عنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لله الَّذي جَعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَتْرَةٍ من الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ،يدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى، يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ،وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ،وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْعُلَمَاءِ ، وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَالنَّاسُ فِي ظِلِّ الْعَافِيَةِ مَسْتُورُونَ،فَإِذَا نَزَلَ بِهِمُ الْبَلَاءُ ظَهَرَتْ حَقَائِقُهُمْ وَعُرِفَتْ مَعَادِنُهُمْ،فَالْعَافِيَةُ سِتْرٌ وَالْبَلَاءُ كَاشِفٌ فَبِهِ يَصِيرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيمَانِهِ،وَيَصِيرُ الْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ.

–وَرَحِمَ اللهُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ حِينَ قَالَ:{النَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَافِيَةٍ مَسْتُورُونَ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ صَارُوا إِلَى حَقَائِقِهِمْ؛ فَصَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيمَانِهِ، وَصَارَ الْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ }.(انْظُرْ:موسوعة فقه الابْتلاء:٤/٢٤١ ل:عليّ بن نايف الشّحود).

•فَمَعَ إِدَالَةِ الْمُضْطَهَدِينَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَرْضِ سُورِيَّةَ الْحَبِيبَةِ عَلَى بَشَّارٍ الْعَلَوِيِّ الْمُحَارِبِ الْمُعْتَدِي الظَّالِمِ ظَهَرَتْ أَبْوَاقُ النِّفَاقِ وَتَبِعَهَا الْأَغْتَامُ الْجَاهِلُونَ تُنَادِي بِعَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَى الْحَاكِمِ وَوَلِيِّ الْأَمْرِ، وَالْإِنْسَانُ يَعْجَبُ لِجَهْلِهِمْ وَسَقِيمِ فَهْمِهِمْ،وَلِكَيْ نُجَلِّيَ الْأَمْرَ نَقُولُ:

•إِنَّ الْحَاكِمَ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ:

–الْأَوَّلُ:الْحَاكِمُ الْمُسْلِمُ الْعَدْلُ:

– الَّذِي حَكَمَ رَعِيَّتَهُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَأَقَامَ الْعَدْلَ فِي رَعِيَّتِهِ،وَحَفِظَ بَيْضَةَ الْإِسْلَامِ،فَهَذَا هُوَ وَلِيُّ الْأَمْرِ الَّذِي تَجِبُ مَحَبَّتُهُ وَالدُّعَاءُ لَهُ وَنُصْرَتُهُ فَهُوَ أَحَدُ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.

-أخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرقَمِ(١٤٢٣) وَمُسْلِمٌ بِرقَمِ(١٠٣١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ:إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ }.

-فَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَهُوَ: الْحَاكِمُ الْعَادِلُ فِي رَعِيَّتِهِ، الَّذِي يُحَافِظُ عَلَى حُقُوقِهِمْ، وَيَرْعَى مَصَالِحَهُمْ، وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِشَرِيعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُقِيمُ مَصَالِحَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

-فَطَاعَةُ هَذَا الْحَاكِمِ وَاجِبَةٌ عَلَى الرَّعِيَّةِ،وَالْخُرُوجُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْإِمَامِ يُعْتَبَرُ بَغْيًا،لأَنَّ الْبَاغِي يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ الْجَمَاعَةَ،وَيَشُقَّ
عَصَا الطَّاعَةِ فَهُوَ خَطَرٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ وَالدَّوْلَةِ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }.(النِّساء:٥٩). ،فَالطَّاعَةُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ،لأَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ فِي الْإِسْلَامِ لَا يُطَاعُ لِذَاتِهِ ،إِنَّمَا يُطَاعُ لِإِذْعَانِهِ هُوَ لِسُلْطَانِ اللَّهِ تَعَالَى،وَنُصْرَتُهُ وَاجِبَةٌ،وَبَذْلُ النَّصِيحَةِ لَهُ،وَحُبُّهُ وَالدُّعَاءُ لَهُ.

-الثَّانِي:الْحَاكِمُ الْمُسْلِمُ الْجَائِرُ:

-هُوَ الْحَاكِمُ الظَّالِمُ الْفَاسِقُ الَّذِي لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ الْكُفْرُ الْبَوَاحُ،
فَمَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَدَمُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ ،بَلْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ مَعَ عَدَمِ إِقْرَارِ ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ وَإِنْكَارُ ذَلِكَ بِالْقَلْبِ،مَعَ نَصِيحَتِهِ سِرًّا لِمَنِ اسْتَطَاعَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ وَإِلَّا فَالصَّبْرُ حَتَّى نَلْقَى نَبِيَّنَا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَذَلِكَ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ فِينَا،مَعَ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ،مَعَ الْقِيَامِ. بِوَاجِبِ النَّصِيحَةِ الْعَامَّةِ،وَعَدَمِ ذِكْرِ مَسَاوِئِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ أَمْنًا مِنَ الْفَوْضَى.

-قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى: { مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ تَرْكُ الْخُرُوجِ بِالْقِتَالِ عَلَى الْمُلُوكِ الْبُغَاةِ، وَالصَّبْرُ عَلَى ظُلْمِهِمْ إلَى أَنْ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ }. انتهى.(يُنْظَرُ:مَجْمُوع الْفَتَاوَى ج:٤/٤٤٤).

-وَقَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:{ وَلِهَذَا اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَرْكِ الْقِتَالِ فِي الْفِتْنَةِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَصَارُوا يَذْكُرُونَ هَذَا فِي عَقَائِدِهِمْ، وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَوْرِ الْأَئِمَّةِ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَاتَلَ فِي الْفِتْنَةِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ }. انتهى.(يُنْظَرُ:مِنْهَاج السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فِي نَقْضِ كَلَامِ الشِّيعَةِ الْقَدَرِيَّةِ ج:٤/٥٢٩).

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٧٠٥٥) مِنْ حَدِيثِ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ السَّدُوسِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ:{ دَعَانَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ}.
-وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَى الْأَئِمَّةِ، وَأَلَّا يَشُقَّ الْمَرْءُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؛ حَتَّى لَا يَتَسَبَّبَ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ وَهَتْكِ الْحُرَمِ، إِلَّا أَنْ يَكْفُرَ الْإِمَامُ وَيُظْهِرَ خِلَافَ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ؛ فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ عَلَيْهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْأَمْرُ بِطَاعَةِ الْأُمَرَاءِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِيمَا يُرْضِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.
-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٦٠٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ سَتَكُونُ أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ }.

-فَفِي الْحَدِيثِ:الْحَثُّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،وَإِنْ كَانَ الْمُتَوَلِّي ظَالِمًا عَسُوفًا، فَيُعْطَى حَقَّهُ مِنَ الطَّاعَةِ فِي الْمَعْرُوفِ، وَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِ، وَلَا يُخْلَعُ؛ بَلْ يُتَضَرَّعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي كَشْفِ أَذَاهُ، وَدَفْعِ شَرِّهِ، وَإِصْلَاحِهِ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٨٤٧) مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-
قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ:{ نَعَمْ، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ }.
-وَفِي الْحَدِيثِ: الْأَمْرُ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامِهِمْ، وَالنَّهْيُ عَنْ فِرَاقِهِمْ بِتَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ، وَشَقِّ عَصَاهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مُجْتَمِعُونَ مِنْ تَأْمِيرِهِمْ إِيَّاهُ.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٤٣٤٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ – أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ }.

-فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُنَاصَحَةِ الْحَاكِمِ الْمُسْلِمِ الْجَائِرِ فِي مَجْلِسِهِ مِنْ بِطَانَتِهِ،فَتَكُونَ النَّصِيحَةُ عِنْدَهُ أَيْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي مَجْلِسِهِ فَهَذَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ ،لِأَنَّ الْحَاكِمَ الظَّالِمَ رُبَّمَا آذَى مَنْ يَأْمُرُهُ أَوْ يَنْهَاهُ فَجَعَلَ اللهُ أَجْرَ مَنْ يَأْمُرُهُ بِالْعَدْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنَّهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ الْجِهَادِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ وَلِيَّ الْأَمْرِ لَوْ أَخَذَ بِكَلِمَتِهِ لَرُبَّمَا عَمَّ النَّفْعُ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ فَتَحْصُلُ الْمَصْلَحَةُ.

•الثَّالثُ:الْحَاكِمُ الْكَافِرُ:

-وَهُوَ نَوْعَانِ:كَافِر أَصْلِي كَأَنَّ يَحْتَل غَيْرُ الْمُسْلِمِين أَرْضَ الْمُسْلِمِين وَيَحْكُمُهُمْ حَاكِمٌ كَافِرٌ،وكَافِر عَارِض أيْ كَانَ مُسْلِماً وَظَهَرَ مِنْهُ الْكُفْرَ الْبَوَاحَ وَحَكَمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بِكُفْرِه بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَبَيَانِ الْمَحجَّةِ،وَهَذَا النَّوْعُ مِن الْحُكَّامِ يَجِب الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ بِشُرُوطٍ هِيَ:

(١) الْقُدْرَةُ عَلَى إِزَالَتِه فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُدْرَة فَعَلَيْهِمُ الْإِعْدَادُ لِقَوْلِه تَعَالَى:{ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }.(الأنفال:٦٠).

(٢) وُجُودُ الْبَدِيل الشَّرْعِيّ الَّذِي يَحْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

•فَيَا تُرَى حَاكِمِ سُورِيَّة الطَّاغِيَة مِنْ أيِّ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَة؟

-مَعْلُومٌ أَنَّهُ عَلَوِي نُصَيْرِيٌّ فَمَنْ هُمُ الْعَلَوِيُّون النُّصَيْرِيُّونَ؟

•الطَّائِفَةُ الْعَلَوِيَّةُ ظَهَرَتْ فِي الْقَرْنِ الثَّالث مِنَ الْهِجْرَة ، وَتُعَدُّ هَذِه الطَّائِفَةُ مِنْ غُلَاةِ الشِّيعَةِ ، الَّذِينَ ادَّعُوا الْإِلَهِيَّةَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ- .

-وَكَانَ اسْمُهُمُ الْأَوَّلُ (النُّصَيْرِيَّةَ) ثُمَّ تَسَمَّوا بَعْدَ ذَلِكَ بِــ (الْعَلَوِيِّين) تَمْوِيهاً عَلَى النَّاسِ ، وَتَغْطِيَةً لِحَقِيقَةِ مَذْهَبِهِمْ ، وَهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى هَذَا الاسْمِ الْآنَ .

-مُؤَسِّسُ هَذِه الطَّائِفَة هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ نُصَيرٍ الْبَصْرِيُّ النُّمَيْرِيُّ (تُوُفِّي سَنَةَ ٢٧٠ هــ) الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ وَالرِّسَالَةَ .

•أَهَمُّ أَفْكَارِ وَمُعْتَقَدَاتِ هَذِه الطَّائِفَة :

(١) يَعْتَقِدُونَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّهُ إِلَهٌ .

(٢) يُحِبُّونَ عَبْدَ الرَّحْمَن بْن مُلْجَمِ الَّذِي قَتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–،ويَتَرَضَّوْنَ عَلَيْهِ ، لِزَعْمِهِمْ بِأَنَّهُ خَلَّصَ اللَّاهُوتَ مِنَ النَّاسُوتِ ، وَيُخَطِّئُونَ مَنْ يَلْعَنُهُ !.

(٣) يَعْتَقِدُ بَعْضُهُمْ أَنَّ عَلِيًّا يَسْكُنُ السَّحَابَ بَعْدَ تَخَلُّصِهِ مِنَ الْجَسَدِ الَّذِي كَانَ يُقَيِّدُهُ ، وَإِذَا مَرَّ بِهِمُ السَّحَابُ قَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَن ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الرَّعْدَ صَوْتُهُ ، وَالْبَرْقَ سَوْطُهُ .

(٤) يُعَظِّمُونَ الْخَمْرَ،وَيَشْرَبُونَهَا،وَيُعَظِّمُونَ شَجَرَةَ الْعِنَبِ لِذَلِكَ .

(٥) يُصَلُّونَ فِي الْيَوْمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، لَكِنَّهَا صَلَاةٌ تَخْتَلِفُ عَنْ صَلَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، إِذْ لَيْسَ فِيهَا سُجُودٌ .

(٦) لَهُمْ قُدَّاسَاتٌ شَبِيهَةٌ بِقُدَّاسَاتِ النَّصَارَى .

(٧) لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَجِّ ، وَيَقُولُونَ بِأَنَّ الْحَجَّ إِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ وَعِبَادَةُ أَصْنَامٍ .

(٨) لَا يُؤْمِنُونَ بِالزَّكَاةِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا يَدْفَعُونَ ضَرِيبَةً إِلَى مَشَايِخِهِمْ ، مِقْدَارُهَا خُمْسُ مَا يَمْلِكُونَ .

(٩) الصِّيَامُ عِنْدَهُمْ هُوَ الِامْتِنَاعُ عَنْ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ طِيلَةَ شَهْرِ رَمَضَانَ .

(١٠) لَهُمْ تَفْسِيرٌ بَاطِنِيٌّ لِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَرْكَانِهِ غَيْرِ مَا يَعْرِفُهُ مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَلِذَلِكَ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَلَا بِالصَّلَاةِ وَلَا بِالزَّكَاةِ وَلَا بِالصِّيَامِ وَلَا بِالْحَجِّ ، وَلَا الطَّهَارَةِ وَالْوُضُوءِ وَالِاغْتِسَالِ مِنَ الْجَنَابَةِ .

(١١) عَقَائِدُهُمْ خَلِيطٌ مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ ، فَأَخَذُوا مِنَ الْوَثَنِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَعُبَّادِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ ، وَأَخَذُوا مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْمَجُوسِ ، وَالنَّصَارَى ، وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْهِنْدِيَّةِ وَالْآسْيَوِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَخَلَطُوا ذَلِكَ بِمُعْتَقَدَاتِ الشِّيعَةِ الْغُلَاةِ .

(١٢) لَهُمْ أَعْيَادٌ كَثِيرَةٌ يَحْتَفِلُونَ بِهَا تَدُلُّ عَلَى مُجْمَلِ عَقَائِدِهِمْ ، مِنْهَا :

- عِيدُ النَّيْرُوزِ ، فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ نَيْسَانَ ، وَهُوَ أَوَّلُ أَيَّامِ سَنَةِ الْفُرْسِ .
- عِيدُ الْغَدِيرِ وَالْعَاشِرُ مِنَ الْمُحَرَّمِ (عَاشُورَاء) .
- عِيدُ الْأَضْحَى ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ .

- يَحْتَفِلُونَ بِأَعْيَادِ النَّصَارَى ، كَعِيدِ الْغِطَاسِ وَعِيدِ الْمِيلَادِ وَعِيدِ الصَّلِيبِ وَغَيْرِهَا .

• يَحْتَفِلُونَ بِيوْمِ مَقْتَلِ عُمرَ بْن الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– ، فَرَحًا بِمَقْتَلِهِ ، وَشَمَاتَةً بِهِ .

•وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَةَ مِنَ الْفِرَقِ الْبَاطِنِيَّةِ الَّتِي تَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ زُورًا ، وَالْإِسْلَامُ مِنْهُمْ بَرِيءٌ .

–قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:{ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْمُسَمَّوْنَ بِالنُّصَيْرِيَّةِ ــ هُمْ وَسَائِرُ الْأَصْنَافِ الْبَاطِنِيَّةِ ــ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، بَلْ وَأَكْفَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَضَرَرُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ مِثْلِ التَّتَارِ وَالْفِرِنْجِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُمْ دَائِمًا مَعَ كُلِّ عَدُوٍّ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَهُمْ مَعَ النَّصَارَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُمْ انْتِصَارُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّتَارِ ، ثُمَّ إِنَّ التَّتَارَ مَا دَخَلُوا بِلَادَ الْإِسْلَامِ وَقَتَلُوا خَلِيفَةَ بَغْدَادَ وَغَيْرَهُ مِنْ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِمُعَاوَنَتِهِمْ وَمُؤَازَرَتِهِمْ }. انتهى.(انْظُرْ : الْمَوْسُوعَةَ الْمُيَسَّرَةَ فِي الْأَدْيَانِ وَالْمَذَاهِبِ وَالْأَحْزَابِ الْمُعَاصِرَةِ : ١/٣٩٣-٣٩٩) .

•مِنْ خِلَالِ مَا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ أَنَّ حَاكِمَ سُورِيَّةَ الطَّاغِيَةَ مِنَ الصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْحُكَّامِ الَّذِينَ يَجِبُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَهَذَا حَتَّى لَا يَنْخَدِعَ الْبُسَطَاءُ وَيَجْتَرِئَ السُّفَهَاءُ فَتَدَبَّرْ.

•فَاللَّهُمَّ أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ،وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ،وَجَنِّبْنَا مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ،
وَاهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا،وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا،وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَى،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (١٩)

أَدَبُ النَّبِيِّ مَعَ الرَّبِّ الْعَلِيِّ



أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ للهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد، الْحَمْدُ للهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَقَاءَ، وَكَتَبَ عَلَى خَلْقِهِ الْفَنَاءَ، وَقَدَّرَ مَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ فِي اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَخَلَقَ آدَمَ، وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِهِ الْعَرَبَ وَالْعَجَمَ، جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ فَنَاءٍ وَالْآخِرَةَ دَارَ بَقَاءٍ {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (الأعلى:١٦-١٧).

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،اعْتَزَّ بِاللهِ فَأَعَزَّهُ، وَانْتَصَرَ بِاللهِ فَنَصَرَهُ، وَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ فَكَفَاهُ، وَتَوَاضَعَ للهِ فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ أَمْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَذَلَّلَ لَهُ رِقَابَ عَدُوِّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ،وَالرَّسُولِ الْكَرِيمِ،وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ،وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ،وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَيَامِينَ وَعَلَى تَابِعِيهِمْ وَتَابِعِي تَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَمَنْ تَأَمَّلَ فِي سِيرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَجَدَ أَنَّ الْكَمَالَ الْبَشَرِيَّ تَجَسَّدَ فِي رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-فَكُلَّمَا نَظَرْتَ إِلَى جَانِبٍ مِنْ حَيَاتِهِ رَأَيْتَ الْعَظَمَةَ وَالْكَمَالَ،فِي أَخْلَاقِهِ،وَشَمَائِلِهِ،وَعِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ تَعَالَى،وَدَعْوَتِهِ إِلَيْهِ،وَتَعْلِيمِهِ أَصْحَابَهُ،وَمُوَاسَاتِهِ لَهُمْ،وَصَبْرِهِ عَلَى الْأَذَى،وَصِدْقِ تَوَكُّلِهِ عَلَى رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا،وَأَدَبِهِ مَعَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ يَتَمَثَّلُ كَلَامَ اللهِ تَعَالَى فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِ وَأَخْلَاقِهِ،وَقَدْ وَصَفَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-بِقَوْلِهَا:لَقَدْ كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْقُرْآنَ.

-أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٦٠٠)

وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ-رَحِمَهُ اللهُ-قَالَ:{أَتَيْتُ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقُلْتُ:يا أَمَّ المؤمنينَ أنبئيني عَن خلقِ رسولِ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ-؟ قالَت :

أليسَ تقرَأُ القرآنَ ؟ ! قالَ قلتُ :بلى قالَت :فإنَّ خُلُقَ نبيِّ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ-القرآنَ فَهَمَمتُ أن أقومَ فبدا لي قيامُ رسولِ اللَّهِ-صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ-فقلتُ:يا أمَّ

المؤمنينَ أنبئيني عن قيامِ نبيِّ اللَّهِ–صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ– قالَت :أليسَ تقرأُ هذِهِ السُّورةَ {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ }؟قلتُ :
بلى قالَت :فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ افترضَ قيامَ اللَّيلِ في أوَّلِ هذِهِ السُّورةِ فقامَ نبيُّ اللَّهِ وأصحابُهُ حولًا حتَّى انتفخَت أقدامُهم وأمسَكَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ خاتمتَها اثنَى عشرَ شَهرًا ثُمَّ أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ التَّخفيفَ في آخرِ هذِهِ السُّورةِ فصارَ قيامُ اللَّيلِ تطوُّعًا بعدَ أن كانَ فريضةً فَهممتُ أن أقومَ فبدَا لي وترُ رسولِ اللَّهِ فقُلتُ :
يا أمَّ المؤمنينَ أنبئيني عن وترِ رسولِ اللَّهِ قالَت :كنَّا نُعدُّ لَهُ سواكَهُ وطَهورَهُ فَيبعثُهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لما شاءَ أن يبعثَهُ منَ اللَّيلِ فيتسوَّكُ ويتوضَّأُ ويصلِّي ثمانيَ رَكعاتٍ لا يجلسُ فيهنَّ إلَّا عِندَ الثَّامنةِ يجلسُ فيذْكرُ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ويدعو ثمَّ يسلِّمُ تسليمًا يسمعُنا ثمَّ يصلِّي رَكعتينِ وَهوَ جالسٌ بعدَ ما يسلِّمُ ثمَّ يصلِّي رَكعةً فتلْكَ إحدى عَشرةَ رَكعةً يا بُنيَّ فلمَّا أسنَّ رسولُ اللَّهِ وأخذَ اللَّحمَ أوترَ بسبعٍ وصلَّى رَكعتينِ وَهوَ جالسٌ بعدَ ما سلَّم فتلْكَ تسعُ رَكعاتٍ يا بنيَّ وَكانَ رسولُ اللَّهِ إذا صلَّى صلاةً أحبَّ أن يدومَ عليْها وَكانَ إذا شغلَهُ عن قيامِ اللَّيلِ نومٌ أو مرضٌ أو وجعٌ صلَّى منَ النَّهارِ اثنتَي عشرةَ رَكعةً ولا أعلمُ أنَّ نبيَّ اللَّهِ قرأَ القرآنَ كلَّهُ في ليلةٍ ولا قامَ ليلةً كاملةً حتَّى الصَّباحَ ولا صامَ شَهرًا كاملًا غيرَ رمضانَ.{
-قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ:٢٦٨/٣ :{مَعْنَاهُ : الْعَمَلُ بِهِ ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ ، وَالِاعْتِبَارُ بِأَمْثَالِهِ وَقَصَصِهِ،وَتَدَبُّرُهُ،وَحُسْنُ تِلَاوَتِهِ} انْتَهَى.
-وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَب–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي:جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ:١٤٨/١:{ يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ يَتَأَدَّبُ بِآدَابِهِ وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِهِ ، فَمَا مَدَحَهُ الْقُرْآنُ كَانَ فِيهِ رِضَاهُ ، وَمَا ذَمَّهُ الْقُرْآنُ كَانَ فِيهِ سَخَطُهُ ، وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ عَنْهَا قَالَتْ:{كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، يَرْضَى لِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ } انْتَهَى.
-وَقَالَ الْإِمَامُ الْمُنَاوِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– فِي:فَيْضِ الْقَدِيرِ:
:5/170{ أَيْ:مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ}
.

-وقَالَ الْقَاضِي عِيَاض-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : {أي:خُلُقُهُ كَانَ جَمِيعَ مَا حَصَلَ فِي الْقُرْآنِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَا استَحْسَنَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَدَعَا إِلَيْهِ فَقَدْ تَحَلَّى بِهِ ، وَكُلَّ مَا استَهْجَنَهُ وَنَهَى عَنْهُ تَجَنَّبَهُ وَتَخَلَّى عَنْهُ،فَكَانَ الْقُرْآنُ بَيَانَ خُلُقِهِ}.(انْتَهَى مِنْ كِتَابِ الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى لِلقَاضِي عِيَاض).

-لَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-شَأْنٌ عَجِيبٌ فِي الْأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَأَرَادَ مِنْ أَتْبَاعِهِ أَنْ يَسِيرُوا سِيرَتَهُ، وَأَنْ يَتَأَسَّوْا بِهِ فِي أَدَبِهِ مَعَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

-كَيْفَ لَا وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ عَلَى مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْهَا:

•قَوْلُهُ تَعَالَى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}.(العلق:١-٥).

-أي:اقْرَأْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الْمُتَفَرِّدِ بِالْخَلْقِ،الَّذِي خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ قِطْعَةِ دَمٍ غَلِيظٍ رَطْبٍ،اقْرَأْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَثِيرُ الْإِحْسَانِ وَاسِعُ الْجُودِ،الَّذِي عَلَّمَ خَلْقَهُ الْكِتَابَةَ بِالْقَلَمِ،عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَنَقَلَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ.

•وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ}.(الحجر:٩٩).

-أي: الْمَوْتُ أي: اسْتَمِرَّ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، فَامْتَثَلَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَمْرَ رَبِّهِ، فَلَمْ يَزَلْ دَائِبًا فِي الْعِبَادَةِ، حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

•وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{فَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.(هود:١١٢).

-هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَمَنْ مَعَهُ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْ يَسْتَقِيمُوا كَمَا أُمِرُوا، فَيَسْلُكُوا مَا شَرَعَهُ اللهُ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَيَعْتَقِدُوا مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ، وَلَا يَزِيغُوا عَنْ ذَلِكَ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً، وَيَدُومُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَطْغَوا بِأَنْ يَتَجَاوَزُوا مَا حَدَّهُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الاسْتِقَامَةِ.وَقَوْلُهُ:

{ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } أي: لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا، فَفِيهِ تَرْغِيبٌ لِسُلُوكِ الاسْتِقَامَةِ، وَتَرْهِيبٌ مِنْ ضِدِّهَا.

•وقوله تعالى:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ}.(الحجر:٩٨).

-أي:فافزع إلى ربك عند ضيق صدرك، وسبح بحمده شاكرا له مثنيا عليه، وكن من المصلين لله العابدين له، فإن ذلك يكفيك ما أهمك.

•وقوله تعالى:{وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.(هود:١٢٣).

-{وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي: ما غاب فيهما من الخفايا، والأمور الغيبية.

{وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ} من الأعمال والعمال، فيميز الخبيث من الطيب {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} أي: قم بعبادته، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه، وتوكل على الله في ذلك.{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} من الخير والشر،بل قد أحاط علمه بذلك، وجرى به قلمه، وسيجري عليه حكمه، وجزاؤه.

•وقوله تعالى:{قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}.(يوسف:١٠٨.)

-يقول تعالى لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-:

{قُلْ} للناس {هَذِهِ سَبِيلِي} أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، {أَدْعُو إِلَى اللَّهِ} أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه.ومع هذا فأنا { عَلَى بَصِيرَةٍ } من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية.

{ وَ } كذلك { مَنِ اتَّبَعَنِي } يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. { وَسُبْحَانَ اللَّهِ } عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين.

•وقوله تعالى:{ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ}.(النحل:١٢٥).

-أيْ:ادْعُ أيُّها الرَّسُولُ أنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ إلَى دينِ رَبِّكَ وطَريقِه الْمُسْتَقِيمِ، بالطَّرِيقَةِ الْحَكِيمَةِ الَّتي أوْحَاهَا اللهُ إلَيْكَ في الْكِتَابِ والسُّنَّة، وخَاطِبِ النَّاسَ بِالْأُسْلُوبِ الْمُنَاسِب لَهُمْ، وَانْصَحْ لَهُمْ نُصْحًا حَسَنًا، يرغبهم في الخير، وينفرهم من الشر، وَجَادِلْهُمْ بأحسنِ طُرُقِ الْمُجَادَلَة مِنَ الرِّفْقِ واللِّين. فمَا عَلَيْكَ إلَّا الْبَلَاغُ، وَقَدْ بَلَّغْتَ، أمَّا هِدَايَتُهُمْ فَعَلَى اللهِ وَحْدَه، فَهُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِه، وَهُوَ أعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين.

•وَقَوْلُه تَعَالَى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ(٧)وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ}.

(الشَّرْح:٧-٨).

-يَأمُرُ اللهُ رَسُولَهُ أصلًا، وَالْمُؤْمِنِينَ تَبَعًا، بِشُكْرِه وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ نِعَمِه،فَيَقُولُ:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} أيْ: إذَا تَفَرَّغْتَ مِنْ أشْغَالِكَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِكَ مَا يَعُوقُهُ، فَاجْتَهِدْ فِي الْعِبَادَةِ وَالدُّعَاء.فَإذَا فَرَغْتَ مِنْ أمُورِ الدُّنْيَا وَأشْغَالِهَا فَجِدَّ فِي الْعِبَادَة،{وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ} أيْ:وَإلَى رَبِّكَ وَحْدَه فَارْغَبْ فِيمَا عِنْدَهُ.

•مِنْ أجْلِ ذَلِكَ صَنَّفْتُ هَذِه الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ لِنَقِفَ أمَامَ هَذَا الْجَانِبِ الْمُهِمِّ مِنْ سِيرَتِه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-الْعَطِرَة

وَهُوَ أدَبُّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَعَ رَبِّه تَعَالَى وَحَالُهُ مَعَهُ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{أدَبُ النَّبِيِّ مَعَ رَبِّهِ الْعَلِيِّ}هَذَا وَقَدْ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللّٰه التَّوْفِيقُ:

•إنَّ مِنْ أبْرَزِ نَوَاحِي الْعَظَمَةِ الْمُحَمَّدِيَّة، ذَلِكَ الْأدَبَ الْعَظِيمَ مَعَ اللهِ الَّذي أرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه،فَقَدْ كَانَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أشَدَّ عِبَادِ اللهِ خَشْيَةً لِرَبِّه، وَأعْظَمَهُمْ رَجَاءً فِيه، وَأكْثَرَهُمْ حُبًّا لَهُ، وَكَانَتْ أحَبَّ الْأوْقَاتِ إلَيْه، تِلْكَ السَّاعَاتُ الَّتِي يَعْتَزِلُ فِيهَا النَّاسَ؛ لِيَأْنَسَ بِمُنَاجَاةِ خَالِقِ الْكَوْنِ، وَمُبْدِعِ الْوُجُودِ،وَإلَيْكَ الْبَيَانُ:

(1)عِبَادَةُ النَّبِيِّ-ﷺ- قَبْلَ الْبَعْثَة:

-أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6982)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-

قَالَتْ:{أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ؛ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ –وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ– وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ:اقْرَأْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ:

مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} حَتَّى بَلَغَ {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}.(العلق:١–٥).

فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ، مَا لِي؟ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ،وَقَالَ:قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ؛ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنَ أَخِي، مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ:

هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا،ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ. وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– –فِيمَا بَلَغَنَا– حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ،

فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ}.

-فَقَوْلُهَا-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-:{فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ- وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا}

أَيْ:وَكَانَ يَأْتِي غَارَ حِرَاءٍ -وَهُوَ عَلَى يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى مِنًى، وَعَلَى بُعْدِ (٤ كم) مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ-، (فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ) أَيْ: فَيُكْثِرُ هُنَاكَ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى لَيَالِيَ وَأَيَّامًا عَدِيدَةً، وَيَأْخُذُ مَا يَكْفِيهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ لِتِلْكَ الْأَيَّامِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، فَيَأْخُذُ زَادًا جَدِيدًا يَصْطَحِبُهُ مَعَهُ إِلَى غَارِ حِرَاءٍ مَرَّةً أُخْرَى،وَاسْتَمَرَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْخَلْوَةِ وَالتَّعَبُّدِ، حَتَّى أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ النُّبُوَّةِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ الصَّرِيحُ مُرْسَلًا مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ.

•فَائِدَةٌ:

-فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَفْكِيرِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي التَّرَدِّي مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ مِنْ بَلَاغَاتِ الزُّهْرِيِّ وَبَلَاغَاتُ الزُّهْرِيّ لَا تَثْبُتُ،فَقَدْأَخْبَرَ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ احْتَبَسَ جِبْرِيلُ وَلَمْ يَنْزِلْ بِالْوَحْيِ مُدَّةً قُرَابَةَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-{حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا}، أَيْ:

ذَهَبَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْحُزْنِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ؛ كَيْ يُسْقِطَ نَفْسَهُ مِنْ رُؤُوسِ مُرْتَفِعَاتِ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ، فَكُلَّمَا وَصَلَ إِلَى أَعْلَى الْجَبَلِ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ، ظَهَرَ لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ اضْطِرَابُ قَلْبِهِ، وَتَهْدَأُ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ مُدَّةُ انْقِطَاعِ الْوَحْيِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَظْهَرُ لَهُ جِبْرِيلُ وَيُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَتَسْكُنُ نَفْسُهُ وَتَهْدَأُ.

-وَفِي هَذَا شُبْهَةُ أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حَاوَلَ الانْتِحَارَ، وَهَذَا مِنْ ضُرُوبِ الْخَيَالِ وَالتَّلْفِيقِ؛ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ :

-أَوَّلًا: لَمْ يَرِدْ عَنْهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوْ عَنْ صَحَابَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ لَهُ أَوْ غَيْرِهِمْ، فِي ذَلِكَ شَيْءٌ لَا صَحِيحٌ وَلَا ضَعِيفٌ.

-ثانيا:أنَّ منْ بَعْد قوْل أُمِّ الْمُؤمنينَ عَائشَةَ:
{ثمَّ لم ينشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوفِّي} ليْسَ منْ نص الْحَديث، ولَكنَّهُ منْ كلَامِ الزُّهْرِيِّ الَّذي أخْبَرَ بِالْحَديث علَى أنَّهُ بَلَاغٌ، فلَيْسَ علَى شَرْطِ الْإمَامِ الْبُخَارِيِّ فِي شَيءٍ؛ لأَنَّهَا مَقْطُوعَةُ الْإسْنَاد منْ أولِّهَا.
-ثَالثًا: روَى الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ حَديث نُزُولِ الْوَحْيِ أكْثَرَ منْ مرَّةٍ دُونَ ذكْرِ هَذه الْقِصَّة.

(2)حَالُ النَّبِيِّ-ﷺ-مَعَ الْعِبَادَات:

-لقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّه-صلَّى اللَّهُ علَيْه وَسلَّمَ-أعبَدَ النَّاسِ لربِّه سُبْحانَهُ وتَعَالَى،وكَانَت الْوَسَطيَّةُ مَنْهَجَهُ،فقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحمَهُ اللَّهُ تعَالَى-في صَحيحه برقَمِ(٥٠٦٣) منْ حَديث أنَس بْنِ مَالك-رَضيَ اللَّهُ تعَالَى عَنْهُ-قَالَ:جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلَى بُيُوت أزْوَاجِ النَّبِيِّ-صلَّى الله عَلَيْه وَسلَّمَ-، يَسْألُونَ عَنْ عبادَة النَّبِيِّ-صلَّى الله عَلَيْه وَسلَّمَ، فلَمَّا أُخْبِرُوا كأنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا:
وأَيْنَ نَحْنُ منَ النَّبِيِّ-صلَّى الله علَيْه وسلَّمَ-؟!
قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه ومَا تَأخَّرَ، قَالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطرُ، وقَالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه-صلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ-إليْهِمْ، فَقَالَ:
{أنْتُمُ الَّذينَ قُلْتُم كَذَا وكَذَا؟! أمَا واللَّه إنِّي لَأَخْشَاكُمْ للَّه وأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكنِّي أصُومُ وَأُفْطرُ، وأُصلِّي وأَرْقُدُ، وأَتزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَنْ رَغبَ عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ منِّي}.
-ففي هَذَا الْحَديث: الْأمْرُ بالتَّرفُّق في الْعبَادَة، معَ الْمُحَافَظَة علَيْهَا وعَلَى الْفرَائض وَالنَّوَافل؛ ليُرَاعيَ الْمُسْلمُ حُقُوقَ غيْره عَلَيْه،وفيه: الزَّجْرُ عَنِ التَّشْديد علَى النَّفْس في الْعبَادَات بمَا لَا تُطيقُ،وفيه:
بيَانُ مَا كَانَ عَلَيْه الصَّحَابَةُ منْ حرْصٍ علَى الْعبَادَة وهمَّة عَاليَةٍ في التَّقَرُّب إلَى الله عَزَّ وَجَلَّ.
-وَسَوْفَ ألْقي الضَّوْءَ علَى هَذَا الْجَانب الْمُهمِّ منْ سيرَة النَّبِيِّ-صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-:
(أ)حَالَ النَّبِيِّ-ﷺ-في الصَّلَاة:

-لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الصَّلَاةِ ظَهَرَ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَمِنْ ذَلِكَ:

-مَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٤١٦)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(550)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: { إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ، فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَيَدْفِنُهَا}.

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{فَإِنَّمَا يُنَاجِي اللَّهَ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ}:فِي هَذَا إِثْبَاتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرِيبٌ مِنْ عَبْدِهِ الَّذِي يُصَلِّي، وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَسْتَشْعِرَ الْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ قُرْبَ اللَّهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ بِمَرْأًى مِنْهُ وَمَسْمَعٍ، وَأَنَّهُ مُنَاجٍ لَهُ، وَأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ جَوَابَ مُنَاجَاتِهِ لَهُ.

-وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٥٢٧)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٨٥)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

سَأَلْتُ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: {الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي}.

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا}الْمَعْنَى:أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْمَرْضِيَّةِ لَدَيْهِ الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا، وَذَلِكَ بِأَنْ يُحَافِظَ الْمُسْلِمُ عَلَى أَدَائِهَا بَعْدَ سَمَاعِهِ الْأَذَانَ، وَذِكْرُ الْأَفْضَلِيَّةِ هُنَا لِلْحَضِّ وَالْحَثِّ عَلَى الْإِسْرَاعِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَدَمِ التَّكَاسُلِ وَالتَّأْخِيرِ فِي أَدَائِهَا، وَلِأَنَّ فِي أَدَائِهَا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ دَلِيلًا عَلَى الْحِرْصِ عَلَيْهَا، وَعَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ يَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهِ، وَيُؤَدِّيهِ إِذَا وَجَبَ عَلَيْهِ فِي وَقْتِهِ، دُونَ تَأْجِيلٍ أَوْ تَسْوِيفٍ، وَلَا يَدْخُلُ فِيمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ(٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}.(الماعون:٤-٥) وَهُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا.

-يَقُولُ الدُّكْتُورُ فَرِيدُ الْأَنْصَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي كِتَابِهِ الْمَاتِعِ الْمَوْسُومِ ب(قَنَادِيل الصَّلَاةِ)ص:٣٤-٣٥:{كَانَ الْبَهَاءُ يُحِيطُ الْحَبِيبَ الْمُصْطَفَى-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَهُوَ فِي هَالَةٍ صَافِيَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ،إِذْ قَالَ:

{أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ،يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ،هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟قَالُوا:لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ.قَالَ:فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا}.(رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

-وَيُوقِدُ الْحَبِيبُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِنْدِيلًا آخَرَ فَيَقُولُ:{مَا أَدْرِي أُحَدِّثُكُمْ بِشَيْءٍ أَوْ أَسْكُتُ؟فَقُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ خَيْرًا

فَحَدِّثْنَا،وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَطَهَّرُ فَيُتِمُّ الطُّهُورَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ،فَيُصَلِّي هَذِهِ

الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ،إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَاتٍ لِمَا بَيْنَهَا}.(رَوَاهُ مُسْلِمٌ).وَفِي وَمْضَةِ قِنْدِيلٍ آخَرَ قَالَ:{وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ}.(رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

-هَذَا الْمَسْرَى الرَّبِيعِي إِلَى اللَّهِ،رَغَبًا فِي يَنَابِيعِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ،تَتَعَانَقُ الصَّلَوَاتُ فِيهِ،أَقْوَاسًا مِنَ الدَّوَالِي الْمُورِقَةِ،

فَتَتَشَكَّلُ الْعَنَاقِيدُ قَنَادِيلَ خَضْرَاءَ،تَرْسُمُ خُطُوَاتِ النُّورِ الْهَادِي إِلَى الرَّحْمَنِ،فَتَخْتَزِلُ الْعَدَدَ وَالزَّمَانَ،إِذْ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَشْرُ خُطُوَاتٍ فِي طَرِيقِ اللَّهِ،فَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،وَبِغَيْرِ وَاسِطَةِ الْمَلَاكِ جِبْرِيلَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ!ثُمَّ اخْتَزَلَهَا

سُبْحَانَهُ رَحْمَةً مِنْهُ فِي خَمْسٍ،ثُمَّ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:{يَا مُحَمَّدُ،إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ،لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ،

فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً!}.(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ).

-أَيُّ فَرِيضَةٍ هَذِهِ الَّتِي هِيَ فَضْلٌ كُلُّهَا،وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا،وَنُورٌ كُلُّهَا،

وَجَمَالٌ كُلُّهَا؟

-وَإِنَّ عِبَادَةً فُرِضَتْ فِي السَّمَاءِ،بِغَيْرِ وَاسِطَةِ الْمَلَاكِ،لَحَرِيَّةٌ بِالِارْتِقَاءِ صُعُدًا بِعُشَّاقِهَا إِلَى مَنَازِلِ السَّمَاءِ!

-فَاصْطَبِرِي يَا أبْدَانُ عَلَى إدَامَةِ التَّطَهُّرِ بِنَهْرِ النُّورِ!فَإنَّ غُصْنًا يَنْبُتُ فِي جِوَارِ الْغَدِيرِ لَا يَجِفُّ أَبَدًا! إنْ لَمْ يَنَلْ مِنْ فَيْضِهِ نَالَ مِنْ طَلِّه،وَإنْ لَمْ يَرِدْ مِنْ رَبِيعِهِ وَرَدَ مِنْ نَدَاه، فَلَمْ يَزَلِ الْأَمَلُ يَسْرِي نَضْرَةً وَجَمَالًا فِي قَدِّهِ الْمَيَّادِ رُكُوعًا وَسُجُودًا!

-لَكِنْ لإبْلِيس كَرَّاتٌ فِي الْفَتَرَاتِ،يَزِيدُهَا خَرْقًا وَاتِّسَاعًا،فَلَا (الْإِرَادَةُ) وَلَا (التَّوْبَةُ) غَيْرُ النَّصُوحِ؛يَكْفِي مَقَامُهُمَا لاقْتِحَامِ الْمَفَازَاتِ،وَالنَّجَاةِ بِهَذَا الْغُصْنِ النَّدِيِّ،كَلَّا!
حَتَّى يَصِلَ إلَى (مَقَامِ الْمَحَبَّةِ)،وَهُوَ مَا يَزَالُ يَحْتَفِظُ بِطَرَاوَتِهِ وَنَدَاهُ! وَلِلطَّرِيقِ مَكَارِهٌ لَا يُطْفِئُ لَهِيبَهَا الشَّيْطَانِيَّ إلَّا وَابِلُ الصَّبْرِ الْعَظِيمِ،فَذَلِكَ مَقَامُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَالصَّالِحِينَ}.انْتَهَى كَلَامُهُ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.-
•هَذِهِ بَعْضُ أَقْوَالِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنْ بَيَانِ مَنْزِلَةِ الصَّلَاةِ وَإلَيْكَ يَا صَاحِ بَعْضُ أَفْعَالِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدَّالَّةِ عَلَى تَعْظِيمِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِلصَّلَاةِ:

-مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(676)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا- أَنَّهَا سُئِلَتْ:
{مَا كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ}.

-فَفِي الْحَدِيثِ: الْقِيَامُ إلَى الصَّلَاةِ إذَا حَضَرَتْ وَتَرْكُ الشُّغْلِ بِعَمَلِ أَيِّ شَيءٍ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنيا؛إمَامًا كَانَ أَوْ مَأمُومًا،وَفِيه:
تَوَلِّي الْأَئِمَّةِ وَالْفُضَلَاءِ خِدْمَةَ أُمُورِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ اتِّبَاعًا لِسَيِّدِهِم-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
-.وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(4985) مِنْ حَدِيثِ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا}.

-وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَيْ: ارْفَعْ أَذَانَ الصَّلَاةِ وَأَقِمْهَا؛ لِنَسْتَرِيحَ بِهَا،

وكَأنَّ دُخُولَه فِيهَا هُوَ الرَّاحَةُ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا ومَشَاغِلِهَا؛ لِمَا فِيهَا مِنْ مُنَاجَاةِ لله تَعَالَى وَرَاحَةٍ لِلرُّوحِ وَالْقَلْبِ، ولَا عجبَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–هُوَ الْقَائِلُ: {وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ}،وطَلَبُ الرَّاحَةِ فِي الصَّلَاةِ يَصْدُرُ مِمَّنْ كَانَ خَاشِعًا فِيهَا ومُحِبًّا لَهَا، وإِنْ كَانَتْ ثَقِيلَةً عَلَى الْبَعْضِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}.(البقرة: ٤٥).وفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الصَّلَاةَ رَاحَةٌ لِلْقَلْبِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا ومَشَاغِلِهَا.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2819)مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-

:أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ:{أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا}.

-فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِحَالِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الْعِبَادَةِ وَاجْتِهَادِهِ فِيهَا؛ فَإِنَّهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ، أَيْ:

تَتَوَرَّمَ وَتَنْتَفِخَ، وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ سَبَبِ هَذَا الاجْتِهَادِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ، قَالَ: {أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟} فَمَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ نِعَمُ اللهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَقَّاهَا بِعَظِيمِ الشُّكْرِ، لَا سِيَّمَا أَنْبِيَائِهِ وَصَفْوَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ، وَخَشْيَةُ الْعِبَادِ لله عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِمْ بِهِ؛ فَمَعْنَى قَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا}، أَيْ:

كَيْفَ لَا أَشْكُرُهُ وَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَخَصَّنِي بِخَيْرَيِ الدَّارَيْنِ؟.!

-وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(620)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِي عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ:قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا فَقَالَ :

أَقُولُ يَا أُمَّهْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا قَالَ : فَقَالَتْ : دَعُونَا مِنْ رَطَانَتِكُمْ هَذِهِ قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ :أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ : فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ:

{ يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي. قُلْتُ : وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ قَالَتْ : فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ:فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ : ثُمَّ بَكَى

فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ :أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}.(آل عمران:١٩٠) الْآيَةَ كُلَّهَا}.

•وَظَلَّ الْحِرْصُ عَلَى الصَّلَاةِ حَاضِرًا فِي أَقْوَالِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَفِي أَفْعَالِهِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ، وَلَمَّا ثَقُلَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ كَانَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ لَا يَسْأَلُ إِلَّا عَنِ الصَّلَاةِ، وَهَاكُمْ خَبَرَ ذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَجِيبِ؛ لِنَعْلَمَ أَهَمِيَّةَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-

-أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٨٧)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٨١٤)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ. قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ،ثُمَّ أَفَاقَ،فَقَالَ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ.قَالَتْ:فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ:أَصَلَّى النَّاسُ؟

قُلْنَا:لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ، فَقَعَدَ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ فَقُلْنَا: لَا،هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ – وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا –:

يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً،فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ –أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ– لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ،

قَالَ:أجلْسَاني إِلَى جَنبِه، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أبِي بَكْرٍ،قَالَ:فَجَعَلَ أبو بَكْرٍ يُصلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصلَاةِ النَّبيِّ–صلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّمَ–،وَالنَّاسُ بِصلَاةِ أبِي بَكْرٍ،وَالنَّبِيُّ–صلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّمَ–قَاعِدٌ، قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاسٍ فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ–صلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّمَ–؟

قَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–}.وكَانَت الصَّلَاةُ آخرَ وَصِيَّةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ–صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ–فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه بِرَقْمِ(٥١٥٦)مِنْ حَدِيث عَلِيِّ بْنِ أبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ–صلَّى الله عَلَيْهِ وَسلَّمَ–:{الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ! اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}.

(ب)حَالُ النَّبِيِّ–ﷺ–فِي الزَّكَاة:

-ذَكَرَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي زَادِ الْمَعَادِ:٥/٢ هَدْيَ النَّبِيِّ–صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ–فَقَالَ:

}•هَدْيُهُ فِيهَا أَكْمَلُ الْهَدْيِ فِي وَقْتِهَا وقَدْرِهَا ونِصَابِهَا، وَمَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ وَمَصْرِفِهَا، رَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةَ أَرْبَابِ الْأَموَالِ وَمَصْلَحَةَ الْمَسَاكِينِ، فَفَرَضَ فِي أَموَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَكْفِي الْفُقَرَاءَ مِنْ غَيْرِ إِجْحَافٍ.

•وكَانَ إِذَا عَلِمَ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا أَعْطَاهُ وَإِنْ سَأَلَهُ مِنْهَا مَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ أَعْطَاهُ بَعْدَ أَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّهُ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَنِيٍّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ.

•وكَانَ مِنْ هَدْيِهِ تَفْرِيقُهَا عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ فِي بَلَدِ الْمَالِ، ومَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنْهَا حُمِلَ إِلَيْهِ فَفَرَّقَهُ.

•ولَمْ يَكُنْ يَبْعَثُهُمْ إِلَّا إِلَى أَهْلِ الْأَموَالِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْمَوَاشِي وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ.

•وكَانَ يَبْعَثُ الْخَارِصَ يَخْرُصُ عَلَى أَهْلِ النَّخِيلِ ثَمَرَ نَخِيلِهِمْ، وَعَلَى أَهْلِ الْكُرُومِ كُرُومَهُمْ، ويَنْظُرُ كَمْ يَجِيءُ مِنْهُ وَسْقًا–الْوَسَقُ:مَا قَدْرُهُ سِتُّونَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ نَحْوِهِ وَهُوَ مَا يُعَادِلُ:٦١:٢٢١كجم تَقْرِيبًا–فَيَحْسِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الزَّكَاةِ بِقَدْرِهِ،وَالْخَرْصُ : الْحَزْرُ وَالتَّخْمِينُ.

•ولَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِه أَخْذُهَا مِنَ الْخَيْلِ ولَا الرَّقِيقِ، ولَا الْبِغَالِ ولَا الْحَمِيرِ، ولَا الْخُضْرَوَاتِ، ولَا الْفَوَاكِهِ الَّتِي لَا تُكَالُ ولَا تُدَّخَرُ، إلَّا الْعِنَبَ والرُّطَبَ، فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ رُطَبِه ويَابِسِه.

•ولَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِه أَخْذُ كَرَائِمِ الْأَمْوَالِ، بَلْ وَسَطَهُ.

•وكَانَ يَنْهَى الْمُتَصَدِّقَ أَنْ يَشْتَرِيَ صَدَقَتَهُ، وكَانَ يُبِيحُ لِلغَنِيِّ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا إذَا أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْفَقِيرُ.

•وكَانَ يَسْتَدِينُ لِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّدَقَةِ أَحيَانًا، وكَانَ يَسْتَسْلِفُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَرْبَابِهَا أَحْيَانًا.

•وكَانَ إذَا جَاءَ الرَّجُلُ بِالزَّكَاةِ دعَا لَهُ، يَقُولُ: {اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ وفِي إِبِلِهِ}، وتَارَّةً يَقُولُ: {اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ}.انْتَهَى.

•وكَانَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَجْوَدَ النَّاسِ فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٣٢٢٠)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:{كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-أَجْوَدَ النَّاسِ،وكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ،فَلَرَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرسَلَةِ}

.

(د)حَالُ النَّبِيِّ-ﷺ-فِي الْحَجِّ:

•لَقَدِ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وسَلَّمَ-أَرْبَعَ عُمُرَاتٍ،ولَمَا فُرِضَ الْحَجّ بَادَرَ بِالْحَجِّ ولَمْ يَحُجّ إلَّا حَجَّةً وَاحِدَةً هِيَ حَجَّةُ الْوَدَاعِ وإِلَيْكَ هَدْيُهُ فِحَجَّتِه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

:

•لَمَّا فُرِضَ الْحَجُّ بَادَرَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ، ولَمْ يَحُجّ إلَّا حَجَّةً وَاحِدَةً، وحَجّ قَارِنًا.

•وَأَهَلّ بِالنُّسك بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ ثُمّ لَبَّى فَقَالَ:{لَبَّيْكَ اللّهُمّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنّ الْحَمْدَ والنّعْمَةَ لَكَ والْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ}، ورَفَعَ صَوْتَهُ بِهَذِه التَّلْبِيَةِ حَتّى سَمِعَهَا أَصْحَابُهُ وأَمَرَهُمْ بِأَمْرِ الله أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِهَا، ولَزِمَ تَلْبِيَتَهُ والنَّاسُ يَزِيدُونَ فِيهَا ويَنْقُصُونَ ولَا يُنْكِرُ عَلَيْهِم.

•وَخَيّرَ أصْحَابَهُ عِنْدَ الْإِحْرَامِ بيْنَ الْأنْسَاكِ الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ ندبهُمْ عِنْدَ دُنُوِّهِمْ مِنْ مَكّةَ إِلَى فَسْخِ الْحَجِّ وَالْقِرَانِ إِلَى الْعُمْرَةِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ.

•وَكَانَ حَجُّهُ عَلَى رَحْلٍ؛ لَا فِي مَحْمَلٍ وَلَا هَوْدَجٍ، وَزِمَالَتُهُ تَحْتَهُ أيْ: طَعَامُهُ وَمَتَاعُهُ.

•فَلَمَّا كَانَ بِمَكَّةَ أَمَرَ أَمْرًا حَتْمًا مَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً وَيَحِلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ، وَمَنْ مَعَهُ هَدْيٌ أَنْ يُقِيمَ عَلَى إِحْرَامِهِ، ثُمَّ نَهَضَ إِلَى أَنْ نَزَلَ بِذِي طُوَى، فَبَاتَ بِهَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَصَلَّى بِهَا الصُّبْحَ، ثُمَّ اغْتَسَلَ مِنْ يَوْمِهِ، وَدَخَلَ مَكَّةَ نَهَارًا مِنْ أَعْلَاهَا مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى الْحَجُونِ.

•فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَمَدَ إِلَى الْبَيْتِ،وَلَمْ يَرْكَعْ تَحِيّةَ الْمَسْجِدِ، فَلَمّا حَاذَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ اسْتَلَمَهُ، وَلَمْ يُزَاحِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ عَنْ يَمِينِهِ، وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ، وَلَمْ يَدْعُ عِنْدَ الْبَابِ بِدُعَاءٍ، وَلَا تَحْتَ الْمِيزَابِ وَلَا عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَأَرْكَانِهَا، وَحُفِظَ عَنْهُ بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.(البقرة: ٢٠١)، وَلَمْ يُوَقِّتْ لِلطَّوَافِ ذِكْرًا مُعَيَّنًا غَيْرَ هَذَا.

•وَرَمَلَ فِي طَوَافِهِ هَذَا، الثَّلَاثَةَ الْأَشْوَاطِ الأُوَلِ، وَكَانَ يُسْرِعُ فِي مَشْيِهِ، وَيُقَارِبُ بَيْنَ خُطَاهُ، وَاضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ فَجَعَلَ طَرَفَيْهِ عَلَى أَحَدِ كَتِفَيْهِ وَأَبْدَى كَتِفَهُ الْأُخْرَى وَمَنْكِبَهُ.

•وَكُلَّمَا حَاذَى الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ أَشَارَ إِلَيْهِ أَوِ اسْتَلَمَهُ بِمِحْجَنِهِ وَقَبَّلَ الْمِحْجَنَ –وَهُوَ عَصًا مَحْنِيَّةُ الرَّأْسِ– وَقَالَ:{اللهُ أَكْبَرُ}.

•وَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ وَلَمْ يُقَبِّلْهُ وَلَمْ يُقَبِّلْ يَدَهُ عِنْدَ اسْتِلَامِهِ.

•فَلَمّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ، جَاءَ خَلْفَ الْمَقَامِ، فَقَرَأَ:{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}.(البقرة:١٢٥)،فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ،وَالْمَقَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ؛ قَرَأَ فِيهِمَا بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَتَيِ الْإِخْلَاصِ – وَهُمَا: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}.(الكافرون:١)، وَ {قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ}.(الإخلاص:١)،فَلَمّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَاسْتَلَمَهُ.

•ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّفَا، فَلَمّا قَرُبَ مِنْهُ قَرَأَ: {إِنّ الصّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللّهِ}.(البقرة:١٥٩)، {أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ}، ثُمّ رَقِيَ عَلَيْهِ حَتّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحّدَ اللهَ وَكَبّرَهُ وَقَالَ:{لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيءٍ قَدِير، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه أَنْجزَ وَعْدَهُ وَنَصرَ عَبْدَه وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ}. ثُمَّ دعَا بَيْنَ ذَلِكَ. وَقَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

•ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ يَمْشِي، فَلَمَّا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا جَاوَزَ الْوَادِي وَأَصْعَدَ مَشَى -وَذَلِكَ بَيْنَ الْمِيلَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ- وَابْتَدأَ سَعْيَهُ مَاشِيًا، ثُمَّ أَتَمَّهُ رَاكِبًا لَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ.

•وَكَانَ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ رَقَى عَلَيْهَا، وَاسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ، وَكَبَّرَ اللهَ وَوَحَّدَهُ وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا.

•فَلَمَّا أَكْمَلَ سَعْيَهُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ،أَمَرَ كُلَّ مَنْ لَا هَدْيَ مَعَهُ أَنْ يَحِلَّ الْحِلَّ كُلَّهُ حَتْمًا وَلَا بُدَّ، قَارِنًا أَوْ مُفْرِدًا.

•وَلَمْ يَحِلَّ هُوَ مِنْ أَجْلِ هَدْيِهِ وَقَالَ:{ لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً}.

•وَدَعَا لِلْمُحَلِّقِينَ بِالْمَغْفِرَةِ ثَلَاثًا، وَلِلْمُقَصِّرِينَ مَرَّةً.

•وَكَانَ يُصَلِّي مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ إِلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ بِمَنْزِلِهِ بِظَاهِرِ مَكَّةَ بِالْمُسْلِمِينَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ.

•فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ ضُحًى تَوَجَّهَ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى مِنًى، فَأَحْرَمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ مِنْ رِحَالِهِمْ.

•فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِنًى نَزَلَ بِهَا وَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَبَاتَ بِهَا، فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ سَارَ مِنْهَا إِلَى عَرَفَةَ -وَمِنْ أَصْحَابِهِ الْمُلَبِّي وَالْمُكَبِّرُ وَهُوَ يَسْمَعُ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُ عَلَى أَحَدٍ- فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ بِأَمْرِهِ -وَنَمِرَةُ لَيْسَتْ مِنْ عَرَفَةَ وَهِيَ قَرْيَةٌ شَرْقِيَّ عَرَفَةَ- فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، أَمَرَ بِنَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى بَطْنَ الْوَادِي مِنْ أَرْضِ عُرَنَةَ، فَخَطَبَ النَّاسَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ خُطْبَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً قَرَّرَ فِيهَا قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ، وَهَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، وَقَرَّرَ فِيهَا تَحْرِيمَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي اتَّفَقَتِ الْمِلَلُ عَلَى تَحْرِيمِهَا، وَوَضَعَ أُمُورَ الْجَاهِلِيَّةِ وَرِبَا

الْجَاهلِيَّة تَحْتَ قَدَمَيْه، وَأَوْصَاهُمْ بِالنِّسَاء خَيْرًا، وَأَوْصَى الْأُمَّةَ بِالاعْتِصَامِ بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ وَاسْتَشْهَدَ اللهَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ وَأَدَّى وَنَصَحَ.

•فَلَمَّا أَتَمَّ الْخُطْبَةَ أَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ أَسَرَّ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ -وَكَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ- ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ وَمَعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْإِتْمَامِ وَلَا بِتَرْكِ الْجَمْعِ.

•فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِه رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، وَلَمَّا شَكَّ النَّاسُ فِي صِيَامِه يَوْمَ عَرَفَةَ أَرْسَلَتْ إِلَيْه مَيْمُونَةُ بِحِلَابٍ وَهُوَ وَاقِفٌ فِي الْمَوْقِفِ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، وَوَقَفَ فِي ذَيْلِ الْجَبَلِ عِنْدَ الصَّخَرَاتِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْه، وَكَانَ عَلَى بَعِيرِه، فَأَخَذَ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالابْتِهَالِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ.
•وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرْفَعُوا عَنْ بَطْنِ عُرَنَةَ وَقَالَ:{وَقَفْتُ هَا هُنَا وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ.{
•وَكَانَ فِي دُعَائِه رَافِعًا يَدَيْه إِلَى صَدْرِه كَاسْتِطْعَامِ الْمِسْكِينِ وَقَالَ:{خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.(وَضَعَّفَ الْحَدِيثَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ:١٠٠٩).

•فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ اسْتَحْكَمَ غُرُوبُهَا بِحَيْثُ ذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ، أَفَاضَ مِنْ عَرَفَةَ بِالسَّكِينَةِ مُرْدِفًا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ خَلْفَهُ، وَضَمَّ إِلَيْه زِمَامَ نَاقَتِه حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ طَرَفَ رَحْلِه وَهُوَ يَقُولُ:{أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ}، أَيْ: لَيْسَ بِالْإِسْرَاعِ.(الْبُخَارِيّ:١٦٧١).
•وَأَفَاضَ مِنْ طَرِيقِ الْمَأْزِمَيْنِ-طَرِيقٌ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمُزْدَلِفَةِ-وَدَخَلَ عَرَفَةَ مِنْ طَرِيقِ ضَبٍّ-هِيَ طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى عَرَفَةَ عَنْ يَمِينٍ-، ثُمَّ جَعَلَ يَسِيرُ الْعَنَقَ وَهُوَ -السَّيْرُ بَيْنَ السَّرِيعِ وَالْبَطِيءِ- فَإِذَا وَجَدَ مُتَّسَعًا أَسْرَعَ.

•وَكَانَ يُلَبِّي فِي مَسِيرِه وَلَمْ يَقْطَعِ التَّلْبِيَةَ، وَنَزَلَ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ فَبَالَ وَتَوَضَّأَ وُضُوءًا خَفِيفًا، ثُمَّ سَارَ وَلَمْ يُصَلِّ حَتَّى أَتَى مُزْدَلِفَةَ فَتَوَضَّأَ وُضُوءَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْأَذَانِ ثُمَّ

أقَامَ، فصلّى الْمَغْرِبَ قَبلَ حطّ الرّحَالِ وتَبْرِيك الْجمَالِ، فَلمّا حطُّوا رِحَالَهُمْ أمرَ فَأقِيمَت الصّلَاةُ، ثُمَّ صلّى الْعِشَاءَ بإقَامَةٍ بِلَا أذَانٍ، ولَمْ يُصلّ بينَهُمَا شَيْئًا، ثُمّ نَامَ حَتّى أصْبَحَ، وَلَمْ يُحْيِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ.

•وأَذِنَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عِنْدَ غِيَابِ الْقَمَرِ لِضَعَفَةِ أهْلِهِ أنْ يَتَقَدّمُوا إلَى مِنًى قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وأَمرَهُمْ أَلاّ يَرْمُوا حَتّى تَطْلُعَ الشّمْسُ.

•فَلَمّا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلاّهَا فِي أوّلِ الْوَقْتِ بِأذَانٍ وَإقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ حَتّى أَتَى مَوْقِفَهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وأعْلَمَ النّاسَ أَنّ مُزْدَلِفَةَ كُلّهَا مَوْقِفٌ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَأخَذَ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالذِّكْرِ حَتَّى أسْفَرَ جِدًّا، ثُمَّ سَارَ مِنْ مُزْدَلِفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ مُرْدِفًا لِلفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ.

•وَفِي طَرِيقِهِ أمرَ ابْنَ عَبَّاسٍ أَنْ يَلْقُطَ لَهُ حَصَى الْجِمَارِ، سَبْعَ حَصَيَاتٍ؛ فَجَعَلَ يَنْقُضُهُنّ فِي كَفّهِ وَيَقُولُ:{بِأَمْثَالِ هؤلاءِ فَارْمُوا وإيّاكُم والغُلُوّ فِي الدّينِ، فَإنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ}.(النَّسائيّ:٣٠٥٧).

•فَلَمّا أَتَى بَطْنَ مُحَسّرٍ أسْرَعَ السّيْرَ،وَسَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرى، حَتّى أَتَى مِنًى وَهُوَ يُلَبّي حَتَّى شَرَعَ فِي الرّمْيِ، فَرَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ رَاكِبًا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، مِنْ أسْفَلِ الْوَادِي وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ، يُكَبّرُ مَعَ كُلّ حَصَاةٍ.

•ثُمَّ رَجَعَ مِنًى فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً بَلِيغَةً أَعْلَمَهُمْ فِيهَا بِحُرْمَةِ يَوْمِ النّحْرِ وَفَضْلِهِ وَحُرْمَةِ مَكَّةَ، وَأمَرَهُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ قَادَهُمْ بِكِتَابِ اللهِ،وَعَلّمَهُمْ مَنَاسِكَهُمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلَى الْمَنْحَرِ بِمِنًى فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ، وكَانَ يَنْحَرُهَا قَائِمَةً مَعْقُولَةً يَدَهَا الْيُسْرَى، ثُمَّ أَمْسَكَ وَأمَرَ عَلِيًّا أنْ يَنْحَرَ مَا بَقِيَ مِنَ الْمِائَةِ، ثُمَّ أمرَ عَلِيًّا أَنْ يَتَصَدّقَ بِهَا فِي الْمَسَاكِينِ وَألاّ يُعْطِيَ الْجَزَّارَ فِي جِزَارَتِهَا شَيْئًا مِنْهَا.

•وَأَعْلَمَهُمْ أَنّ مِنًى كُلّهَا مَنْحَرٌ، وَفِجَاجَ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ.

•فَلَمّا أَكْمَلَ نَحْرَهُ اسْتَدْعَى الْحَلاّقَ فَحلَق رَأسَهُ فبدأ بالشّقّ الْأيمَنِ، فأعْطَاهُ أبَا طَلْحَةَ ثُمَّ الْأيسَر،فدفع شَعْرَه إِلَى أَبِي طَلْحَةَ وقَالَ: {اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ}.(مسلم:١٣٠٥.(

•وَفي قَوْلِه:{اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ}:لَعَلَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ–قَسَمَ شَعْرَهُ بَيْنَهُمْ؛ لِيَكُونَ بَرَكَةً بَاقِيَةً بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، وتَذْكِرَةً لَهُمْ، وكَأَنَّهُ أشَارَ بِذَلِكَ إِلَى اقْتِرابِ أجَلِهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَانْقِضَاءِ زَمَانِ الصُّحْبَةِ.

•وَدَعَا لِلمُحَلّقِينَ بِالْمَغْفِرَةِ ثَلاثًا، ولِلمُقَصّرِينَ مَرّةً:{اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ قَالُوا:وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّه،قَالَ:

وَالْمُقَصِّرِينَ}،وقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ:{رَحِمَ اللَّهُ الْمُحَلِّقِينَ مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ } قَالَ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ:{وَالمُقَصِّرِينَ}.(البخاريّ:١٧٢٧)..وَطَيّبَتْهُ أُمُّنَا عَائِشَةُ قَبْلَ أَنْ يَحِلّ.

•ثُمَّ أَفَاضَ إِلَى مَكّةَ قَبْلَ الظُّهْرِ رَاكِبًا،فَطَافَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ، وَلَمْ يَطُفْ غَيْرَهُ وَلَمْ يَسْعَ مَعَهُ، وَلَمْ يَرْمُلْ فِيهِ وَلَا فِي طَوَافِ الْوَدَاعِ وإِنّمَا رَمَلَ فِي الْقُدُومِ فَقَط.

•ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ بَعْدَ أَنْ قَضَى طَوَافَهُ وَهُمْ يَسْقُونَ، فَنَاوَلُوهُ الدّلْوَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنًى فَبَاتَ بِهَا، وَاخْتُلِفَ أَيْنَ صَلّى الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ؛ فَنَقَلَ ابْنُ عُمَرَ أَنّهُ صَلّى الظُّهْرَ بِمِنًى، وَقَالَ جَابِرٌ وَعَائِشَةُ صَلاّهُ بِمَكَّةَ.

•فَلَمّا أَصْبَحَ انْتَظَرَ زَوَالَ الشّمْسِ فَلَمّا زَالَتْ مَشَى مِنْ رَحْلِهِ إِلَى الْجِمَارِ، وَلَمْ يَرْكَبْ، فَبَدَأَ بِالْجَمْرَةِ الْأُولَى الّتِي تَلِي مَسْجِدَ الْخَيْفِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يَقُولُ مَعَ كُلّ حَصَاةٍ: {اللهُ أَكْبَرُ}.

•ثُمَّ تَقَدّمَ عَلَى الْجَمْرَةِ أَمَامَهَا حَتَّى أَسْهَلَ، فَقَامَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعَا دُعَاءً طَوِيلاً بِقَدْرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

•ثُمَّ أَتَى إِلَى الْجَمْرَةِ الوُسْطَى فَرَمَاهَا كَذَلِكَ، ثُمَّ انْحَدَرَ ذَاتَ الْيَسَارِ مِمَّا يَلِي الْوَادِي، فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ قَرِيبًا مِنْ وُقُوفِهِ الْأَوَّل.

•ثُمَّ أتَى الْجمْرَةَ الثَّالثَةَ وَهِي الْعقبَةُ فَاستَبْطَنَ الْوادِي، واستَعْرَض الْجمْرَة فَجعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسارِه ومِنى عَنْ يمِينه فرمَاها بِسبْعِ حصيَات كذَلِك.
•فلَمّا أكْمَلَ الرّمْي رجعَ ولَمْ يَقِفْ عندَها.
•وَغالِبُ الظّنّ أَنّهُ كانَ يرمِي قبْلَ أَنْ يصلّي الظُّهرَ ثُمّ يَرجِع فَيُصلّي، وأَذِنَ للعبَّاسِ بالْمَبيت بمكَّة لَيَالي منى من أَجْل سقايته.
•ولَمْ يَتَعَجّلْ فِي يومَيْنِ،بلْ تأخّر حتّى أكمَلَ رمْيَ أيّامِ التّشرِيقِ الثّلاثَة، وأفَاض بعْدَ الظُّهْرِ إلَى الْمُحَصّب–مَوْضِع رَمْي الْجِمارِ فِي منًى–،فَصلّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ والْمَغْرِبَ والْعِشَاء، ورقَد رقْدَةً ثُمَّ نهَض إلَى مكّة فطَاف للودَاعِ ليْلاً سحَرًا، ولَمْ يَرْمُل فِي هَذَا الطّوَافِ، ورَخّص لِصفِيّةَ لَمّا حَاضتْ، فَلَمْ تَطُفْ للودَاعِ.

•وأَعْمَرَ عَائشَةَ تلْك اللَّيْلَةَ منَ التّنْعيم تَطْييبًا لنَفْسهَا بِصُحْبَة أخِيهَا عَبْد الرَّحْمَن، فَلَمّا فَرَغتْ منْ عُمْرَتِها لَيْلاً نَادى بِالرّحِيلِ فِي أَصحَابِه، فَارْتَحَلَ النّاسُ.

(3)حَالُ النَّبِيِّ–ﷺ–مَعَ الْقُرْآن:

•قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقيِّمِ–رَحِمَهُ اللَّه تعَالَى–فِي:زادِ الْمَعَاد ج(١) ص:٤٦٣ عَنْ حَالِ النَّبِيِّ–صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّم–مَعَ الْقُرْآن:
{كَانَ لَهُ–صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ– حزْبٌ يَقْرَؤُهُ، ولَا يُخِلُّ بِه، وكَانَتْ قِراءتُهُ تَرْتِيلًا لَا هَذًّا ولَا عجَلَةً،بلْ قِرَاءَةً مفَسَّرَةً حرْفًا حرْفًا، وكَانَ يَقْطَعُ قِراءَتَهُ آيَةً آيَةً،وكَانَ يَمُدُّ عِنْدَ حُرُوفِ الْمَدِّ،فَيَمُدُّ (الرَّحْمَن) وَيَمُدُّ (الرَّحِيم)، وكَانَ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي أوَّلِ قِرَاءَتِه فَيَقُولُ:(أعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم) وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ)، وكَانَ تَعَوُّذُهُ قبْلَ الْقِرَاءة.
•وكَانَ يُحِبُّ أنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِه، وأمَرَ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُود، فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ، وَخَشَعَ –صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ– لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ مِنْهُ حَتَّى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، وكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَائِمًا، وقَاعِدًا، ومُضْطَجِعًا، ومُتَوَضِّئًا، ومُحْدِثًا، ولَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قِراءَتِه إلَّا الْجَنَابَةُ.

•وكَانَ –صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ– يتَغَنَّى بهِ، ويُرَجِّعُ صوتَهُ بهِ أحيانًا كمَا رجّعَ يومَ الْفَتْحِ فِي قِرَاءَتِه:{إنَّا فتَحنَا لَكَ فتْحًا مُبِينًا}.(الفتح:١)، وحكى عبْدُ اللهِ بْنُ مُغَفَّلٍ ترْجِيعَهُ،آآآ ثَلَاثَ مرَّاتٍ ذكَرَهُ الْبُخَارِيُّ}.انْتَهَى.

•أخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقَمِ(٤٥٨٢)ومُسْلِمٌ برقَمِ(٨٠٠)منْ حديثِ عبْدِ اللَّهِ بنِ مسْعُودٍ–رَضِيَ اللَّهُ تعَالَى عنْهُ–قَالَ:قَالَ لِي النَّبِيُّ–صلَّى الله علَيْهِ وسَلَّمَ–:{اقْرَأْ علَيَّ، قُلْتُ: آقْرَأُ علَيْكَ وعلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: فَإنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ منْ غيْرِي، فَقَرأْتُ علَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حتَّى بلَغْتُ:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا منْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وجِئْنَا بِكَ علَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً}.(النِّساء:٤١)، قَالَ: أمْسِكْ، فَإذَا عيْنَاهُ تذْرِفَانِ} .

-وفِي الْحَدِيثِ:الْإقْبَالُ علَى الْعِبَادَةِ بحُبٍّ،وفِيهِ:الاسْتِمَاعُ إِلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ، ولَوْ كَانَ الْمُسْتَمِعُ منْ حُفَّاظِهِ؛ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ–صلَّى الله علَيْهِ وسَلَّمَ– واتِّبَاعًا لِسُنَّتِهِ،وفِيهِ: أنَّ سمَاعَ الْقُرْآنِ فِيهِ ثَوَابٌ كمَا فِي تِلَاوتِهِ،وفِيهِ:الْبُكَاءُ عِنْدَ سمَاعِ الْقُرْآنِ،وفِيهِ:الْأمْرُ بِقَطْعِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ لِلمَصْلَحَةِ.

•وأخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقَمِ(٥٠٤٨)ومُسْلِمٌ برقَمِ(٧٩٣)منْ حدِيثِ أبِي مُوسَى الْأشْعَرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تعَالَى عنْهُ–قَالَ:قَالَ رسُولُ اللَّهِ–صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ–قَالَ:{يا أبَا مُوسَى لقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً منْ مزَامِيرِ آلِ داوُدَ}.وزَادَ أبُو يعْلَى فِي رِوَايتِهِ فِي(مُسْنَدِه)

}:أنَّ النَّبِيَّ–صلَّى الله علَيْهِ وسَلَّمَ– هُوَ وعَائِشَةَ مرَّا بِأبِي مُوسَى وهُوَ يقْرَأُ فِي بيْتِهِ، فَقَامَا يسْمَعَانِ لِقِرَاءَتِهِ، ثُمَّ أنَّهمَا مضَيَا، فَلَمَّا أصْبحَ لقِيَ أبَا مُوسَى رسُولُ اللهِ–صلَّى الله علَيْهِ وآلهِ وسَلَّمَ–فقَالَ:{يا أبَا مُوسَى، مرَرتُ بكَ الْبَارِحَةَ ومَعِي عائِشَةُ وأنْتَ تقْرَأُ فِي بيْتِكَ فَقُمْنَا واسْتَمَعْنَا،فقَالَ أبُو مُوسَى: أمَا إنِّي يا رسُولَ اللهِ لَوْ علِمْتُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تحْبِيراً.{

•وأخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ برقَمِ(٣٢٢٠)ومُسْلِمٌ برقَمِ(2308)منْ حدِيثِ عبْدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ تعَالَى عنْهُمَا–قَالَ:

{كَانَ رسُولُ اللَّهِ–صلَّى الله علَيْهِ وسَلَّمَ–أجْوَدَ النَّاسِ، وكَانَ أجْوَدَ مَا يكُونُ فِي رمَضَانَ حِينَ يلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكَانَ جِبْرِيلُ يلْقَاهُ فِي كُلِّ ليْلَةٍ منْ رمَضَانَ، فيُدَارِسُهُ

الْقرآنَ،فلرسولُ اللّهِ–صلّى الله عليْهِ وسلّمَ– حينَ يلْقاهُ جبْرِيلُ أجودُ بِالْخيْرِ منَ الرِّيحِ الْمُرْسلَة.{

-وفي الْحديث:الْحثُّ علَى الْجُودِ في كُلِّ الْأوْقَاتِ،وفيه:زِيارةُ الصلَحاءِ وأهْلِ الْفضْلِ ومُجالستِهِمْ؛ لِأنّها سببُ الْخيْرِ والصلَاحِ،

وفيه:الْإكْثارُ منَ الْبذْلِ والْعطاءِ والْإحْسانِ وقراءةِ الْقُرْآنِ في شهْرِ رمضانَ،وفيه: فضْلُ شهْرِ رمضانَ،وفيه:الْحثُّ علَى مُدارسةِ الْقُرْآنِ.

(4)حالُ النّبِيِّ–ﷺ–معَ ذِكْرِ اللّه:

•قالَ الْعلّامةُ ابْنُ الْقيِّمِ–رحمهُ اللّهُ تعالَى–في:زادِ الْمعادِ ج(٢) ص: ٣٦٥ عنْ حالِ النّبِيِّ–صلّى اللّهُ عليْه وسلّم–مع ذِكْرِ اللّه تعالَى:

{كانَ النّبِيُّ–صلّى الله عليْه وسلّمَ– أكْملَ الْخلْقِ ذِكْرًا للّه جلَّ جلَالُهُ، بلْ كانَ كلَامُهُ كُلُّه في ذِكْرِ اللّهِ وما والَاهُ، وكانَ أمْرُهُ ونهْيُهُ وتشْرِيعُهُ للأمّة ذِكْرًا منْه للّه، وكانَ إخْبارُهُ عنْ أسْماءِ الرّبِّ وصفاتِه، وأحْكامِه وأفْعالِه ووعْدِه ووعيدِه ذِكْرًا منْهُ لهُ، وكانَ ثناؤُهُ عليْه بآلَائِه وتمْجِيدُهُ وحمْدُهُ وتسْبِيحُهُ ذِكْرًا منْهُ لهُ، وكانَ سُؤالُهُ ودُعاؤُهُ إيّاهُ ورغْبتُهُ ورهْبتُهُ ذِكْرًا منْهُ لهُ، بلْ كانَ صمْتُهُ ذِكْرًا منْهُ لهُ بقلْبِه، فكانَ–صلّى الله عليْه وسلّمَ–ذاكِرًا للّه في كُلِّ أحْيانِه، وعلَى جميعِ أحْوالِه، وكانَ ذِكْرُهُ للّه يجْرِي معَ أنْفاسِه، قائمًا وقاعدًا وعلَى جنْبِه، وفي مشْيِه وركُوبِه ومسيرِه، ونُزُولِه وظعْنِه وإقامتِه}.انْتهى.

•أخْرجَ الْإمامُ مُسْلِمٌ–رحمهُ اللّهُ تعالَى–في صحيحِه برقمِ(373)منْ حديث أُمِّ الْمُؤمنينَ عائشةَ–رضِي اللّهُ تعالَى عنْها- قالتْ:{كانَ النّبِيُّ–صلّى اللّهُ عليْه وسلّمَ– يذْكُرُ اللّهَ علَى كُلِّ أحْيانِه}.

-في هذا الْحديثِ ترْوي أمُّ الْمُؤمنينَ عائشةُ–رضي الله تعالَى عنْها–أنَّ النّبِيَّ–صلّى الله عليْه وسلّمَ–كانَ يذْكُرُ الله تعالَى في كُلِّ أحْوالِه وفي كُلِّ أوْقاتِه، إلّا الْحالَاتِ الّتي يُمْتنعُ فيها عنِ الذِّكْرِ، كقضاءِ الْحاجةِ، ونحْوِها، حيْثُ كانَ النّبِيُّ–صلّى الله عليْه وسلّمَ–شديدَ الْحرْصِ علَى ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ، كالتّسْبِيحِ ، والتّهْلِيلِ،والتّكْبِيرِ

وَالتَّحْمِيدِ، ونَحوِهَا مِنَ الْأذْكَارِ، وَقَدْ عَلَّمنَا –صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ– أفْضَلَ الْأذْكَارِ وَأَحْسَنَهَا أجْرًا، ومِنْهَا مَا يَصلُحُ فِي جَمِيعِ الْأوْقَاتِ، ومِنْهَا مَا يَخْتَصُّ بوقْتٍ أوْ مكَانٍ، وَأيْضًا مِنَ الْأذْكَارِ مَا لَا يَخْتَصُّ منْهَا بعددٍ، ومِنْهَا الْمُقَيَّدُ بعدَدٍ.وَفِي قولِهَا:{عَلَى كُلِّ أحْيَانِه} إشَارَةٌ إلَى أنَّ ذكْرَ اللهِ لَا يَخْتَصُّ بِهيئَةٍ معيَّنَةٍ كَالَّتِي تَخْتَصُّ بالصَّلَاةِ والطَّوَافِ وبِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ مِنَ الطَّهَارَةِ والْوضُوءِ ونَحْوِهِمَا، ويَكونُ الْمَقْصُودُ أنَّهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَانَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى مُتَطَهِّرًا، ومُحْدِثًا، وجُنُبًا، وقَائِمًا، وقَاعِدًا، ومُضْطَّجِعًا، ومَاشِيًا.

•وأَخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رحمَهُ اللَّهُ تَعالَى–فِي صَحِيحه برقَمِ(6324)مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيمَانِ–رضِي اللَّهُ تعالَى عَنْهُ- قَالَ:{كَانَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ–إِذَا أرَادَ أنْ يَنَامَ قَالَ:

باسْمِكَ اللَّهُمَّ أمُوتُ وأَحْيَا، وإِذَا استَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ}.

-وَحِكْمَةُ ذِكْرِ اللهِ عِنْدَ الصبَّاحِ؛ لِيَكُونَ مُفْتَتَحُ الْأعْمَالِ وابتِ□دَاؤُهَا ذِكْرَ اللهِ، وكَذَلِكَ ذِكْرُ اللهِ عِنْدَ النَّوْمِ؛ لِيَخْتِمَ عَمَلَهُ بذِكْرِه تَعَالَى، فَتَكتُبُ الْحَفَظَةُ فِي أَوَّلِ صَحِيفَتِهِ عَمَلًا صَالِحًا وتَخْتِمُهَا بِمِثْلِهِ، فَيُرجَى لَهُ مَغْفِرَةُ مَا بيْنَ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِ.

(5)حَالُ النَّبِيِّ–ﷺ–مَعَ الدُّعَاءِ:

•وعَنْ حَالِ رسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ–نَجِدُ أنَّهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ–مَا ترَكَ الدُّعَاءَ أبَدًا فِي كُلِّ أحْوَالِه ، ومَا يَئِسَ منْهُ قَطُّ مَهْمَا تَأَخَّرَتِ الْإجَابَةُ، ومَهْمَا طَالَ الطَّرِيقُ، وكَانَ أشَدَّ مَا يَكُونُ دُعَاءً ورَجَاءً وخُشُوعًا وابْتِهَالاً عِنْدَ مَوَاقِفِ الشِّدَّةِ والضِّيقِ ، يَفْزَعُ إلَى ربِّهِ ويَحتَمِي بِحِمَاهُ، ويَطْلُبُ عَوْنَهُ، ويَرجُو مَدَدَهُ وتَأيِيدَهُ.

•أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحه برقَمِ(1763)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رضِيَ اللَّهُ تعَالَى عَنْهم–قَالاَ:

{لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وتِسعَةَ عَشَرَ رجُلًا، فَاستَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ–الْقِبْلَةَ،ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ،فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ:اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ آتِ مَا

وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}.(الأنفال:٩)، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.{

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(4098)مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الْخَنْدَقِ، وَهُمْ يَحْفِرُونَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ}.

-فَقَوْلُهُ:{وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا} أَيْ:عَلَى أَكْتَافِنَا وَظُهُورِنَا، وَالْكَتَدُ: هُوَ الْمَوْضِعُ مَا بَيْنَ الْكَتِفِ الْمُوَصِّلِ لِلعُنُقِ وَالظَّهْرِ .

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6396)مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَقَالَ: مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ. وَهِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ}.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(3522)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ بِرَقَمِ(٣٥٢٢)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:

{قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ : كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرُ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ؟ قَالَ : يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ . فَتَلَا مُعَاذٌ:{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}.

•حقًّا لَقَدْ حازَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–الْكَمَالَ الْبَشَرِيَّ فِي أَدَبِهِ مَعَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَيَكْفِيكَ يَا صَاحِ أَنْ تَتَدَبَّرَ حَالَهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{وَٱلنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ(١)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَىٰ(٢)وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلهَوَىٰ(٣)إِن هُوَ إِلَّا وَحي يُوحَىٰ(٤)عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ(٥)ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ(٦)وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ(٧)ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ(8)فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَو أَدْنَىٰ(٩) فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ(10)مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ(١١)أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢)وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ(١٣)عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ(١٤)عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ(15)إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ(١٦)مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ(١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ}. (النَّجم:١-

-فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} أَيْ: مَا زَاغَ بَصَرُ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً عَنْ مَقْصُودِهِ { وَمَا طَغَى } أَيْ:
وَمَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ، وَهَذَا كَمَالُ الْأَدَبِ مِنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،أَنْ قَامَ مَقَامًا أَقَامَهُ اللهُ فِيهِ، وَلَمْ يُقْصِرْ عَنْهُ وَلَا تَجَاوَزَهُ وَلَا حَادَ عَنْهُ،وَهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي فَاقَ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَإِنَّ الْإِخْلَالَ يَكُونُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ: إِمَّا أَنْ لَّا يَقُومَ الْعَبْدُ بِمَا أُمِرَ بِهِ، أَوْ يَقُومَ بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْرِيطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَاطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْحَيْدَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا مُنْتَفِيَةٌ عَنْهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.-
•فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْأَوَّلِينَ،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْآخِرِينَ،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ،وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٢٠)

تَحْذِيرِ الْعَابِدِ مِنَ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لله رَبِّ الأرْبَاب، وَمُجْرِي السَّحَاب، وَهَازِمِ الأحْزَاب، وَمُنَزِّلِ الْكِتَاب، وَمُسَبِّبِ الأسْبَاب، وَخَالِقِ الْبَحْرِ العُبَاب، بَثَّ فِي الْكَوْنِ آيَات عَظَمَته لِيَتَدَبَّرَ وَيَتَّعِظَ أُولُو االألْبَاب،وَعَدَ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الْمُتَّقِين عَظِيم الثَّوَاب، وَتَوَعَّدَ الْمُعْرِضِينَ الْمُعَانِدِين بِأَلِيمِ الْعِقَاب وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ظَهَرَ لِلأَعْيُنِ وَمَا عَنْهَا غَاب، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الآلِ وَالأَصْحَابِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَإِنَّ مِنْ أعْظَمِ مَا عُصِيَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الشِّرْكَ بِهِ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالظُّلْمِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.(لقمان:١٣)، وَالشِّرْكُ هُوَ الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ إِلاَّ لِمَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ،وَعُقُوبَةُ الْمُشْرِكِ بِاللَّهِ الْحِرْمَانُ مِنَ الْجَنَّة وَالْخُلُودُ فِي النَّارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}.(المائدة:٧٢).

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيماً}.(النِّساء:٤٨).

وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْخُطُورَةِ حَذَّرَ وَنَهَى النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ كُلِّ مَا يُوصِلُ إِلَيْهِ وَيُؤَدِّي لِلوُقُوعِ فِيهِ مِنْ وَسَائِل وَأَسْبَابٍ ، وَالْأَسْبَابُ وَالْوَسَائِلُ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَتُوقِعُ فِيهِ كَثِيرَةٌ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا وَأَخْطَرِهَا: الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ.

•وَالْغُلُوُّ هُوَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ عَمَّا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى،قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{الْغُلُوُّ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ بِأَنْ يُزَادَ فِي الشَّيءِ فِي حَمْدِهِ أَوْ ذَمِّهِ عَلَى مَا يَسْتَحِقُّ}. وَالْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ مِنْ أَخْطَرِ وَأَعْظَمِ الْوَسَائِل وَالْأَسْبَابِ الَّتِي تُوقِعُ فِي الشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، بَلْ إِنَّ بِدَايَةَ الشِّرْكِ بِاللَّه أَتَتْ مِنَ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِين وَإِنْزَالِهِمْ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِمْ، وَالاعْتِقَاد بِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ،وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالنَّفْعَ بِيَدِهِمْ، وَيَأْتِي عَنْ طَرِيقِهِمْ. وَأَوَّلُ مَا حَدَثَ وَوَقَعَ الشِّرْكُ فِي قَوْمِ نُوحٍ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–كَانَ بِسَبَبِ الْغُلُوِّ فِي مَحَبَّةِ الصَّالِحِين وَتَعْظِيمِهِمْ فَوْقَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ.

قَالَ الْحَافظُ ابْنُ كَثِيرٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى– فِي تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعالَى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}.(نوح:٢٣):

{هِيَ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ– عَلَيْهِ السَّلَامُ–، فَلَمَّا هَلَكُوا –مَاتُوا– أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ –مَاتَ– أُولَئِكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ}

.

•وَمِنْ صُوَرِ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ إِقَامَةُ الْأَضْرِحَةِ وَالْمَقَامَاتِ وَالْمَسَاجِدِ عَلَى قُبُورِهِمْ وَاتِّخَاذُ قُبُورِهِمْ مَسَاجِدَ،مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ(تَحْذِيرِ الْعَابِدِ مِنَ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ} لأُوَضِّحَ فِيهَا الْأَحْكَامَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِاتِّخَاذِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ،

وَحُكْمَ الصَّلَاةِ فِي تِلْكَ الْمَسَاجِدِ،وَالْآنَ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا:التَّحْذِيرُ مِنَ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ:

•أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(532)مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْهُ–قَالَ:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ:{إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ}.

فَقَوْلُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ}.أَيِ الْمِلَلَ السَّابِقَةَ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى {كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ}؛ إِمَّا بِالسُّجُودِ إِلَيْهَا تَعْظِيمًا لَهَا، أَوْ بِجَعْلِهَا

قبلَةً يتوجَّهون إليها في الصلَّاة، ويقصدونها بعبادتهم، ثُمَّ حذَّر النَّبيُّ- صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم- من فعلهم هذا بقوله: {ألَا فلَا تتَّخذوا القبور مساجد} .

-والنَّهي عن اتِّخاذ القبور مساجد؛ لئلَّا تُعظَّم؛ لأنَّ الصلَّاة عند الشَّيء تعظيمٌ له؛ ولما في ذلك من الذَّريعة إلى عبادتها والاعتقاد فيها ، ثُمَّ أكَّد النَّبيُّ-صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم- النَّهي عن ذلك.

-وفي هذا الحديث: بيانُ ما كان عليه النَّبيُّ -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم-من شدَّة العناية في تحذير أُمَّته من الوقوع في الشِّرك، حتَّى في آخر لحظة من حياته .

-وفيه: التَّحذيرُ من الغُلوِّ في الصَّالحين لإفضائه إلى الشِّرك.

•وأخرج الإمامُ البُخاريُّ-رحمهُ اللَّهُ تعالى-في صحيحه برقم(7067)من حديث عبد اللَّه بن مسعود-رضي اللَّهُ تعالى عنه-قال:

قال رسولُ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم-:{إنَّ من شرار النَّاس من تُدركُه السَّاعةُ وهم أحياءٌ ، ومن يتَّخذُ القبور مساجد}.

-في هذا الحديث يُخبرُ النَّبيُّ -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم-على من تقومُ السَّاعة،فيقولُ: {إنَّ من شرار النَّاس من تُدركه السَّاعةُ، وهم أحياءٌ}، أي:

من تقومُ القيامةُ، وهم أحياءٌ، فإنَّ القيامة تقومُ على شرار الخلق، وهذا بعد ظهور علامات السَّاعة الكبرى كطلُوع الشَّمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة، وسائر الآيات العظام، وفي حديث عائشة-رضي اللَّهُ تعالى عنها-الَّذي أخرجه مسلمٌ، ما يُشيرُ إلى بيان الزَّمان الَّذي يقعُ فيه ذلك، وفيه:

{لَا يذهبُ اللَّيلُ والنَّهارُ حتَّى تُعبد اللَّاتُ والعُزَّى}، وفيه: "{يبعثُ اللَّهُ ريحًا طيِّبةً، فتوفَّى كُلَّ من في قلبه مثقالُ حبَّة من خردل من إيمان، فيبقى من لَا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم}، وفي رواية أُخرى عند مسلم أيضًا:{لَا تقومُ السَّاعةُ، وعلى وجه الأرض أحدٌ يقولُ: اللَّهُ اللَّه}

وبذلك يكونُ كُلُّ المؤمنين قد توفَّاهم اللَّهُ، ولم يبق إلَّا الأشرارُ والكُفَّارُ، فتقومُ عليهم القيامةُ، {ومن يتَّخذُ القبور مساجد} ويحتملُ في ذلك معنيين؛ الأوَّلُ: أن يتَّخذ القبرُ

مَسْجِدًا، إمَّا بالسُّجُود إلَيْه تَعْظِيمًا لَهُ، أوْ بجعْله قبْلةً يتوجَّهُ إليْه في الصلَّاة، ويَقصدُونَهُ بعبَادَتهمْ، والثَّاني: أنْ يُوضعَ في الْمَسْجِد قبْرٌ؛ وفي هذَا تَعْظِيمٌ لَهُ وهُوَ أيْضًا مُخَالفٌ؛ لأنَّ الصَّلَاةَ عنْدَ الشَّيءِ تَعْظِيمٌ لَهُ؛ ولمَا في ذَلكَ منَ الذَّريعَة إلَى عبَادَتهَا وَالاعْتقَاد فيهَا، وهَذَا منَ الشَّرِّ الَّذي يَكُونُ علَيْه النَّاسُ.

-وَفي الْحَديث: تَحْذيرٌ شَديدٌ وَنَهْيٌ أكيدٌ أنْ تُتَّخَذَ الْقُبُورُ مَسَاجدَ.

•ثانيًا:حُكْمُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ الَّتِي بِهَا أضْرِحَةٌ:

•الْمَسَاجدُ الَّتي فيهَا قُبُورٌ لَا يُصَلَّى فيهَا ، وَيَجبُ أنْ تُنْبَشَ الْقُبُورُ إذَا كَانَ الْمَسْجدُ هُوَ السَّابقُ عَلَيْهَا وَيُنْقَل رُفَاتُهَا إلَى الْمَقَابر الْعَامَّة ، وَيُجْعَلَ رُفَاتُ كُلِّ قَبْرٍ في حُفْرَةٍ خَاصَّةٍ كَسَائر الْقُبُور ، وَلَا يَجُوزُ أنْ يَبْقَى في الْمَسَاجد قُبُورٌ ، لَا قَبْرُ وَلِيٍّ وَلَا غَيْره ؛ لأنَّ الرَّسُولَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-نَهَى وَحَذَّرَ منْ ذَلكَ كَمَا سَبَقَ،فَنَهَى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-عَن اتِّخَاذ الْقُبُور مَسَاجد ، وَلَعَنَ مَنْ فَعَلَ ذَلكَ ، وَأَخْبَرَ :

أَنَّهُمْ شرَارُ الْخَلْق ، فَالْوَاجبُ الْحَذَرُ منْ ذَلكَ.

•وَمَعْلُومٌ أنَّ كُلَّ مَنْ صَلَّى عنْدَ قَبْرٍ فَقَد اتَّخَذَهُ مَسْجدًا ، وَمَنْ بَنَى عَلَيْه مَسْجدًا فَقَد اتَّخَذَهُ مَسْجدًا ، فَالْوَاجبُ أنْ تُبْعَدَ الْقُبُورُ عَن الْمَسَاجد ، وَألَّا يُجْعَلَ فيهَا قُبُورٌ؛ امْتثَالًا لأمْر الرَّسُول-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-وَحَذَرًا منَ اللَّعْنَة الَّتي صَدَرَتْ منْ رَبِّنَا تَعَالَى عَلَى لسَان نَبيِّنَا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-لمَنْ بَنَى الْمَسَاجدَ عَلَى الْقُبُور؛ لأَنَّهُ إذَا صَلَّى في مَسْجد فيه قُبُور قَدْ يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ دَعْوَةَ الْمَيِّت ، أو الاسْتغَاثَةَ به ، أو الصَّلَاةَ لَهُ ، أو السُّجُودَ لَهُ ، فَيَقَعُ الشِّرْكُ الْأكْبَرُ ،وَلأنَّ هَذَا منْ عَمَل أهْل الْكتَاب فَوَجَبَ أنْ نُخَالفَهُمْ ، وَأنْ نَبْتَعدَ عَنْ طَريقهمْ ، وَعَنْ عَمَلهمُ السَّيِّئ.

•لَكنْ لَوْ كَانَت الْقُبُورُ هيَ الْقَديمَةُ ثُمَّ بُنيَ عَلَيْهَا الْمَسْجدُ ، فَالْوَاجبُ هَدْمُهُ وَإزَالَتُهُ ؛ لأَنَّهُ هُوَ الْمُحْدَثُ ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلكَ أهْلُ الْعلْم ؛ حَسْمًا لأسْبَاب الشِّرْك وَسَدًّا لذَرَائعه،قَالَ شَيْخُ الْإسْلَام ابْنُ تَيْميَّةَ-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- في مَجْمُوع الْفَتَاوَى (٢٢/ ١٩٤):

{اتَّفَقَ الْأئمَّةُ أنَّه لَا يُبنَى مَسْجِدٌ عَلَى قَبْرٍ؛ لأنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-قَالَ: {إنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ}، وأَنَّهُ لَا يَجُوزُ دَفْنُ مَيْتٍ فِي مَسْجِدٍ، فَإِنْ كَانَ الْمَسْجِدُ قَبْلَ الدَّفْنِ غُيِّرَ؛ إِمَّا بِتَسْوِيَةِ الْقَبْرِ، وَإِمَّا بِنَبْشِه إِنْ كَانَ جَدِيدًا، وَإِنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بُنِيَ بَعْدَ الْقَبْرِ فَإِمَّا أَنْ يُزَالَ الْمَسْجِدُ وَإِمَّا أَنْ تُزَالَ صُورَةُ الْقَبْرِ، فَالْمَسْجِدُ الَّذِي عَلَى الْقَبْرِ لَا يُصَلَّى فِيهِ فَرْضٌ وَلَا نَفْلٌ؛ فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ}. انْتَهَى كَلَامُهُ.

•وَسُئِلَتِ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ للإفْتَاءِ : قَامَ أَهْلُ بَلْدَتِنَا بِهَدْمِ مَسْجِدٍ لَكَيْ يُعِيدُوا بِنَاءَهُ وكَانَ هَذَا الْمَسْجِدُ مُقَامًا عَلَى قَبْرٍ ، وبَعْدَ أَنْ بَدَءُوا الْبِنَاءَ ارْتَفَعَ هَذَا الْبِنَاءُ عَلَى الْقَبْرِ ، وَلَمْ يَضَعُوهُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ ، فَمَا حُكْمُ التَّبَرُّعِ لِهَذَا الْمَسْجِدِ ؟ وَهَلْ تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ بَعْدَ بِنَائِهِ عَلَى الْقَبْرِ؟ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْقَبْرَ فِي حُجْرَةٍ وَبَابُهَا فِي الْمَسْجِدِ.

-فَأَجَابَتْ:

{إِذَا كَانَ الْوَاقِعُ مَا ذُكِرَ فَلَا يَجُوزُ التَّبَرُّعُ لِبِنَاءِ هَذَا الْمَسْجِدِ ، وَلَا الْمُشَارَكَةُ فِي بِنَائِهِ ، وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ ، بَلْ يَجِبُ هَدْمُهُ}. انْتَهَى.

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ . عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَفِيفِي . عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غُدَيَان . عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَعُود. (فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ:١/٤١١).

•ثَالِثًا:شُبْهَةُ وُجُودِ قَبْرِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي مَسْجِدِهِ:

-يَقُولُ الشَّيْخُ مُحَمَّد صَالِح الْمُنَجِّد-حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:قَدْ تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَرَدُّوا عَلَى مَنِ اسْتَدَلَّ بِوُجُودِ قَبْرِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَسْجِدِهِ عَلَى جَوَازِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ ، أَوْ إِدْخَالِ الْقُبُورِ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَسَنَذْكُرُ هَاهُنَا فَتَاوَى لِبَعْضِ عُلَمَائِنَا الْمُحَقِّقِينَ ، وَفِيهَا تَفْصِيلُ مَا فِي السُّؤَالِ مِنْ إِشْكَالٍ.

(1)قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ-رَحِمَهُ اللهُ :

{ هُنَا شُبْهَةٌ يُشَبِّهُ بِهَا عُبَّادُ الْقُبُورِ ، وَهِيَ : وُجُودُ قَبْرِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَسْجِدِهِ ، وَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ الصَّحَابَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-لَمْ يَدْفِنُوهُ فِي مَسْجِدِهِ ، وَإِنَّمَا دَفَنُوهُ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ، فَلَمَّا وَسَّعَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ

مَسْجِدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي آخِرِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ أَدْخَلَ الْحُجْرَةَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ أَسَاءَ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَلَكِنَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّوْسِعَةِ.

فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَحْتَجَّ بِذَلِكَ عَلَى بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ ، أَوِ الدَّفْنِ فِي الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ ؛ وَلِأَنَّ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ وَسَائِلِ الشِّرْكِ بِأَصْحَابِ الْقُبُورِ }.(انْتَهَى مِنْ: مَجْمُوعِ فَتَاوَى الشَّيْخِ ابْنِ بَازٍ : ٥/٣٨٨، ٣٨٩).

(2)سُئِلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِين –رَحِمَهُ اللهُ– عَنْ حُكْمِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدٍ فِيهِ قَبْرٌ ؟

-فَأَجَابَ:

الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدٍ فِيهِ قَبْرٌ عَلَى نَوْعَيْنِ:

-الْأَوَّلُ:

أَنْ يَكُونَ الْقَبْرُ سَابِقًا عَلَى الْمَسْجِدِ ، بِحَيْثُ يُبْنَى الْمَسْجِدُ عَلَى الْقَبْرِ ، فَالْوَاجِبُ هَجْرُ هَذَا الْمَسْجِدِ وَعَدَمُ الصَّلَاةِ فِيهِ ، وَعَلَى مَنْ بَنَاهُ أَنْ يَهْدِمَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ وَجَبَ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَهْدِمَهُ.

-وَالنَّوْعُ الثَّانِي :

أَنْ يَكُونَ الْمَسْجِدُ سَابِقًا عَلَى الْقَبْرِ ، بِحَيْثُ يُدْفَنُ الْمَيْتُ فِيهِ بَعْدَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ ، فَالْوَاجِبُ نَبْشُ الْقَبْرِ ، وَإِخْرَاجُ الْمَيْتِ مِنْهُ ، وَدَفْنُهُ مَعَ النَّاسِ.

-وَأَمَّا الْمَسْجِدُ فَتَجُوزُ الصَّلَاةُ فِيهِ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَكُونَ الْقَبْرُ أَمَامَ الْمُصَلِّي ، لِأَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ إِلَى الْقُبُورِ.

-أَمَّا قَبْرُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–الَّذِي شَمِلَهُ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بُنِيَ قَبْلَ مَوْتِهِ فَلَمْ يُبْنَ عَلَى الْقَبْرِ ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَمْ يُدْفَنْ فِيهِ ، وَإِنَّمَا دُفِنَ فِي بَيْتِهِ الْمُنْفَصِلِ عَنِ الْمَسْجِدِ ، وَفِي عَهْدِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِهِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي سَنَةِ ٨٨ مِنَ الْهِجْرَةِ أَنْ يَهْدِمَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ وَيُضِيفَ إِلَيْهِ حُجَرَ

زَوْجَاتِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَجَمَعَ عُمَرُ وُجُوهَ النَّاسِ وَالْفُقَهَاءَ وقَرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَلِيدِ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وقَالُوا :

تَرْكُهَا عَلَى حَالِهَا أَدْعَى لِلعِبْرَةِ ، ويُحْكَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيّبِ أَنْكَرَ إِدْخَالَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ ، كَأَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ الْقَبْرُ مَسْجِداً فَكَتَبَ عُمَرُ بِذَلِكَ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالتَّنْفِيذِ فَلَمْ يَكُنْ لِعُمَرَ بُدٌّ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَمْ يُوضَعْ فِي الْمَسْجِدِ،ولَمْ يُبْنَ عَلَيْهِ الْمَسْجِدُ،فَلَا حُجَّةَ فِيهِ لِمُحْتَجٍّ عَلَى الدَّفْنِ فِي الْمَسَاجِدِ أَوْ بِنَائِهَا عَلَى الْقُبُورِ ، وقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ :{ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ } ، قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ تَحْذِيراً لِأُمَّتِهِ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ ، وَلَمَّا ذَكَرَتْ لَهُ أُمُّ سَلَمَةَ– رَضِيَ اللهُ عَنْهَا–كَنِيسَةً رَأَتْهَا فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ قَالَ :

{ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ }.،وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّ النَّبِيَّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ :

{ إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مِنَ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ }.أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَالْمُؤْمِنُ لَا يَرْضَى أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَلَا أَنْ يَكُونَ مِنْ شِرَارِ الْخَلْقِ } . (انْظُرْ:مَجْمُوعِ فَتَاوَى الشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ: ١٢/السُّؤَالِ رَقْمِ ٢٩٢)

•وبَعْدَ هَذَا فَالْمُسْلِمُ إِنَّمَا يَقْصِدُ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ لَا يَقْصِدُ الْقَبْرَ لِمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ:

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(1864)مِنْ حَدِيثِ التَّابِعِيِّ قَزْعَةَ مَوْلَى زِيَادٍ قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ –وَقَدْ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً– قَالَ:

أَرْبَعٌ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –أَوْ قَالَ: يُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَعْجَبْنَنِي وَآنَقْنَنِي–:

{ أَلَّا تُسَافِرَ امْرَأَةٌ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ لَيْسَ مَعَهَا زَوْجُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا صَوْمَ يَوْمَيْنِ: الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ صَلَاتَيْنِ: بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَبَعْدَ

الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ولَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى }.

-وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(١١٩٠)وَمُسْلِم بِرَقَمِ(١٣٩٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ }.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (1888)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي }.

•وَمِنَ الْأَدَبِ لِمَنْ قَصَدَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ لِلصَّلَاةِ فِيهِ أَنْ يَمُرَّ لِلسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَصَاحِبَيْهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

•رَابِعًا:حُكْمُ الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَ قَبْرِ الرَّسُولِ
:

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (970)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:
{ نَهَى رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ }.
-النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَكْثَرُ النَّاسِ حِرْصًا عَلَى إِزَالَةِ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، مِثْلُ الْبِنَاءِ عَلَى الْقُبُورِ وَرَفْعِهَا؛ لِمَا فِيهَا مِنْ إِضَاعَةِ الْمَالِ وَالتَّفَاخُرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَلَا يُنَاسِبُ حَالَ الْمَوْتِ وَالْبِلَى، وَكَذَلِكَ كَانَ حَرِيصًا عَلَى إِرْشَادِ الْمُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ إِظْهَارُ تَكْرِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ فِي الْمَحْيَا وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–أَنَّ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–نَهَى أَنْ { يُجَصَّصَ الْقَبْرُ }، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ:

{ نُهِيَ عَنْ تَقْصِيصِ الْقُبُورِ }، وَهُوَ بِنَاؤُهُ بِالْقَصَّةِ، وَهِيَ الْجَصُّ وَالْجِبْسُ، وَطَلَاؤُهَا؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمٍ وَغُلُوٍّ. وَنَهَى–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–{ أَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ }، وَالْمُرَادُ مِنَ الْقُعُودِ الْجُلُوسُ، وَقَدْ نَهَى عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِحَقِّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ فَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ؛خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ!}. وَهَذَا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ، وَنَهْيٌ أَكِيدٌ عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى الْقَبْرِ. وَنَهَى{ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ } يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ الْبِنَاءُ عَلَى نَفْسِ الْقَبْرِ لِيَرْتَفِعَ، أَوِ الْمُرَادُ الْبِنَاءُ حَوْلَ الْقَبْرِ مِثْلَ أَنْ يَتَّخَذَ حَوْلَهُ خِبَاءٌ أَوْ مَسْجِدٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَكِلَاهُمَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صَنِيعِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلِأَنَّهُ إِضَاعَةٌ لِلْمَالِ.

-فَالنَّهْيُ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيثِ يَشْتَمِلُ عَلَى نَوْعَيْنِ: الْإِفْرَاطِ، وَالتَّفْرِيطِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُبُورِ، فَلَا يُمْتَهَنُ الْأَمْوَاتُ بِحَيْثُ يُدَاسُ وَيُجْلَسُ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَلَا يَغْلُو النَّاسُ فِيهِمْ بِأَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بُنْيَانٌ وَتَعْظِيمٌ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَحَاذِيرُ وَمَفَاسِدُ.

•وَبِالنِّسْبَةِ لِلْقُبَّةِ فَوْقَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَمْ تَكُنْ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ وَلَا تَابِعِي التَّابِعِينَ ،وَقَدْ أُحْدِثَ بِنَاؤُهَا فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ قَلَاوُون ، وَكَانَ لَوْنُهَا أَوَّلًا بِلَوْنِ الْخَشَبِ ، ثُمَّ صَارَتْ بِاللَّوْنِ الْأَبْيَضِ،ثُمَّ اللَّوْنِ الْأَزْرَقِ ،ثُمَّ اللَّوْنِ الْأَخْضَرِ ، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَيْهِ إِلَى الْآنَ.

-قَالَ الْأُسْتَاذُ عَلِيّ حَافِظ–حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى– :

{ لَمْ تَكُنْ عَلَى الْحُجْرَةِ الْمُطَهَّرَةِ قُبَّةٌ ، وَكَانَ فِي سَطْحِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا يُوَازِي الْحُجْرَةَ حَظِيرٌ مِنَ الْآجُرِّ–حِجَارَة مِنْ طِينٍ خَزَفِيّ– بِمِقْدَارِ نِصْفِ قَامَةٍ تَمْيِيزًا لِلْحُجْرَةِ عَنْ بَقِيَّةِ سَطْحِ الْمَسْجِدِ.

-وَالسُّلْطَانُ قَلَاوُون الصَّالِحِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ عَلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ قُبَّةً ، فَقَدْ عَمِلَهَا سَنَةَ ٦٧٨ هـ ، مُرَبَّعَةً مِنْ أَسْفَلِهَا ، مُثَمَّنَةً مِنْ أَعْلَاهَا بِأَخْشَابٍ ، أُقِيمَتْ عَلَى

رُؤوسِ السَّوَارِيِّ الْمُحِيطَةِ بِالْحُجْرَةِ ، وَسَمَّرَ عَلَيْهَا أَلْوَاحًا مِنَ الْخَشَبِ ، وَصَفَّحَهَا بِأَلْوَاحِ الرَّصَاصِ ، وَجَعَلَ مَحَلّ حَظِيرِ الآجُرِّ حَظِيرًا مِنْ خَشَبٍ.

-وَجُدِّدَتِ الْقُبَّةُ زَمَنَ النَّاصِرِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّد قَلَاوُون ، ثُمَّ اخْتَلَّتْ أَلْوَاحُ الرَّصَاصِ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَجُدِّدَتْ ، وَأُحْكِمَتْ أَيَّامَ الْأَشْرَفِ شَعْبَان بْن حُسَيْن بْن مُحَمَّد سَنَةَ ٧٦٥ هـ ، وَحَصَلَ بِهَا خَلَلٌ ، وَأُصْلِحَتْ زَمَنَ السُّلْطَانِ قَايِتْبَاي سنة ٨٨١هـ.
-وَقَدِ احْتَرَقَت الْمَقْصُورَةُ وَالْقُبَّةُ فِي حَرِيقِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الثَّانِي سنة ٨٨٦ هـ ، وَفِي عَهْدِ السُّلْطَانِ قَايِتْبَاي سَنَةَ ٨٨٧هـ جُدِّدَتِ الْقُبَّةُ ، وَأُسِّسَتْ لَهَا دَعَائِم عَظِيمَة فِي أَرْضِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَبُنِيَتْ بِالآجُرِّ بِارْتِفَاعٍ مُتَنَاه.
-بَعْدَ مَا تَمَّ بِنَاءُ الْقُبَّةِ بِالصُّورَةِ الْمُوَضَّحَةِ : تَشَقَّقَتْ مِنْ أَعَالِيهَا ، وَلَمَّا لَمْ يُجْدِ التَّرْمِيمُ فِيهَا : أَمَرَ السُّلْطَانُ قَايِتْبَاي بِهَدْمِ أَعَالِيهَا ، وَأُعِيدَتْ مُحْكَمَةَ الْبِنَاءِ بِالْجِبْسِ الْأَبْيَضِ ، فَتَمَّتْ مُحْكَمَةً ، مُتْقَنَةً سَنَةَ ٨٩٢ هـ.

-وَفِي سَنَةِ ١٢٥٣هـ صَدَرَ أَمْرُ السُّلْطَانِ عَبْد الْحَمِيد الْعُثْمَانِي بِصَبْغِ الْقُبَّةِ الْمَذْكُورَةِ بِاللَّوْنِ الْأَخْضَرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَبَغَ الْقُبَّةَ بِالْأَخْضَرِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يُجَدَّدُ صَبْغُهَا بِالْأَخْضَرِ كُلَّمَا احْتَاجَتْ لِذَلِكَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.
-وَسُمِّيَتْ بِالْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ بَعْدَ صَبْغِهَا بِالْأَخْضَرِ،وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِالْبَيْضَاءِ،وَالْفَيْحَاءِ ، وَالزَّرْقَاءِ }.(انْتَهَى مِنْ : فُصُول مِنْ تَارِيخِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ل عَلِيّ حَافِظ ص: ١٢٧، ١٢٨).
•وَقَدْ أَنْكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُحَقِّقِين – قَدِيمًا وَحَدِيثًا – بِنَاءَ تِلْكَ الْقُبَّةِ ، وَتَلْوِينَهَا ، وَكُلّ ذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُونَهُ مِنْ سَدِّ الشَّرِيعَةِ لِأَبْوَابٍ كَثِيرَةٍ خَشْيَةَ الْوُقُوعِ فِي الشِّرْكِ.
-وَمِنْ هَؤلَاءِ الْعُلَمَاءِ:
-قَالَ الْإِمَامُ الصَّنْعَانِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي:تَطْهِيرِ الاعْتِقَادِ :{ فَإِنْ قُلْتَ : هَذَا قَبْرُ الرَّسُولِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدْ عُمِّرَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ انفقت فِيهَا الْأَمْوَالُ.
قُلْتُ : هَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقُبَّةَ لَيْسَ بِنَاؤهَا مِنْهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَلَا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا مِنْ تَابِعِيهِمْ ، وَلَا مِنْ تَابِعِ التَّابِعِينَ ، وَلَا عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ

وأئمَّة ملَّته ، بَلْ هذه الْقُبَّةُ الْمعمُولَةُ عَلَى قبْرهِ –صلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ– من أبْنِيَةِ بَعْضِ مُلُوك مصرَ الْمُتأخِّرِينَ ، وَهُو قَلَاوُونُ الصَّالحِيُّ الْمعرُوفُ بِالْمَلِك الْمَنْصُورِ في سَنَةَ ثَمَانٍ وسَبْعين وستِّ مئة ، ذَكَرَهُ في تَحْقِيقِ النُّصرَةِ بِتَلْخِيصِ معَالِمِ دَارِ الْهِجْرَةِ ، فَهَذِه أُمُورٌ دُوَلِيَّةٌ لَا دَلِيلِيَّةٌ }. انْتَهَى.

-وكَذَلكَ أنْكرَ عُلَماءُ اللَّجْنَة الدَّائمَة في أكْثَرِ مِنْ فتْوَى هَذَا الصَّنِيعَ رَاجِع الْفَتَاوَى رقَم:٩/٨٣-٨٤،و:٢/٢٦٤-٢٦٥).

•والسُّؤالُ:لِمَاذَا لَمْ تُهْدَم رَغْمِ إنْكَارِ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَحدِيثًا؟

•الْجَوَابُ:

-فَقَدْ بَيَّنَ الْعُلَمَاءُ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ في بِنَاءِ الْقُبَّة ، وأَثَرُهَا الْبِدْعِيّ وَاضِحٌ عَلَى أَهْلِ الْبِدعِ ، فَهُمْ مُتَعَلِّقُونَ بِهَا بِنَاءً ولَوْنًا ، ومَدْحهم وَتَعْظِيمهُمْ لَهَا نَظْمًا ونثْرًا كَثِيرٌ جدًّا ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا تَنْفِيذُ ذَلِك مِنْ وُلَاةِ الْأَمْرِ ، ولَيْسَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الْعُلَمَاءِ.

-وَقَدْ يَكُونُ الْمَانِعُ مِنْ هَدْمِهَا دِرْءً لِلفِتْنَة ، وَخَشْيَةً مِنْ أنْ تَحْدُثَ فَوْضَى بَيْنَ عَامَّة النَّاس وَجَهَلَتِهِمْ ، ولِلأسَف فَإنَّ هؤلَاءِ الْعَامَّةَ لَمْ يَصِلُوا إلَى مَا وَصَلُوا إلَيْه مِنْ تَعْظِيمِ تِلْكَ الْقُبَّةِ إلَّا بِقِيَادَة عُلَمَاءِ الضَّلَالَة وأئمَّة الْبِدْعَة ، وَهَؤلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُهَيِّجُونَ الْعَامَّةَ عَلَى بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَعَلَى عَقِيدَتِهَا ، وَعَلَى مَنْهَجِهَا.

-وَبِكُلِّ حَالٍ : فَالْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ وَاضِحٌ بَيِّنٌ ، وعَدَمُ هدْمِهَا لَا يَعْنِي أَنَّهَا جَائِزَةُ الْبِنَاءِ لَا هِيَ وَلَا غَيْرُهَا عَلَى أيِّ قَبْرٍ كَانَ.

•اللَّهُمَّ اهْدِنَا واهْدِ بِنَا،وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا،وَاجْعَلْنَا سَبَبًا لِمَنِ اهْتَدَى،وآتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة(٢١)

الْبَدْرُ التَّمَامُ فِي بَيَانِ أهَمِّيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الإِسْلامِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحمْدُ لله الْواحد الْأحَد، الْفرْد الصمَد، الَّذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يولَدْ ولَمْ يكُنْ لَهُ كُفُواً أحَد،

الْبَدْرُ التَّمَامُ فِي بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الْإِسلَامِ }

الْحَمْدُ لِلَّه جَاعِلِ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ، رَافِعِ السَّمَاوَاتِ فَلا يُرَى بِهَا فُطُور، وبَاسِطِ الْأَرْضِ وممْسكِهَا أَنْ تَمُور، خَلَقَ الْإِنْس والْجِنَّ وربَّاهمْ بنعمه،{ يخْلُقُ ما يشَاء يهَبُ لمنْ يشَاءُ إنَاثًا ويهَبُ لمن يشَاءُ الذُّكُور(٤٩) أَو يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ويجعَلُ من يشاءُ عقيماً إنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ صلَاحُ عِبَادِهِ وإِلَيهِ الْـمَصِير، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِير، والسِّرَاجُ الْمُنِيرُ، صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ إِلَى يَوْمِ النُّشُور.

أَمّا بعْدُ:

•فَالأَبْنَاءُ هُمْ عِمَادُ ظُهُورِنَا، وثَمَرُ قُلُوبِنَا،وقُرَّةُ عُيُونِنَا،بهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا،وهُمُ الْخَلَفُ منَّا لمَنْ بَعْدَنَا،فوجب أَنْ نَكُونَ لَهُمْ أَرْضاً ذَلِيلَةً، وسَمَاءً ظَلِيلَةً، إِنْ سَأَلُونَا أَعطَيْنَاهُمْ،وإِنْ غَضبُوا أَرْضَيْنَاهُمْ،إِنْ أَحسَنَّا إِلَيهِمْ منَحُونَا وُدَّهُمْ وأَحبُّونَا جُهْدَهُمْ،وهُمْ هبَةٌ من اللَّه تَعَالَى الْقَائل:{ لِّلَّه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُور(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }.(الشُّورى:٤٩-٥٠).

أيْ: لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ومَا فيهمَا، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من الْخَلْق، يهَبُ لمَنْ يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إناثًا لَا ذُكُورَ معَهنَّ، ويهَبُ لمنْ يشَاءُ الذُّكُورَ لَا إنَاثَ معَهمْ، ويُعْطِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ النَّاسِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، ويَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً لَا يُولَدُ لَهُ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَخْلُقُ، قَدِيرٌ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيءٌ أَرَادَ خَلْقَهُ.

-وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَوْلَادَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَالَ تَعَالَى:

{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا }.(الكهف:٤٦).أيْ: الْأَموَالُ وَالْأَوْلَادُ جَمَالٌ وقُوَّةٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَة، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ -وَبِخَاصَّةٍ التَّسبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ- أَفْضَلُ أَجْرًا عِنْدَ رَبِّكَ من

الْمَالِ وَالْبَنِين، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ أَفْضَلُ مَا يَرْجُو الْإِنْسَانُ مِنَ الثَّوَابِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَيَنَالَ بِهَا فِي الْآخِرَةِ مَا كَانَ يَأْمُلُهُ فِي الدُّنْيَا.

•وَلَمَّا كَانَتِ الطُّفُولَةُ مِنْ أَهَمِّ مَرَاحِلِ الْإِنْسَانِ ، وَتَتَمَيَّزُ بِخَصَائِص وَصِفَاتٍ وَاسْتِعْدَادَات،فَهِيَ أَسَاسُ مَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَرَاحِلِ،فَهِيَ مَرْحَلَةُ التَّكْوِينِ وَالتَّأْهِيلِ ،تَتَفَتَّقُ فِيهَا الْمَلَكَاتُ،

وَتَبْرُزُ فِيهَا الْمُؤَهِّلَاتُ،وَتَنْمُو الْمَدَارِكُ،وَيَتَجَاوَبُ فِيهَا الطِّفْلُ مَعَ الْبِيئَةِ الْمُحِيطَةِ سَلْبًا وَإِيجَابًا،وَتَتَجَدَّدُ نَزَعَاتُهُ نَحْوَ الْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ،فَقَدْ عَنِيَ الْإِسْلَامُ عِنَايَةً كَبِيرَةً بِمَرْحَلَةِ الطُّفُولَةِ مِنْ أَجْلِ إِعْدَادِ الْجِيلِ الصَّالِحِ،لِذَا صَنَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ وَعَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{ الْبَدْرِ التَّمَامِ فِي بَيَانِ أَهَمِّيَّةِ الطُّفُولَةِ فِي الْإِسْلَامِ } لِأُوَضِّحَ فِيهَا عِنَايَةَ الْإِسْلَامِ بِالطِّفْلِ،هَذَا وَقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا: عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِتَرْبِيَةِ الطِّفْلِ:

-لَقَدِ اهْتَمَّ الْإِسْلَامُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِتَرْبِيَةِ الطِّفْلِ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ وَأَثْنَاءَ الْحَمْلِ بِهِ وَبَعْدَ أَنْ يُولَدَ،وَأَخَذَ هَذَا الِاهْتِمَامُ عِدَّةَ صُوَرٍ مِنْهَا:

(١) حُسْنُ اخْتِيَارِ الزَّوْجَيْنِ:

-مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الزَّوَاجَ شَعِيرَةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَسُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ،نَعَمْ شَعِيرَةٌ رَبَّانِيَّةٌ فَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ الْكَوْنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ فَقَالَ تَعَالَى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }.(الروم:٢١).

-يَقُولُ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرِ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ وَمِنْ آيَاتِهِ } الدَّالَّةُ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ وَحِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ، { أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } تُنَاسِبُكُمْ وَتُنَاسِبُونَهُنَّ وَتُشَاكِلُكُمْ وَتُشَاكِلُونَهُنَّ { لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } بِمَا رَتَّبَ عَلَى الزَّوَاجِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،فَحَصَلَ بِالزَّوْجَةِ الِاسْتِمْتَاعُ وَاللَّذَّةُ وَالْمَنْفَعَةُ بِوُجُودِ الْأَوْلَادِ وَتَرْبِيَتِهِمْ، وَالسُّكُونِ إِلَيْهَا، فَلَا تَجِدُ بَيْنَ أَحَدٍ فِي الْغَالِبِ مِثْلَ مَا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ،

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } يُعْمِلُونَ أَفْكَارَهُمْ وَيَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَنْتَقِلُونَ مِنْ شَيءٍ إِلَى شَيءٍ}.

•وَالزَّوَاجُ سُنَّةٌ نَبَوِيَّةٌ فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٧٧٦)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–قَالَ:

{جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي}.

•مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى الزَّوَاجِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَقَاصِدَ عَظِيمَةٍ مِنْهَا:غَضُّ الْبَصَرِ ،وَحِفْظُ الْفَرْجِ،وَإِنْجَابُ الذُّرِّيَّةِ الَّتِي تُوَحِّدُ رَبَّ الْبَرِيَّةِ.

–فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٥٧٦) مِنْ حَدِيثِ عَلْقَمَةَ ، قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بِمِنًى ، فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ ، فَقَامَ مَعَهُ يُحَدِّثُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَلَا نُزَوِّجُكَ جَارِيَةً شَابَّةً ، لَعَلَّهَا تُذَكِّرُكَ بَعْضَ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِكَ ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ ، لَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:{يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ،فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ،وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ،وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ }

•وَوَضَعَ الْإِسْلَامُ عِدَّةَ ضَوَابِطَ لِلاخْتِيَارِ كَيْ تَسْتَقِرَّ الْأُسْرَةُ،فَأَوْصَى بِحُسْنِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٤٨١٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–،عَنِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ :{تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ}.

•وَأَمَرَ وَلِيَّ الزَّوْجَةِ بِتَزْوِيجِ صَاحِبِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٠٨٤)مِنْ حَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–قَالَ قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إذَا خطَبَ إلَيْكمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وفَسَادٌ عَرِيضٌ}.وَإنْ كَانَ فِي سَنَد الْحَدِيث مَقَالٌ لَكنَّهُ صَحِيحُ الْمَعْنَى،ولا يخفى أنَّ الحديث قيَّده بالدِّين والخُلُق؛ لأنَّ صَاحِبَ الدِّينِ وَالْخُلُق إنْ عَاشَرَهَا عَاشَرَهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَإنْ سَرَّحَهَا سَرَّحَهَا بِإحْسَانٍ عَلَى مَا أشَارَتْ إلَيْهِ الآيَاتُ.

–ولهذا حِينَ قِيلَ للحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–:{إنَّ لِي بِنْتًا، فَمَنْ تَرَى أنْ أُزَوِّجَهَا لَهُ؟ فَقَالَ:زَوِّجْهَا لِمَنْ يَتَّقِي اللهَ؛ فَإِنْ أَحَبَّهَا أَكْرَمَهَا، وإِنْ أَبْغَضَهَا لَمْ يَظْلِمْهَا}.(انظُرْ:كتاب"العيال"لابن أبي الدُّنْيا: ٢٧٣/١).

–فَاخْتِيَارُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِ الطِّفْلِ عَلَى أبِيهِ قَبْلَ أنْ يُولَدَ الطِّفْلُ حِرْصًا عَلَى حُسْنِ تَرْبِيَتِه.

–{جَاءَ رَجُلٌ إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– يَشْكُو إلَيْهِ عُقُوقَ وَلَدِه، فَأمَرَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–بِإحْضَارِ الْوَلَدِ، وَأنَّبَ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–الْوَلَدَ لِعُقُوقِهِ لأبِيهِ،فَقَالَ الْوَلَدُ:يَا أمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ألَيْسَ لِلوَلَدِ حُقُوقٌ عَلَى أبِيهِ؟! قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هِيَ يَا أمِيرَ الْمُؤمنِينَ؟ قَالَ عُمَرُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–: أنْ يَنْتَقِيَ أُمَّهُ، وَيُحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمَهُ الْكِتَابَ ــ أي:الْقُرْآن ــ، قَالَ الْوَلَدُ: يَا أمِيرَ الْمُؤمِنِينَ، إنَّ أبِي لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ؛ أمَّا أمِّي فَإنَّهَا زِنْجِيَّةٌ كَانَتْ لِمَجُوسِيٍّ، وَقَدْ سَمَّانِي جُعْلًا–أي:خُنْفُسَاء–، وَلَمْ يُعَلِّمْنِي مِنَ الْكِتَابِ حَرْفًا وَاحِدًا، فَالْتَفَتَ عُمَرُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– إلَى الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ: جِئْتَ تَشْكُو عُقُوقَ ابْنِكَ وَقَدْ عَقَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَعُقَّكَ، وَأسَأتَ إلَيْهِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُسِيءَ إلَيْكَ}. (انظُرْ:موسوعة الدِّفاع عن رسول اللَّهِ–صلّى الله عليه وسلّم –:١٨٤/٤ ل علي بن نايف الشَّحود).

(٢) النَّفَقَةُ عَلَى الزَّوْجَةِ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّب:

–لَقَدْ أمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَابِ الْكَسْبِ وَالسَّعْيِ بِالْحَلَالِ الطَّيِّبِ لأنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا،جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ،فَأمَرَ سُبْحَانَهُ بِالسَّعْيِ عَلَى طَلَبِ الْأرْزَاقِ فَقَالَ تَعَالَى:{هُوَ

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ}.(الملك:١٥).

أي: هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْأَرْضَ وَذَلَّلَهَا، لِتُدْرِكُوا مِنْهَا كُلَّ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ حَاجَتُكُم،مِنْ غَرْسٍ وَبِنَاءٍ وَحَرْثٍ، وَطُرُقٍ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْأَقْطَارِ النَّائِيَةِ وَالْبُلْدَانِ الشَّاسِعَةِ، { فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا } أيْ: لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَكَاسِبِ.

{ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } أيْ: بَعْدَ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ امْتِحَانًا، وَبُلْغَةً يُتَبَلَّغُ بِهَا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، تُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَتُحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ، لِيُجَازِيَكُمْ بِأَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ.وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}.(الجمعة:٩-١٠).،

فَقَوْلُهُ:{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ } أي:لِطَلَبِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ ، وَلَمَّا كَانَ الاشْتِغَالُ فِي التِّجَارَةِ، مَظَنَّةَ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِكْثَارِ مِنْ ذِكْرِهِ، فَقَالَ: { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا } أيْ: فِي حَالِ قِيَامِكُمْ وَقُعُودِكُمْ وَعَلَى جُنُوبِكُمْ،{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فَإِنَّ الْإِكْثَارَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ.

،وَعَطَفَ السَّعْيَ عَلَى طَلَبِ الْأَرْزَاقِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ سُبْحَانَهُ لِبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى:{إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ}.(المزَّمِّل:٢٠).

،فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } أيْ: وَعَلِمَ أَنَّ مِنْكُمْ مُسَافِرِينَ يُسَافِرُونَ لِلتِّجَارَةِ، لِيَسْتَغْنَوْا عَنِ الْخَلْقِ، وَيَتَكَفَّفُوا عَنِ النَّاسِ أيْ:

فَالْمُسَافِرُ، حَالُهُ تُنَاسِبُ التَّخْفِيفَ، وَلِهَذَا خَفَّفَ عَنْهُ فِي صَلَاةِ الْفَرْضِ، فَأُبِيحَ لَهُ جَمْعُ الصَّلَاتَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَقَصْرُ الصَّلَاةِ الرُّبَاعِيَّةِ.وكَذَلِكَ { آخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } فَذَكَرَ تَعَالَى تَخْفِيفَيْنِ، تَخْفِيفًا لِلصَّحِيحِ الْمُقِيمِ، يُرَاعِي فِيهِ نَشَاطُهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُكَلَّفَ عَلَيْهِ تَحْرِيرَ الْوَقْتِ،بَلْ يَتَحَرَّى الصَّلَاةَ الْفَاضِلَةَ،وَهِيَ ثُلُثُ اللَّيْلِ بَعْدَ نِصْفِهِ الْأَوَّلِ.وَتَخْفِيفًا لِلْمَرِيضِ أَوِ الْمُسَافِرِ، سَوَاءٌ كَانَ سَفَرُهُ لِلتِّجَارَةِ، أَوْ لِعِبَادَةٍ، مِنْ قِتَالٍ أَوْ جِهَادٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ أَيْضًا يُرَاعِي مَا لَا يُكَلِّفُهُ،فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ، الَّذِي مَا جَعَلَ عَلَى الْأُمَّةِ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، بَلْ سَهَّلَ شَرْعَهُ، وَرَاعَى أَحْوَالَ عِبَادِهِ وَمَصَالِحَ دِينِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

•وَأَمَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ مِنْ أَكْلِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ فَقَالَ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}.(المؤمنون:٥١).،أيْ:يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ طَيِّبِ الرِّزْقِ الْحَلَالِ، وَاعْمَلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ. وَالْخِطَابُ فِي الْآيَةِ عَامٌّ لِلرُّسُلِ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَأَتْبَاعِهِمْ، وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَكْلَ الْحَلَالِ عَوْنٌ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ الْحَرَامِ وَخِيمَةٌ، وَمِنْهَا رَدُّ الدُّعَاءِ.وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.(البقرة:١٧٢).،فَهَذَا أَمْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً،بَعْدَ الْأَمْرِ الْعَامِّ،وَذَلِكَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمُنْتَفِعُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، وَالشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَى إِنْعَامِهِ، بِاسْتِعْمَالِهَا بِطَاعَتِهِ، وَالتَّقَوِّي بِهَا عَلَى مَا يُوصِلُ إِلَيْهِ، فَأَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فِي قَوْلِهِ { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا }

فَالشُّكْرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ،وَهُنَا لَمْ يَقُلْ {حَلَالًا } لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ خَالِصَةً مِنَ التَّبِعَةِ، وَلِأَنَّ إِيمَانَهُ يَحْجِزُهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَيْسَ لَهُ.

وَقَوْلُهُ { إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } أَيْ:

فَاشْكُرُوهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، لَمْ يَعْبُدْهُ وَحْدَهُ، كَمَا أَنَّ مَنْ شَكَرَهُ، فَقَدْ عَبَدَهُ، وَأَتَى بِمَا أَمَرَ بِهِ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ أَكْلَ الطَّيِّبِ، سَبَبٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ وَقَبُولِهِ،

وَالْأمرُ بِالشُّكرِ، عقِيب النِّعمِ؛ لأنَّ الشُّكرَ يحفَظُ النعمِ الموجُودةَ، ويجلِبُ النِّعمَ المفقُودةَ كمَا أنَّ الْكفرَ، يُنفِّرُ النِّعمَ الْمفقُودةَ ويزِيلُ النِّعمَ الموجُودةَ.

•وحذَّرَ سبحانَهُ من أكلِ الْحرامِ وبيَّنَ شؤمَهُ وعاقِبَتَه الْوخِيمةَ، فأكْلُ الْحرامِ نِقْمَةٌ شديدَةُ الْوطْأةِ علَى الْعبْدِ في الدُّنْيا والْآخرة.

-فقَدْ أخْرَجَ الْإمامُ مُسْلِمٌ-رحمه اللَّه تعالَى-في صَحيحه برقَمِ(١٠١٥) منْ حديث أبي هُرَيْرَةَ-رضي اللَّهُ تعالَى عنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ-قَالَ:{أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طيِّبٌ لَا يَقبَلُ إلَّا طيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ الْمُؤْمِنينَ بمَا أمَرَ به الْمُرْسَلينَ، فَقَالَ: {يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إنِّي بمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}.(المؤمنون:٥١)،وقالَ:{يَا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُلُوا منْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}.(البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يمُدُّ يَدَيْه إلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حرامٌ، ومَشْرَبُهُ حرامٌ، ومَلْبَسُهُ حرامٌ،وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ،فأنَّى يُسْتَجَابُ لذلكَ؟!}.

-فَمِنْ حقِّ الطِّفْلِ علَى أبيه حالَ حمْلِ أمِّه بِه أنْ يُنْفِقَ عَلَى أمِّهِ منَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ فأيُّمَا لَحْمٍ نبتَ منْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أوْلَى بِهِ.

-جاءَ في صَحيحِ الْجَامعِ برقَمِ(٤٥١٩) منْ حَديثِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجْمَعينَ-:أنَّ رسُولَ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ-قَالَ:

{ كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ منْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أولَى بِهِ }.

(٣)سُنَنٌ وَآدابٌ أثْنَاءَ الْحمْلِ وبعْدَ الْوضْعِ:

-فَإذَا قُدِّرَ الْوَلَدُ فَعَلَى الْأُمِّ الاهتمَامُ بِالْهُدُوءِ وتَجَنُّبُ الْغضَبِ والْعَصَبِيَّةِ،وَالْإكْثارُ منْ تلَاوةِ الْقُرْآنِ وذِكْرِ الله فهَذَا يُسهِمُ إسْهَاماً كَبيراً في تَهْيِئَةِ الْجَنِينِ وَإعْدَاده إيمَانيًّا دَاخلَ الرَّحمِ،فإذَا يسَّرَ الله لَهُ سبيلَ الْخُرُوجِ كانَتْ أُولَى الْكلِمَاتِ الَّتي تَطْرُقُ سمْعَهُ كلِمَاتِ الْآذَانِ تثْبِيتاً للفطْرَةِ السَّلِيمَةِ.

-أمَّا الْأذَانُ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ فَقَدْ أخْرَجَ أَبُو دَاوُد برقَمِ(٥١٠٥) ،وَالتِّرْمذيُّ برقَمِ(١٥١٤)،وَالْحَاكِمُ وصحَّحَاهُ، عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ:{ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ- صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْه

فَاطِمَةُ }.(قال الحافظ في "التَّلخيص" :٤/ ١٤٩: ومداره على عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف).

-وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثَانِ:

- أَحَدُهُمَا: مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الشُّعَبِ) بِرَقَمِ(٨٦٢٠)بِسَنَدٍ فيه ضَعْفٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-:{ أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى }.

- وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: مَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضاً فِي الشُّعَبِ(٨٦١٩) بِسَنَدٍ فيه ضَعْفٌ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:{ مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى، رُفِعَتْ عَنْهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ }.

-وَعَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ اعْتَمَدَ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ- فِي (تُحفَةِ الْمَوْدُودِ فِي أَحْكَامِ الْمَوْلُودِ)، وَتَرْجَمَهَا بِاسْتِحْبَابِ التَّأْذِينِ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ، وَالْإِقَامَةِ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى. .
ثُمَّ أَبْدَى ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ- الْحِكْمَةَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ:{ سِرُّ التَّأْذِينِ -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يَقْرَعُ سَمْعَ الْإِنْسَانِ كَلِمَاتُهُ -أَيْ: الْأَذَانُ- الْمُتَضَمِّنَةُ لِكِبْرِيَاءِ الرَّبِّ، وَعَظَمَتِهِ، وَالشَّهَادَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ ذَلِكَ كَالتَّلْقِينِ لَهُ شِعَارَ الْإِسْلَامِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا يُلَقَّنُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا. وَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ وُصُولُ التَّأْذِينِ إِلَى قَلْبِهِ، وَتَأَثُّرِهِ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ - مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَائِدَةٍ أُخْرَى: وَهِيَ هُرُوبُ الشَّيْطَانِ مِنْ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ، وَهُوَ كَانَ يَرْصُدُهُ حَتَّى يُولَدَ، فَيُقَارِنُهُ الْمُدَّةَ الَّتِي قَدَّرَهَا اللهُ وَشَاءَهَا، فَيَسْمَعُ شَيْطَانُهُ مَا يُضْعِفُهُ، وَيُغِيظُهُ أَوَّلَ أَوْقَاتِ تَعَلُّقِهِ بِهِ - وَفِيهِ مَعْنَى آخَرُ: وَهُوَ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ إِلَى اللهِ، وَإِلَى دِينِهِ الْإِسْلَامِ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ سَابِقَةً عَلَى دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، كَمَا كَانَتْ فِطْرَةُ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا سَابِقَةً عَلَى تَغْيِيرِ الشَّيْطَانِ لَهَا، وَنَقْلِهِ عَنْهَا، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْحِكَمِ }.أ.هـ، (انْظُرْ:تُحفَةُ الْمَوْدُودِ بِأَحْكَامِ الْمَوْلُودِ ص:١٧).

-هَذَا وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ التَّأْذِينُ وَلَا الْإِقَامَةُ فِي أُذُنِ الْمَوْلُودِ لِعَدَمِ ثُبُوتِ الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ وَقَدْ حَكَمَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-عَلَى أَحَادِيثِ الْأَذَانِ فِي

الْيُمنَى وَالْإقَامَةِ فِي الْيُسرَى بِالْوَضْعِ،وَالْعِلْمُ عِنْدَ الله.(انظرْ: إرواء الغليل:٤/ ٤٠١ رقم:١١٧٤ والسِّلسلة الضَّعيف:٤٩١/١ رقم:٣٢١ كلاهما للألبانيِّ).

-وَيُسنُّ الدُّعَاءُ للطِّفْلِ بِالْبَرَكَةِ وتَحْنِيكُهُ،لِمَا أَخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحمَهُ اللهُ-في صَحِيحِه-كِتَابُ الطَّهَارَةِ برَقَم(٢٨٦)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمنينَ عَائشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:{ أنَّهُ كَانَ يُؤتَى إلَيْهِ بِالصِّبْيَانِ فيَدْعُو لَهُمْ بِالبَرَكَةِ ويُحنِّكُهُمْ }.

- قَالَ الْحَافظُ ابْنُ حجرٍ-رَحمه اللهُ- فِي فَتْحِ الْبَارِي :٩ /٥٨٨ :{ وَالتَّحْنيكُ مَضْغُ الشَّيْءِ ووَضْعُهُ فِي فَمِ الصَّبِيِّ ودَلْكُ حنَكِه بِه ، يُصْنَعُ ذَلكَ بِالصَّبِيِّ لِيَتَمَرَّنَ عَلَى الْأَكْلِ ، ويَقْوَى عَلَيْهِ ، ويَنْبَغِي عِنْدَ التَّحْنِيكِ أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ حَتَّى يَنْزِلَ جَوْفَهُ ، وَأَوْلَاه التَّمْرُ ، فَإنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ تَمْرٌ فَرُطَبٌ ، وَإلَّا فَشَيْءٌ حُلْوٌ ،وعَسَلُ النَّحْلِ أَوْلَي مِنْ غَيْرِه }انْتَهَى.

-وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي تَحْنِكِ الْمَوْلُودِ مِنْهَا:

-مَا أَخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحمَهُ اللهُ-في صَحِيحِه برَقَمِ (٣٦١٩) عَنْ أَسْمَاءَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:{ أَنَّهَا وَلَدَتْ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ فَأَتَتْ بِه النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَوَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهِ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ } .

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-أَيْضاً-بِرَقَمِ (٥٠٤٥) عَنْ أَبِي مُوسَى -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ :{ وُلِدَ لِي غُلَامٌ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَسَمَّاهُ إبْرَاهِيمَ فَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ }.

-وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْرِصَ الْأَبَوَانِ عَلَى الْعَقِيقَةِ عَنِ الطِّفْلِ فِي يَوْمِه السَّابِعِ،وَالْعَقِيقَةُ : هِيَ الذَّبِيحَةُ الَّتِي تُذْبَحُ عَنِ الْمَوْلُودِ فِي الْيَومِ السَّابِعِ مِنْ مَوْلِدِه ، وقَدْ كَانَتِ الْعَقِيقَةُ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ :{ فَأَمَّا الْعَقِيقَةُ فَهِيَ شَاةٌ تُذْبَحُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ كَانَتْ الْعَرَبُ عَلَيْهَا قَبْلَ الْإسْلَامِ }.(الحاوي الكبير :١٥ / ١٢٦) .

-وَقَدْ ثَبَتَتْ مَشْرُوعِيَّةُ الْعَقِيقَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَمِنْهَا :

-مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدُ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٨٤٣)مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ :{ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَةِ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِنَا غُلَامٌ ذَبَحَ شَاةً وَلَطَّخَ رَأْسَهُ بِدَمِهَا ، فَلَمَّا جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ كُنَّا نَذْبَحُ شَاةً وَنَحْلِقُ رَأْسَهُ وَنُلَطِّخُهُ بِزَعْفَرَانٍ }.(وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي :صَحِيحِ أَبِي دَاوُد) .، وَالزَّعْفَرَانُ : نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ .

-وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (٥١٥٤)مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ :{ مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَةٌ ، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَماً ، وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى }.

-وَيُشْرَعُ ذَبْحُ شَاتَيْنِ عَنِ الْمَوْلُودِ الذَّكَرِ ، وَشَاةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْأُنْثَى ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ ، وَمِنْهَا :

-مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقَمِ(١٥١٦)وَالنَّسَائِيُّ بِرَقَمِ(٤٢١)عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْخُزَاعِيَّةِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْعَقِيقَةِ فَقَالَ :{ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ ، وَعَنِ الْأُنْثَى وَاحِدَةٌ ، لَا يَضُرُّكُمْ ذُكْرَاناً أَمْ إِنَاثاً } .(وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي:إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ :٤/ ٣٩١) .

-وَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقَمِ(١٥١٣) وَقَالَ:حَسَنٌ صَحِيحٌ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-أَنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ أَمَرَهُمْ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ }.(وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ) .

-وَلِلعَقِيقَةِ فَوَائِدٌ ذَكَرَ بَعْضَهَا الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ-فَقَالَ:{ وَمِنْ فَوَائِدِ الْعَقِيقَةِ : أَنَّهَا قُرْبَانٌ يُقَرَّبُ بِهِ عَنِ الْمَوْلُودِ فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِ خُرُوجِهِ إِلَى الدُّنْيَا.وَمِنْ فَوَائِدِهَا : أَنَّهَا تَفُكُّ رِهَانَ الْمَوْلُودِ ، فَإِنَّهُ مُرْتَهِنٌ بِعَقِيقَتِهِ حَتَّى يَشْفَعَ لِوَالِدَيْهِ وَمِنْ فَوَائِدِهَا : أَنَّهَا فِدْيَةٌ يُفْدَى بِهَا الْمَوْلُودُ كَمَا فَدَى اللهُ سُبْحَانَهُ إِسْمَاعِيلَ بِالْكَبْشِ }. انْتَهَى .(انْظُرْ:تُحْفَةَ الْمَوْدُودِ:ص :٦٩) .

-وَأَفْضَلُ تَوْقِيتٍ لِلعَقِيقَةِ يَوْمُ السَّابِعِ مِنَ الْوِلَادَةِ،لِقَوْلِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ وَيُسَمَّى }.(رَوَاهُ أَبُو دَاوُد: ٢٨٣٨ وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُد).

-وَلَوْ تَأَخَّرَتْ عَنِ السَّابِعِ فَلَا حَرَجَ ، وَتُذْبَحُ مَتَى اسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً .

-ويُسْتَحبُّ حَلْقُ رأسِ الْمولُودِ الذَّكَرِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وإِزَالَةُ الْأذَى عَنْهُ وتَسْمِيَتُه اسْماً حَسَناً لِلأَحَادِيثِ السَّابِقَة.

(٤) وَصَايَا قُرْآنيَّة فِي تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ:

-فَهذَا لُقْمَانُ الْحَكِيمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي امْتَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْه بِالْحِكْمَة يُقَدِّمُ وَصَايَا ذَهَبِيَّةً تضمَّنتْ فوَائِدَ عظِيمةً،وتَوْجِيهَاتٍ كَرِيمةً،ولَفَتَاتٍ مُبَارَكَةً ،ونَهْجًا سَدِيدًا فِي الدَّعْوَة إِلَى الله وتَرْبِيَةِ الأَبْنَاء وتَنْشِئَة الأجْيَالِ ، وفِيهَا بيَانٌ للوَسَائِلِ النَّاجحَة والْأسَالِيب النَّاجِعَة فِي الدَّعْوَة إِلَى الله تَبَارَكَ وتَعَالَى وتَعْلِيمِ النَاسِ الْخَيْر،وإضَافَةً إِلَى مَا فِي هَذه الْوَصَايَا منْ عِلْمٍ نَافِعٍ ودَعْوَةٍ مُؤَصَّلَة فَإِنَّ فِيهَا الأسْلُوبَ الْحَكِيمَ لِجَلْبِ الْقُلُوبِ،وشَدِّ الأذْهَانِ،والتَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ ، وحُسْنِ الْموْعِظَة ،وحُسْنِ الدُّخُولِ عَلَى النَّاسِ فِي بَيَانِ الْخَيْرِ لَهُمْ ودَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ الله تَبَارَكَ وتَعَالَى.

-والدَّعْوَةُ كَمَا أنَّهَا عِلْمٌ يُدْعَى إِلَيْه وعَمَلٌ يُرْشَدُ إِلَيْه فَإِنَّهَا فِي الْوَقْت نَفْسه تَحْتَاجُ إِلَى حِكْمَةٍ ووَسَائِلَ نَافِعَة وأسَالِيبَ مُؤَثِّرَة حَتَّى يَكُونَ لَهَا بِذَلِكَ الدُّخُولُ إِلَى قُلُوب النَّاس، والله جَلَّ وعَلَا آتَى عبدَهُ لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ وقَذَفَ فِي قَلْبِه الْحِكْمَةَ، وجَعَلَ كَلَامَهُ ووَعْظَهُ وتَعْلِيمَهُ وإِرْشَادَهُ حِكْمَةً ؛ وهَذَا كُلُّهُ يَقْتَضِي منَّا حُسْنَ تَدَبُّرٍ وتَعَقُّلٍ ومُدَارَسَةً لِهَذه الْوَصَايَا الَّتِي أشَادَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِه الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وسَأَذْكُرُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَقِفُ مَعَ بَعْضِ فَوائدها:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ

مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ (١٨) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ}.(لُقْمان:١٢-١٩).

-وَإِلَيْكُمْ جُمْلَةٌ مِنَ الْفَوَائِدِ الْإِيمَانيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ مِنْ خِلَالِ وَصَايَا لُقْمَانَ لابْنِهِ وَمِنْهَا:

(أ)اهَمَيَّةُ أُسْلُوبِ الْوَعْظِ فِي التَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيمِ:

وانْظُرْ إِلَى قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ } ؛أُسْلُوبُ الْوَعْظِ لَهُ أَثَرٌ بَالِغٌ فِي تَرْبِيَةِ النَّاسِ وتَعْلِيمِ النَّشْءِ؛و(الْوَعْظُ)مَا هُوَ؟ قَالَ الْعُلَمَاءُ : أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ الَّذِي يُوَجَّهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيُرْشَدُونَ إِلَى فِعْلِهِ مَقْرُوناً بالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ، تَذْكُرُ الْفَائِدَةَ مَعَ الْمُرَغِّبَاتِ ،تَذْكُرُ الْأَمرَ بالْخَيْرِ مَعَ الْمُرَغِّبَاتِ ، تَذْكُرُ النَّهْيَ عَنِ الشَّرِّ مَعَ الْمُرَهِّبَاتِ؛فَالْوَعْظُ هُوَ أَمْرٌ بِالْخَيْرِ ونَهْيٌ عَنِ الشَّرِّ مَعَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ؛وَالتَّرْغِيبُ يَكُونُ بِذِكْرِ الْفَوَائِدِ وَذِكْرِ الثِّمَارِ وذِكْرِ الْآثَارِ الَّتِي يَنَالُهَا الْعَبْدُ إِذَا فَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي رُغِّبَ فِيهِ، وَأَيْضاً عِنْدَ النَّهْيِ يَكُونُ كَذَلِكَ يَذْكُرُ الْأَخْطَارَ وَالْأَضْرَارَ الَّتِي يُحَصِّلُهَا مَنْ وَقَعَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ.

-(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ)؛يَعْنِي لَمْ يَأْتِ بِالْكَلَامِ مَعَ ابْنِهِ جَافاً ،وَلَمْ يَأْتِ بِهِ بِدُونِ أَنْ يَصْحَبَهُ بِتَرْغِيبٍ وتَرْهِيبٍ؛ وَإِنَّمَا جَاءَ بِتَرْغِيبٍ نَافِعٍ وَذِكْرٍ لِأُمُورٍ تُشَجِّعُ الْمَدْعُوَّ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا دُعِيَ إِلَيْهِ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهٍ وأَكْمَلِ حَالٍ .

(ب)وَمِنْهَا:أَهَمِّيَّةُ حُسْنِ التَّوَدُّدِ وَعَظِيمِ أَثَرِهِ عَلَى الْمُتَلَقِّي وَالْمُتَعَلِّمِ:

-أَنْتَ عِنْدَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعِظَ إِنْسَاناً وتَنْصَحَهُ يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَدَّدَ إِلَيْهِ، مَا مَعْنَى تَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ؟ يَعْنِي أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْعِبَارَاتِ اللَّطِيفَةِ وَالْكَلَامِ الْحُلْوِ الَّذِي يَجْعَلُ كَلَامَكَ يَدْخُلُ قَلْبَهُ ،وَأَيْضاً يَجْعَلُ قَلْبَهُ يَنْفَتِحُ لِكَلَامِكَ ، ولَاحِظْ لُقْمَانَ وهو يَعِظُ ابْنَهُ جَاءَ بِكَلَامٍ حُلْوٍ وأُسْلُوبٍ مُؤَثِّرٍ وكَلِمَاتٍ تَدْخُلُ إِلَى الْقَلْبِ، وانْظُرْ لُطْفَهُ فِي حَدِيثِهِ مَعَ ابْنِهِ فِي وَعْظِهِ،تَتَكَرَّرُ عِبَارَةُ(يَا بُنَيَّ!)(يا بُنَيَّ!)(يا بُنَيَّ!)، تَجِدُهَا تَتَكَرَّرُ مَعَكَ فِي السِّيَاقِ ؛ هَذِهِ لَهَا وَقْعٌ فِي قَلْبِ الْابْنِ وَلَهَا تَأْثِيرٌ وَهِيَ تَفْتَحُ قَلْبَهُ، انْظُرِ الْأَثَرَ الْمُبَارَكَ عِنْدَمَا يَكُونُ الْوَعْظُ مَعَ حُسْنِ تَوَدُّدٍ،وَعِنْدَمَا يَكُونُ الْوَعْظُ بَعِيداً عَنِ التَّوَدُّدِ ، مِثْلُ:لَوْ يَقُولُ قَائِلٌ وَهُوَ يَنْصَحُ أَوْ يَزْجُرُ أَوْ يَنْهَى:يَا وَلَدُ! ، أَوْ بَعْضُهُمْ عِنْدَمَا يُخَاطِبُ ابْنَهُ أَوْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْهَاهُ يَذْكُرُ

أَسْمَاءَ بَعْضِ الْحَيَوانَاتِ !! كَيفَ تُرِيدُ قَلْبَهُ يَنْفَتِحُ لِكَلَامِكَ وَأَنْتَ تَدْعُوهُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ !!

أَوْ يَصِفُهُ بِصِفَاتٍ تَجْعَلُ قَلْبَهُ يَنْغَلِقُ مِثْل أَنْ يَقُولَ لَهُ يَا أَخْرَسُ أَوْ مَثَلاً يَا أَعْمَى أَوْ مَثَلاً يَا غَبِيُّ ، وَيَصِفُهُ بِصِفَاتٍ تَجْعَلُ قَلْبَهُ يُغْلَقُ وَذِهْنَهُ يَتَبَلَّدُ؛ شَتَّانَ بَيْنَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبَيْنَ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْوَاعِظُ أُسْلُوبَ التَّوَدُّدِ (يَا بُنَيَّ!) تَأْتِي لَطِيفَةً بِحَنَانٍ وَأُبُوَّةٍ وَعَطْفٍ وَرَأْفَةٍ فَيَنْفَتِحُ الْقَلْبُ ، لَاحِظْ حُسْنَ التَّوَدُّدِ يَقُولُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ:{يَا مُعَاذُ! إِنِّي لَأُحِبُّكَ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ؛ قَالَ:أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ! لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ}.(رواه أبو داود:"١٥٢٢"وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي الأَذْكَار ص:١٠٣:إسناده صحيح).

الْوَصِيَةُ هِيَ:{لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ }وَالَّذِي قَبْلَهَا تَوَدُّدٌ وَتَلَطُّفٌ وَفَتْحٌ لِلقَلْبِ حَتَّى يُقْبِلَ عَلَى الْفَائِدَةِ وَتَنْفَتِحَ أَسَارِيرُ الْقَلْبِ وَيَتَهَيَّأَ لِلتَّحْصِيلِ ؛وَهَذَا التَّوَدُّدُ نَلْمَحُهُ كَثِيراً فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ نَذْكُرُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ:

(١)مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي صَحِيحِهِ-كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ-بَاب التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالْأَكْلِ بِالْيَمِينِ بِرَقَمِ(٥٠٦١)مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ :كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ}.فَانْظُرْ إِلَى تَوَدُّدِ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي قَوْلِهِ:{يَا غُلَامُ}!!

(٢)وَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (٢٥١٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-قَالَ:{كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَوْماً قَالَ:يَا غُلَامُ،إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ:احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ،احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ،وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ،وَإِنِ

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يضرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يضرُوكَ إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَه اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ}.

-فَهَذِه لَابُدَّ مِنْهَا فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَالدَّعْوَة إلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتَعْلِيمِ النَّاسِ الْخَيْرَ

(ج)وَمِنْهَا:أنَّ أَهَمَّ مَا يُرَبَّى عَلَيْهِ النَّشْءُ وَتُرَبَّى عَلَيْهِ الأَجْيَالُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْعَقِيدَةِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى التَّوحِيد وَالْبُعْدُ عَنِ الإِشْرَاك باللهِ تَبَارَك وَتَعَالَى:

فَإِنَّ هَذَا أَهَمُّ الْمُهِمَّات وأَعْظَمُ الْمَقَاصِد وأَجَلُّ الْغَايَات وَهُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْه الدِّين وَتُقَامُ عَلَيْه الْمِلَّةُ، ولِهَذَا بدَأَ أَوَّلَ مَا بدَأَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ فِي مَوْعِظَتِه لابْنِه بنَهْيِه عَنِ الإِشْرَاك بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا قَالَ:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّه إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.(لقمان:١٣).أيْ: بِكُلِّ صُوَرِه وجَمِيعِ أَنْوَاعِه فَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ شَرِيكاً فِي الْمُلْك وَالْخَلْق وَالرِّزْق وَالْإِنْعَام،وَلَا تَجْعلْ مع اللهِ شَرِيكاً فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ الْحُسْنَى وَصِفَاته الْعَظِيمَة، وَلَا تَجْعَلْ مع اللهِ شَرِيكاً فِي الْعِبَادَة الَّتِي خَلَقَكَ اللهُ لِأَجْلِهَا وَأَوجَدَك لِتَحْقِيقِهَا. وبيَّنَ لُقْمَانُ لابْنِه أَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ؛ فَهُوَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ وأَكْبَرُ الْجُرْمِ وَأَعْظَمُ الآثَام، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَشْنَعُ وَأَيُّ جُرْمٍ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُصْرَفَ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ وَالرَّبِّ الْجَلِيل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!!.

(د)وَمِنْهَا:أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقَامُ الْأَبَوَيْنِ عَظِيماً وَمَنْزِلَتُهُمْ رَفِيعَةً أَوْصَى اللهُ جَلَّ وَعَلَا – فِي أَثْنَاءِ ذِكْرِه لِوَصِيَّةِ لُقْمَان–بِالْأَبَوَيْنِ بِرًّا وَإِحْسَاناًورِعَايَةً وَإِكْرَاماً:

فَقَالَ جلَّ مِنْ قَائِلٍ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(لقمان:١٤-١٥)؛ وَهِي وَصِيَّةٌ جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَة وَالْانْتِبَاه وَالتَّحْقِيق وَالتَّطْبِيق ،وَصِيَّةُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِالْوَالِدَيْن وَقَرَنَ حَقَّهُمَا بِحَقِّه سُبْحَانَهُ وَشُكْرَهُمَا بِشُكْرِه سُبْحَانَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الْمَكَانَة وكَبِيرِ الْمَسْؤولِيَّة.

-وَلْنَتَأَمَّلْ عَلَى وَجْه الْخُصُوصِ حَقَّ الْأُمِّ لِعِظَمِ تَعَبِهَا وَكِبَرِ نَصَبِهَا وَعِظَمِ جُهُودِهَا فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا وَلِهَذَا خُصَّتْ بِالذِّكْر، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ}؛ عَاشَت الْأُمُّ فِي تَرْبِيَةِ الْابْنِ أَتْعَاباً مُتَوَاصِلَةً وَأَوْجَاعاً مُتَلَاحِقَةً وَهُمُوماً

مُتَتَابِعَةً وَهناً عَلَى وَهْنٍ وضَعْفاً عَلَى ضعْفٍ وتَعَباً عَلَى تَعَبٍ، أُمُومَةٌ وَحَمْلٌ ورَضَاعَةٌ وَمُلَاحَظَةٌ ورِعَايَةٌ كُلُّ ذَلِكَ بذَلَتْه الْأُمُّ نحوَ ابْنِهَا ، ولِهَذَا إذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ بَاراً بِأُمِّهِ تَمَامَ الْبِرِّ فَعَلَيْهِ أَنْ يتذَكَّرَ جَمِيلَهَا السَّابِقَ وإِحْسَانَهَا الْمُتَلَاحِقَ، كَمْ قَدَّمَت الْأُمُّ لابْنِهَا مِنْ بِرٍّ وَإِحسانٍ ورِعَايَةٍ وإِكْرامٍ؛ حَمْلٍ ورَضَاعَةٍ، جِدٍّ واجْتِهَادٍ، سَهَرٍ وتَعَبٍ، حُبٍّ ورِعَايَةٍ، كُلُّ ذَلِكَ بذَلَتْهُ الْأُمُّ وَهِيَ مُحِبَّةٌ لوَلِيدِهَا مُشْفِقَةٌ عَلَيْهِ تَمَامَ الشَّفَقَةِ ، فَإِذَا رَعَى الْابْنُ ذَلِكَ ولَاحَظَهُ أَعَانَهُ ذَلِكَ عَلَى بِرِّهَا وَأَعَانَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا ولَا سِيَّمَا إذَا تَذَكَّرَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ سَيَقِفُ يَوْماً أَمَامَ اللهِ وأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسْأَلُهُ عَنْ قِيَامِهِ بِحُقُوقِ أَبَوَيْهِ، ولِهَذَا خَتَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ الآيَةَ بِقَوْلِهِ: {إِلَيَّ الْمَصِيرُ}؛ أَيْ إِلَى اللهِ جَلَّ وعَلَا الْمَرْجِعُ وَالْمَآلُ فَيُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

وَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الْابْنُ وَصِيَّةَ اللهِ هُنَا فِيمَا لَوْ كَانَ الْأَبَوَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا مُشْرِكاً –وَالْعِيَاذُ بِاللهِ – يَقُولُ اللهُ جَلَّ وعَلَا: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ} أَيْ أَبَوَاكَ{عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} وَمِثْلُ هَذَا مُجَاهَدَةُ الْأَبَوَيْنِ لِلابْنِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} وَلَمْ يَقُلْ عَزَّ وَجَلَّ فَعُقَّهُمَا {فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}؛ فَإِذَا كَانَتِ الْمُصَاحَبَةُ لِلْأَبَوَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ مُطَالَبٌ بِهَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْأَبَوَانِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ!! لَا شَكَّ أَنَّ الْمَقَامَ أَعْظَمُ وَالشَّأْنَ أَجَلُّ وَأَرْفَعُ.

–هَذَا وَقَدْ وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَحُثُّ عَلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٥٩٧١) وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ (٢٥٤٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:{أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ}.

–فَالْأُمُّ هِيَ مَحَلُّ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ، وَهِيَ رَمْزُ التَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ وَالطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ، وَهِيَ الْأَصْلُ الَّذِي يَشْرُفُ بِهِ الْوَلَدُ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِصُحْبَتِهِ،وَيَلِيهَا الْأَبُ فِي حَقِّ الْبِرِّ وَالصُّحْبَةِ .

-وَفي هذَا الْحَديث يَحْكي أبو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أنَّ رَجُلًا -وَهُوَ مُعَاوِيَةُ بْنُ حَيْدَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنه-؛ جَدُّ بَهْزِ بنِ حكيمٍ- سَأَلَ رَسُولَ اللَّه- صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ أَوْلَى النَّاس بالْإحْسَانِ إِلَيْه والْبِرِّ به في مُصَاحَبَتِه لَهُ؟ فَأَجَابَهُ النَّبيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأنَّ أَوْلَى النَّاس بحُسْنِ الْمُعَامَلَة وطيب الْمُعَاشَرَة هي الْأُمُّ، ثم سأَلَه: ثُمَّ من يَلِي الْأُمَّ في هذَا الْحقِّ؟ فأَجابَه بالْإجابَة نفْسها: أمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَال: أمُّكَ، وَهكَذَا أَوْصَاهُ بالْأُمِّ وأَكَّدَ حقَّهَا في حُسْنِ الْمُعَامَلَة ثَلَاثَ مرَّات؛ بيَانًا لفضْلها علَى سَائرِ الْأَقَاربِ دُونَ اسْتثْنَاء. ثُمَّ سَأَلهُ الرَّابِعَةَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَال: أَبُوكَ، فكَرَّرَ- صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حقَّ الْأُمِّ ثَلَاثًا، وذَكرَ حقَّ الْأب مرَّةً وَاحدَةً، ولَيْس ذَلك تَقْليلًا منْ حَقِّ الْأب، وإنَّمَا هُوَ تَأْكيدٌ علَى عظَمِ حقِّ الْأُمِّ؛ ولَعلَّ ذَلك لكَثْرَة أَفْضَالها علَى ولَدها، وكَثْرَة ما تَحمَّلَتْهُ منَ الْمَتَاعب الْجسْمِيَّة والنَّفْسيَّة أَثْنَاء حمْلها به، ووضْعها وإرْضَاعها لَهُ، وخدْمَتها وشفَقَتها علَيْه، وهذه الشَّفَقَة قدْ تُطْمِعُ ولَدَها فيتَهاوَنُ في برِّها؛ولذَا أكَّدَ رَسُولُ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- برَّ الْأُمِّ مرارًا.

(٢)وأَخرَجَ الشَّيْخَانِ أَيْضاً الْبُخَارِيُّ برَقمِ (٣٠٠٤) ومُسْلمٌ برَقمِ(٢٥٤٩)منْ حَديث عَبْد اللَّه بنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنْهُمَا-قَالَ:أَقْبلَ رَجُلٌ إلَى نبيِّ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-فقَال: أُبَايعُكَ علَى الْهجْرَة والْجهَاد، أَبْتَغي الْأجْرَ منَ اللَّه، قَال:{فهَلْ منْ والديْكَ أَحدٌ حَيٌّ؟ قَالَ : نعمْ، بلْ كلَاهُمَا ، قَالَ: فتَبْتَغي الْأجْرَ منَ اللَّه؟ قَال: نعمْ، قَالَ: فَارْجعْ إلَى والديْكَ فأَحْسنْ صُحْبَتَهُمَا}.

-برُّ الْوَالدَيْنِ والْجهَادُ منْ أعظَمِ الْعبادَات والْقُرَب الَّتي ينَالُ بها الْعَبْدُ رضَا اللَّه تَعَالَى، وثَوَابَهُ الْعَظيمَ، ولَكنْ يُقدَّمُ برُّ الْوَالدَيْنِ علَى الْجهَاد إذَا لَمْ تكُنِ الْحَاجَةُ ضَرُوريَّةً عنْدَ الْفرْد للجهَاد.

-وَفي هَذَا الْحَديث يَرْوي عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرو بْنِ الْعَاص-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- أَنَّهُ جاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذنُ النَّبيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- في الْخُرُوج للجهَاد، فَسَأَلَهُ النَّبيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-:{أَحَيٌّ وَالدَاكَ؟} فقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، فقَالَ لَهُ- صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: {ففيهمَا فَجَاهدْ}، فَابْذُلْ جهْدَكَ في إرْضَائهمَا وبرِّهمَا، يُكتَبْ لَكَ أجْرُ الْجهَاد في سَبيلِ اللَّه تَعَالَى.

-قيلَ: هَذَا إنمَا يكُونُ فِي وَقْت قُوَّة الْإسلَامِ، وَغلَبَة أهلَه للعدُوِّ، وإِذَا كَانَ الْجِهَادُ من فُرُوضِ الْكِفَايَة، فَأمَّا إذَا قوِيَ أَهْلُ الشِّرْك وضَعُفَ الْمُسْلمُونَ، فَالْجهَادُ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، ولَا يَجُوزُ التَّخَلُّفُ عَنْهُ، وَإِنْ مَنَعَ مِنْهُ الْأَبَوَانِ.

-وَفِي الْحَدِيث: الْحَثُّ وَالتَّرْغِيبُ عَلَى برِّ الْوَالِدَيْنِ.

-وَفِيه: أنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّه يَدْخُلُ فِيه أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ منَ الطَّاعَات.

•فَحقُّ الْوَالِيْنِ عَلَى الْأَبْنَاءِ الْبِرُّ،وإحْسَانُ الْمُعَاشَرة لَهُمَا،والرِّفْقُ بِهِمَا،والدُّعَاءُ لَهُمَا،والانْفَاقُ عَلَيْهِمَا فأَنْتَ ومَالُكَ لأبيكَ،

والْقِيَامُ عَلَى خدْمَتِهمَا،والسَّمْعُ والطَّاعَةُ لَهُمَا فِي الْمَعْرُوف فَإِنْ أمرَا بِمَعْصِيَة فَلَا سَمْعَ ولَا طَاعَة مع حُسْن الصُّحْبَة لقَوْله تَعَالَى :{وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.(لقمان:١٥).هَذَا فِي حَيَاتِهِمَا،والْبِرُّ مَوْصُولٌ لَهُمَا بَعْدَ مَمَاتِهِمَا،فمِنَ الْخَطَأ أَنْ يَقُولَ الْبَعْضُ عِنْدَ وفَاة الْأُمِّ:أُغْلِقَ بَابٌ إِلَى الْجَنَّة،فَالْبَابُ لَمْ يُغْلَقْ لأَنَّ الْبِرَّ لَا يَنْقَطِعُ بِمَوْتِ الْوَالِدينِ بَلْ هُوَ مَوْصُولٌ فِي الدُّعَاءِ لَهُمَا،والتَّصَدُّقِ عَنْهُمَا،وسَدَاد دَيْنِهِمَا،والْإِحْسَانِ إِلَى صَدِيقِهِمَا،وصِلَة أحْبَابِهِمَا.

(هـــ)ومِنْهَا:تَرْبِيَةُ الْابْنِ عَلَى تَعْظِيمِ الله تَعَالَى ومُرَاقَبَتِه:

فَمِنْ جَمِيل وَصِيَّة لُقْمَانَ لِابْنِه ووَعْظه لِفلْذَة كَبِده أَنْ رَبطَهُ بِالصِّلَة بِالله ومُرَاقَبَة الله جَلَّ وعَلَا فِي السِّرِّ والْعَلَن وأَخْبَرَ ابْنَهُ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، وأَنَّ الْخَطِيئَةَ والْمَظْلَمَةَ مَهمَا اجْتَهَدَ الْمُخْطِئُ الظَّالِمُ فِي إِخْفَائِهَا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَأْتِي بِهَا وتَكُونُ حَاضِرَةً يَومَ الْقِيَامَة {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (لقمان:١٦)؛ وهَذِه لَفْتَةٌ كَرِيمَةٌ لِلْآبَاءِ والْمُرَبِّين فِي زَجْرِ الْأَبْنَاءِ وتَخْوِيفِهِمْ أَنْ يَكُونَ التَّخْوِيفُ بِالله والدَّعْوَةُ لِمُرَاقَبَة الله واسْتحْضَارُ عِلْمه واطِّلَاعه جَلَّ شَأْنُهُ وعَظُمَ سُلْطَانُهُ سُبْحَانَهُ.

(و)ومنهَا:تربيَةُ الْأَبْنَاء عَلَى الْمُحَافظَة عَلَى الصلَّاة وَالْأَمْر بالْمَعْرُوف وَالنَّهْي عَن الْمُنْكَر وَالصَّبر عَلَى عقبَات الطَّريق :

وَهَذَا مَا أَكَّد عَلَيْه لُقْمَانُ في أَمْره لابْنه بالصلَّاة وَالْمُحَافظَة عَلَى أَرْكَانهَا ووَاجبَاتها، ودَعْوَته لابْنه للأَمْر بالْمعروف والنَّهي عَنْ الْمنْكر رَجَاء أَنْ يُفيد الْآخرين وليَكُون لَهُ ذَلك حصناً حَصيناً منْ دُعَاة الشَّرِّ ودُعَاة الرَّذيلَة والْبَاطل، وأَوْصَاهُ مع هَذَا كُلِّه بالصَّبْر ومُلَازَمَة الصَّبْر عَلَى مَا ينَالُهُ منْ أَذَى، وأَخْبَرَهُ أَنَّ ذَلكَ منْ عَزْم الأمُور{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصلَّاةَ وأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ واصبِرْ عَلَى مَا أَصابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }.(لقمان:١٧).

(ز)ومنهَا:تَرْبيَةُ الْأَبْنَاء عَلَى مَكَارِم الْأَخْلَاق، وجَميل الْآدَاب، وَالْبُعْد عَنْ رَديئ الْأَخْلَاق وقَبيح الصِّفَات:

وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ لُقْمَانُ في وَصَايَاه لابْنه،فَقَدْ خَتَمَ وَصَايَاهُ النَّافعَة وتَوْجيهَاته الْمُبَارَكَة السَّديدَة بدَعْوَة ابْنه لرعَايَة مكَارم الْأَخْلَاق وجَميل الْآدَاب ورَفيعها والْبُعْد عنْ سفْسَاف الْأَخْلَاق ورَديئها

فَقَالَ في وَصيَّته لابْنه {ولَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاس ولَا تَمْش في الْأَرْض مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور (١٨)واقْصدْ في مَشْيك وَاغْضُضْ منْ صَوْتك إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَات لَصَوْتُ الْحَمير}.(لقمان:١٨-١٩).

(٥) الاهتمَام بالرِّعَايَة الصِّحِّيَة للطِّفْل:

- والصِّحَّةُ هُنَا تَشْمَلُ جميعَ الْجوانب: الْبَدَنيَّة، والنَّفْسيَّة والْعَقْليَّة، والرُّوحيَّة.

-الصِّحَّةُ الْبَدَنيَّةُ: إنَّ الصحَّةَ الْبَدَنيَّة ممَّا فُطرَ النَّاسُ عَلَى الاهتمَام به؛ لأنَّهَا تَتَعَلَّقُ بغَريزَة الْبَقَاء كمَا أنَّهَا السَّبيلُ لتَحْقيق الْغَايَات الْمَاديَّة منْ مأكَلٍ ومَشْرَبٍ ومَلْبَس ومَرْكَب.

-وَقَد اهْتَمَّ الْإسْلَامُ بالْإنْسَان فَنَهَى عَنْ قَتْله بغَيْر سَبَبٍ مَشْرُوعٍ، كَمَا نَهَى عَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّ ببَدَنه وَصحَّته، كَمَا قَالَ اللهُ تعَالَى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.(الأنعام:١٥١).، وَقَالَ تَعَالَى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(الأعراف:١٥٧). وَأَخْرَجَ ابنُ مَاجه-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٩٠٩)مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{قَضَى أَنْ لَّا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ}.

-الصِّحَّةُ النَّفْسِيَّةُ:لَقَدْ حَرَصَ الإِسْلَامُ عَلَى تَرْبِيَةِ النَّفْسِ الْفَاضِلَةِ وتَزْكِيَتِهَا بِالْخِصَالِ النَّبِيلَةِ، فَكَانَ أَهَمُّ مَا سعي إِلَيْهِ هُوَ تَكْوِينُ النَّفْسِ السَّوِيَّةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْوَاثِقَةِ.

-وَقَوَامُ اسْتِوَاءِ النَّفْسِ يَكُونُ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ بِالتَّحَلِّي بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الْخِصَالِ الذَّمِيمَةِ مِنَ الْغَضَبِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالْبُخْلِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُكْسِبُ الاضْطِّرَابَ وَالْقَلَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.(طه:١٣١).وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٦٢٩٠)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ}.وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(١١)يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.(الحجرات:١١-١٢).

-الصِّحَّةُ الْعَقْلِيَّةُ: إنَّ الْعَقْلَ هُوَ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ فِي الْإِنْسَانِ لِذَلِكَ أَمَرَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ بِالْحِفَاظِ عَلَيْهِ وَحَرَّمَ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إلَي الْإِضْرَارِ بِهِ أَوْ إزَالَتِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُؤَدِّي إِلَي ذَلِكَ الْمُسْكِرَاتُ وَالْمُخَدِّرَاتُ لِذَلِكَ حَرَّمَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}.(المائدة:٩٠- ٩١).

-الصِّحَّةُ الرُّوحِيَّةُ: لَقَدْ اعْتَنَى الشَّرْعُ بِوَضْعِ الْوَسَائِلِ الْكَفِيلَةِ بِالْحِفَاظِ عَلَي الصِّحَّةِ الرُّوحِيَّةِ فَنَدَبَ الْمُؤمِنَ إِلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ الْحَدَّ الْأَدْنَى الَّذِي يَكْفُلُ لَهُ غِذَاءَ الرُّوحِ، وَذَلِكَ بِشَرْعِ الْفَرَائِضِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ، ثُمَّ فَتَحَ لَهُ بَابًا وَاسِعًا بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ.

-هَذِهِ الْعِبَادَاتِ تَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِرَبِّهِ وَتُعِيدُهُ إِلَيْهِ كُلَّمَا جَرَفَتْهُ مَوْجَاتُ الدُّنْيَا؛ لِذَا كَانَ الرَّسُولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: {وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ} وَكَانَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا }.

-وَقَدْ نَهَى الشَّارِعُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى سَقَمِ الرُّوحِ وَضَعْفِهَا، فَنَهَي عَنِ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ وَالانْهِمَاكِ فِي الْمَلَذَّاتِ؛ لأَنَّهَا تُعْمِي الْقَلْبَ وَتَجْعَلُهُ غَافِلًا عَنْ ذِكْرِ اللهِ لِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْكُفَّارِ: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}. (الفرقان:٤٤).، وقال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}.

(محمَّد:١٢).

-وَبِتَحْقِيقِ التَّرْبِيَةِ الصِّحِّيَّةِ لِلطِّفْلِ يَنْشَأُ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٢٦٦٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ}.

•ثانيًا: بَعْضُ ثمَارِ التَّرْبِيَةِ:

-عنْدَمَا اهْتَمَ السَّلَفُ الصَّالِحُ بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وفْقَ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ أَثْمَرَتْ هَذِه التَّرْبِيَةُ وآتت أكُلَهَا ومِنْ ذَلك تَنْشِئةُ الطِّفْلِ عَلَى أَنْ يَكُونَ شُجَاعًا وَجَرِيئًا فِي الْحَقِّ بِأَدَبٍ،وإِلَيْكُمْ نَمُوذَجَانِ لأَبْنَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

•الْأَوَّلُ:غُلَامٌ فَقِيهٌ مُعَلَّمٌ:

عِنْدَمَا آلَتْ الْخِلَافَة إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-سَنَةَ٩٩هِجْرِيَّة وَجَاءَتْهُ الْوُفُودُ مُهَنِّئَةً مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَقْبَلَت عَلَيْهِ وُفُودٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَت الْعَادَةُ أَنَّ كُلَّ وَفْدٍ يَنْتَدِبُ خَطِيباً تُتَوَسَّمُ فِيهِ الْفَصَاحَةُ لِيُعَبِّرَ عَنْ تَهْنِئَةِ الْوَفْدِ. وَلَمَّا حَانَ دَوْرُ أَحَدِ الْوُفُودِ، وَكَانَ أَحَدُ رِجَالِ الْوَفْدِ يَصْطَحِبُ وَلَدَهُ مَعَهُ وَكَانَ فِي نَحْوِ الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِه، وَإِذَا الْغُـلَامُ يَشْرَئِبُّ لِلكَلَامِ، فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى عُمَــرَ حَتَّى قَالَ لِلغُلَامِ: إِجْلِس أَيُّهَا الْغُلَامُ وَدَعْ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ لِلحَدِيث، فَإِذَا الْغُلَامُ يَثِبُ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ عُمَرَ وَقَالَ لَهُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَرْءَ بِأَصْغَرَيْهِ: قَلْبِه وَلِسَانِه، وَإِذَا أَعْطَى اللهُ عَبْدَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً فَقَدْ أَعْطَاهُ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ أَنَّ الْأُمُورَ تُقَاسُ بِالسِّنِّ، لَكَانَ مِنْ بَيْنِنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ هَذَا مِنْكَ!

فَإِذَا عُمَرُ يُؤْخَذُ بِثَبَاتِ الْغُلَامِ، وَقُوَّةِ جَنَانِه، وَفَصَاحَةِ بَيَانِه، وَذَلَاقَةِ لِسَانِه، حَتَّى قَالَ لَهُ: صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ، فَتَكَلَّمْ فَإِنَّ هَذَا هُوَ السِّحْرُ الْحَلَالُ!فَقَالَ الْغُلَامُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ وَفْدُ التَّهْنِئَةِ، وَلَسْنَا وَفْدَ التَّرْزِئَة، فَلَمْ تُقْدِمْنَا إِلَيْكَ رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبَةٌ.. لِأَنَّنَا قَدْ أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفْنَا، وَأَدْرَكْنَا مَا طَلَبْنَا..

فَتَهَلَّلَ عُمَرُ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْقَوْلَ وَفَرِحَ بِالطَّبْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ ثَنَاءٍ، وَكَانَ بِجِوَارِه مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، فَمَالَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ لَهُ:

(يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَغْلِبَنَّ جَهْلُ الْقَوْمِ بِكَ، مَعْرِفَتَكَ بِنَفْسِكَ، فَإِنّ قَوْماً غَرَّهُمُ الثَّنَاءُ، وَخَدَعَهُمُ الشُّكْرُ، فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ فَهَوَوْا فِي النَّارِ، أَعَاذَكَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، وَأَلْحَقَكَ اللهُ بِسَالِفِ هَذِه الأُمَّةِ).

فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى خِيفَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُخْلِنَا مِنْ وَاعِظٍ!!

•فيَالَها مِنْ تَرْبِيَة صَالِحَة أَثْمَرَتْ شجَاعَةً وَثَبَاتاً مَعَ فَصَاحَة وَحِكْمَة وَأَدَب جَعَلَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين عُمَرَ بْنَ عَبْد الْعَزِيز –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–يَسْتَمِعُ لَهُ وَيُقَدِّمُهُ فِي مَجْلِسِه.
(انْظُرْ:اتْحَاف السَّادَة المتَّقين بشرح إحياء علوم الدِّين:١-١٤ ج١١ص:١٠٥).

•الثَّاني:دِرْوَاس بْنُ حَبِيبٍ وَالْخَلِيفَةُ هِشَام بْنُ عَبْد الْمَلِك:
–ذَكَرَ ابْنُ مَنْظُور–رَحِمَهُ اللهُ–فِي "مُخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْق:٩٧/٣ قَالَ:{حَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرو بْنِ الْعَلَاء الْمُقْرِئ قَالَ: سَمِعْتُ عَاصِمَ بْنَ الْحَدَثَان يُحَدِّثُ أَنَّ الْبَادِيَةَ قَحَطَتْ زَمَنَ هِشَامِ بْنِ عَبْد الْمَلِك، فَقَدِمَتْ وُفُودُ الْعَرَب مِنَ الْقَبَائِل؛ فَجَلَسَ هِشَامٌ لِرُؤَسَائِهِمْ، فَدَخَلُوا عَلَيْه وَفِيهِمْ دِرْ□بَاس–وَقِيلَ دِرْوَاس–بْنُ حَبِيب وَلَهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَة، عَلَيْه شَمْلَتَان، لَهُ ذُؤَابَةٌ، فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ وَهَابُوا هِشَاماً، فَوَقَعَتْ عَيْنُ هِشَامٍ عَلَى دِرْبَاس فَاسْتَصْغَرَهُ فَقَالَ لِحَاجِبِه:
مَا يَشَاءُ أَحَدٌ يَصِلُ إِلَيَّ إِلَّا قَدْ وَصَلَ حَتَّى الصِّبْيَان!
فَعَلِمَ دِرْبَاسٌ أَنَّهُ يُرِيدُهُ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ دُخُولِي لَمْ يَضُرَّك وَلَا أَنْقَصَك وَلَكِنَّهُ شَرَّفَنِي، وَإِنَّ هَؤُلَاء قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَأَحْجَمُوا دُونَهُ؛ وَإِنَّ الْكَلَامَ نَشْرٌ، وَإِنَّ السُّكُوتَ طَيٌّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِه؛ قَالَ: فَانْشُرْ لَا أَبَالَكَ وَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ. فَقَالَ:
إِنَّهُ أَصَابَتْنَا سُنُونٌ ثَلَاثٌ، فَسَنَةٌ أَكَلَت اللَّحْمَ، وَسَنَةٌ أَذَابَت الشَّحْمَ، وَسَنَةٌ أَنْقَت الْعَظْمَ؛ وَفِي أَيْدِيكُمْ فُضُولُ أَمْوَال، فَإِنْ كَانَتْ لله عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَاد الله، وَإِنْ كَانَتْ لَهُم فَعَلَامَ تَحْبِسُونَهَا عَنْهُمْ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْهَدُ بِالله لَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي حَبِيبَ بْنَ دِرْبَاس بْن لَاحِق يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه لَاحِق بْن مَعد بْن ذُهْلٍ أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى رَسُولِ الله–صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– فَسَمِعَهُ يَقُولُ:
{ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه}،
وَإِنَّ الْوَالِي مِنَ الرَّعِيَّة كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَد، لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا. فَاحْفَظْ مَا اسْتَرْعَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَعِيَّتِه. فَقَالَ هِشَامٌ: سَمْعاً لِمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ وَذَكَّرَ بِه؛ ثُمَّ قَالَ هِشَامٌ: مَا تَرَكَ الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ عُذْراً.

ثُمَّ أَمَرَ أنْ يُقَسَّمَ فِي أَهْلِ الْبَوَادِي ثَلَاثُ مِئَةَ أَلْفٍ، وأَمَرَ لِدِرْبَاس بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ارْدُدْهَا إِلَى جَائِزَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَعْجَزَ عَنْ بُلُوغِ كِفَايَتِهِمْ؛ قَالَ: فَمَا لَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: تَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ؛ قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: مَالِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ بِمَعْنَاهُ أَنَّهُ أَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَّا مِثْلُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، تَبْعَث عَلَيَّ صَدَقَة. فَلَمَّا صَارَ إِلَى مَنْزِلِهِ بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَفَرَّقَ دِرْوَاسٌ فِي تِسْعَةِ أَبْطُنٍ مِنَ الْعَرَبِ حَوْلَهُ عَشَرَةَ آلَافٍ عَشَرَةَ آلَافٍ، وأَخَذَ لِنَفْسِهِ عَشَرَةَ آلَافٍ. فَقَالَ هِشَامٌ: إِنَّ الصَّنِيعَةَ عِنْدَ دِرْوَاس لَتَضْعُفُ عَلَى سَائِرِ الصَّنَائِعِ}.

-حَقًّا إِنَّهَا التَّرْبِيَةَ الصَّالِحَةُ الَّتِي صَنَعَتْ هَذِهِ النَّمَاذِجَ الْمُضِيئَةَ فَالتَّأَسِي التَّأَسِي يَاشَبَابَ الْإِسْلَامِ.

•اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا نِسَاءَنَا،وَرَبِّ لَنَا أَوْلَادَنَا،وَاجْعَلْهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ لَنَا،وَاجْعَلْهُمْ صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَفَرِّجْ كَرْبَ أَهْلِنَا فِي فِلَسْطِينَ،وَاجْعَلْ بَلَدَنَا مِصْرَ أَمْنًا أَمَانًا،سَخَاءً رَخَاءً،وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،وَصَلِّ اللهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَسَلِّمْ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٢٢)

التَّلْخِيصُ الْحَبِيرُ فِي بَيَانِ خُطُورَةِ التَّكفِيرِ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحمْدُ لله ربِّ الْعَالَمين، شرَعَ لنَا الشَّرائعَ، وأَحْكَم لنَا الدِّينَ، وجعَلَ التَّمسُّكَ به سَلَامَةً للبَشَرِيَّةِ أجْمَعِين، وأَشْهَدُ أنْ لَّا إلَهَ إلَّا الله، الْمَلكُ الْحقُّ الْمُبِينُ، وقَّتَ وقْتًا لقِيَامِ يَوْمِ الدِّين، ليَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فيه، فَيَنْتَصِر للمَظْلُومِين منَ الظَّالِمينَ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِين، جاءَ بِضَرُوراتٍ خَمْسٍ، عَلَى حِفْظِهَا قَامَتْ شَرِيعَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، صلَّى الله وسَلَّمَ عَلَيْهِ وعَلَى آلِه وأَصْحَابِه أجْمَعين.

أمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يا طَالبَ الْعِلْمِ-رَحمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بهذَا الْعُنْوَانِ { التَّلْخِيصُ الْحَبِيرُ فِي بَيَانِ خُطُورَةِ التَّكْفِيرِ } فيهَا بَيَانٌ لخُطُورَةِ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِ بغَيْرِ دَليلٍ قَاطِعٍ مع بَيَانٍ لنَوْعَي التَّكْفيرِ منْ حَيْثُ الْإِطْلَاقِ والتَّعْيِينِ والْإِشَارَةِ لمُوجِبَاتِ التَّكْفيرِ والْأَحْكَامِ الْمُتَعَلِّقَةِ بذَلِكَ،ومنَ الْمَعْلُومِ أنَّ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمَّةَ تَحْتَاجُ إلَى تَمْهِيدٍ فَأَقُولُ مُمَهِّدًا:

•لَقَدْ خَلَقَ الله الْإِنْسَانَ لغَايَةٍ عَظِيمَةٍ هيَ:عبَادَةُ الله وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ ،وعَدَمُ الشِّرْكِ به،قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ومَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والْإِنْسَ إلَّا ليَعْبُدُونِ}.(الذَّارِيات:٥٦).

-ولِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ أنْزَلَ الله الْكُتُبَ،وأَرْسَلَ الرُّسُلَ لهِدَايَةِ عبَادِهِ،ولِتَحْقِيقِ مايَلِي:

(1)دَعْوَةُ النَّاسِ إلَى عبَادَةِ الله وَحْدَهُ ،وتَحْرِيرهمْ منْ عُبُودِيَّةِ غَيْرِهِ منْ طَوَاغِيتَ وطَبِيعَةٍ،قَالَ الله تَعَالَى:{ومَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُولٍ إلَّا نُوحِي إلَيْهِ أنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا أنَا فَاعْبُدُونِ }.(الأنبياء:٢٥)

(2)تَعْلِيمُ النَّاسِ مَنْهَجَ السَّمَاءِ بمَا فيه منْ عَقِيدَةٍ،وعبَادَةٍ، وأَخْلَاقٍ،ومُعَامَلَاتٍ،ونُظُمٍ سيَاسِيَّةٍ،واجْتِمَاعِيَّةٍ،واقْتِصَادِيَّةٍ، وتَرْبَوِيَّةٍ،وجِهَادِيَّةٍ،وتَعْلِيمِيَّةٍ،ثُمَّ وُجُوبِ الْعَمَلِ بمَا تَعَلَّمُوهُ، وتَطْبِيقِ ذَلكَ تَطْبِيقًا كَاملًا في جَمِيعِ طَرَائِقِ الْحَيَاةِ.

(3)وفي ذَلكَ التَّعْلِيمِ تَأْدِيبٌ وتَزْكِيَةٌ وإِصْلَاحٌ للنَّاسِ جَمِيعًا،قَالَ الله تَعَالَى:{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وإِن كَانُوا من قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }.(الجمعة:٢).

-فَقَدْ بَعَثَ الله تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا-صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-رَحْمَةً للعَالَمِين،قَالَ الله تَعَالَى:{ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }.(الأنبياء:١٠٧)

-وَمِنْ مُقْتَضَيَاتِ هَذِه الرَّحْمَةِ أَنْ يَكُونَ مُعَلِّمًا وَمُرَبِّيًا وَمُزَكِّيًا لِلنُّفُوسِ،وَقَدْ تَجَسَّدَ الْكَمَالُ الْبَشَرِيُّ فِي رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي قِيَامِهِ بِالْوَاجِبِ الْمُنَاطِ بِهِ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّزْكِيَةِ حَتَّى بَنَى أُمَّةً وَأَقَامَ دَوْلَةً فِي أَقَلِّ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَأَقَامَ هَذَا الْبِنَاءَ عَلَى أَسَاسِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ.

•فَالتَّوْحِيدُ هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعَبِيدِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(30)مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ:{يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ،أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ،قَالَ:لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا}

•وَفِي رِوَايَةِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-بِرَقَمِ(٥٩٦٧)قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ:{يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً،ثُمَّ قَالَ:يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ:لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ}.

-فَالطَّرِيقُ لِنَجَاةِ الْعَبْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَبْدَأُ وَيَنْتَهِي بِإِفْرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَنَبْذِ وَتَرْكِ كُلِّ مَا سِوَاهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُلَاهُ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يومًا، والرَّدِيفُ: هُوَ الرَّاكِبُ خَلْفَ الرَّاكِبِ بِإِذْنِهِ، وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وإنسانيَّتِه؛ فَإِنَّ إِرْدَافَ الْإِمَامِ وَالشَّرِيفِ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ وَرُكُوبَهُ مَعَهُ:مِنَ التَّوَاضُعِ وَتَرْكِ التَّكَبُّرِ، وَكَانَا عَلَى حِمَارٍ، وَكَانَ اسْمُهُ عُفَيْرًا، وَيَذْكُرُ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، وَالرَّحْلُ لِلبَعِيرِ كَالسَّرْجِ لِلفَرَسِ، وَآخِرَتُهُ: هِيَ الْعُودُ الَّذِي يُجْعَلُ خَلْفَ الرَّاكِبِ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، وَفَائِدَةُ ذِكْرِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي شِدَّةِ قُرْبِهِ؛ لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ سَامِعِهِ أَنَّهُ ضَبَطَ مَا رَوَاهُ.

فَنَادَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا مُعَاذُ} ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَرُدُّ مُعَاذٌ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- عَلَيْهِ: {لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ}، أَيْ: أُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِجَابَةً لَكَ بَعْدَ إِجَابَةٍ، أَوْ أَقَمْتُ عَلَى طَاعَتِكَ إِقَامَةً بَعْدَ إِقَامَةٍ، وَطَلَبْتُ السَّعَادَةَ لِإِجَابَتِكَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ فِي الأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ مُجِيبٌ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمُؤَكِّدٌ لَهُ عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، فَلَمَّا أَحْسَنَ مُعَاذٌ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-الإِجَابَةَ وَأَصْغَى السَّمْعَ، سَأَلَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَائِلًا: {هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ؟} أَيْ: هَلْ تَعْلَمُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ مُعَاذٌ:{اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ}، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ، وَعَدَمِ التَّقَدُّمِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَبَيَّنَ لَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أَنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ: {أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}. وَالْمُرَادُ بِالْعِبَادَةِ: عَمَلُ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمَعَاصِي، وَهِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. وَعَطَفَ عَلَى الْعِبَادَةِ عَدَمَ الشِّرْكِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّهُ تَمَامُ التَّوْحِيدِ. وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ بَعْضَ الْكَفَرَةِ كَانُوا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى، فَاشْتَرَطَ نَفْيَ ذَلِكَ، وَأَنْ تَكُونَ عِبَادَتُهُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الرَّزَّاقُ، النَّافِعُ، الدَّافِعُ عَنْ عِبَادِهِ الْآفَاتِ وَالمُؤْذِيَاتِ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُوَحِّدُوهُ وَيُخْلِصُوا لَهُ الطَّاعَةَ دُونَ مَنْ سِوَاهُ؛ فَهَذَا هُوَ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ.

وَسَارَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، فَقَالَ مُعَاذٌ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- بِأَدَبِهِ الْجَمِّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَبَّيْكَ

رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ}،فقَالَ-صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ-:{هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ علَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟} أَيْ: أَيُّ شَيءٍ حَقِيقٌ وَجَدِيرٌ وَلَائِقٌ أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ تَعالَى بِعِبَادِهِ إِنْ هُمْ أَدَّوْا حَقَّهُ؟ فَقَالَ مُعَاذٌ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:{اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ}، فَفَوَّضَ الْعِلْمَ للَّهِ وَرَسُولِهِ كمَا فعَلَ قَبْلَ ذَلِكَ، فذَكَرَ لَهُ- صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسَلَّمَ-أَنَّ حَقَّ الْعِبَادِ علَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ: أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ. وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ حُصُولَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، وَهَذَا بِشَرْطِ الْإِتْيَانِ بِأَوَامِرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عَنْ مَنَاهِيهِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَقَدْ حَقَّ ذَلِكَ الْجَزَاءُ وَوَجَبَ بِحُكْمِ وَعْدِ اللَّهِ الصِّدْقِ، وَقَوْلِهِ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فِي الْخَبَرِ، وَلَا الْخُلْفُ فِي الْوَعْدِ؛ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيءٌ بِحُكْمِ الْأَمْرِ؛ إِذْ لَا آمِرَ فَوْقَهُ سُبْحَانَهُ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: تَكْرَارُ الْمُعَلِّمِ أَوِ الْوَاعِظِ النِّدَاءَ؛ لِتَأْكِيدِ الاهْتِمَامِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ، وَلِيَكْمُلَ تَنَبُّهُ الْمُتَعَلِّمِ فِيمَا يَسْمَعُهُ.

-وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ دَخَلَ الْجَنَّةَ قَطْعًا.

-وَفِيهِ:مَنْزِلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأَدَبُهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقُرْبُهُ مِنْهُ.

-وَفِيهِ:جَوَازُ كِتْمَانِ بَعْضِ الْعِلْمِ عَمَّنْ لَا يَفْهَمُهُ كَأَحَادِيثِ الرَّجَاءِ الَّتِي قَدْ يُؤَدِّي الْفَهْمُ الْخَاطِئُ لَهَا إِلَى تَرْكِ الْعَمَلِ،فَيَجِبُ عِنْدَ سَرْدِهَا وَضْعُ الْقُيُودِ الَّتِي تُحَقِّقُ الْفَهْمَ الصَّحِيحَ لَهَا.

•فَحَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ وَالْعِبَادَةُ الصَّادِقَةُ،وَهَذَا الْحَقُّ يُثْمِرُ تَزْكِيَةَ النُّفُوسِ فَتَتَحَقَّقُ لَدَى الْعَابِدِ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا.

•وَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ دُعَاءٍ فَمَا مِنْ نَبِيٍّ وَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَبَدَأَ دَعْوَةَ قَوْمِهِ بِقَوْلِهِ:{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}.(هود:٨٤).

-أَيْ:لَيْسَ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ جَلَّ وَعَلَا، فَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ.

•وَالتَّوْحِيدُ هُوَ أَوَّلُ نِدَاءٍ وَرَدَ عَلَى مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(البقرة:٢١.)

-فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَوْجِيهٌ لِلنَّاسِ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي خُلِقُوا مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ دُونَ مَا سِوَاهُ ، وَبَيَانُ الْبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ.

-وَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى بِاسْمِ الرَّبِّ ، وَإِضَافَتِهِ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ ، تَقْوِيَةٌ لِدَاعِيَةِ إِقْبَالِهِمْ عَلَى عِبَادَتِهِ.

-فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اتَّجَهَ بِفِكْرِهِ إِلَى مَعْنَى كَوْنِ اللَّهِ مَالِكًا لَهُ ، أَوْ مُرَبِّيًا لَهُ وَتَذَكَّرَ مَا يَحُفُّهُ بِهِ مِنْ رِفْقٍ ، وَمَا يَجُودُ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ إِنْعَامٍ ، لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يَخُصَّهُ بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ وَالْإِجْلَالِ.

-وَإِفْرَادُ اسْمِ الرَّبِّ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ رَبُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، إِذْ لَيْسَ ثَمَّةَ رَبٌّ يَسْتَحِقُّ هَذَا الاسْمَ بِالْإِفْرَادِ وَالْإِضَافَةِ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا اللَّهُ.

-ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ الْمُوجِبَاتِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ فَقَالَ:{الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}.

-وَالْخَلْقُ:أَصْلُهُ الإِيجَادُ عَلَى تَقْدِيرٍ وَتَسْوِيَةٍ،وَيُطْلَقُ فِي الْقُرْآنِ وَفِي عُرْفِ الشَّرِيعَةِ عَلَى إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ ، فَهُوَ إِخْرَاجُهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ إِخْرَاجًا لَا صَنْعَةَ فِيهِ لِلْبَشَرِ.

-وَالْمَعْنَى:اجْعَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ عِبَادَتَكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ فِي عَدَمٍ ، كَمَا أَوْجَدَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوكُمْ.

-وَقَدَّمَ وَصْفَهُ بِخَلْقِ الْمُخَاطَبِينَ مَعَ أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ بِالزَّمَانِ عَنْ خَلْقِ مَنْ تَقَدَّمُوهُمْ ، لأَنَّ عِلْمَ الْإِنْسَانِ بِأَحْوَالِ نَفْسِهِ أَظْهَرُ مِنْ عِلْمِهِ بِأَحْوَالِ غَيْرِهِ.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ }فِيهِ رَدٌّ عَلَى الدَّهْرِيِّينَ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا خَلَقَهُمْ آبَاؤُهُمْ فَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ.

-فَكَانَ قَوْلُهُ:{ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ }تَذْكِيرًا لَهُمْ بِأَنَّ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ لَابُدَّ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى أَبٍ أَوَّلٍ قَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

-وَجُمْلَةُ{ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } تَعْلِيلٌ لِلأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ ،وَ {لَعَلَّ}حَرْفٌ مَوْضُوعٌ لِيَدُلَّ عَلَى التَّرَجِّي ، وَهُوَ تَوَقُّعُ حُصُولِ الشَّيْءِ عِنْدَمَا يَحْصُلُ سَبَبُهُ وَتَنْتَفِي مَوَانِعُهُ.

-وَالشَّيءُ الْمُتَوَقَّعُ حُصُولُهُ فِي الْآيَةِ هُوَ التَّقْوَى وَسَبَبُهُ الْعِبَادَةُ ، إذْ بِالْعِبَادَةِ يَسْتَعِدُ الْإِنْسَانُ لِأَنْ يَبْلُغَ دَرَجَةَ التَّقْوَى وَهِيَ الْفَوْزُ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ ، وَالتَّرَجِّي قَدْ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ الشَّائِعُ وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ لَعَلَّ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَنْ يَكُونَ التَّرَجِّي مَصْرُوفًا لِلْمُخَاطَبِ ،فَيَكُونَ الْمُتَرَجِّي هُوَ الْمُخَاطَبُ لَا الْمُتَكَلِّمُ ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يُحمَلُ التَّرَجِّي فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، لاسْتِحَالَةِ تَوَقُّعِ حُصُولِ الشَّيءِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، لِأَنَّ تَوَقُّعَ الْإِنسَانِ لِحُصُولِ الشَّيءِ هُوَ أَنْ يَكُونَ مُتَرَدِّداً بَيْنَ الْوُقُوعِ وَعَدَمِهِ مَعَ رُجْحَانِ الْوُقُوعِ ،وَعَلَيْهِ فَيَكُونَ الْمَعْنَى:اعْبُدُوا رَبَّكُمْ رَاجِينَ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ بَلَغُوا الْغَايَةَ فِي الْهُدَى وَالْفَلَاحِ.

•لَقَدْ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى، قَالَ تَعَالَى:{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .{ المائدة:١٥-١٦)، وقَالَ جَلَّ وَعَلَا:{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }.(آل عمران:١٦٤).

-فَإِذَا شَرُفَ الْمَرْءُ بِالْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِخْرَاجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِحُجَّةٍ قَاطِعَةٍ وَاضِحَةٍ كَوُضُوحِ الشَّمْسِ رَابِعَةَ النَّهَارِ، فَإِنَّ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ يَقِينًا فَلَا يَجُوزُ الْحُكْمُ عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَّا بِيَقِينٍ جَازِمٍ، لَا بِالظُّنُونِ وَالشُّكُوكِ، وَالْأَوْهَامِ وَالتَّخَرُّصَاتِ، وَالْهَوَى الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ الْإِنْسَانُ لِمُجَرَّدِ هَوَاهُ، مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•أولًا : خُطُورَةُ التَّكْفِيرِ:

•التَّكْفِيرُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ وَآفَةٌ خَطِيرَةٌ، مَزَّقَتْ جَسَدَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْقَدِيمِ، وَمَا زَالَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي عَصْرِنَا هَذَا.

-وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةَ كَانَتْ أَوَّلَ الْبِدَعِ وَالْفِتَنِ ظُهُورًا فِي الْإِسْلَامِ، فَقَدْ ظَهَرَتْ مُبَكِّرًا فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-، فِي خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- رَابِعِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الْخَوَارِجُ بَعْدَ أَنْ حَكَمُوا عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ وَمَنْ مَعَهُ، فَظَاهِرَةُ التَّكْفِيرِ هِيَ أَصْلُ الْخَوَارِجِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَالْجَمَاعَاتِ الْمُعَاصِرَةِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنْ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

-وَأَصْلُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُضِلَّةِ الْجَهْلُ بِأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ وَعَدَمُ فَهْمِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ إِضَافَةً لِلْغُلُوِّ فِي إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْوَسَطِيَّةِ الَّتِي هِيَ حَسَنَةٌ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ بَيْنَ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ.

•فَالتَّكْفِيرُ وَالتَّفْسِيقُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ لَا يَخْضَعُ لِلأَهْوَاءِ،فَالْحُكْمُ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ لَيْسَ إِلَيْنَا ، بَلْ هُوَ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَهُوَ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي مَرَدُّهَا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَيَجِبُ التَّثَبُّتُ فِيهِ غَايَةَ التَّثَبُّتِ ، فَلَا يُكَفَّرُ وَلَا يُفَسَّقُ إِلَّا مَنْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى كُفْرِهِ أَوْ فِسْقِهِ.

•وَالْأَصْلُ فِي الْمُسْلِمِ الظَّاهِرِ الْعَدَالَةَ بَقَاءُ إِسْلَامِهِ وَبَقَاءُ عَدَالَتِهِ ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ زَوَالُ ذَلِكَ عَنْهُ بِمُقْتَضَى الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ . وَلَا يَجُوزُ التَّسَاهُلُ فِي تَكْفِيرِهِ أَوْ تَفْسِيقِهِ ؛ لأَنَّ فِي ذَلِكَ مَحْذُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ:

-أَحَدُهُمَا:افْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَى اللهِ تَعَالَى فِي الْحُكْمِ ، وَعَلَى الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ فِي الْوَصْفِ الَّذِي نَبَزَهُ بِهِ.

-الثَّانِي : الْوُقُوعُ فِيمَا نَبَزَ بِهِ أَخَاهُ إِنْ كَانَ سَالِمًا مِنْهُ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ (٦١٠٤) وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ (٦٠) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا }.وَفِي رِوَايَةٍ:{ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ }

•وَعَلَى هَذَا فَيَجِبُ قَبْلَ الْحُكْمِ عَلَى الْمُسْلِمِ بِكُفْرٍ أَوْ فِسْقٍ أَنْ يُنْظَرَ فِي أَمْرَيْنِ:

-أَحَدُهُمَا : دَلَالَة الْكِتَابِ أو السنَّةِ عَلَى أنَّ هذَا الْقَوْلَ أو الْفعلَ موجبٌ للكفْر أو الْفسْق
.

-الثَّاني : انْطبَاقُ هذَا الْحكُم علَى الْقَائلِ الْمعَيَّن أو الْفَاعلِ الْمعَيَّن ، بَحيْثُ تتمّ شُرُوطُ التَّكْفير أو التَّفْسيق في حقِّه ، وتَنْتَفي الْمَوَانعُ

•ثَانيًا:شُرُوطُ وَمَوَانع تَكْفيرِ الْمعَيَّن:

-ومنْ أهَمِّ الشُّرُوطِ:

(1)أن يَكُونَ عَالماً بمُخَالَفَته الَّتي أوْجَبَتْ أنْ يَكُونَ كافراً أوْ فاسقًا ؛ لقَوْله تَعَالَى :{ ومَنْ يُشَاقق الرَّسُولَ منْ بعْد ما تبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى ويَتَّبعْ غيْرَ سَبيل الْمُؤْمنين نُوَلِّه مَا تَوَلَّى ونُصْلِه جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصيراً }. (النِّساء:١١٥.)

-وَقَوْلِه:{ ومَا كَانَ اللَّهُ ليُضلَّ قوْماً بعْدَ إذْ هدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إنَّ اللَّهَ بكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ }.(التَّوبة:١١٥.)

-وَلِهَذَا قَالَ أهْلُ الْعلْمِ : لَا يُكَفَّرُ جَاحدُ الْفَرَائضِ إذَا كَانَ حَديثَ عَهْدٍ بإسْلَامٍ حَتَّى يُبَيَّنَ لَهُ.

(2)ومنَ الْمَوَانعِ أنْ يَقَعَ مَا يُوجبُ الْكُفْرَ أو الْفسْقَ بغَيْر إرَادَة منْهُ ، ولَذَلكَ صُوَرٌ:

-منْهَا : أنْ يُكْرَهَ عَلَى ذَلكَ ، فيَفْعَلَه لدَاعي الْإكْرَاه ، لَا اطْمْئنَانًا به ، فلَا يُكَفَّرُ حينَئذ ؛ لقَوْله تعَالَى:{ منْ كفَرَ باللَّه منْ بعْد إيمانه إلَّا منْ أُكْرهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئنٌّ بالْأيمان ولَكنْ مَنْ شَرَحَ بالْكُفْر صَدْراً فَعَلَيْهمْ غضَبٌ منَ اللَّه ولَهُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ }.(النَّحل:١٠٦)

-وَمنْهَا:أنْ يُغْلَقَ عَلَيْه فكْرُهُ ، فَلَا يَدْري مَا يَقُولُ لشدَّة فرَحٍ أوْ حُزْنٍ أوْ خَوْفٍ أوْ نَحْو ذَلك.

-وَدَليلُهُ مَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ مُسْلمٌ-رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-في صَحيحه برَقَم (٢٧٤٤) منْ حَديث أنَس بْن مَالك-رَضي اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

-قَالَ : قال رَسُولُ الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّمَ-:{ للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَة عَبْده حين يَتُوبُ إلَيْه منْ أَحدكُمْ كَانَ عَلَى رَاحلَته بأَرْض فَلَاة فَانْفَلَتَتْ منْهُ وعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيسَ منْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظلِّهَا قَدْ أَيسَ منْ رَاحلَته فَبَيْنَا هُوَ كَذَلكَ إذَا هُوَ بهَا قَائمَةً عنْدَهُ فَأَخَذَ بخطَامهَا ثُمَّ قَال منْ شدَّة الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ منْ شدَّة الْفَرَحِ }

(3) وَمِنَ الْمَوَانِعِ أَنْ يَكُونَ مُتَأَوِّلًا : يَعْنِي أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ بَعْضُ الشُّبَهِ الَّتِي يَتَمَسَّكُ بِهَا وَيَظُنُّهَا أَدِلَّةً حَقِيقِيَّةً ، أَوْ يَكُونُ لَمْ يَسْتَطِعْ فَهْمَ الْحُجَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى وَجْهِهَا،فَالتَّكْفِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَحَقُّقِ تَعَمُّدِ الْمُخَالَفَةِ وَارْتِفَاعِ الْجَهَالَةِ.

-قَالَ تَعَالَى:{ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }.(الأحزاب:٥)

-يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٣٤٩/٢٣) :{ فَالْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-تَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ-يَعْنِي الْخُلَفَاءَ الَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِمَقَالَةِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا الْقَوْلَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ، وَنَصَرُوهُ-وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ أَنَّهُمْ مُكَذِّبُونَ لِلرَّسُولِ ، وَلَا جَاحِدُونَ لِمَا جَاءَ بِهِ،وَلَكِنْ تَأَوَّلُوا فَأَخْطَأُوا ، وَقَلَّدُوا مَنْ قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ }. انْتَهَى

-وَيَقُولُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (١٨٠/١٢) : { وَأَمَّا التَّكْفِيرُ فَالصَّوَابُ أَنَّ مَنِ اجْتَهَدَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وَقَصَدَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَ لَمْ يَكْفُرْ ، بَلْ يُغْفَرُ لَهُ خَطَؤُهُ ، وَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، فَشَاقَّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ كَافِرٌ ، وَمَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَقَصَّرَ فِي طَلَبِ الْحَقِّ وَتَكَلَّمَ بِلَا عِلْمٍ فَهُوَ عَاصٍ مُذْنِبٍ ، ثُمَّ قَدْ يَكُونُ فَاسِقًا . وَقَدْ يَكُونُ لَهُ حَسَنَاتٌ تَرْجَحُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ } انْتَهَى.

-وَقَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى (٢٢٩/٣):{ هَذَا مَعَ أَنِّي دَائِمًا وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي ، أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إِلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ ، إِلَّا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الرِّسَالِيَّةُ الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً ، وَفَاسِقًا أُخْرَى ، وَعَاصِيًا أُخْرَى ، وَإِنِّي أُقَرِّرُ أَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَطَأَهَا ، وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ . وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَنَازَعُونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، وَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ لَا بِكُفْرٍ وَلَا بِفِسْقٍ وَلَا بِمَعْصِيَةٍ}

-وَذَكَرَ أَمْثِلَةً ثُمَّ قَالَ { وَكُنْتُ أُبَيِّنُ أَنَّ مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِتَكْفِيرِ مَنْ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَهُوَ أَيْضًا حَقٌّ ، لَكِنْ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّعْيِينِ ..}.

-إِلَى أنْ قَالَ :{ وَالتَّكْفِيرُ هُوَ مِنَ الْوَعِيدِ ؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ تَكْذِيبًا لِمَا قَالَهُ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِإِسْلَامٍ ، أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَكْفُرُ بِجَحْدِ مَا يَجْحَدُهُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ لَمْ يَسْمَعْ تِلْكَ النُّصُوصَ ، أَوْ سَمِعَهَا وَلَمْ تَثْبُتْ عِنْدَهُ ، أَوْ عَارَضَهَا عِنْدَهُ مُعَارِضٌ آخَرُ أَوْجَبَ تَأْوِيلَهَا وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا.

وَكُنْتُ دَائِمًا أَذْكُرُ الْحَدِيثَ الَّذِي فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ : { إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الْيَمِّ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ . فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ ، فَقَالَ اللهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : خَشْيَتُكَ . فَغَفَرَ لَهُ }.فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللهِ وَفِي إِعَادَتِهِ إِذَا ذُرِّيَ،بَلِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يُعَادُ،وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَكَانَ مُؤْمِنًا يَخَافُ اللهَ أَنْ يُعَاقِبَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ .وَالْمُتَأَوِّلُ مِنْ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ الْحَرِيصُ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْلَى بِالْمَغْفِرَةِ مِنْ مِثْلِ هَذَا }. انْتَهَى.

•وَإِذَا كَانَ أَمْرُ التَّكْفِيرِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ ، وَالْخَطَرِ وَالْخَطَأُ فِيهِ شَدِيدٌ ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ ، خَاصَّةً إِذَا كَانَ مُبْتَدِئًا ، أَنْ يَتَوَقَّى الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْ يَنْشَغِلَ بِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي يَصْلُحُ بِهِ أَمْرُ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ.

•ثَالِثًا: مُوجِبَاتُ الْكُفْرِ:

-هُنَاكَ مُوجِبَاتٌ لِلْحُكْمِ بِالْكُفْرِ سَمَّاهَا أَهْلُ الْعِلْمِ نَوَاقِضَ التَّوْحِيدِ وَعَدَّدُوهَا بِعَشْرِ نَوَاقِضَ مَعَ مُرَاعَاةِ الضَّوَابِطِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا فِي تَكْفِيرِ الْمُعَيَّنِ مِنْ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَبَيَانِ الْمَحَجَّةِ وَتَوَافُرِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ وَالَّذِي يَقُومُ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ هُمُ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ وَلَيْسَ الْأَغْتَامُ الْجَاهِلُونَ وَلَا أَنْصَافُ الْمُتَعَلِّمِينَ،

وَبَيَانُهَا كَالتَّالِي:

•نَوَاقِضُ الْإِسْلَامِ الْعَشَرَةَ:

-نَوَاقِضُ الْإِسْلَامِ هِيَ كُلُّ مَا يُبْطِلُ أَوْ يُفْسِدُ الْإِسْلَامَ، وَإِذَا ارْتَكَبَ الْإِنْسَانُ وَاحِدَةً مِنْهَا انْتَقَضَ إِسْلَامُهُ وَدِينُهُ؛ أَيْ إِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ كَوْنِهِ مُسْلِمًا إِلَى أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْأَوْثَانِ وَالرِّدَّةِ وَالْبُهْتَانِ؛ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ النَّوَاقِضَ أَوِ الْمُفْسِدَاتِ أَوِ الْمُبْطِلَاتِ تُبْطِلُ الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَ

وَالدِّينَ، كمَا تُبطِلُ نوَاقِضُ الطَّهارَةِ طَهارَةَ الْإنسَانِ مثَلًا،وَإِليْك بيَانٌ وشَرْحٌ مُخْتَصَرٌ لِهَذِهِ النَّوَاقِضِ.

•شَرْحُ نوَاقِضِ الْإسْلَامِ الْعَشَرَةِ:

(1) الشِّرْكُ فِي عِبادَةِ الله تَعَالَى :

-يُعَدُّ الشِّرْكُ بِالله تَعالَى أعْظَمَ الذُّنوبِ ورَأسَ الْمَعَاصِي،قَالَ تَعالَى:{إِنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالاً بَعِيداً}.(النِّساء:١١٦)

،فَالشِّرْكُ فِي عِبادَةِ الله يُبْطِلُ الْعَمَلَ وَيمْحَقُهُ، قَالَ تَعالَى:{ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.(الأنعام:٨٨).،إِنَّ مَنْ يَمُوتُ مُشْرِكًا بِالله يُحَرِّمُ الله عَلَيْهِ الْجنَّةَ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، قَالَ تَعالَى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}.(المائدة:٧٢).،وَمِنْ صُوَرِ الْإِشْرَاكِ بِالله أَنْ يُؤَدِّيَ الْفَرْدُ عَمَلًا لِغَيْرِ وَجْهِ الله؛ كَالذَّبحِ، وَالنَّذْرِ، وَالرُّكُوعِ أوِ السُّجُودِ لِغَيْرِ الله، أوِ الطَّوَافِ لِغَيْرِ بَيْتِ الله الْحَرَامِ ونَحْوِهِ .

(2)جَعْلُ وَاسِطَةٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالله:

-فَمَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبيْنَ الله تَعالَى وَسَاطَةً لِيَدْعُوَهُمْ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِمْ وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، فَهَذَا الْفِعْلُ يُعْتَبَرُ كُفْرًا، كَأَنْ يَجْعَلَ شَخْصًا أَوْ شَيْئًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ الدُّعَاءَ لله، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنّ اللّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفّارٌ}.(الزُّمر:٣).،وَمِنْ صُوَرِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ الرَّسُولَ، أَوْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ قَبْرًا، أَوْ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ الله الصَّالِحِينَ، وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله تَعَالَى يَعْبُدُهُ مَعَ الله، قَالَ تَعالَى: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.(يونس:١٨).

(3)عَدَمُ اعْتِقَادِ كُفْرِ الْمُشْرِكِينَ:

-إِنَّ مَنْ لَا يُكَفِّرُ الْمُشْرِكِينَ أَوْ يُشَكِّكُ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ يُصَحِّحُ مَذْهَبَهُمْ، يُعَدُّ كَافِرًا؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَفَّرَهُمْ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِعَدَاوَتِهِمْ؛ لافْتِرَائِهِمُ الْكَذِبَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،كَمَا أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ بِإِسْلَامِ الْفَرْدِ حَتَّى يُكَفِّرَ الْمُشْرِكِينَ

، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ؛ فَهُوَ مِنْهُمْ، كَمَا مَنْ يُصَحِّحُ مَذْهَبَهُمْ، وَيَسْتَحْسِنُ مَا هُمْ عَلَيْهِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}.(الممتحنة:٤).،وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}.(التَّوبة:١١٤).،فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَبَرَّأَ الْمُسْلِمُ مِنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَى اللهِ وَأَنْ يُنْكِرَهَا وَيُبْغِضَهَا وَيُبْغِضَ أَهْلَهَا وَيُعَادِيَهُمْ .

(4)الاعْتِقَادُ أَنَّ هَدْيَ وَحُكْمَ غَيْرِ النَّبِيِّ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ وَحُكْمِهِ:

-مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، يُعَدُّ كَافِرًا. مِثْلُ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى حُكْمِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛كَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ رَجْمَ الزَّانِي الْمُحْصَنِ أَوْ قَطْعَ يَدِ السَّارِقِ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ عَصْرِنَا الْحَدِيثِ، وَأَنَّ الزَّمَنَ قَدْ تَغَيَّرَ، أَوِ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْحُكْمَ بِالْقَوَانِينِ أَحْسَنُ وَأَكْمَلُ مِنَ الْحُكْمِ بِالشَّرِيعَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.(النِّساء:٦٥).،فَلَا يَصِحُّ إِسْلَامُ الْعَبْدِ حَتَّى يَعْتَقِدَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ كُلِّ الْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ فِي الْأَرْضِ،وَأَنَّ الرَّسُولَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى،فَهُوَ وَحْيٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى

(5) الْبُغْضُ لِشَيْءٍ جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:-

-إنَّ منْ يُبْغِضُ شَيْئًا جاءَ بِهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَالْعَمل بِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ، وهَذَا مَا كَانَ يَقُومُ بِهِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ بِالظَّاهِرِ، وَفِي الْخَفَاءِ يُبْغِضُونَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ وَأَهْلَهَا، قَالَ تَعَالَى:{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}.(المنافقون:١).،فَإِنَّ كُلَّ كُرْهٍ أَوْ بُغْضٍ أَوْ حِقْدٍ لِأَيِّ شَعِيرَةٍ أَوْ عِبَادَةٍ أَوْ أَمْرٍ، جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَنْقُضُ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِلُهُ، قَالَ تَعَالَى:{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}.(محمّد:٩.)

(6)الاسْتِهْزَاءُ بِشَيءٍ مِنَ الدِّين:

-إنَّ مَنْ يَسْتَهْزِئُ بِشَيءٍ مِنَ الدِّينِ أَوِ الْعِقَابِ أَوِ الثَّوَابِ، أَوِ الْحِسَابِ، أَوْ بِشَيءٍ جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ كُفْرًا بِالْإِجْمَاعِ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَقْصِدْ الاسْتِهْزَاءَ بَلْ كَانَ يَقْصِدُ الْمُزَاحَ بِذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّــهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚإِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}.(التَّوبة:٦٥–٦٦ .)

(7)السِّحْرُ:

-إنَّ مَنْ يَتَعَامَلُ بِالسِّحْرِ،وَمِنْهُ الصَّرْفُ أَيْ صَرْفُ الْفَرْدِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِثْلَ صَرْفِ الزَّوْجِ عَنْ زَوْجَتِهِ أَوِ الْعَكْسِ، وَمِنْهُ الْعَطْفُ، أَيْ عَطْفُ الْفَرْدِ عَمَّا لَا يَهْوَاهُ، فَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَوْ يَرْضَى بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ. قَالَ تَعَالَى:{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.(البقرة:١٠٢)

-وَسَبَبُ كُفْرِ السَّاحِرِ وَمَنْ يَتَعَامَلُ بِالسِّحْرِ، هُوَ أَنَّ قِيَامَهُ بِالسِّحْرِ يَتَطَلَّبُ تَوَاصُلَهُ مَعَ الشَّيَاطِينِ وَمُسَاعَدَتَهُمْ إِيَّاهُ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِشَرْطِ الْإِشْرَاكِ بِاللهِ وَبِفِعْلِ أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ وَشِرْكِيَّةٍ، تُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَيَتَقَرَّبُ إِلَى الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ بِالشِّرْكِيَّاتِ.

(8)مُعَاونَةُ الْمُشْرِكين ومُظَاهرتِهمْ:

-إنَّ منْ يُظَاهِرُ الْمُشْرِكين،ويتَعَاونُ معهمْ علَى الْمُسْلمين، سواءً بالرَّأي أو السِّلَاحِ أو الْمَالِ فَذَلك رِدَّةٌ وكُفْرٌ، لأنَّ ذَلكَ يَعْني مَحبتَّهُمْ وتَفْضِيلَهُمْ علَى الْمسْلمين، ودَليلُ ذَلكَ قَوْلُهُ تعالَى:{يا أيُّهَا الّذين آمنُوا لَا تتّخذُوا اليَهُودَ والنّصارَى أوْلياءَ بعْضُهُمْ أوْلياءُ بَعْضٍ ومَنْ يَتَولّهُمْ منْكُمْ فإنّهُ منْهُمْ إنّ اللّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظّالمين}.(المائدة:٥١).

(9)الاعْتقَادُ بإمْكَانيَّة الْخُرُوجِ عَنِ الشَّرِيعَة:

-إنَّ مَنْ يَعْتَقِدُ أنَّ بعْضَ النَّاس يسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فَهوَ كَافِرٌ، لأنَّهُ يُكَذِّبُ قَوْلَهُ تَعَالَى:{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.(آل عمران:٨٥).

فَمَنْ رَغبَ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ الرَّسُولِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أوْ ظَنَّ الاسْتِغْنَاءَ عَنْهَا؛ والتَّعَبُّدَ بغَيْرِهَا، فقَدْ أصْبَحَ غَيْرَ مُسْلمٍ، فَشَرِيعَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَاقِيَةٌ إلَى يومِ الدِّين، وَعامّةٌ لِكلِّ النَّاسِ .

(10)الْإعْرَاضُ عَنْ دِين الله:

-إنَّ مَنْ يُعْرِضُ عَنْ دين الله،ولَا يَتَعَلّمُهُ،ولَا يَعْمَلُ بِهِ، فَقَدْ كَفَرَ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}.(السَّجدة:٢٢).،ويُقْصَدُ هُنَا بالْإعْرَاضِ أيْ:أعْرَضَ عَنْ تَعَلُّمِ أُصُولِ الدِّين الَّتي يَكُونُ بِهَا الْفَرْدُ مُسْلمًا.

- مَعَ التَّنْبِيه عَلَى أنَّهُ يَجِبُ أنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ كُفْرِ الْإطْلَاقِ وكُفْرِ التَّعْيِين،فَكُفْرُ الْمُعَيَّنِ يَجِبُ عِنْدَ الْحُكْمِ عَلَيْهِ انْتِفَاءُ الْمَوَانِعِ وَهِيَ:الْجَهْلُ غَيْرُ الْكَسْبِيِّ،وَالْخَطَأُ،والْإكْرَاهُ،وَالتَّأْوِيل،ويُقَابِلُهَا تَوَفُّرُ الشُّرُوطِ وَهِيَ:الْعِلْمُ،والْقَصْدُ،والاخْتِيَارُ،عَدَمُ التَّأَوُّلِ والشُّبْهَةِ.

- فَاللَّهُمَّ أرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ،وأرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ،آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وزَكِّهَا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أنْتَ وَلِيُّهَا ومَوْلَاهَا،وآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة(٢٣)

السُّخْرِيَّةُ دَاءٌ عُضَالٌ فَاحْذَرُوهُ



أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّه الْمَحْمُودِ عَلَى كُلِّ حَال، ونَعُوذُ بِاللَّه مِنْ حَالِ أَهْلِ الضَّلَال، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَال، وأَشْهَدُ أَنَّ سيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَبَلَهُ رَبُّهُ عَلَى جَمِيلِ الْفِعَال، وَكَرِيمِ الْخِصَال، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وآلٍ، والتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَآل.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ حَوْلَ هَذَا الدَّاءُ الْعُضَالِ دَاءِ السُّخْرِيَّةِ مِنَ الْآخَرِينَ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ { السُّخْرِيَّةُ دَاءٌ عُضَالٌ فَاحْذَرُوهُ }،فَأَقُولُ مُمَهِّدًا:

•لَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَأَمَرَ بِهَا وَنَهَى عَنْ مَسَاوِئِهَا وَحَذَّرَ مِنْهَا،فَالْأَخْلَاقُ ثَمَرَةٌ مِنْ ثِمَارِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٦٠١٨)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٤٧)

مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ}.

-يُرْشِدُنَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى التَّحَلِّي بِالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي تَزِيدُ الْأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيُخْبِرُ أَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ إِيمَانًا كَامِلًا، وَيُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الَّذِي إِلَيْهِ مَعَادُهُ وَفِيهِ مُجَازَاتُهُ بِعَمَلِهِ؛ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، بَلْ يُكْرِمُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَاللُّطْفِ فِي مُعَامَلَتِهِ.وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ يَكُونُ بِطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَطِيبِ الْكَلَامِ، وَالْإِطْعَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بِمَا حَضَرَهُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ؛لِئَلَّا يُثْقِلَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَفْسِهِ،وَبَعْدَ الثَّلَاثَةِ يُعَدُّ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَمِنَ الضُّيُوفِ مَنْ يَكُونُ حَقُّهُ أَوْلَى، كَالضَّيْفِ الْمُسَافِرِ، وَهُوَ الْقَادِمُ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ، فَحَقُّهُ وَإِكْرَامُهُ أَوْلَى مِنَ الزَّائِرِ مِنَ الْبَلَدِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ قَادِمًا مِنَ السَّفَرِ.وَأَنَّ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا،أَوْ لِيَصْمُتْ،أَيْ:يَلْتَزِمِ السُّكُوتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَوْلَ الْخَيْرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَصْلِ مَأْمُورٌ بِقَوْلِ الْخَيْرِ دَوْمًا، وَإِنَّمَا نَبَّهَ وَشَدَّدَ

عَلَيْه؛ لأنَّ آفَات اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ، فَإنَّ الْمَرْءَ إذَا أرَادَ أنْ يَتكلَّم، فليَتفكَّرْ قبْلَ كلَامه؛ فَإنْ علِمَ أنّهُ لَا يَترتَّبُ علَيْه مفْسَدَةٌ ولَا يَجرُّ إلَى مُحَرَّمٍ ولَا مكْرُوه، فلْيتكلَّمْ، وإنْ كَانَ مُباحًا فَالسَّلَامَةُ فِي السُّكُوتِ؛ لئلَّا يَجرُّ الْمُبَاحُ إلَى مُحَرَّمٍ أوْ مَكْرُوهٍ.وَإنَّمَا ذَكَرَ الْيَوْمَ الْآخِرَ مَعَ الْإيمَانِ باللَّه؛ للتَّرْغيبِ فِي تَحْصِيلِ الثَّوَابِ وَالنَّجَاة فيه منَ الْعقَابِ.

•وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه برَقَمِ

(6016)مِنْ حَدِيثِ أبِي شُرَيْح الْعَدَوِيِّ خُوَيْلِد بْنِ عَمْرُو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-

:{وَاللَّه لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّه لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّه لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ}.،وَفِي رِوَايَة:{وَاللَّه لَا يؤمن،واللَّه لَا يؤمن،واللَّه لَا يؤمن قيل:مَنْ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ : الَّذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بوائِقَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ : شَرُّهُ}.

-يُوصِينَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-دَائِمًا بِالْإحْسَانِ إلَى الْجَارِ وَمُعَامَلَتِه مُعَامَلَةً طَيِّبَةً، وَالْبُعْدِ عَنْ إيذَائه.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُقْسِمُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-:{وَاللَّه لَا يؤمن،واللَّه لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّه لَا يُؤْمِنُ}، أيْ: إيمَانًا كَامِلًا، وكَرَّرَهَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-ثَلَاثًا للتَّحْذِيرِ الشَّدِيدِ، فَسَألَهُ الْحَاضِرُونَ: وَمَنِ الَّذِي لَا يُؤمنُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-: {الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ}، وَالْبَوَايِقُ وَالْبَوَائِقُ:جَمْعُ بَائِقَة، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ وَالْبَلِيَّةُ، وَالْفَتْكُ وَالشُّرُور، وَالظُّلْمُ وَالْجَوْرُ وَالتَّعَدِّي، وَالْمُرَادُ: أنَّ الْمُؤمِنَ لَا يَبْلُغُ الْإيمَانَ الْكَامِلَ حَتَّى يَمْنَعَ أذَاهُ وَضَرَرَهُ عَنْ جَارِه.

-وَفِي الْحَدِيثِ:التَّشْدِيدُ فِي حِفْظِ الْجَارِ مِنَ الْأذَى وَالضَّرَرِ.

-وَفِيه: أنَّ أمَانَ الْجَارِ مِنْ كَمَالِ الْإيمَانِ، وَبُلُوغِ أعْلَى دَرَجَاته.

•وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ أيْضًا بِرَقَمِ(١٠)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-

قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-:{الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه،وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ}.

-هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ جَوامِعِ كَلِمِه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَفِيهِ يُرْشِدُنَا النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِلَى التَّحَلِّي بِالْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي تَزِيدُ الْأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْمُسْلِمَ الْكَامِلَ الْجَامِعَ لِخِصَالِ الْإِسْلَامِ: هُوَ مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ،وَخَصَّ اللِّسَانَ وَالْيَدَ؛ لِكَثْرَةِ أَخْطَائِهِمَا وَأَضْرَارِهِمَا؛ فَإِنَّ مُعْظَمَ الشُّرُورِ تَصْدُرُ عَنْهُمَا؛ فَاللِّسَانُ يَكْذِبُ، وَيَغْتَابُ، وَيَسُبُّ، وَيَشْهَدُ بِالزُّورِ، وَالْيَدُ تَضْرِبُ، وَتَقْتُلُ، وَتَسْرِقُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ اللِّسَانَ؛ لِأَنَّ الْإِيذَاءَ بِهِ أَكْثَرُ وَأَسْهَلُ، وَأَشَدُّ نِكَايَةً،وَيَعُمُّ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ جَمِيعًا. وَبَيَّنَ أَنَّ الْمُهَاجِرَ الْكَامِلَ هُوَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ؛ فَالْمُهَاجِرُ الْمَمْدُوحُ هُوَ الَّذِي جَمَعَ إِلَى هِجْرَانِ وَطَنِهِ وَعَشِيرَتِهِ هِجْرَانَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ؛ فَمُجَرَّدُ هِجْرَةِ بَلَدِ الشِّرْكِ مَعَ الْإِصْرَارِ عَلَى الْمَعَاصِي لَيْسَتْ بِهِجْرَةٍ تَامَّةٍ كَامِلَةٍ؛ فَالْمُهَاجِرُ بِحَقٍّ هُوَ الَّذِي لَمْ يَقِفْ عِنْدَ الْهِجْرَةِ الظَّاهِرَةِ، مِنْ تَرْكِ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْأَمْنِ، بَلْ هُوَ مَنْ هَجَرَ كُلَّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ .

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى تَرْكِ أَذَى الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَا يُؤْذِي.

-وَفِيهِ : أَنَّ الظَّوَاهِرَ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا إِذَا لَمْ تُؤَيِّدْهَا الْأَعْمَالُ الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهَا.

•وَلَقَدْ حَثَّتْ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ كَالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَأَكْلِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ وَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ،وَحَذَّرَتْ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ كَالْكَذِبِ وَخُلْفِ الْوَعْدِ وَالْفُجُورِ فِي الْخُصُومَةِ وَخِيَانَةِ الْأَمَانَةِ،وَالْحَسَدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ وَالتَّنَاجُشِ،وَالسُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ.

•فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(2607)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا }.

-يعلِّمُنا الرَّسُولُ-صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ-أَنْ نكُونَ صادقِينَ مُحِبِّينَ، فيقُولُ: إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، أيْ: يُوصِّلُ إلى الْخيْراتِ كلِّها، وإِنَّ الْبِرَّ يُوصِّلُ إلى الْجنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليَصْدُقُ في السرِّ والْعلانيةِ، ويتكرَّرُ ذلكَ منْهُ، حتَّى يكُونَ صدِّيقًا، أيْ: بلَغَ في الصِّدْقِ إلى غايتِه ونهايتِه، حتَّى دخلَ زُمرتَهُمْ، واستحقَّ ثوابَهُمْ.

وإِنَّ الْكَذِبَ يُوصِّلُ إلى الْفُجُورِ الَّذِي هُوَ ضدُّ الْبِرِّ، وإِنَّ الْفُجُورَ يُوصِّلُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليَكْذِبُ ويتكرَّرُ ذلكَ منْهُ حتَّى يُكْتَبَ عنْدَ اللهِ كذَّابًا،أيْ يُحْكَمُ لَهُ بذلكَ،ويُظْهِرُهُ للمَخْلُوقِينَ منَ الْمَلأِ الْأَعْلَى، ويُلْقِي ذلكَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَيَسْتَحِقُّ بذلكَ صفةَ الْكذَّابينَ وعقابَهُمْ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه برَقَم(2518)وقَالَ:هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ:مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟قَالَ:حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ}.

-فِي هذَا الْحَدِيثِ يَأْمُرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطُّمَأْنِينَةِ وَالوُضُوحِ فِي الرُّؤْيَةِ وَالابْتِعَادِ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ بِهِ شَكٌّ وَاضِحٌ؛ فَيَقُولُ:{دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ}، أيْ:اتْرُكْ وَاسْتَغْنِ عمَّا تَشُكُّ فيهِ مِنْ أُمُورٍ لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهَا نَفْسُكَ إِلَى مَا لَا تَشُكُّ فيهِ، فَتَطْمَئِنَّ لَهَا نَفْسُكَ، وتَبْعُدَ عَنِ الشَّكِّ وَالْوَسَاوِسِ؛ فَإِنَّ الاحْتِرَازَ عَنِ الشُّبُهَاتِ اسْتِبْرَاءٌ للدِّينِ، والاعْتِدَادَ بِالْوَسَاوِسِ إِفْسَادٌ لَهُ؛ {فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ}،أيْ: إِنَّ الصِّدْقَ وَالْخَيْرَ وَالْحَقَّ يَسْكُنُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ويَرْتَاحُ بِهِ،{وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ}،أيْ: إِنَّ غَيْرَ الْحَقِّ يَجْعَلُ الْقَلْبَ مُضْطَرِبًا، غَيْرَ مُطْمَئِنٍّ؛ نَتِيجَةَ الشَّكِّ الَّذِي بِهِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى رُجُوعِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ إِلَى قَلْبِهِ عِنْدَ الاشْتِبَاهِ؛لأَنَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ دَلِيلٌ لَهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَمُبْعِدٌ لَهُ عَنِ الشَّرِّ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: اعْتِبَارُ النَّوَاحِي الْقَلْبِيَّةِ الصَّحِيحَةِ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ مِنْ عَدَمِهَا.

-وَفِيهِ:بَيَانُ فَضِيلَةِ الصِّدْقِ وَأَنَّهُ طُمَأْنِينَةٌ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي مُسْنَدِه برَقَمِ(6614)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{أَرْبَعٌ إِذَا

كنَّ فيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنْ الدنيَا حِفْظُ أَمَانَةٍ وَصِدْقُ حَدِيثٍ وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ}.(وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ رقم:٨٧٣).

-حسنُ الْخُلُقِ يَرقَى بِصَاحِبِهِ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي الدنيَا وَالْآخرَةِ، وَمَنْ رُزِقَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَلَا عَلَيْهِ مِمَّا فَاتَه مِنَ الدنيَا، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي هَذَا الْحَدِيثِ:{أَرْبَعٌ}،أَيْ:خِصَالٍ وَصِفَاتٍ، {إِذَا كُنَّ فِيكَ}،أَيْ: اتَّصَفَ الْمُسْلِمُ وَتَخَلَّقَ بِهِنَّ،{فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدنيَا}،أَيْ:لَا بَأْسَ بِمَا يَضِيعُ مِنَ الدنيَا مِنْ مُتَعٍ، إِنْ كَانَ الْمُسْلِمُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ ، وَيَحْتَمِلُ : أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِمَا يَفُوتُ مِنَ الدنيَا إِذَا كَانَ الْفَائِتُ مِنْهَا مَا يَتَرَتَّبُ مِنْ مُعَامَلَاتٍ بِتِلْكَ الْخِصَالِ، الْأُولَى:{حِفْظُ أَمَانَةٍ}، وَحِفْظُ الْأَمَانَاتِ يَكُونُ فِي الْأَموَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَالثَّانِيَةُ:{صِدْقُ حَدِيثٍ}، أَيْ: الْتِزَامُ الصِّدْقِ فِي الْقَوْلِ وَالْإِخْبَارِ بِأَيِّ شَيْءٍ،وَالثَّالِثَةُ:{وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ}، أَيْ: الَّذِي يَمْتَثِلُ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا؛ فَيُحسِنُ خُلُقَهُ مع الله عزَّ وجلَّ بِالرِّضَا بِقَضَاءِ الله وقَدَرِه، وَالصَّبْرِ وَالْحَمْدِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ النِّعْمَةِ، وَيَكُونُ حُسْنُ الْخُلُقِ مَعَ النَّاسِ؛ بِكَفِّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ، وَلِينِ الْكَلَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَبَذْلِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ، مَعَ الصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ؛ فَكَمَالُ الْإِيمَانِ يُوجِبُ حُسْنَ الْخُلُقِ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَالرَّابِعَةُ:{وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ}، أَيْ: الْتِزَامُ الْحَلَالِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ؛ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا يَطْلُبُهُ النَّاسُ،وَيَعُمُّ كُلَّ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ كَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (33)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ.}.

•وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ(٢٤٥٩)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٥٨)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ}.

-النِّفَاقُ هُوَ إِظْهَارُ الْمَرْءِ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ، وَيَنْقَسِمُ إِلَى نِفَاقِ اعْتِقَادٍ وَنِفَاقِ عَمَلٍ؛ أَمَّا نِفَاقُ الاعْتِقَادِ فَهُوَ أَنْ يُبْطِنَ الْإِنْسَانُ الْكُفْرَ وَيُظْهِرَ الْإِسْلَامَ، وَهَذَا صَاحِبُهُ إِذَا مَاتَ

عَلَيه مُخَلَّدٌ فِي الدَّرْكِ الْأَسفلِ من النَّارِ لَيسَ فِي عدَادِ الْمُوَحِّدِين، وَأَمَّا نفَاقُ الْعَمَلِ فَصَاحِبُه مُوَحِّدٌ غير مُخَلَّد فِي النَّارِ،فَهُوَ فِي الْمَشيئَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ عفَا عَنْه،فَلَنْ يُخَلَّدَ مُوَحِّدٌ فِي النَّارِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَّنَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-النِّفَاقَ الْعَمَلِيَّ، وَذَكَرَ فِيهِ الْخِصَالَ الْمُمَيِّزَةَ لَهُ، فَقَالَ: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصاً، فَيَكُونُ شَدِيدَ الشَّبَهِ بِالْمُنَافِقِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخِصَالِ، وَمَنْ وُجِدَ فِيهِ بَعْضُهَا، كَانَ لَدَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ بِقَدْرِ مَا وُجِدَ فِيهِ مِنْهَا، حَتَّى يَتْرُكَ هَذِهِ الْخِصَالَ؛ فَالْخَصْلَةُ الْأُولَى: أَنْ يَشْتَهِرَ بِالْخِيَانَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَشْتَهِرَ بِالْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ، وَالْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: إِذَا عَاهَدَ أَحَدًا غَدَرَ بِهِ، وَلَمْ يَفِ بِالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَهُ عَلَيْهِ، وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ: الْفُجُورُ فِي الْخُصُومَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْفُجُورِ أَنْ يَخْرُجَ عَنِ الْحَقِّ عَمْدًا، حَتَّى يَصِيرَ الْحَقُّ بَاطِلًا، وَالْبَاطِلُ حَقًّا .

-وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْحَدِيثِ: أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ خِصَالُ نِفَاقٍ، وَصَاحِبُهَا شَبِيهٌ بِالْمُنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ، وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ، لَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُبْطِنُ الْكُفْرَ، فَلَمْ يُرِدِ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالنِّفَاقِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ النِّفَاقَ الَّذِي صَاحِبُهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ إِنْ مَاتَ عَلَيْهِ، الَّذِي هُوَ أَشَدُّ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهَا خِصَالٌ تُشْبِهُ مَعْنَى النِّفَاقِ؛ لأَنَّ النِّفَاقَ أَنْ يُظْهِرَ الْمَرْءُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي الْكَذِبِ، وَخُلْفِ الْوَعْدِ، وَالْخِيَانَةِ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ:{كَانَ مُنَافِقًا خَالِصاً}، أَيْ: خَالِصاً فِي هَذِهِ الْخِلَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْحَدِيثِ فَقَطْ، لَا فِي غَيْرِهَا.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه كِتَاب الْإِمَارَةِ بَاب وُجُوبِ الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ بِرَقَمِ(1844)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوفٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ:{إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ

عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ أَنْشُدُكَ اللَّهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ وَقَالَ :سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي فَقُلْتُ لَهُ :هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا وَاللَّهُ يَقُولُ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}قَالَ:فَسَكَتَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ:أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ}.

-فَقَوْلُهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ}، أَيْ: لَا يَرْجُو دُخُولَهَا، {وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ}، أَيْ: وَأَرَادَ أَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ،{فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ}، أَيْ: فَلْيُؤَدِّ إِلَيْهِمْ، وَيَفْعَلْ بِهِمْ مَا يُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ بِحُقُوقِهِمْ مِنَ النُّصْحِ وَالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ بِمِثْلِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُجَاءَ إِلَيْهِ بِهِ،وَفِي ذَلِكَ أَمْرٌ بِبَذْلِ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ وَنَهْيٌ عَنِ الشَّرِّ وَإِلْحَاقِ الْأَذَى بِهِمْ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ كِتَاب الْأَدَبِ بَاب مَا جَاءَ لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ وَقَالَ:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ بِرَقَم(٢٨٢٥)مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا وَقَالَ سُفْيَانُ فِي حَدِيثِهِ لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ}.

-لَقَدْ حَرَصَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ السَّمْحَةُ عَلَى تَأْلِيفِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ بَعْضِهِمِ الْبَعْضِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ–

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ}،وَهَذَا نَهْيُ عَنْ تَنَاجِي الرَّجُلَيْنِ؛ وَالتَّنَاجِي هُوَ أَنْ يُكَلِّمَ الرَّجُلُ الْآخَرَ سِراً بِحُضُورِ ثَالِثٍ، حَتَّى وَإِنْ كَانَتِ النَّجْوَى فِي مُبَاحٍ، وَقَدْ بَيَّنَ عِلَّةَ هَذَا النَّهْيِ كَمَا فِي رِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-، فَقَالَ:{إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ}، أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ وَالتَّنَاجِي دُونَهُ يُحْزِنُهُ؛ لِمَا قَدْ يُوَسْوِسُ لَهُ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ أَنَّهُمَا يَتَنَاجَيَانِ لِلإِضْرَارِ بِهِ، أَوْ يَحْزَنُ لاخْتِصَاصِ غَيْرِهِ بِالْمُنَاجَاةِ، وَبَيَّنَ كَذَلِكَ أَنَّ النَّهْيَ يَزُولُ إِذَا كَانُوا فِي جَمَاعَةٍ وَخُلْطَةٍ بِالنَّاسِ؛ لِزَوَالِ الرِّيبَةِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى تَقْلِيلِ الْخِلَافِ وَتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ مَا أَمْكَنَ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَابِ الاسْتِئْذَانِ بَابِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا بِرَقَمِ(٥٨٧٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ}.

-لَا يَحِلُّ إِيذَاءُ الْمُسْلِمِ وَإِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهِ، صَغِيراً كَانَ أَوْ كَبِيراً، وَقَدْ رَاعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْمُطَهَّرَةُ حُقُوقَ الْجَمِيعِ وَمَصَالِحَهُمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُحَذِّرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الطُّرُقَاتِ؛ عَلَى الْمَسَاطِبِ أَوِ الْأَرَائِكِ، أَوْ الْكَرَاسِيِّ أَوِ الْفُرُشِ؛ لِأَنَّ الْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ يُؤَدِّي -فِي الْأَغْلَبِ- إِلَى أَذِيَّةِ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِإِحْرَاجِهِمْ بِمُلَاحَقَتِهِمْ بِالنَّظَرَاتِ، أَوْ تَضْيِيقِ الطَّرِيقِ عَلَيْهِمِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلِأَنَّ الْجَالِسَ فِي الطَّرِيقِ قَدْ يَتَعَرَّضُ لِلْفِتْنَةِ، أَوْ يُعَرِّضُ غَيْرَهُ لَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ، فَلَمَّا قَالُوا لِلرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{مَا لَنَا بُدٌّ مِنْهَا}، أَيْ: لَا غِنَى لَنَا عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا مُجْتَمَعَاتُنَا وَأَنْدِيَتُنَا الَّتِي نَتَحَدَّثُ فِيهَا بِشُؤُونِنَا، وَنَتَذَاكَرُ فِي مَصَالِحِنَا مِن أُمُورِ الدِّينِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا، وَنُرَوِّحُ عَنْ نُفُوسِنَا بِالْمُحَادَثَةِ فِي الْمُبَاحِ، وَيُسَرِّي بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ؛ فَتَرْكُهَا يَشُقُّ عَلَيْنَا،

وكَأَنَّهُمْ فهِموا منْ كلَامه- صلَّى الله علَيْه وسَلَّمَ- أنَّهُ للتَّحْذير، ولَيْس للنَّهْيِ الصَّريح، أوْ أنَّ النَّهي للتَّنْزيه، ولَا يُرادُ به التَّحْريمُ؛ لأنَّهُمْ لَمْ يعْهَدُوا منَ الرَّسُول- صلَّى الله علَيْه وسَلَّمَ تَحْريم نَافعٍ، ولَا إباحَةَ ضارٍّ، أوْ أنَّ النَّهي لمَعْنًى مُتَّصِلٍ بالْمَجَالس، لَا لنَفْسها وذَاتها، وقدْ يُمْكنهُمْ مُجَانَبَةُ هذا الْمعْنَى الَّذي منْ أجْله كَانَ النَّهْيُ، وإلَّا فَإنَّ الصَّحَابةَ- رَضي الله عَنْهُمْ- أسْرَعُ النَّاسِ إجَابَةً لأوَامرِ الله ورَسُوله؛ ولذَلكَ كَانَتْ مُراجَعَتُهُمْ للنَّبيِّ-صلَّى الله علَيْه وسَلَّمَ- اسْتفْسارًا علَى مَا فَهمُوهُ منْهُ، ولَيْس مُعارَضَةً لَهُ -حَاشَاهُمْ-، ولَوْ علمُوا أنَّ النَّهْيَ عزْمَةٌ منَ الْعزَمَات مَا رَاجَعُوهُ، ولَبَادَرُوا إلَى الامْتثَال مُبَاشَرَةً، فَأجَابَهُمُ النَّبيُّ-صلَّى الله علَيْه وسَلَّمَ-بمَا يدُلُّ علَى أنَّ النَّهْيَ لَيْسَ لذَات الْمَجَالس، وإنَّمَا هُوَ منْ أجْل حُقُوق الطَّريق الَّتي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْجَالس؛ فَقَالَ- صلَّى الله عَلَيْه وسَلَّمَ-: {فَإذَا أبَيْتُمْ إلَّا الْمجَالسَ فَأعْطُوا الطَّريقَ حقَّهَا} تَأكيدًا لمَا للطَّريقِ منْ آدَابٍ وحُقُوقٍ، فَسَأَلُوهُ سؤالَ الْمُسْتَرْشد عَنْ حَقِّهَا، فَأجَابَهُمْ-صلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ- بقَوله:{غَضُّ البَصَر، وكَفُّ الْأذَى، ورَدُّ السَّلَام،وأمْرٌ بالمَعْرُوف،ونَهْيٌ عَن المُنْكَرِ}

-وَغَضُّ البَصَر: يَكُونُ بكَفِّه عمَّا لَا يحلُّ النَّظَرُ إلَيْه، وكَفِّه عَنْ كُلِّ مَا تُخْشَى الْفتْنَةُ منْهُ؛ فَلَا يَنْظُرُ إلَى مَا لَا يجوزُ لَهُ النَّظَرُ إلَيْه، كَالنَّظر إلَى النِّسَاء،وأشَارَ بغَضِّ البَصَرِ إلَى السَّلَامَة منَ التَّعرُّض للفتْنَة بمَنْ يمرُّ منَ النِّسَاء وغَيْرهنَّ، وخَوْف مَا يَلْحَقُ منَ النَّظَر إلَيْهنَّ إذَا مَرَّ النِّسَاءُ في الشَّوَارع لحَوَائجهنَّ.

-وَكَفُّ الْأَذَى: يَكُونُ بعَدَم أذيَّة الْعبَاد بالْقَوْل أوْ بالْفعْل؛ باللِّسَان أوْ اليَد؛ فَلَا يَشْتُمُ، ولَا يَسُبُّ، ولَا يَحْتَقرُ، ولَا يَعيبُ، ولَا يغْتَابُ، ولَا يضْربُ أحَدًا بالْيَد أو الْعَصَا منْ غَيْر مَا جُرْمٍ اجْترَمَهُ، ولَا ذَنْبٍ اقْتَرَفَهُ، ولَا يَسْلُبُ شَيْئًا ممَّا يَحْمِلُهُ منْ غَيْر أنْ تَطيبَ به نَفْسُهُ، ولَا يُريقُ الْمَاءَ في الطَّريق؛ لئَلَّا تَزلَّ به الْأقْدَامُ، ولَا يَضَعُ عَقَبَاتٍ يَعْثُرُ فيهَا المُشَاةُ، ولَا يُلْقي قَاذُورَاتٍ أوْ أشْوَاكًا تَضرُّ الْمَارَّةَ، ولَا يُضَيِّقُ الطَّريقَ بمَجْلسه أوْ قُعُوده حَيْثُ يَتَأذَّى الْجيرَانُ، فَيَكْشفُ نسَاءَهُمْ، ويُقَيِّدُ عَلَيْهمْ حُرِّيَّتَهُمْ، وقَدْ يُؤَدِّي ذَلكَ إلَى امْتنَاعِ النِّسَاءِ منَ الْخُرُوجِ إلَى مَصَالحِهنَّ بسَبَبِ قُعُودهمْ في الطَّريقِ، والاطِّلَاعِ

عَلَى أحوَالِ النَّاسِ مِمَّا يكْرَهُونَه، كلُّ ذَلِكَ وَغيْرُهُ مِنَ الْأذَى الَّذِي يَجِبُ كَفُّهُ وَإبعَادُه عَنِ الْمَارَّة، بَلْ يَشْمَلُ هَذَا كفَّ الْأذَى عَنِ الْحيَوَانَاتِ كذَلِكَ.

-وَرَدُّ السَّلَامِ:وهَذَا وَاجِبٌ،وَفِيهِ إكْرَامٌ لِلمَارِّ -وَهُوَ الَّذِي يبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ عَلَى الْجَالِسِ- وَالسَّلَامُ وَرَدُّه رَسُولُ الْأُلْفَةِ وَدَاعِيَةُ الْمَحَبَّةِ؛ فَعَلَى الْجَالِسِ ألَّا يسأَمَ كَثْرَتَهُ مِنَ الْمَارِّينَ؛ فَإنَّ الْمَارَّ يَتَحَبَّبُ بِهِ إلَى الْجَالِسِ وَيُحَيِّيهِ وَيُكْرِمُهُ؛ فَعَلَى الْجَالِسِ أنْ يَرُدَّ السَّلَامَ وَالتَّحِيَّةَ بِمِثْلِهَا أوْ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَيَوَدُّ مَنْ وَادَّهُ، وَيُكْرِمُ مَنْ أكْرَمَهُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا}.(النِّسَاء: ٨٦.)

-وَالْأمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ: يَكُونُ بِاسْتِعْمَالِ جَمِيعِ مَا يُشْرَعُ، وَتَرْكِ جَمِيعِ مَا لَا يُشْرَعُ؛ لَكِنْ بِحَيْثُ لَا يَتَعَدَّى إلَى الْأمرِ الْأنْكَرِ، حَتَّى إنْ ظَنَّ أنَّ ذَلِكَ لَا يُفِيدُ، فَإذَا حَصَلَ أمْرٌ يَقْتَضِي أنْ يُوَجِّهَ إلَى خَيْرٍ، وَأنْ يُبَصِّرَ بِحَقٍّ؛ فَإنَّهُ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَكَذَلِكَ إذَا رَأَى أمْرًا مُنْكَرًا، فَإنَّه يُنَبِّهُ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ الْمُنْكَرُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُحَذِّرُ مِنْ ذَلِكَ، وَيُخَوِّفُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ أنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ بِأُسْلُوبٍ حَسَنٍ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ بِغَيْرِ مُنْكَرٍ؛ فَإذَا رَأَى مُتَشَاجِرَيْنِ أوْ مُتَقَاتِلَيْنِ فَعَلَيْهِ أنْ يَأْمُرَهُمَا بِالْكَفِّ عَنْ هَذَا، وَيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَإذَا رَأَى شَابًّا يُلَاحِقُ فَتَاةً وَيَعْتَرِضُهَا فِي طَرِيقِهَا، فَلْيَنْصَحْ لَهُ، وَيَدْفَعْهُ عَنْ هَذَا بِمَا اسْتَطَاعَ فِي غَيْرِ تَهَوُّرٍ وَلَا إضْرَارٍ، وَهَكَذَا، وَعَلَيْهِ أنْ يُحَقِّقَ أَوْلَى الْمَصَالِحِ وَأَهَمَّهَا، وَلْيَعْلَمْ أنَّ دَفْعَ الْمَفْسَدَةِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَأنَّ الْمَفْسَدَةَ الصُّغْرَى تُحْتَمَلُ فِي جَانِبِ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ الْعُظْمَى.

-فَهَذِهِ جُمْلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ آدَابِ الطَّرِيقِ، وَأَيْضًا يَدْخُلُ ضِمْنَ هَذِهِ الْآدَابِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: حُسْنُ الْكَلَامِ، وَإرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ، وَإغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَهِدَايَةُ الضَّالِّ وَإرْشَادُهُ ، وَإعَانَةُ الْمَظْلُومِ، وَالْمُعَاوَنَةُ عَلَى حَمْلِ الْأغْرَاضِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ نَدْبٌ إلَى حُسْنِ مُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ؛ فَإنَّ الْجَالِسَ عَلَى الطَّرِيقِ يَمُرُّ بِهِ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَيَحْصُلُ بَيْنَهُمْ مُعَامَلَاتٌ كَثِيرَةٌ؛ فَعَلَيْهِ بِحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ فِي كُلِّ هَذَا.

•وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ كِتَابِ الدِّيَاتِ بَابِ إثْمِ مَنْ قَتَلَ ذِمِّيًّا بِغَيْرِ جُرْمٍ بِرَقَمِ(٦٥١٦)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-

عَنْ النَّبِيِّ –صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ– قَالَ:{ مَنْ قَتَلَ نفسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا}.

–أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، فَقَالَ: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}.(النحل: ٩١)،وَلِأَجْلِ ذَلِكَ تَوَعَّدَ النَّبِيُّ –صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ في هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا –وَهُوَ مَنْ يَدْخُلُ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ بِأَمَانٍ– بِأَنَّهُ لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، أَيْ: لَا يَشَمَّ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا يَكُونُ عَلَى بُعْدِ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا. وَرُوِيَ غَيْرُ ذَلِكَ، وَجُمِعَ بِأَنَّ ذَلِكَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ وَالْأَعْمَالِ، وَتَفَاوُتِ الدَّرَجَاتِ، فَيُدْرِكُهَا مَنْ شَاءَ اللهُ لَهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَمَنْ شَاءَ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ الْكُلِّ طُولَ الْمَسَافَةِ وَبُعْدَهَا، لَا تَحْدِيدَهَا.

–وَفِي الْحَدِيثِ:التَّحْذِيرُ مِنْ خِيَانَةِ الْعُهُودِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ.

–وَفِيهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ تَكُونُ لِلْأَوْفِيَاءِ وَغَيْرِ الْغَادِرِينَ.

•وَبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ حَانَ أَوَانُ الْحَدِيثِ عَنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ (السُّخْرِيَّةِ) فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

•أَوَّلًا:مَعْنَى السُّخْرِيَّةِ:

(أ)السُّخْرِيَّةُ لُغَةً:

–قَالَ ابْنُ فَارِسٍ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي مَقَايِيسِ اللُّغَةِ:٣/١٤٤ :{ مَادَّةُ (سخر): أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى احْتِقَارٍ وَاسْتِذْلَالٍ، يُقَالُ: سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخْرًا وَسَخَرًا وَمَسْخَرًا وَسُخْرًا –بِالضَّمِّ–، وَسُخْرَةً وَسِخْرِيًّا وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيَّةً: هَزِئَ بِهِ، وَالاسْمُ السُّخْرِيَّةُ وَالسُّخْرِيُّ، وَيُكْسَرُ }.

(ب)السُّخْرِيَّةُ شَرْعًا:

–قَالَ الْغَزَّالِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ:٣/١٣١ :{ السُّخْرِيَّةُ هِيَ الاسْتِهَانَةُ وَالتَّحْقِيرُ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَى الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، عَلَى وَجْهٍ يُضْحَكُ مِنْهُ }.

•ثَانِيًا:التَّحْذِيرُ مِنَ السُّخْرِيَّةِ:

(أ)عَلَى مَائِدَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }.(الحجرات:١١).

-أيْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرِيعَتِه لَا يَهْزَأْ قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْمَهْزُوءُ بِهِ مِنْهُمْ خَيْرًا مِنَ الْهَازِئِينَ، وَلَا يَهْزَأْ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ مِنْ نِسَاءٍ مُؤْمِنَاتٍ؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْمَهْزُوءُ بِهِ مِنْهُنَّ خَيْرًا مِنَ الْهَازِئَاتِ، وَلَا يَعِبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَدْعُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَا يَكْرَهُ مِنَ الْأَلْقَابِ، بِئْسَ الصِّفَةُ وَالِاسْمُ الْفُسُوقُ، وَهُوَ السُّخْرِيَّةُ وَاللَّمْزُ وَالتَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ، بَعْدَ مَا دَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلْتُمُوهُ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَذِهِ السُّخْرِيَّةِ وَاللَّمْزِ وَالتَّنَابُزِ وَالْفُسُوقِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِارْتِكَابِ هَذِهِ الْمَنَاهِي.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١)الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ(٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ(٣)كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ }(الهمزة:١-٤)

-{ وَيْلٌ }أيْ: وَعِيدٌ وَوَبَالٌ وَشِدَّةُ عَذَابٍ { لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ } الَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِفِعْلِه، وَيَلْمِزُهُمْ بِقَوْلِه؛ فَالْهَمَّازُ: الَّذِي يَعِيبُ النَّاسَ وَيَطْعَنُ عَلَيْهِمْ بِالْإِشَارَةِ وَالْفِعْلِ، وَاللَّمَّازُ: الَّذِي يَعِيبُهُمْ بِقَوْلِه. وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْهَمَّازِ اللَّمَّازِ أَنَّهُ لَا هَمَّ لَهُ سِوَى جَمْعِ الْمَالِ وَتَعْدِيدِه وَالْغِبْطَةِ بِه، وَلَيْسَ لَهُ رَغْبَةٌ فِي إِنْفَاقِه فِي طُرُقِ الْخَيْرَاتِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

•وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى عَاقِبَةَ السَّاخِرِينَ فَقَالَ تَعَالَى:{ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ(٢٩)وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ(٣٠)وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ(٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ(٣٢)وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ(٣٣)فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ }.(المطففين:٢٩-٣٤).،وَقَالَ تَعَالَى:{ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ }.(الزمر:٥٦)

.قَالَ الْحَافظُ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ قَوله: { وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ }، أَيْ: إِنَّمَا كَانَ عَمَلِي فِي الدُّنْيَا عَمَلَ سَاخِرٍ مُسْتَهْزِئٍ غَيْرِ مُوقِنٍ مُصَدِّقٍ }.

(ب)عَلَى مَائِدَةِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

•أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رحمه اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه بِرَقْمِ(٢٥٠٢) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَالَتْ:
حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-رَجُلًا فَقَالَ:{ مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا ! كَأَنَّهَا تَعْنِي : قَصِيرَةٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مُزِجَ بِهَا مَاءُ الْبَحْرِ لَمُزِجَ }.
-وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-بِرَقْمِ(٤٨٧٥):{ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: غَيْرُ مُسَدَّدٍ تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ .قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا ، فَقَالَ: مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا }.
-فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَقَدْ أَمَرَ بِحِفْظِ الْأَعْرَاضِ مِنْ أَنْ تُنْتَهَكَ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا يُورِثُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَقُولُ أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: { قُلْتُ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ }، أَيْ: مِنْ عُيُوبِهَا، وَصَفِيَّةُ هِيَ بِنْتُ حُيَيٍّ، زَوْجُ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، { كَذَا وَكَذَا }؛ قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ وَهُوَ ابْنُ مُسَرْهَدٍ، أَيْ: فِي رِوَايَتِهِمِ الْحَدِيثَ:{ تَعْنِي قَصِيرَةً }، أَيْ: إِنَّ مِنْ عُيُوبِهَا كَوْنَهَا قَصِيرَةً.
فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ }، أَيْ: إِنَّ ذِكْرَكِ صَفِيَّةَ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ لَوْ خُلِطَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَغَيَّرَتْ لَوْنَهُ أَوْ رِيحَهُ، وَهَذَا يُبَيِّنُ قُبْحَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْغِيبَةِ.
-قَالَتْ أُمُّنَا عَائِشَةُ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: { وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا }، أَيْ: وَقَلَّدْتُ لَهُ إِنْسَانًا فِي هَيْئَةٍ أَوْ صِفَةِ تَقْبِيحٍ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا }، أَيْ: لَا أُحِبُّ تَقْلِيدَ النَّاسِ وَمُحَاكَاتَهُمْ، وَلَوْ أَخَذْتُ عَلَى ذَلِكَ

الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ أَوِ الْمَتَاعِ، وَهَذَا لِبَيَانِ شِدَّةِ كَرَاهَتِهِ لِهَذَا الْفِعْلِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَتَكُونُ الْكَرَاهَةُ أَشَدَّ إِذَا كَانَ عَلَى جِهَةِ الاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ وَالتَّنْقِيصِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: التَّحْذِيرُ وَالتَّرْهِيبُ مِنَ الْغِيبَةِ، وَالتَّحْذِيرُ وَالزَّجْرُ عَنِ التَّقْلِيدِ وَمُحَاكَاةِ النَّاسِ، وَخَاصَّةً عَلَى جِهَةِ الاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي مُسْنَدِهِ بِرَقَمِ(3991)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ انْكَشَفَتْ سَاقُهُ، وَكَانَتْ دَقِيقَةً هَزِيلَةً، فَضَحِكَ مِنْهَا بَعْضُ الْحَاضِرِينَ. فَقَالَ النَّبِيُّ :{ أَتَضْحَكُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ! وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ }.

-وَفِي رِوَايَةٍ فِي سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ:٤٧٨/١ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:{ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ابْنَ مَسْعُودٍ، فَصَعِدَ شَجَرَةً يَأْتِيهِ مِنْهَا بِشَيْءٍ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللهِ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:مَا تَضْحَكُونَ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ }

-كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– مِنْ مَشَاهِيرِ الصَّحَابَةِ وَعُلَمَائِهِمْ، وَلَهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَهُوَ سَادِسُ مَنْ دَخَلُوا الْإِسْلَامَ فِي أَوَّلِ مَبْعَثِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .–

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:{ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ابْنَ مَسْعُودٍ، فَصَعِدَ شَجَرَةً يَأْتِيهِ مِنْهَا بِشَيْءٍ } يَجْتَنِي بَعْضًا مِنْ ثِمَارِهَا، وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ:{ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ }،قَالَ عَلِيٌّ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:{ فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاقِ عَبْدِ اللهِ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ } مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ وَنَحَافَتِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَا تَضْحَكُونَ؟! } أَنْكَرَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَيْهِمْ ضَحِكَهُمْ، ثُمَّ قَالَ:{ لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ } وَهَذَا بَيَانٌ لِفَضْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–وَمَنْقَبَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلِبَيَانِ أَنَّ الْعِبْرَةَ فِي هَذَا الدِّينِ لَيْسَتْ بِفَضْلِ نَسَبٍ وَلَا قُوَّةِ جَسَدٍ؛ وَإِنَّمَا بِفَضْلِ مَا بَذَلَهُ الْإِنْسَانُ لِدِينِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَنَفَعَ بِهِ غَيْرَهُ. وَحَاصِلُ هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ–

صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-:{ إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }.(أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.)

-وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ الْمِيزَانِ يومَ الْقِيَامَةِ.

-وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنِ السُّخْرِيَّةِ وَالاستِهْزَاءِ بِالْآخَرِينَ.

•وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (2564)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ }.

-الْأُلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ؛ لِذَا جَاءَ النَّهْيُ عَنْ كُلِّ أَسْبَابِ الْفُرْقَةِ وَالتَّشَاحُنِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ، وَالْأُخُوَّةُ يُنَافِيهَا الْحِقْدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَتَقْتَضِي التَّوَادُدَ وَالتَّنَاصُرَ وَقِيَامَ الْأُلْفَةِ وَالْمَحَبَّةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ نَهَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْهَا الْحَسَدُ؛ فَلَا يَحْسُدُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَالْحَسَدُ هُوَ كُرْهُ النِّعْمَةِ عِنْدَ الْمَحْسُودِ وَالْفُجُورُ فِي الْحَسَدِ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى لَهُ حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَى غَيْرِهِ، مَعَ مُحَاوَلَتِهِ نَقْضَ فِعْلِهِ تَعَالَى وَإِزَالَةَ فَضْلِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْحَسَدُ غَيْرُ الْغِبْطَةِ، وَهِيَ أَنْ يَرَى الْمَرْءُ نِعْمَةً عِنْدَ غَيْرِهِ، فَيَتَمَنَّى مِثْلَهَا لِنَفْسِهِ دُونَ كُرْهِهَا لِأَخِيهِ أَوْ تَمَنِّي زَوَالِهَا عَنْ أَخِيهِ؛ فَإِنْ كَانَتِ الْغِبْطَةُ فِي أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ -مِنْ صِحَّةٍ، أَوْ قُوَّةٍ، أَوْ مَرْكَزٍ، أَوْ وَلَدٍ- فَلَا بَأْسَ بِهَا، وَإِنْ كَانَتْ فِي أَمْرٍ دِينِيٍّ -كَالْعِلْمِ النَّافِعِ، أَوِ الْمَالِ الصَّالِحِ- فَهِيَ مَطْلُوبَةٌ شَرْعًا، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا }، وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:أَنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: { لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ

النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعمَلُ}.

-ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنِ النَّجْشِ، وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ الْإِنْسَانُ فِي سِعْرِ السِّلْعَةِ لَا لِرَغْبَةٍ فِي شِرَائِهَا؛ بَلْ لِيَخْدَعَ غَيْرَهُ بِتَكْثِيرِ الثَّمَنِ عَلَيْهِ لِيَشْتَرِيَهَا بِسِعْرٍ زَائِدٍ، سَوَاءٌ كَانَ بِمُوَاطَأَةِ الْبَائِعِ أَمْ لَا؛ لِأَنَّهُ غِشٌّ وَخِدَاعٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُفَسَّرَ التَّنَاجُشُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِمَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ أَصْلَ النَّجْشِ فِي اللُّغَةِ إِثَارَةُ الشَّيْءِ بِالْمَكْرِ وَالْحِيلَةِ وَالْمُخَادَعَةِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَعْنَى: لَا تَتَخَادَعُوا، وَلَا يُعَامِلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَكْرِ وَالاحْتِيَالِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِالْمَكْرِ وَالْمُخَادَعَةِ إِيصَالُ الْأَذَى إِلَى الْمُسْلِمِ.

-ثُمَّ نَهَى النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ التَّبَاغُضِ، وَهُوَ أَلَّا يَتَعَاطَى الرَّجُلُ أَسْبَابَ الْبُغْضِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ؛ لِأَنَّ الْبُغْضَ لَا يُكْتَسَبُ ابْتِدَاءً، وَالْبُغْضُ هُوَ النُّفْرَةُ عَنِ الشَّيْءِ لِمَعْنًى فِيهِ مُسْتَقْبَحٍ، وَتُرَادِفُهُ الْكَرَاهَةُ، ثُمَّ هُوَ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ إِمَّا مِنْ جَانِبَيْهِمَا أَوْ مِنْ جَانِبِ أَحَدِهِمَا، وَعَلَى كُلٍّ فَهُوَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَمِيَّةً لِلدِّينِ وَغَيْرَةً عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللهِ؛ فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، وَأَمَّا الْبُغْضُ فِي اللهِ فَإِنَّهُ يُثَابُ فَاعِلُهُ؛ لِتَعْظِيمِ حَقِّ اللهِ، فَلَا يَتَبَاغَضُ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَهُمْ فِي غَيْرِ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَهُمْ إِخْوَةً، وَالْإِخْوَةُ يَتَحَابُّونَ بَيْنَهُمْ وَلَا يَتَبَاغَضُونَ.

-ثُمَّ نَهَى عَنِ التَّدَابُرِ، وَهُوَ أَنْ يُوَلِّيَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ظَهْرَهُ وَدُبُرَهُ؛ إِمَّا حِسِّيًّا فَلَا يُجَالِسُهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَإِمَّا مَعْنَوِيًّا فَلَا يُظْهِرُ الاهْتِمَامَ بِهِ، وَالْمَقْصُودُ نَهْيُهُمْ عَنِ التَّقَاطُعِ وَالتَّهَاجُرِ، فَيُعْرِضُ عَمَّا يَجِبُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مِنْ حُقُوقِ الْإِسْلَامِ كَالْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ، وَإِلْقَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ الْهُجْرَانِ فِي الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ.

-ثُمَّ نَهَى-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَنْ بَيْعِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ بِغَيْرِ إِذْنِ الْبَائِعِ أَنْ يَقُولَ لِمُشْتَرِي سِلْعَةٍ فِي زَمَنِ الْخِيَارِ: افْسَخْ هَذَا الْبَيْعَ وَأَنَا أَبِيعُكَ مِثْلَهُ بِأَرْخَصَ مِنْ ثَمَنِهِ أَوْ أَجْوَدَ مِنْهُ بِثَمَنِهِ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ الْمُوجِبِ لِلتَّنَافُرِ وَالْبُغْضِ.

-ثُمَّ بيَّن لهم الْمنْزِلَةَ الَّتي ينْبَغي أنْ يكُونُوا علَيْها، وهِيَ الْأُخُوَّةُ، كأُخُوَّةِ النَّسبِ في الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ، والْمحبَّةِ والْمواساةِ، والْمُعَاونَةِ والنَّصِيحَةِ، فأمرَهُمْ أن يأخُذُوا بِأسْبَابِ كُلِّ ما يُوصِلُهُمْ لمثْلِ الْأُخُوَّةِ الْحَقيقيَّةِ مع صَفَاءِ الْقَلْبِ، والنَّصِيحَةِ بكُلِّ حَالٍ.

-ثُمَّ أخْبَرَ النَّبيُّ-صلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- أنَّ الْمُسْلِمَ -سواءٌ كانَ حُرًّا أوْ عبْدًا، بَالغًا أوْ غيْرَ بَالِغٍ- أخُو الْمُسْلِمِ في الْإسْلَامِ، فهِيَ أُخُوَّةٌ دينيَّةٌ، وهِيَ أعْظَمُ منَ الْأُخُوَّةِ الْحَقيقيَّةِ؛ لأنَّ ثَمرَةَ هذه دُنْيَويَّةٌ، وثَمرَةَ تلْكَ أُخْرَويَّةٌ، فالْمُسْلِمُ لَا يظْلِمُ الْمُسْلِمَ؛ فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ حَرَّمَ قَليلَ الظُّلْمِ وكَثيرَهُ، وفي الْوَقْتِ نَفْسِه { لا يَخذُلُه }،أي: لَا يَتْرُكُهُ إلَى الظُّلْمِ، ولَا يَتْرُكُ إعَانَتَهُ ونَصْرَهُ،{ ولَا يحْقِرُهُ } فلَا يَسْتَصْغِرُ شأْنَهُ ويَضَعُ منْ قَدْرِه؛ ولَا يَسْتَهْزِءُ به ، ولَا يَسْخَرُ مِنْهُ ،فالاحْتقَارُ نَاشئٌ عَنِ الْكِبْرِ، فَهُوَ بِذَلِكَ يَحْتَقِرُ غَيْرَهُ ويَرَاهُ بِعَيْنِ النَّقْصِ، ولَا يَرَاهُ أهْلًا لأنْ يَقُومَ بحَقِّه.

-ثُمَّ بيَّنَ النَّبيُّ-صلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ- الْمَعْنَى الْحَقيقيَّ للتَّقْوَى فقَالَ:{ التَّقْوَى هَاهُنَا } والتَّقْوَى هِيَ الْخَوْفُ منَ اللهِ واجْتنَابُ عَذَابِه بِفعْلِ الْمأمُورِ وتَرْكِ الْمَحْظُورِ، والْمَعْنَى: اجْعَلُوا هذه الْأُمورَ وقَايَةً بيْنَكُمْ وبيْنَ النَّارِ، وإذَا كَانَ أصْلُ التَّقْوَى الْخَوْفَ، والْخَوْفُ إنَّمَا يَنْشَأُ عنِ الْمَعْرِفَةِ بجَلَالِ اللهِ وعَظَمَتِه وعَظيمِ سُلْطَانِه وعِقَابِه، والْخَوْفُ والْمَعْرِفَةُ مَحلُّهُمَا الْقَلْبُ؛ فلذَلكَ أشَارَ-صلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-بيَدِه إلَى صَدْرِه ثَلَاثَ مرَّاتٍ، أيْ: مَحلِّ مَادَّتِهَا منَ الْخَوْفِ الْحَاصِلِ عَلَيْهَا الْقَلْبُ، الَّذي هُوَ عِنْدَ الصَّدْرِ، وفي هَذَا إشَارَةٌ إلَى أنَّ التَّقْوَى الْحَقيقيَّةَ هِيَ مَا كَانَ منَ الْأعْمَالِ والاعْتقَادَاتِ الَّتي يُصَدِّقُهَا الْقَلْبُ ويَعْقِدُ عَلَيْهَا بالْإخْلَاصِ، ولَيْسَ مَا يَكُونُ منَ الْأعْمَالِ الظَّاهِرَةِ الَّتي فيهَا رِيَاءٌ، ولَيْسَ فيهَا إخْلَاصٌ لله.

-ثُمَّ قَالَ-صلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-:{ بِحَسْبِ امْرِئٍ }، أيْ: يَكْفِي الْإنْسَانَ منَ الشَّرِّ؛ وذَلكَ لعظَمِه في الشَّرِّ، كَافٍ لَهُ عَنِ اكْتسَابِ آخَرَ؛ { أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ الْمُسْلِمَ }، فإنَّهُ النَّصِيبُ الْأكْبَرُ والْحَظُّ الْأوْفَى، ولذَلكَ قَالَ-صلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ-:{ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، ومَالُهُ، وعِرْضُهُ }؛ فلَا يَقْتُلُ مُسْلِمٌ مُسْلِمًا، أوْ يَسْرِقُهُ، أوْ يَزْنِي بِحَرِيمِه، ولَا يَطْعَنُ في شَرَفِه.

(ج)مِنْ أقْوَالِ السَّلَفِ:

-قَالَ عَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيل-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: { لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَرْضَعُ عَنْزًا فَسَخِرتُ مِنْهُ، خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَهُ }.(رَوَاهُ وَكِيعٌ فِي الزُّهْد:٣١٤.)

-وَقَالَ يَحْيَي بْنُ مُعَاذ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤمِنِ مِنْكَ ثَلَاثًا: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلَا تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ }.(انْظُرْ:تَنْبِيه الْغَافِلِينَ لِلسَّمَرْقَنْدِيِّ:١٦٥)

-وَأَوْصَى زُهَيْرُ بْنُ جَنَاب-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بَنِيه، فَقَالَ:{ يَا بَنِيَّ : إِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِالْأَحْدَاثِ مُغْتَرِّينَ، وَلَهَا آمِنِينَ، وَمِنْهَا سَاخِرِينَ؛ فَإِنَّهُ مَا سَخِرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا ابْتُلُوا، وَلَكِنْ تَوَقَّعُوهَا؛ فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَعَاوَرَهُ الرُّمَاةُ، فَمُقَصِّرٌ دُونَهُ، وَمُجَاوِزٌ مَوْضِعَهُ، وَوَاقِعٌ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ لَا بُدَّ أَنَّهُ مُصِيبُهُ! }.(انْظُرْ:التَّذْكِرَة الْحَمْدُونِيَّة ٣٦/٦:).

-وَقَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: { مَنْ لَقَّبَ أَخَاهُ أَوْ سَخِرَ مِنْهُ،فَهُوَ فَاسِقٌ}.(انْظُرْ: الْجَامِع لِأَحْكَامِ الْقُرْآن:٣٢٨/١٦).

-وَقَالَ الْإِمَامُ السَّفَّارِينِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ إِنَّ كُلَّ مَنِ افْتَخَرَ عَلَى إِخْوَانِهِ، وَاحْتَقَرَ أَحَدًا مِنْ أَقْرَانِهِ وَأَخْدَانِهِ ، أَوْ سَخِرَ أَوِ اسْتَهْزَأَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤمِنِينَ؛ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ وَالْوِزْرِ الْمُبِين }.

(انْظُرْ: غِذَاء الْأَلْبَاب ص:١٣٤).

-وَقَالَ ابْنُ حَجَر الْهَيْتَمِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ لَا تَحْتَقِرْ غَيْرَكَ؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الله خَيْرًا مِنْكَ، وَأَفْضَلَ وَأَقْرَبَ }.

(انْظُرْ:الزَّوَاجِر:٨/٢).

-وَقَالَ مُحَمَّدٌ الْغَزَّالِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: { مِمَّا يُمَزِّقُ أَوَاصِرَ الْأُخُوَّة: التَّهَكُّمُ وَالازْدِرَاءُ وَالسُّخْرِيَّةُ مِنَ الْآخَرِينَ، إِنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ تَنْشَأُ عَنْ جَهَالَةٍ سَادِرَةٍ، وَغَفْلَةٍ شَائِنَةٍ؛ فَإِنَّ مِنْ حَقِّ الضَّعِيفِ أَنْ يُحْمَلَ لَا أَنْ يُنَالَ مِنْهُ، وَمِنْ حَقِّ الْحَائِرِ أَنْ يُرْشَدَ لَا أَنْ يُضْحَكَ عَلَيْهِ. وَإِذَا وَجَدْتَ بِشَخْصٍ عَاهَةً أَوْ عَرَضَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ، فَآخِرُ مَا يُتَوَقَّعُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مَثَار تَنَدُّرِهِ وَاسْتِهْزَائِهِ! }.(انْظُرْ:خُلُق الْمُسْلِم ص:١٧٨).

-وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَيْدَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{ إِنَّ السُّخْرِيَّةَ تُنَافِي مَا يُوجِبُهُ الْحَقُّ، وَهِيَ ظُلْمٌ قَبِيحٌ مِنَ الْإِنْسَانِ لأَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَعُدْوَانٌ عَلَى كَرَامَتِهِ، وَإِيذَاءٌ لِنَفْسِهِ وَقَلْبِهِ }.(انْظُرْ:الْأَخْلَاق الْإِسْلَامِيَّة:٢/٢٢٣).

•فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ السُّخْرِيَّةِ وَالاسْتِهْزَاءِ فَكَمْ قَطَعَتْ مِنْ صِلَاتٍ ، وَأَفْسَدَتْ مِنْ عَلَاقَاتٍ ، وَبَذَرَتْ بُذُورَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ،وَعَرَّضَتْ صَاحِبَهَا لِغَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ ،وَكَمْ أَضَاعَتْ مِنْ حَسَنَاتٍ وَجَلَبَتْ مِنْ سَيِّئَاتٍ ، فَهِيَ نَذِيرُ شُؤْمٍ لِلسَّاخِرِينَ ، فَقَدْ كَانَ الْغَرَقُ عَاقِبَةَ قَوْمِ نُوحٍ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَسَخِرُوا مِنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَمْ أَسْقَطَتْ مِنْ هَيْبَةٍ وَأَذْهَبَتْ مِنْ وَقَارٍ وَخَرَمَتْ مِنْ مُرُوءَةٍ ،فَالسُّخْرِيَّةُ تُمِيتُ الْقَلْبَ، وَتُورِثُهُ الْغَفْلَةَ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَدِمَ السَّاخِرُ عَلَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ! :{ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ }.(الزُّمر: ٥٦).

•فَاللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،إِنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

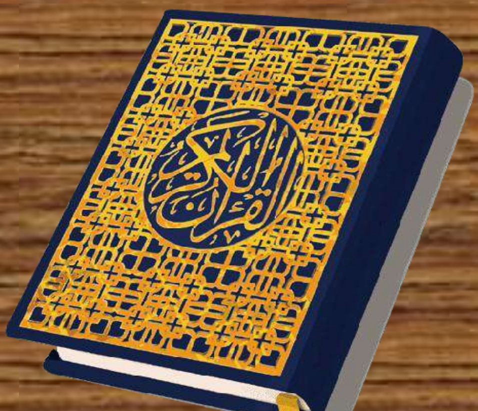
خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أَبُو أَحْمَدَ سَيِّدٌ عَبْدِ الْعَاطِي بْن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٢٤)

التَّاجِرُ الْمُسْلِمُ الصَّدُوقُ



أَبُو أَحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ للَّه الَّذي تَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِ الْخَلَائِقِ أجْمَعِينَ،وَأَظْهَرَ غِنَاهُ للعَالَمِينَ،وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مَجَّدَ نَفْسَهُ وَأَثْنَى عَلَى كَمَالِ غِنَاهُ وَافْتِقَارِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ فَقَالَ:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.(الذَّاريات:٥٦-٥٨).

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَقُدْوَتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أكْمَلُ النَّاسِ تَوَكُّلًا،وَأَعْظَمُهُمْ زُهْدًا،صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{التَّاجِرُ الْمُسْلِمُ الصَّدُوقُ} أَذْكُرُ فِيهَا بِصِفَاتِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ،وَقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ أُمَهِّدُ بِبَيَانِ أَهَمِّيَّةِ التِّجَارَةِ فِي الْإِسْلَامِ فَأَقُولُ:

•إِنَّ التِّجَارَةَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى،وَهِيَ مِنَّةٌ شَرِيفَةٌ كَرِيمَةٌ،وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي شَرَفِهَا إِلَّا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عَمِلَ بِهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ،فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-خَرَجَ للتِّجَارَةِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ،وَثَبَتَ أَنَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-تَاجَرَ فِي مَالِ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا-قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ زَوْجًا لَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،وَمِنْ شَرَفِ التِّجَارَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى أَرْبَاحَهَا فَضْلَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ}.(البقرة:١٩٨).

أي:لَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ أَنْ تَطْلُبُوا الرِّزْقَ الْحَلَالَ بِالتِّجَارَةِ وَغَيْرِهَا فِي أَثْنَاءِ الْحَجِّ، فَإِذَا دَفَعْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ بَعْدَ وُقُوفِكُمْ فِيهَا يَوْمَ التَّاسِعِ، مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مُزْدَلِفَةَ لَيْلَةَ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؛ فَاذْكُرُوا اللهَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالدُّعَاءِ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِمُزْدَلِفَةَ، وَاذْكُرُوا اللهَ لِهِدَايَتِهِ لَكُمْ إِلَى مَعَالِمِ دِينِهِ، وَمَنَاسِكِ حَجِّ بَيْتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ شَرِيعَتِهِ.وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(الجمعة:١٠).

أي:فَإِذَا سَمِعْتُمُ الْخُطْبَةَ، وَأَدَّيْتُمُ الصَّلَاةَ،فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ لِطَلَبِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ وَلَمَّا كَانَ الاشْتِغَالُ فِي التِّجَارَةِ، مَظَنَّةَ الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، أَمَرَ اللهُ بِالْإِكْثَارِ

مِنْ ذِكْرِه، فَقَالَ: { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا } أيْ فِي حَالِ قِيَامِكُمْ وَقُعُودِكُمْ وَعَلَى جُنُوبِكُمْ، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فَإِنَّ الْإِكْثَارَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أكْبَرُ أسْبَابِ الْفَلَاحِ.وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.(المزمِّل:٢٠).فَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ }.

أيْ:وَيُوجَدُ قَوْمٌ آخَرُونَ يَتَنَقَّلُونَ فِي الْأَرْضِ لِلتِّجَارَةِ وَالْعَمَلِ يَطْلُبُونَ مِنْ رِزْقِ اللهِ الْحَلَالِ، فَالْآيَاتُ السَّابِقَةُ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى التِّجَارَةَ فَضْلَ اللَّهِ لِبَيَانِ مَنْزِلَتِهَا وَشَرَفِهَا.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الطَّبَرَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-بِرَقَمِ(٢١٥/١٣)،(١٣٩٣٩)مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أيُّ الْكَسْبِ أطْيَبُ؟ قَالَ:{ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ}.فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ أطْيَبِ الْكَسْبِ، وَالْمُرَادُ بِأطْيَبِهِ: أفْضَلُهُ ثَوَابًا وَأكْثَرُهُ بَرَكَةً، وَالْمُرَادُ بِالْكَسْبِ: مَا يَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ}، أيْ: إنَّ كَسْبَ الْمَرْءِ مِنْ عَمَلِهِ بِيَدِهِ كَصَنْعَةٍ أوْ مِهْنَةٍ وَنَحْوِهَا، مِنْ أفْضَلِ الْمَالِ الَّذِي قَدْ يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ وَأطْيَبِهِ، وَيُدْخِلُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأهْلِهِ، {وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ} وَهُوَ الْبَيْعُ الْحَلَالُ الْخَالِي مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ؛ فَلَيْسَ فِيهِ شُبْهَةٌ فِيهِ وَلَا غِشٌّ وَلَا خِدَاعٌ، وَهَذَا أيْضًا مِنْ أفْضَلِ أنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: هُوَ الَّذِي يَنْشَأُ مِنْهُ رِبْحٌ كَالتِّجَارَةِ وَنَحْوِهَا،وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى شَرَفِ التِّجَارَةِ وَمَنْزِلَتِهَا.

•قَالَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدٌ بْن مُحَمّد الْمُخْتَار الشّنْقِيطِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:{وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنَّ هَذِهِ التِّجَارَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: تِجَارَةٌ مُبَاحَةٌ، وَتِجَارَةٌ مُحَرَّمَةٌ.

أمَّا التِّجَارَةُ الْمُبَاحَةُ:فقَدْ أشَارَ اللهُ عزَّ وجَلَّ إلَيْهَا بقَوْلِهِ: {وأَحَلّ اللّهُ الْبَيْعَ}.(البقرة:٢٧٥).

وَأمَّا التِّجَارَةُ الْمُحرَّمَةُ: فقَدْ أشَارَ إلَيْهَا باخْتِصَارٍ فِي قَوْلِهِ:{وَحرّمَ الرِّبَا}.(البقرة:٢٧٥).

قَالَ بعْضُ الْعُلَمَاءِ: إنَّ الَّذي أحَلَّ اللهُ منَ الْبَيعِ أكْثَرُ منَ الَّذي حَرَّمَ.

ولَذلِكَ لَمَّا أرَادَ أنْ يُبيِّنَ سبْحَانَهُ الْحَلَالَ قَالَ: {وأَحلّ اللّهُ الْبَيْعَ}.(البقرة:٢٧٥). مَا فرَّقَ بيْنَ بيْعٍ وآخَر، ولَمْ يَقُلْ: أحَلَّ اللهُ بيعَ الْبُيُوت ولَا بيْعَ الدَّوابّ ولَا بيْعَ الْأطْعِمَة، ولَا الْأكْسيَة ولَا الْأغْذيَة، ولَكنْ قَالَ: {وأَحلّ اللّهُ الْبَيْعَ}.(البقرة:٢٧٥).؛حتَّى يَعلَمَ الْمُسلمُ أنَّ الْأصْلَ فِي الْبُيُوعِ أنَّهَا حَلَالٌ ومُبَاحَةٌ، حتَّى يَدُلَّ الدَّلِيلُ منْ كِتَاب اللهِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى حُرْمَتِهَا.

فَعَمَّمَ اللهُ –جَلَّ وعَلَا– فِي الْحَلَالِ، لَكنْ لَمَّا أرَادَ أنْ يُحرِّمَ قَالَ:{وَحرّمَ الرِّبَا}.(البقرة:٢٧٥).، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: فِي هَذَا دَلِيل عَلَى سمَاحَةِ الْإسْلَامِ ورَحْمَةِ اللهِ بِالْعِبَادِ؛حَيْثُ جعَلَ الْحَلَالَ أكْثَرَ منَ الْحَرَام.

وَالَّذي حَرَّمَهُ اللهُ إمَّا لِضَرَرٍ عَلَى الْإنْسَانِ أوْ ضَرَرٍ عَلَى النَّاسِ، أوْ ضَرَرٍ عَلَى الاثْنَيْن، أوْ لِمَقْصدٍ شَرْعِيٍّ يَعْلَمُهُ اللهُ: {واللّهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}.(البقرة:٢١٦).(انْظُرْ:كتَاب دُرُوس الشَّيخ مُحمَّد بْن مُحَمَّد الْمُخْتَار الشّنْقِيطِيّ ج٢٢ ص:٣-٤).

•وبَعْدَ هَذَا التَّمْهِيدِ نَشْرَعُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ التَّاجِرِ الْمُسْلِم الصَّدُوقِ الْأمِين وأهَمّ صفَاتِهِ وَأخْلَاقِهِ:

–فَالتَّاجِرُ الْمُسْلِمُ الصَّدُوقُ الْأمِينُ رَفَعَ اللَّهُ منْزِلَتَهُ فَجعَلَهُ معَ الشُّهَدَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٢٠٩)وَحَسَّنَهُ مِنْ حَدِيثِ

أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّـّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ}.،إِنَّهُ يَقْتَدِي بِخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ،وَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ الْمَرْضِيِّينَ،وَالصَّحَابَةِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ،وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِالتَّابِعِينَ وَالصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ،الَّذِينَ نَشَرُوا الإِسْلَامَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِأَخْلَاقِهِمْ وَصِدْقِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ فِي بَيْعِهِمْ وَشِرَائِهِمْ،
وَفِي أَخْذِهِمْ وَعَطَائِهِمْ.

–فَالتَّاجِرُ الْمُسْلِمُ يُحِبُّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ،يَعْمَلُ بِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٥٠١٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّـّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ}.،وَبِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٨٤٤)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي ، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ شَدِيدٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ، وَتَجِيءُ فِتَنٌ ، فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ . فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ ، الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ}.

–رَوَى الطَّبَرَانِيُّ أَنَّ جَرِيرًا–هُوَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ صَحَابِيُّ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَرْسَلَ غُلَامَهُ فَاشْتَرَى لَهُ فَرَسًا بِثَلَاثِمائَةِ دِرْهَمٍ، وَجَاءَ بِهِ وَبِصَاحِبِهِ لِيَنْقُدَهُ الثَّمَنَ فَقَالَ جَرِيرٌ لِصَاحِبِ الْفَرَسِ: فَرَسُكَ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِمائَةِ دِرْهَمٍ، أَتَبِيعُهُ بِأَرْبَعمائَةِ دِرْهَمٍ؟ قَالَ الرَّجُلُ: ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ جَرِيرٌ: فَرَسُكَ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعمائَةِ دِرْهَمٍ،أَتَبِيعُهُ بِخَمْسمائَةِ دِرْهَمٍ،قَالَ الرَّجُلُ: ذَلِكَ إِلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَزِيدُهُ مائَةً فَمائَةً، وَصَاحِبُهُ يَرْضَى، وَجَرِيرٌ يَقُولُ: فَرَسُكَ خَيْرٌ، إِلَى أَنْ بَلَغَ

ثَمَانمائة دِرْهَمٍ، فَاشْتَرَاهُ بِهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.(انْظُرْ:شَرْح رِيَاض الصَّالِحِينَ : ٢/ ٣٩٨ – ٤٠١)

-وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ يُونُس بْن عُبَيْد حُلَلٌ مُخْتَلَفَة الْأَثْمَان – يَعْنِي أَقْمِشَة مُتَنَوِّعَة مُخْتَلِفَة الْأَسْعَار، ثَمَنُ نَوْعٍ مِنْهَا أَرْبَعْمَائَة دِرْهَمٍ، وَثَمَنُ نَوْعِهَا الْآخَر مَائِتَا دِرْهَمٍ-فَمَرَّ إِلَى الصَّلَاة -تَرَكَ الدُّكَان وَذَهَبَ إِلَى الْمَسْجِد لِيُصَلِّي-، وَخَلَفَ ابْنَ أَخِيه فِي الدُّكَان،فَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ وَطَلَبَ حُلَّةً بِأَرْبَعمَائَة دِرْهَمٍ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِن الْحُلَل الْمَائِتَيْن، فَاسْتَحْسَنَهَا -الْأَعْرَابِيّ-، وَرَضِيَهَا وَاشْتَرَاهَا، فَمَضَى بِهَا وَهِيَ عَلَى يَدَيْه،فَاسْتَقْبَلَهُ-صَاحِبُ الدُّكَّان-يُونُس، فَعَرَفَ حُلَّتَهُ، فَقَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: بِكَمِ اشْتَرَيْتَهَا؟ فَقَالَ: بِأَرْبَعمائَة دِرْهَمٍ، فَقَالَ: لَا تُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ مائَتَيْن، فَارْجِعْ حَتَّى نَرُدَّهَا، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: هَذِهِ تُسَاوِي فِي بَلَدِنَا خَمْسمائَة دِرْهَمٍ وَأَنَا ارْتَضَيْتُهَا، فَقَالَ يُونُسُ: أَتَعْرِف أَنَّ النُّصْحَ فِي الدِّين خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدُّكَّانِ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مائَتَيْ دِرْهَمٍ، وَخَاصَمَ ابْنَ أَخِيه فِي ذَلِكَ -تَشَاجَرَ مَعَهُ-، وَقَالَ لَهُ: أَمَا اسْتَحْيَيْتَ؟ أَمَا اتَّقَيْتَ الله؟ تَرْبَحُ مِثْلَ الثَّمَن وَتَتْرُك النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بِهَا، فَقَالَ: فَهَلَّا رَضِيتَ لَهُ بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ.

•لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِآدَابِ وَأَخْلَاقِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ،يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَمَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِي التِّجَارَةِ.

-قَالَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- :{لاْ يَبِع فِيْ سُوْقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِيْ الدِّيْنِ} .(رواه التِّرمذيُّ (٤٨٧) وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيب . وَحَسَّنَه الألبانيُّ في صحيح التِّرمذيِّ) .

-وَقَالَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-:{مَنِ اتَّجَرَ قَبْلَ أَنْ يَتَفَقَّهَ ارْتَطَمَ فِيْ الرِّبَا ، ثُمَّ ارْتَطَمَ ، ثُمَّ ارْتَطَمَ} . أَيْ : وَقَعَ فِي الرِّبَا .(انْظُرْ: مُغْنِي الْمُحْتَاجِ : ٢/٢٢) .

-فَمِنْ فُرُوضِ الْعَيْنِ عَلَى التُّجَّارِ تَعَلُّمُ فِقْهِ الْبُيُوعِ لِيَحْتَرِزُوا عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ ،وَكَذَا أَهْلُ الْحِرَفِ،
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِدَّاتِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا الْعُلَمَاءَ عَنْ حُكْمِهِ .

-وَكُلُّ مَنِ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ يُفْرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُهُ وَحُكْمُهُ لِيَمْتَنِعَ عَنِ الْحَرَامِ فِيهِ .

-قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: {وَأَمَّا الْبَيْعُ وَالنِّكَاحُ وَشِبْهُهُمَا-مِمَّا لَا يَجِبُ أَصْلُهُ - فَيَحْرُمُ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ شَرْطِهِ} انتهى .

-وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:{كَمَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْمُسْلِمُ تَاجِرًا وَقَدْ شَاعَ فِي الْبَلَدِ مُعَامَلَةُ الرِّبَا ، وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَلُّمُ الْحَذَرِ مِنَ الرِّبَا ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فِي الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ فَرْضُ عَيْنٍ ، وَمَعْنَاهُ الْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ الْوَاجِبِ}.انتهى.(انْظُرْ:إِحْيَاء عُلُومِ الدِّين: ١/٣٣) .

-وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ لِابْنِ الْمُبَارَكِ :مَا الَّذِي يَسَعُ الْمُؤمِنَ مِنْ تَعْلِيمِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَطْلُبَهُ ؟ وَمَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ ؟قَالَ : { لَا يَسَعُهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِعِلْمٍ ، وَلَا يَسَعُهُ حَتَّى يَسْأَلَ } .(رواه ابن عبد البرِّ في :جامع بيان العلم: ١/٥٦) .

-وَقَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :{كُلُّ عَبْدٍ هُوَ فِي مَجَارِي أَحْوَالِهِ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ لَا يَخْلُو مِنْ وَقَائِعَ فِي عِبَادَتِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ عَنْ تَجَدُّدِ لَوَازِمَ عَلَيْهِ ، فَيَلْزَمُهُ السُّؤَالُ

عَنْ كُلِّ مَا يقَعُ لَهُ مِنَ النَّوادِرِ ، ويَلْزَمُهُ الْمُبَادَرَةُ إِلَى تَعلُّمِ مَا يَتوَقَّعُ وقُوعَهُ عَلَى الْقُرْبِ غَالِباً}. انتهى .(انْظُرْ:إحْيَاء عُلُومِ الدِّين:١/٣٤).

•أولًا:آدَابُ وأَخْلَاقُ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ:

-هُنَاكَ بَعْضُ الْأَخْلَاقِ والصِّفَاتِ والْآدَابِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا التَّاجِرُ الْمُسْلِمُ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١)أَلَّا تَشْغَلَهُ التِّجَارَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

-فَلَا يَنْبَغِي لِلتَّاجِرِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْشَغِلَ بِالتِّجَارَةِ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ تَعَالَى وعَنِ الصَّلَاةِ،ولَا عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى كَزَكَاةِ أموالِه،

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُثْنِيًا عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْ عِبَادِه:{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}.(النّور:٣٦-٣٨).

-فَقَوْلُه تَعَالَى:{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}

.مَدْحٌ وثَنَاءٌ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ فَهُمْ رِجَالٌ لَا تَشْغَلُهُمْ تِجَارَةٌ ولَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ لِمُسْتَحِقِّيهَا، يَخافُونَ يومَ الْقِيامَةِ الَّذِي تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ بَيْنَ الرَّجَاءِ فِي النَّجَاةِ والْخَوْفِ مِنَ الْهَلَاكِ، وتَتَقَلَّبُ فِيهِ الْأَبْصَارُ تَنْظُرُ إِلَى أيِّ مَصِيرٍ تَكُونُ؟.

(٢)الصِّدْقُ والْأَمَانَةُ والْوَفَاءُ:

-فَالصِّدْقُ والْأَمَانَةُ والْوَفَاءُ فِي التِّجَارَةِ مِنْ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٢٠٧٩) مِنْ حَديثِ حَكيم بْن حُزَامٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{البيعَانِ بالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتفرَّقَا -أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتفرَّقَا- فَإِنْ صَدَقَا وبينَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بيْعِهِمَا، وَإِنْ كتَمَا وكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا}.

-لَمَّا كَانَ الْبَيْعُ قَدْ يَقَعُ أَحْيَانًا بِلَا تَفَكُّرٍ وَلَا تَرَوٍّ، فَيَحْصُلُ لِلبَائِعِ أَوِ الْمُشْتَرِي نَدَمٌ عَلَى فَوَاتِ بَعْضِ مَقَاصِدِهِ؛ جعَلَ لَهُ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ أَمَداً يَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنْ فَسْخِ الْعَقْدِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-هَذَا الْأَمَدَ فَيَقُولُ:{الْبَيِّعانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتفرَّقَا}، أيْ: إنَّ كُلًّا مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي يَحِلُّ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَسْخُ الْعَقْدِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا بِأَبْدَانِهِمَا عَنْ مَكَانِهِمَا الَّذِي تَبَايَعَا فِيهِ،فَإِنْ صَدَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنَ الثَّمَنِ ووَصْفِ الشَّيْءِ الْمُبَاعِ وَنحوِ ذَلِكَ، وبينَا مَا يُحْتَاجُ إِلَى بَيَانِهِ مِنْ عَيْبٍ وَنَحْوِهِ فِي السِّلْعَةِ وَالثَّمَنِ؛ بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، فَكَثُرَ نَفْعُ الْمَبِيعِ وَالثَّمَنِ وَحلَّتِ الْبَرَكَةُ لِلطَّرَفَيْنِ؛ لِلبَائِعِ فِي الثَّمنِ، وَلِلمُشْتَرِي فِي السِّلْعَةِ الَّتِي اشْتَرَاهَا، وَلَكِنْ إِنْ كَتَمَ الْبَائِعُ عَيْبَ السِّلْعَةِ،وكتَمَ الْمُشْتَرِي عَيْبَ الثَّمَنِ، وكَذَبَا عَلَى بَعْضِهِمَا؛ بِأَنْ كَذَبَ الْبَائِعُ فِي وَصْفِ السِّلْعَةِ بِمَا فِيهَا، وَكَذَبَ الْمُشْتَرِي فِي الْوَفَاءِ بِالثَّمَنِ، أَوِ ادَّعَى أَنَّهُ وَافَقَ الْبَائِعَ عَلَى الشِّرَاءِ بِأَقَلَّ مِمَّا اتَّفَقَا عَلَيْهِ وَاحْتَالَ حَتَّى أَتَى وَقْتُ الْبَيْعِ، أَوْ كَذَبَ الْمُشْتَرِي عَلَى الْبَائِعِ فِي ذِكْرِ سَبَبِ شِرَاءِ السِّلْعَةِ؛ لِيُنَزِّلَ لَهُ الْبَائِعُ فِي الثَّمَنِ، وَالْحَقِيقَةُ غَيْرُ ذَلِكَ، فَيَكُونَا بِذَلِكَ قَدْ أَخْفَى كُلٌّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ مَا فِي الْبَدَلِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ جِهَتِهِ، وَغَشَّ كُلٌّ الْآخَرَ فِيمَا عَلَيْهِ الْبَدَلُ، وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ الشَّائِعَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَذِبِ الْمُشْتَرِي: كَمَنْ سَاوَمَ عَلَى سِعْرِ أَرْضٍ بِحُجَّةِ أَنَّهُ سَيَبْنِيهَا مَسْجِدًا لِيُنَزِّلَ لَهُ الْبَائِعُ فِي الثَّمَنِ، وَبَعْدَ الْإِتْمَامِ بَنَاهَا لِنَفْسِهِ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ يَنْوِي بِكَذِبِهِ إِنْزَالَ الثَّمَنِ فَقَطْ؛ {مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا}، وَأُذْهِبَتْ زِيَادَتُهُ وَنَمَاؤُهُ بِسَبَبِ هَذَا الْكَذِبِ وَالْغِشِّ الْمُتَبَادَلَيْنِ مِنْهُمَا.

-وَفِي الْحَدِيثِ: إِثْبَاتُ خِيَارِ الْمَجْلِسِ لِكُلٍّ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي؛ مِنْ إِمْضَاءِ الْبَيْعِ أَوْ فَسْخِهِ.

-وَفيهِ:أنَّ مُدَّةَ الْخِيَارِ تَكُونُ مِنْ حِينَ الْعَقْدِ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقَا مِنْ مَجْلِسِ الْعَقْدِ.
-وَفيهِ:أنَّ الْبَيْعَ يَلْزَمُ بِالتَّفَرُّقِ بِأَبْدَانِ الْمُتَبَايِعَيْنِ مِنْ مَجْلِسِ الْعَقْدِ.
-وَفيهِ:بَيَانُ وُجُوبِ الصِّدْقِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ.
-وَفيهِ:أنَّ الدُّنْيَا لَا يَتِمُّ حُصُولُهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ شُؤمَ الْمَعَاصِي يَذْهَبُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
-وَفيهِ:بَيَانُ فَضْلِ الصِّدْقِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِبَرَكَةِ كَسْبِ الْعَبْدِ.
-وَفيهِ:ذَمُّ الْكَذِبِ، وَالْحَثُّ عَلَى تَرْكِهِ، وَأَنَّهُ سَبَبٌ لِذَهَابِ الْبَرَكَةِ مِنْ كَسْبِ الْعَبْدِ.
-وَفيهِ:بَيَانُ أَنَّ عَمَلَ الْآخِرَةِ يُحَصِّلُ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٣)تَحَرِّي الْحَلَالِ وَالْبُعْدُ عَنِ الشُّبُهَاتِ:

-مِنْ صِفَاتِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ تَحَرِّي الْحَلَالِ الطَّيِّبِ فَلَا يَأْكُلُ الْحَرَامَ وَلَا يُطْعِمُ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ الْحَرَامَ ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} .(النِّساء:٢٩).أيْ:يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ، لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ بَعْضُكُمْ مَالَ بَعْضٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ وَفْقَ الشَّرْعِ وَالْكَسْبِ الْحَلَالِ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَتُهْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ بِارْتِكَابِ مَحَارِمِ اللهِ وَمَعَاصِيهِ.

إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا فِي كُلِّ مَا أَمَرَكُم بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ.
-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٦١٤) وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ(٦١٤) مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ

الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ}.وَفِي رِوَايَةٍ:{ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا عَلَى سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ النَّاسُ غَادِيَانِ: فَغَادٍ فِي فِكَاكِ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا وَغَادٍ مُوبِقُهَا يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يَذْهَبُ الْجَلِيدُ عَلَى الصَّفَا}.(صحيح ابن حبان برقم:٥٥٦٧).

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو"}، أَيْ: لَا يَنْشَأُ وَيَنْمُو وَيَزِيدُ، {لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ}، أَيْ: جِسْمٌ تَغَذَّى بِالْحَرَامِ وَنَشَأَ فِيهِ وَتَرَعْرَعَ مِنْهُ، {إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ}، أَيْ: إِلَّا كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِكُلِّ حَرَامٍ أَنْ يَحْتَرِقَ فِيهَا.

-وَالتَّاجِرُ الْمُسْلِمُ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الشُّبُهَاتِ فَلَا يَقَعُ فِي تَبْرِيرِ شُبْهَةٍ مِنْ أَجْلِ رِبْحٍ مَهْمَا كَانَ قَدْرُهُ لِعِلْمِهِ بِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٥١٨) مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ}.

-فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَأْمُرُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالْوُضُوحِ فِي الرُّؤْيَةِ وَالِابْتِعَادِ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ بِهِ شَكٌّ وَاضِحٌ؛ فَيَقُولُ: {دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ}، أَيْ: اتْرُكْ وَاسْتَغْنِ عَمَّا تَشُكُّ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهَا نَفْسُكَ إِلَى مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ، فَتَطْمَئِنَّ لَهَا نَفْسُكَ، وَتَبْعُدَ عَنِ الشَّكِّ وَالْوَسَاوِسِ؛ فَإِنَّ الِاحْتِرَازَ عَنِ الشُّبُهَاتِ اسْتِبْرَاءٌ لِلدِّينِ، وَالِاعْتِدَادَ بِالْوَسَاوِسِ إِفْسَادٌ لَهُ؛{فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ}، أَيْ: إِنَّ الصِّدْقَ وَالْخَيْرَ وَالْحَقَّ يَسْكُنُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَيَرْتَاحُ بِهِ،{وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ}، أَيْ: إِنَّ غَيْرَ الْحَقِّ يَجْعَلُ الْقَلْبَ مُضْطَرِبًا، غَيْرَ مُطْمَئِنٍّ؛ نَتِيجَةَ الشَّكِّ الَّذِي بِهِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى رُجُوعِ

الْمؤمنِ الصَّادِقِ إِلَى قَلْبِهِ عِنْدَ الاشْتِبَاهِ؛ لأَنَّ قَلْبَ الْمُؤمنِ دَليلٌ لَه إلَى الْخَيْرِ، وَمُبْعِدٌ لَهُ عَن الشَّرِّ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: اعْتِبَارُ النَّوَاحِي الْقَلْبِيَّة الصَّحِيحَةَ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ مِنْ عَدَمِهَا.

-وَذَلِكَ لأَنَّ مَنْ يَقَعُ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسْتَخِفُّ بِهَا يَقَعُ فِي الْحَرَامِ لِمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٥٢) مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}.وَفِي رِوَايَةِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ بِرَقَمِ(١٥٩٩):قَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-

:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ : وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ :{إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ}.

(٤)التَّيْسِيرُ عَلَى الْمُعْسِرِين:

-مِنْ أَخْلَاقِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ التَّيْسِيرُ فِي الْبَيْعِ وَمُرَاعَاةُ حَالِ الْمُعْسِرِينَ.

-أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِه بِرَقَمِ(٢٠٧٦)مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :{رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى}.وَفِي رِوَايَةٍ:{رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى ، سَمْحًا إِذَا قَضَى ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى}.

-لَقَدْ حَرَصَ الشَّرْعُ الْحَكِيمُ عَلَى إِقَامَةِ الْعَلَاقَاتِ الطَّيِّبَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي تَعَامُلَاتِهِمْ، فِيهَا التَّكَافُلُ وَالتَّرَابُطُ وَالْمَحَبَّةُ وَالتَّعَاوُنُ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دُعَاءٌ مِنَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِالرَّحْمَةِ لِمَنْ تَحَلَّى بِخُلُقِ السَّمَاحَةِ،وَهِيَ : التَّسْهِيلُ وَالتَّنَازُلُ وَالتَّغَاضِي فِي الْأُمُورِ، وَعَدَمُ الشِّدَّةِ وَالتَّصَلُّبِ، وَذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ: إِذَا كَانَ بَائِعًا، فَلَا يَتَشَدَّدُ فِي رَفْعِ السِّعْرِ وَيُصِرُّ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ يَتَجَاوَزُ عَنْ بَعْضِ حَقِّهِ.وَإِذَا كَانَ مُشْتَرِيًا، فَلَا يَبْخَسُ وَيُقَلِّلُ مِنْ قِيمَةِ الْبِضَاعَةِ وَيُصِرُّ عَلَى ذَلِكَ. وَإِذَا طَالَبَ بِقَضَاءِ الدُّيُونِ الَّتِي لَهُ، فَلَا يُشَدِّدُ عَلَى الْفَقِيرِ وَالْمُحْتَاجِ، بَلْ يُطَالِبُهُ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ، وَيُنْظِرُ الْمُعْسِرَ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَضُّ عَلَى الْمُسَامَحَةِ، وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ، وَاسْتِعْمَالِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَمَكَارِمِهَا، وَتَرْكِ الْمُشَاحَّةِ فِي الْبَيْعِ.

-وَفِيهِ: تَرْكُ التَّضْيِيقِ عَلَى النَّاسِ فِي الْمُطَالَبَةِ، وَأَخْذُ الْعَفْوِ مِنْهُمْ.

-وَأخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ
(٣٤٨٠) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، وَ كَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَ اتْرُكْ مَا عَسُرَ وَ تَجَاوَزْ ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا . فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ ، وَ كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَ اتْرُكْ مَا عَسُرَ ، وَ تَجَاوَزْ ، لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا . قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ}.

وفِي رِوَايَةٍ:{كَانَ رَجُلٌ تاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رأى إعْسَارَ الْمُعْسِرِ قَالَ لِفَتَاه: تَجَاوَزْ لَعَلَّ الله يَتَجَاوَزُ عَنَّا قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ–: {فَلَقِيَ اللهَ فتَجَاوَزَ عَنْهُ}.(صحيح ابن حبّان:٥٠٤٢).

–فقَوْلُهُ:{إنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خيرًا قطُّ}.لَعَلَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قطُّ إِلَّا التَّوْحِيد، كَمَا فَسَّرَهَا ابْنُ مسعُود فِي رِوَايَتِه عِنْدَ أَحْمَدَ:{لَمْ يعمَلْ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ}؛ لأنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ للذين يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: أنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ إِذَا كَانَ خَالِصًا للهِ كَفَّرَ كَثِيرًا مِنَ السَّيِّئَاتِ.

–وَفِيهِ:حُصُولُ الْأَجْرِ للآمِرِ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَولّ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ.

(٥)الْحِرْصُ عَلَى الصَّدَقَةِ:

–وَمِنْ أَخْلَاقِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ الْحِرْصُ عَلَى الصَّدَقَةِ لِتَطْهِيرِ مَالِهِ مِمَّا قَدْ يَشُوبُ تِجَارَتَهُ مِنْ لَغْوٍ وَحَلِفٍ.

–أَخْرَجَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (٣٨٠٩)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ النَّسَائِيِّ(٣٨٠٩) مِنْ حَدِيث قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرْزَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:كُنَّا بِالْمَدِينَةِ نَبِيعُ الْأَوْسَاقَ وَنَبْتَاعُهَا ، وَكُنَّا نُسَمِّي أَنْفُسَنَا السَّمَاسِرَةَ ، وَيُسَمِّينَا النَّاس، فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَاتَ يَوْمٍ ، فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي سَمَّيْنَا أَنْفُسَنَا ، وَسَمَّانَا النَّاس ، فَقَالَ :{يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّهُ يَشْهَدُ بَيْعَكُمُ الْحَلِفُ وَالْكَذِبُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ}.وفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجه(٢١٤٥):{كُنَّا نُسَمَّى فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– السَّمَاسِرَةَ فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فَقَالَ:{يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ الْحَلِفُ وَاللَّغْوُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ}.

-فَقَوْلُه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ}.(فَشُوبُوهُ)، أيْ: اخْلِطُوهُ، (بالصَّدَقَةِ)، وَالْمُرَادُ: أنَّ ثَوَابَ الصَّدَقَةِ وَأَجْرَهَا يُمْحَى بِهِ مَا يَقَعُ فِي التِّجَارَةِ مِنْ آثَامِ الْحَلِفِ وَالْكَذِبِ، وَالْمُرَادُ بِهَا صَدَقَةٌ غَيْرُ مُعَيَّنَةٍ، حَسَبَ تَضَاعِيفِ الْآثَامِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُمُ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْكَفَّارَةِ الْمَعْلُومَةِ فِي الْحَلِفِ بِعَيْنِهَا؛ لأنَّهُ قَدْ وَرَدَ عَنْهُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:{يُخَالِطُهَا اللَّغْوُ وَالْكَذِبُ}؛ حَيْثُ جَاءَ اللَّغْوُ فِيهَا مَوْضِعَ الْحَلِفِ؛ فَأَفَادَ أنَّ الْمَقْصُودَ أنَّهَا أَيْمَانُ لَغْوٍ لَا كَفَّارَةَ فِيهَا.

•ثانيًا:مَحَاذِيرٌ عَلَى التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ:

-يَجِبُ عَلَى التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ أنْ يَحْذَرَ مَا يَلِي:

(١)الْغِشّ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ:

-لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ الْغِشُّ وَالْخِدَاعُ الَّذِي يُسَبِّبُ ضَرَرًا لِلْغَيْرِ.

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٠٢) مِنْ حَدِيثِ أبِي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:أنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا فَسَأَلَهُ:{ كَيْفَ تَبِيعُ ؟ فَأَخْبَرَهُ فَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ مَبْلُولٌ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

-:لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ}.وَفِي رِوَايَةٍ:{أنَّ النَّبِيَّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ أصَابِعَهُ فِيهَا فَإذَا فِيهِ بَلَلٌ فَقَالَ:مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ سَمَاءٌ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:فَهَلَّا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا}.

-نَهَى الْإسْلَامُ عَنْ كُلِّ أنْوَاعِ الْغِشِّ- وَهُوَ الْخِدَاعُ الَّذِي يُسَبِّبُ ضَرَرًا لِلْغَيْرِ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُ أبُو هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:{أنَّ رَسُولَ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا}، وَكَانَ الرَّجُلُ يُظْهِرُ الْجَيِّدَ وَالصَّالِحَ مِنْهُ لِلنَّاسِ، وَيُخْفِي مِنْ تَحْتِهِ السَّيِّئَ وَالْفَاسِدَ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-الْبَائِعَ:{كَيْفَ تَبِيعُ؟}،

أيْ: كَيْفَ يَكُونُ بيعُ طعَامِكَ للنَّاسِ؟ فَأَخْبَرَهُ، أيْ: أَخْبَرَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَكْسَ مَا يَفْعَلُ فِي بَيْعِهِ؛ حَيْثُ إِنَّهُ يَغُشُّ وَيَخْدَعُ النَّاسَ،{فَأُوحِيَ إِلَيْهِ}،أي:جَاءَ الْوَحْيُ إِلَى النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أَنْ أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ}، أيْ: فِي الطَّعَامِ الَّذِي يَبِيعُهُ الرَّجُلُ،{فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ

،فَإِذَا هُوَ مَبْلُولٌ}، أيْ: أَصَابَهُ الْمَاءُ، وَاكْتَشَفَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– غِشَّ الرَّجُلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ}،أي:لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِنَا وَأَفْعَالِنَا وَمَنْهَجِنَا فِي الْإِسْلَامِ مَنْ يَخْدَعُ النَّاسَ، وَيَتَسَبَّبُ لَهُمْ فِي الْأَذَى.

(٢)احْتِكَارُ السِّلَعِ:

–لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ احْتِكَارُ السِّلَعِ وَالتَّضْيِيقُ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَجْلِ زِيَادَةِ الرِّبْحِ وَالْمُتَاجَرَةِ بِأَزَمَاتِ الْمُسْلِمِينَ.

–فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(١٦٠٥)مِنْ حَدِيثِ مَعْمَرِ بْنِ أَبِي مَعْمَرٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{لا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ}.

–يُبَيِّنُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ {خَاطِئٌ}، أيْ: عَاصٍ آثِمٌ، وَالْمُحْتَكِرُ هُوَ الَّذِي يَشْتَرِي السِّلَعَ مِنَ الطَّعَامِ وَنَحْوِهِ مِمَّا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ فِي وَقْتِ الشِّدَّةِ، وَيَخْزُنُهُ إِذَا اشْتَدَّ الْغَلَاءُ حَتَّى يَبِيعَهُ بِأَكْثَرَ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: النَّهْيُ عَنِ احْتِكَارِ الطَّعَامِ وَنَحْوِهِ مِمَّا يَحْتَاجُهُ النَّاسُ فِي وَقْتِ الشِّدَّةِ.
–فَنَقُولُ لِلتَّاجِرِ الْمُحْتَكِرِ يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ ،وَدَعْنِي أُذَكِّرُكَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ لَعَلَّهَا تَكُونُ رَادِعَةً لَكَ:

–أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(١٢١٠)مِنْ حَدِيثِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْمُصَلَّى، فَرَأَى النَّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: {يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى

اللَّهُ عليْهِ وَسلَّمَ- ورَفَعُوا أعناقهُمْ وأبصارهُمْ إليهِ فقال: إنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُون يومَ الْقِيامَةَ فُجَّارًا إلَّا منِ اتَّقى اللَّهَ وبرَّ وصدق}.

-فقوْلُهُ-صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ-:{إنَّ التُّجَّارَ يبْعثُون يومَ الْقِيامَةِ فُجَّارًا}، أيْ: لما قدْ يقعُ منهُمْ من الْأحلاف والْأيمان والتَّدليسِ في الْبيْعِ والاحتكارِ ونحوِ ذلك، يستحِلُّون به بيعهُمْ، والْفُجُورُ: استحْلالُ الْمعاصي والْمُحرَّمات، والانطلاقُ فيها، {إلَّا من اتَّقى اللَّهَ، وبرَّ وصدق}، أيْ: استثنى النَّبيُّ- صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ- منهُمْ من يتَّقي اللَّه عزَّ وجلَّ في بيْعِه، فلمْ يغُشَّ ولمْ يخُنْ في الْبيْعِ وصدق الْمُشْتري فيما معهُ منْ سِلْعةٍ، وكذلِك فيما كان منْهُ منْ أيْمانٍ.

-وما أخرجهُ الْمُنْذِريُّ-رحمهُ اللَّهُ تعالى-في التَّرْغيب برقم
(٣٩/٣)منْ حديث عبْدِ الرَّحْمن بْن شبْلٍ-رضي اللَّهُ تعالى عنْهُ-قال:قال رسُولُ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ-:{إنَّ التُّجَّار هُمُ الْفُجَّارُ قالوا يا رسول اللَّه أليْس قدْ أحلَّ اللَّهُ الْبيْعَ؟قال: بلى ولكنَّهُمْ يحلِفُون فيأثمُون ويُحدِّثُون فيكْذِبُون}.

-فعلى هؤلاء التُّجارِ أنْ يستجيبُوا للنِّداءِ:يا باغي الشَّرِّ أقْصِرْ، وتذكَّرْ ما أخرجهُ الْإمامُ الْبُخاريُّ-رحمهُ اللَّهُ تعالى-في صحيحه برقم(٢٠٧٦)منْ حديث جابِرِ بْنِ عبْد اللَّه-رضي اللَّهُ تعالى عنْهُما-قال:قال رسُولُ اللَّه-صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ-:{رحِم اللَّهُ عبْدًا سمْحًا إذا باع ، سمْحًا إذا اشْترى ، سمْحًا إذا قضى ، سمْحًا إذا اقْتضى}.،فالرَّاحِمُون يرْحمُهُمْ الرَّحْمنُ.

(٣)التَّجسُّس:

-ليْس منْ أخْلاقِ التَّاجرِ الْمُسْلِمِ التَّجسُّسُ على التُّجَّارِ بِقصْدِ الْإضْرارِ بالْمُنافسين،فالتَّجسُّسُ حرامٌ لقوْلِ اللَّه تعالى:{يا أيُّها الَّذين آمنُوا اجْتنبُوا كثيرًا من الظَّنِّ إنَّ بعْض الظَّنِّ إثْمٌ ۖ ولا تجسَّسُوا ولا يغْتب بَّعْضُكُم بعْضًا ۚ أيُحِبُّ أحدُكُمْ أن يأْكُل لحْم أخِيهِ ميْتًا فكرِهْتُمُوهُ ۚ واتَّقُوا اللَّه ۚ إنَّ اللَّه توَّابٌ رَّحِيمٌ}.(الحجرات:١٢).

وَقَصْدُ إيقَاعِ الضَّرَرِ بِالْمُسْلِمِ حَرَامٌ،وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أنْ يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ ، فَقَدْ أخْرَجَ ابْنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٢٣٤١)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ}،وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٥٠١٧)مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنْ الْخَيْرِ}.

-قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: قَالَ الْكِرْمَانِيّ :{وَمِنْ الْإِيمَان أَيْضًا أَنْ يَبْغَضَ لِأَخِيهِ مَا يَبْغَضُ لِنَفْسِهِ مِنْ الشَّرّ}.، كَمَا لَا يَجُوزُ إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ ، فَلا يَقُولُ التَّاجِرُ عَنْ أخِيهِ التَّاجِرِ :(إنْ لَمْ أفْعَلْ بِهِ كَذَا فَعَلَ بِي)وَلَكِنْ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ ، وَلَا يُقَابِلُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ ، كَمَا كَانَ خُلُقُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

-وَإنَّمَا تَكُونُ الْمُنَافَسَةُ شَرِيفَةً مَبْنِيَّةً عَلَى الصِّدْقِ وَعَدَمِ الْغِشِّ وَالْإخَاءِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَعَدَمِ الظُّلْمِ ، وَعَدَمِ أكْلِ أمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ،وَالتَّبَرِّي مِنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَالْحِرْصِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الشَّرَهِ وَالطَّمَعِ وَالْجَشَعِ، وَأنْ نَتَعَامَلَ فِي السُّوقِ عَلَى وِفْقِ قَوَانِينِ الْعَرْضِ وَالطَّلَبِ، وَلَا يَظْلِمِ أحَدًا شَيْئًا .

(٤)الْمُعَامَلَاتُ الْمُحَرَّمَةُ:

-لَيْسَ مِنْ أخْلَاقِ التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ التِّجَارَةُ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ الشَّرْعُ كَالرِّبَا،وَعُقُودِ الْغَرَرِ،وَالْبَيْعِ بِالْعِينَةِ،وَالتِّجَارَةِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ كَالْخُمُورِ وَالدُّخَانِ،لأنَّهُ يَعْلَمُ أنّ التَّعَامُلَ بِالرِّبَا خَرَابٌ وَدَمَارٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ}.(البقرة:٢٧٨-٢٧٩).،وَمَا أخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٤٦٢)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْألْبَانِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ أبِي دَاوُدَ(٣٤٦٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى

عَنْهُمَا–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ}.

–فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ}،وَهِيَ:بَيْعُ سِلْعَةٍ بِثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ، ثُمَّ شِرَاؤُهَا بِثَمَنٍ أَقَلَّ، {وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ}، أَيِ:انْشَغَلْتُمْ بِالزَّرْعِ وَفِلَاحَةِ الْأَرْضِ{وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ}، أَيِ: ابْتَعَدْتُمْ عَنِ الْجِهَادِ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا،{سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا}، أَيْ: صَغَارًا وَمَسْكَنَةً وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُمَا،{لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ}، أَيْ: لَا يُرْفَعُ هَذَا الذُّلُّ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى الْجِهَادِ، وَسَمَّاهُ هُنَا دِينَكُمْ؛ زَجْرًا، أَوْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى دِينِهِمْ بِشُمُولِهِ وَكَمَالِهِ،فَيُقَدِّمُوا مَا يَجِبُ أَنْ يُقَدَّمَ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ أَحْكَامِهِ.

–وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الْجِهَادِ.

–وَفِيهِ:بَيَانٌ لِأَسْبَابِ مَرَضِ الْأُمَّةِ، وَبَيَانُ الْعِلَاجِ.

•وَفِي خَاتِمَةِ الرِّسَالَةِ يَجِبُ عَلَى التَّاجِرِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ ، وَيَصْدُقَ مَعَ النَّاسِ ، وَيَتَحَرَّى الْأَمَانَةَ ، وَيَتَحَلَّى بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ،
حَتَّى يُحِبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى،وَيَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ.

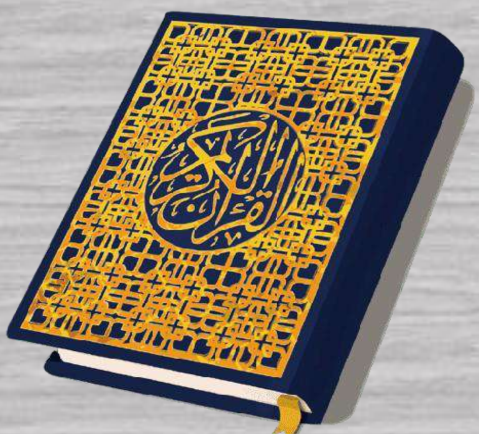
•رَبَّنَا آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا ،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا،إِرْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ وَالْوَبَاءَ وَالْغَلَاءَ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل دعوية ومنهجية

الرسالة (٢٥)

الْعَقْلُ الْمُتَدَبِّرُ مِنْحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ



أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَمرَ بِالتَّفَكُّرِ في آيَاتِه، وَضَرَبَ الْأَمْثَال لِنَتَدَبّرَ في بيِّناته، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لَا شَرِيك لَهُ، أَنْزَلَ القُرآنَ لِنَتَأَمَّلَ في عظَاته،وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ ربُّهُ بِالْهُدَى ودِينِ الْحَقِّ وأَيّدُهُ بِمُعْجِزَاتِه، صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وعَلَى أَصحَابِه الْمُقْتَفِينَ لِخُطُواته .أَمَّا بعد• :

فَمِنَ الْمِنَحِ الرَّبَّانيَّة،وَالْعَطَايَا الْإِلَهيَّة،الْعَقْلُ الْمُتَدَبِّرُ،فَهُوَ نِعْمَةٌ منْ أعْظَمِ النِّعَمِ الَّتي أَنعَمَ اللَّه بها عَلَى الْإِنْسَانِ والَّتي تَمَيّز بها الْإِنْسَانُ عَنْ سَائِرِ الْحيَوانَات، ولِأَجل هَذه النِّعْمَةَ الَّتي تَمَيّز بِهَا الْإِنْسَانُ كَلَّفَهُ اللَّهُ بِحَمْلِ الْأَمَانَة، فَأَرسَلَ إِلَيْهِ الرُّسُلَ، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ، وأَظْهَرَ لَهُ الْآيَاتِ، وشَرَعَ لَهُ الشَّرَائِعَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالتَّفكُّرِ فيما جَاءَهُ منْ ربِّه، لِيَقُودَهُ عَقْلُهُ إِلَى الإِيمَانِ والطَّاعَة والتَّقوى، قَالَ تَعالَى:

{ إِنَّا أَنزلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبيًّا لَعَلَّكُمْ تَعقلُونَ }.(يوسف:٢).

، وقَالَ تَعَالَى:{ كَذَلكَ يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاته لَعلَّكُم تعقلُونَ }.(البقرة:٢٤٢).،وقَدْ صَنَّفْتُ هَذه الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصرة وعَنْونْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{ الْعَقْلُ الْمُتَدَبِّرُ مِنْحَةٌ رَبَّانيَّةٌ } لِبَيَانِ مَنْزِلَة الْعَقْلِ في الْإِسلَامِ،هذَا وقَدْ حَانَ أَوَانُ الشُّرُوعِ في الْمَقْصُود فَأَقُولُ وبِاللَّه التَّوْفيقُ

• :أولًا: مَفْهُومُ الْعَقْلِ :

الْعَقْلُ لُغَةً- :بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَعَانِي اللُّغَويَّة نَجِدُ أَنَّ مَادَّةَ (عَقْل) ورَدَتْ بِعِدَّة مَعَانِي وَمِنْهَا- :الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: الْحَبْسُ، قَالَ ابْنُ فَارِس–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:

(عَقْل) الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصلٌ واحد مُنْقَاس مُطَّرِد، يَدُلُّ عُظْمُهُ عَلَى حُبْسَة في الشَّيءِ أَوْ ما يُقَارِبُ الْحُبْسَة. ومَنْ ذَلِكَ الْعَقْل، وهُوَ الْحَابِسُ عَنْ ذَميمِ الْقَوْلِ وَالْفعْلِ.(مُعْجَم مَقَاييس اللُّغَة ج٤ ص:٦٩)

الْمَعْنَى الثَّاني: الْعَقْلُ نَقِيضُ الْجَهْل، قَالَ الْخَلِيلُ بْن أَحْمَد الْفَرَاهِيديُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:{ الْعَقْلُ: نَقِيضُ الْجَهْل، يُقَالُ عقَل يَعقل عَقْلًا، إِذَا عَرفَ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ قَبْل، أَو انْزَجَر عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ. وَجَمعهُ عُقُولٌ. ورَجُلٌ عَاقلٌ وقَوْمٌ عُقَلَاءُ. وَعَاقلُونَ. ورَجُلٌ عَقُولٌ،إِذَا كَانَ حَسَنَ الْفَهْمِ وَافِرَ الْعَقْلِ .}(مقَاييس اللُّغة ج٤ ص:٦٩) .

الْمَعْنَى الثَّالِثُ: الْحِجْرُ وَالنَّهْيُ، الْعَقْلُ الْحِجْرُ وَالنَّهى ضِدُّ الْحُمْقِ وَالْجَمْعُ عُقُولٌ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ:{ تِلْكَ عُقُولٌ كَادَهَا بَارِئُهَا } أَيْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ. عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا وَمَعْقُولًا.(لِسَانُ الْعَرَبِ لابْنِ مَنْظُور ج١١ ص:٤٥٨).

وَقَدْ أَوْرَدَ ابْنُ مَنْظُور الْعَدِيدَ مِنَ الْمَعَانِي لِلعَقْلِ،وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَلْبِ.،وَقَدْ وَرَدَ بِنَفْسِ هَذَا الْمَعْنَى السَّابِقِ هَذَا فِي قَامُوسٍ آخَر:

{ عَقْلُ الْعَقْلُ: الْحِجْرُ وَالنَّهْيُ. وَرَجُلٌ عَاقِلٌ وَعُقُولٌ. وَقَدْ عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا وَمَعْقُولًا أَيْضًا وَهُوَ مَصْدَرٌ، وَقَالَ سِيبَوَيْه:{ هُوَ صِفَةٌ }.(الصِّحَاح ج٥ ص:١٧٦٩)

- .فَمِنَ الْمَعْنَى الثَّالِثُ (الْحِجْرُ وَالنَّهْيُ) قَوْلُهُ تَعَالَى:{ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}. { البقرة:٤٤}. أَفَلَا تَفْقَهُونَ وَتَفْهَمُونَ قُبْحَ مَا تَأْتُونَ مِنْ مَعْصِيَتِكُمْ رَبَّكُمْ الَّتِي تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِخِلَافِهَا وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنْ رُكُوبِهَا وَأَنْتُمْ رَاكِبُوهَا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَالْإِيمَان بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ.(جَامِعِ الْبَيَان لِلطَّبَرِيِّ ج١ ص:١٠

- .(وَمِنَ الْمَعْنَى الثَّانِي (نَقِيض الْجَهْل) قَوْلُهُ تَعَالَى:{ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }.(الأنبياء:٦٧)

قُبْحًا لَكُمْ وَلِلآلِهَةِ الَّتِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله، أَفَلَا تَعْقِلُونَ قُبْحَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَتَتْرُكُوا عِبَادَتَهُ، وَتَعْبُدُوا اللهَ الَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ.(جَامِعُ الْبَيَان لِلطَّبَرِيِّ ج١٨ ص:٤٦٤)

- .وَمِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّل (الْحَبْس عَنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ) قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ }.(يس:٦٨). أَفَلَا يَعْقِلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَى مَا يَشَاءُ بِمُعَايَنَتِهِم مَا يُعَايِنُونَ مِنْ تَصْرِيفِهِ خَلْقَهُ فِيمَا شَاءَ وَأَحَبَّ مِنْ صِغَرٍ إِلَى كِبَرٍ، وَمِنْ تَنْكِيسٍ بَعْدَ كِبَرٍ فِي هَرَمٍ.(جَامِعُ الْبَيَانِ لِلطَّبَرِيِّ ج:٢٠ ص:٥٤٩)

- وَبِهَذَا فَإِنَّ مَفْهُومَ الْعَقْلِ فِي الْقُرْآنِ يَأْخُذُ مَنَاحِي مُتَعَدِّدَةً، مُجْمَلُهَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ أَدَاةُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَالْحَبْس وَالْحِجْر عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَهَالِكَ

وَالْمضَار، وذَميم الْقوْل والْفعْل لأنَّ الْعاقل يعْرفُ به الضَّارَّ من النَّافع والْخيْر من الشَّرِّ، ومُجمَل الْآيَات الَّتي تَحدَّثتْ عن الْعقْل تدْعُوه إلى الْعمل بالطُّرُق الْمُخْتلفة والَّتي سنتناولها لَاحقًا) .

ب) الْعَقْلُ شرْعًا:

- الْعَقْلُ شرْعًا يقعُ بالاسْتعْمَال علَى أرْبَعة معَانٍ: الْغَريزة الْمُدْركة، والْعُلُوم الضَّرُوريَّة، والْعلُوم النَّظَريَّة، والْعمل بمُقْتضَى الْعلْم

- :الْأوَّلُ: الْغَريزَةُ الَّتي في الْإنْسَان، فَبهَا يعْلَمُ ويَعْقلُ، وهي فيه كَقُوَّة الْبَصر في الْعيْن، والذَّوْق في اللِّسَان، فَهي شَرْطٌ في الْمَعْقُولَات والْمَعْلُومات، وهي مَنَاطُ التَّكْليف، وبهَا يمْتَازُ الْإنْسَانُ عنْ سائر الْحيَوان، يقُولُ شَيْخُ الْإسْلَام ابْنُ تيْميَّةَ–رَحمَهُ اللَّهُ تَعالَى–:

{ الْغَريزَةُ الَّتي يعْقلُ بها الْإنْسَانُ، وهَذه ممَّا تَتَنوَّعُ في وُجُودهَا، والسَّلَفُ والْأئمَّةُ مُتَّفقُونَ عَلَى إثْبَات هَذه } (يُنْظَرُ:بُغْيَة الْمُرْتَاد ص:٢٦٠–٢٦٣).ويَقُولُ أيْضًا :

{ هُوَ غَريزَةٌ في النَّفْس وقُوَّةٌ فيها بمَنْزلة قُوَّة الْبَصَر الَّتي في الْعَيْن }.(يُنْظَرُ:دَرْء التَّعارُض بَيْنَ الْعَقْل والنَّقْل ج:١ ص:٨٩) .، وبه قَالَ الْإمَامُ أحْمَدَ–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– .(يُنْظَرُ:الْعَقيدَة بَيْنَ السَّلَف والْمُتَكَلِّمينَ ل حسن بْن مُحَمَّد شبَانَة ص:٤٧)

- .الثَّاني: الْعُلُومُ الضَّرُوريَّةُ أو الْبَديهيَّاتُ الْعَقْليَّةُ وَهي الَّتي يَتَّفقُ عَلَيْهَا جَميعُ الْعُقَلَاء كَالْعلْم بأنَّ الْكُلَّ أكْبَرُ من الْجُزْء إلَى غيْرها من الْبَديهيَّات وَهي عُلُومٌ لَا تحْتَاجُ إلَى دَليل لإقْرَارها وَغَيْر مكْتسَبَة ولَوْ لَزمَ كَوْنها تَحْتَاجُ لبُرْهَان لأفْضَى ذَلكَ إلَى التَّسَلْسُل وَهُوَ مُحَالٌ- .يَقُولُ شَيْخُ الْإسْلَام ابْنُ تَيْميَّة–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–في تَعْريفه للمَعْنَى الثَّاني للعَقْل:

{ عُلُومٌ ضَرُوريَّةٌ يُفَرَّقُ بها بيْنَ الْمَجْنُون الَّذي رُفعَ الْقَلَمُ عَنْه، وبَيْنَ الْعَاقل الَّذي جَرَى عَلَيْه الْقَلَمُ، فَهُوَ مَنَاطُ التَّكْليف }.(يُنْظَرُ:بُغْيَة الْمُرْتَاد ص:٢٦٠–٢٦٣)

- الثَّالثُ: الْعُلُومُ النَّظَريَّةُ، وَهيَ الَّتي تَحْصُلُ بالنَّظَر وَالاسْتدْلَال، وتَفَاوُتُ النَّاس وتَفَاضُلُهُم فيها، أمْرٌ جَليٌّ ووَاقعٌ، وَهيَ الَّتي تَدْعُو الْإنْسَان إلَى فعْل مَا يَنْفَعُهُ وَتَرْك

مَا يَضُرُّهُ- .الرَّابِعُ: الْأعمَالُ الَّتِي تَكُونُ بِمُوجَبِ الْعِلْمِ، ولِهذَا قَالَ الْأصْمَعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

{ الْعَقْلُ:الْإِمْسَاكُ عَنِ الْقَبِيحِ،وَقَصْرُ النَّفْسِ وحَبْسُهَا عَلَى الْحَسَنِ }. وقِيلَ لِرَجُلٍ وَصَفَ نَصرَانيًا بِالْعَقْلِ:{ مَه، إنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ وجَدَ اللهَ وعَمِلَ بِطَاعَتِهِ }، وَقَالَ أَصْحَابُ النَّارِ: { وقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ).{الملك:١٠

• .ثَانِيًا:الْعَقْلُ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ- :

-وَيَكْفِي الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ شَرَفًا أَنْ جعَلَهُ اللهُ تَعَالَى مَنَاطَ التَّكْلِيفِ، وَيَسقُطُ التَّكْلِيفُ بِغِيَابِهِ أَوْ ضَعْفِهِ فَقَدْ رُفِعَ الْقَلَمُ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَالصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَالْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ ،فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ (1423)مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{ رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ }.،وقَدْ جعَلَ اللهُ تَعَالَى الْعَقْلَ والرُّشْدَ مِعيَارًا لِلتَّصرُّفِ فِي الْمَالِ فَقَالَ تَعَالَى:

{ ولَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَموَالَكُمُ الَّتِي جعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وارْزُقُوهُمْ فِيهَا واكْسُوهُمْ وقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا }.(النِّساء:٥).

يَنْهَى تَعَالَى عَنْ تَمْكِينِ السُّفَهَاءِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا، أَيْ: تَقُومُ بِهَا مَعَايِشُهُمْ مِنَ التِّجَارَاتِ وغَيْرِهَا،ومِنْ هَاهُنَا يُؤْخَذُ الْحَجْرُ عَلَى السُّفَهَاءِ، وهُمْ أَقْسَامٌ: فَتَارَةً يَكُونُ الْحَجْرُ لِلصِّغَرِ؛ فَإِنَّ الصَّغِيرَ مَسْلُوبُ الْعِبَارَةِ ، وتَارَةً يَكُونُ الْحَجْرُ لِلجُنُونِ، وتَارَةً لِسُوءِ التَّصرُّفِ لِنَقْصِ الْعَقْلِ أَوِ الدِّينِ، وتَارَةً يَكُونُ الْحَجْرُ لِلفَلَسِ، وهُوَ مَا إِذَا أَحَاطَتِ الدُّيُونُ بِرَجُلٍ وضَاقَ مَالُهُ عَنْ وَفَائِهَا، فَإِذَا سَأَلَ الْغُرَمَاءُ الْحَاكِمَ الْحَجْرَ عَلَيْهِ حَجرَ عَلَيْهِ- . وقَالَ تَعَالَى:

{ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَستُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَموَالَهُمْ ولَا تَأْكُلُوهَا إِسرَافًا وبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا }.(النِّساء:٦). فَانْظُرْ إِلَى كَلِمَةِ { السُّفَهَاءِ }.(النِّساء: ٥)، { رُشْدًا }. (النِّساء: ٦) فَالْمِعيَارُ فِيهِمَا الْعَقْلُ وحُسْنُ التَّصرُّفِ .قَالَ

ابنُ عبَّاسٍ،ومُجَاهدٌ، والْحسَنُ،والسُّدِّيُّ، ومُقَاتِلُ بْن حيَّان: أيْ اختَبِروهُم { حتَّى إِذَا بلَغُوا النِّكَاحَ }.(النساء:٦)

قَالَ مُجَاهد: يعْنِي: الْحُلُم، قَالَ الْجُمْهُورُ منَ الْعلَمَاءِ:الْبُلُوغُ فِي الْغلَامِ تَارَّةً يَكُونُ بالْحُلُمِ، وهُوَ أنْ يرى فِي منَامه مَا ينْزِلُ به الْمَاءُ الدَّافقُ الَّذي يكُونُ منْهُ الْولَدُ .أوْ يستكْمل خمْسَ عشْرَةَ سنَة، وأَخَذُوا ذَلكَ منَ الْحَديثِ الثَّابتِ فِي الصَّحيحيْنِ عنْ عبدِ الله بْنِ عمرَ–رضِيَ اللَّهُ تَعَالى عنْهمَا–قَالَ:{ عُرِضتُ علَى رسُولِ الله–صلَّى الله علَيهِ وسلَّمَ–يوْمَ أُحدٍ وأَنَا ابنُ أربعَ عشْرةَ، فلَمْ يجِزْنِي، ولَمْ يرنِي بلَغْتُ، ثُمَّ عُرِضْتُ علَيْه يوْمَ الْخنْدَقِ وأَنَا ابنُ خمْسَ عشْرَةَ فَأجَازَنِي }.

، فَقَالَ أَميرُ الْمُؤمنِينَ عمرُ بن عَبْد الْعزِيز–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى –لَمَّا بلَغَهُ هذَا الْحَديثُ :

{ إنَّ هذَا الْفَرْق بيْنَ الصَّغِيرِ والْكَبِيرِ }.

• فَمنْ أعْظَمِ نِعَمِ الله علَى الْعبْدِ نِعْمَةُ الْعَقْلِ،وقَدْ أَناطَ اللهُ تبَاركَ وتَعَالَى التَّكْليفَ جُمْلَةً وتَفْصيلًا علَى وُجُودِ هذَا الْعقْلِ، وعلَماءُ أهْلِ السنَّةِ عنْدَمَا يقُولُونَ:{ لَا عقْلَ معَ النَّقْلِ }،لَا يقْصدُونَ منْهُ: أنْ تَأخُذَ النَّقْلَ بِلَا عقْلٍ، فَالْعقْلُ ضرُورَةٌ وأَسَاسٌ للتَّكْلِيفِ، فكَيْفَ يُفْهَمُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وكَلَامُ النَّبِيِّ– صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ– بِلَا عقْلٍ؟! فَقَوْلُهمْ:

{ لَا عقْلَ معَ النَّقْلِ } أيْ:

لَا تُقَدِّم عقْلَكَ علَى النَّقْلِ (الْكتَاب والسنَّة) لَا تجعَلْ عقْلَكَ قَاضِيًا علَى كلَامِ النَّبِيِّ– صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ–،كذَلك قَولُهمْ:{ لَا اجتِهَاد معَ النَّصِّ } لَيسَ معنَاهُ أنْ تَأخُذَ النَّصَّ بلَا اجتِهَادٍ ولَا تَفْكِيرٍ، وإنَّمَا معنَاهُ: لَكنْ لَّا تجتَهد اجتِهَادًا مُضَادًّا للنصِّ- .فمثَلًا لوْ قَرأْتَ أنَّ أعرَابيًّا سأَلَ النَّبيَّ–صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّمَ–عنِ الْوضُوءِ فَأرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:{ هكَذَا الْوضُوءُ فمَنْ زادَ علَى هذَا أوْ نَقَصَ فقَدْ أساءَ وتَعدَّى و ظَلَم }.(أخرجَهُ النَّسائيُّ:١٤٠،وابْنُ ماجه:٣٤٤)

-فَالْواضحُ منْ هذَا الْحديثِ : أنَّهُ لَا يجُوزُ الزِّيادَةُ علَى ثَلَاثِ مرَّاتٍ فِي الْوضُوءِ، فَمنْ زادَ علَى ثَلَاثٍ، فقَدْ أساءَ وتَعدَّى وظَلَمَ، فإذَا جاءَ آتٍ وقَدْ قرأَ مثَلًا حديثَ علِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ–رضِيَ اللَّهُ تَعالَى عنْهُ–:{ أنَّ النَّبِيَّ –صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ–توَضَّأَ ثَلَاثًا } فقَالَ:

عَلَى الْإنسَانِ أنْ يَتَوَضأَّ ثَلَاثًا أوْ أرْبَعًا أوْ خَمْسًا حَتَّى يَعْلَمَ أنَّهُ قَدْ أسْبَغَ الْوُضُوءَ! – هَذَا اجْتِهَادٌ مُرَادُهُ فِي هَذَا الْكَلَامِ أنْ تُسْبِغَ الْوُضُوءَ فِي النِّهَايَةِ ، وَلَوْ أدَّى إلَى تَكْثِيرِ مَرَّاتِ الْغَسْلِ، فَحِينَئِذٍ نَقُولُ لَهُ: لَا اجْتِهَادَ مَعَ النَّصِّ بِمَعْنَى لَا اجْتِهَادَ مُضَادٌّ لِلنَّصِّ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى: خُذِ النَّصَّ بِلَا اجْتِهَادٍ• .

ثَالِثًا:مَنْزِلَةُ الْعَقْلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ- :

إنَّ الْمُتَدَبِّرَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ اهْتِمَامًا كَبِيرًا بِالْعَقْلِ لِبَيَانِ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ،وَيَجِدُ أنَّ الْقُرْآنَ حَدَّدَ وَظَائِفَ الْعَقْلِ فِي ثَلَاثِ وَظَائِفَ :

•الْوَظِيفَةُ الْأولَى:الْكَشْفُ عَنِ السُّنَنِ الرَّبَّانِيَّةِ:

فَمِنْ وَظَائِفِ الْعَقْلِ الَّتِي بَيَّنَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَظِيفَةُ الْكَشْفِ عَنِ السُّنَنِ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ جَمَادَاتٍ وَحَيَوَانَاتٍ وَنَبَاتَاتٍ وَإنْسَانٍ قَصْدَ تَسْخِيرِهَا وَالانْتِفَاعِ بِهَا.

• الْوَظِيفَةُ الثَّانِيَةُ:فَهْمُ مَعَانِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ:

- وَمِنْ وَظَائِفِ الْعَقْلِ فَهْمُ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ،وَإدْرَاكُ الْأسْرَارِ وَالْحِكَمِ وَالْمَقَاصِدِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا أحْكَامُهَا،وَإعْمَالُ الاجْتِهَادِ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ لاسْتِنْبَاطِ الْأحْكَامِ الْخَاصَّةِ بِمَنْطِقَةِ الْعَفْوِ الَّتِي تَرَكَهَا الشَّرْعُ،وَإعْمَالُ الْعَقْلِ فِي التَّرْجِيحِ عِنْدَ وُرُودِ الْأدِلَّةِ الْمُحْتَمِلَةِ.

-الْوَظِيفَةُ الثَّالِثَةُ الاعْتِبَارُ مِنَ الْحِكَمِ وَالْأسْرَارِ الْكَامِنَةِ فِي الْكَوْنِ وَالشَّرْعِ،وَإدْرَاكُ الْغَايَاتِ الْبَعِيدَةِ لِتِلْكَ الْحِكَمِ وَالْأسْرَارِ، وَالرَّبْطُ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَبَيْنَ وُجُودِ الْإنْسَانِ فِي الْأرْضِ وَمُهِمَّتِهِ

• وَإلَيْكَ بَعْضُ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى مَنْزِلَةِ الْعَقْلِ(1) :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.(البقرة:١٦٤)

- فَالْعَاقِلُ الْمُتَدبِّرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى يَعْلَمُ أَنَّ هَذهِ الْآيَاتِ خُلِقَتْ بِالْحَقِّ وَلِلحَقِّ،وأَنَّهَا صَحَائِفُ آيَاتٍ،وَكُتُبُ دَلَالَاتٍ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ،وَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّهَا مُسَخَّرَاتٌ، لَيْسَ لَهَا تَدْبِيرٌ وَلَا اسْتِعْصَاءٌ عَلَى مُدَبِّرِهَا وَمُصَرِّفِهَا- .فَفِي هَذهِ الْآيَةِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ بِارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَالْأَرْضِ بِجِبَالِهَا وَسُهُولِهَا وَبِحَارِهَا، وَفِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الطُّولِ وَالْقِصَرِ، وَالظُّلْمَةِ وَالنُّورِ، وَتَعَاقُبِهِمَا بِأَنْ يُخْلِفَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرُ،وَفِي السُّفُنِ الْجَارِيَةِ فِي الْبِحَارِ، الَّتِي تَحْمِلُ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ،فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ، فَصَارَتْ مُخْضَرَّةً ذَاتَ بَهْجَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَابِسَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَمَا نَشَرَهُ اللهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ تَقْلِيبِ الرِّيَاحِ وَتَوْجِيهِهَا، وَالسَّحَابِ الْمُسَيَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ – إنَّ فِي كُلِّ الدَّلَائِلِ السَّابِقَةِ لَآيَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَجَلِيلِ نِعَمِهِ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ مَوَاضِعَ الْحُجَجِ، وَيَفْهَمُونَ أَدِلَّتَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ.

(2)وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }(آل عمران:١٩٠-١٩١)

-يُخَاطِبُ اللَّهُ تَعَالَى أَصْحَابَ الْعُقُولِ لِبَيَانِ مَنْزِلَةِ الْعَقْلِ الْمُتَدَبِّرِ فَيَقُولُ: إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْتِلَافِهِمَا طُولًا وَقِصَرًا لَدَلَائِلَ وَبَرَاهِينَ عَظِيمَةً عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ- .ثُمَّ بَيَّنَ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ فَقَالَ: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ: قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، وَهُمْ يَتَدَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَائِلِينَ: يَا رَبَّنَا مَا أَوْجَدْتَ هَذَا الْخَلْقَ عَبَثًا، فَأَنْتَ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، فَاصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ النَّارِ

(3) .وقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ }.(طه:٥٤)

- .كلُوا – أيُّهَا النَّاسُ – ممَّا أخْرجَنَا لَكُمْ منَ الطَّيِّبَات، وَارْعَوْا أنْعَامَكُمْ، إنَّ في ذَلكَ الْمَذْكُورِ منَ النِّعَمِ لدَلَائل عَلَى قُدْرَة الله وَوَحْدَانيتَّه لأصْحَاب الْعُقُول،وَسُمِيَ الْعَقْلُ بِالنُّهَى لأَنَّهُ يَنْهَى عَنِ الْقَبَائح،قَالَ الْحَافظُ ابْنُ كَثيرٍ–رَحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:
{ لِّأُولِي النُّهَىٰ { أيْ لِذَوِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ }

. (4)

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }.(الرَّعد:٢– ٤)

- .فِي هَذه الْآيَات يَدْعُو الْقُرْآنُ إِلَى اسْتعْمَالِ الْعَقْل بِقَصْد التَّدبُّرِ وَالنَّظَرِ في آيَات اللَّه الْكَوْنيَّة الَّتي تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانيَّة الْخَالقِ سُبْحَانَهُ فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذي رَفَعَ السَّموَات السَّبْع بقُدْرَته منْ غَيْرِ عَمَد كَمَا تَرَوْنهَا، ثُمَّ اسْتَوَى –أيْ عَلَا وَارْتَفَعَ– عَلَى الْعَرْشِ اسْتوَاءً يَليقُ بجَلَاله وَعَظَمَته، وَذَلَّلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِمَنَافعِ الْعبَاد، كُلٌّ منْهمَا يَدُورُ في فَلَكه إلَى يومِ الْقيَامَة.
يُدَبِّرُ سُبْحَانَهُ أُمُورَ الدُّنْيَا وَالْآخرَة، يُوَضِّحُ لَكُمُ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَته وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ لتُوقنُوا بِالله وَالْمعَاد إِلَيْه، فَتُصَدِّقُوا بوَعْده وَوَعيده وَتُخْلصُوا الْعبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ- .
وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذي بَسَطَ الْأَرْضَ، وَخَلَقَ فيهَا جبَالاً ثَوَابتَ حَتَّى لَا تَضْطَّرب بالنَّاس، وَجَعَلَ فيهَا أَنْهَارًا منْ مَاء لتَسْقيَ النَّاسَ وَدَوَابَّهُمْ وَزُرُوعَهُمْ، وَمنْ كُلِّ أنْوَاعِ الثَّمَرَات جَعَلَ فيهَا صنْفَيْنِ كَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى في الْحَيَوَان، يُلْبسُ اللَّيْلَ النَّهَار، فَيَصير مُظْلمًا بَعْدَمَا كَانَ مُنيرًا، إنَّ في ذَلكَ الْمَذْكُورِ لأدلَّة وَبرَاهين لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ في صُنْعِ الله، وَيَتَأَمَّلُونَ فيه، فَهُمُ الَّذين يَنْتَفعُونَ بتلْكَ الْأدلَّة وَالْبَرَاهين.

-وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ يُجَاوِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا، مِنْهَا مَا هُوَ طَيِّبٌ يُنْبِتُ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمِنْهَا سَبِخَةٌ مِلْحَةٌ لَا تُنْبِتُ شَيْئًا، وَفِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ بَسَاتِين مِنْ أَعْنَابٍ، وَجَعَلَ فِيهَا زُرُوعًا مُخْتَلِفَةً وَنَخِيلًا مُجْتَمِعًا فِي مَنْبَتٍ وَاحِدٍ، وَغَيْرَ مُجْتَمِعٍ فِيهِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي تُرْبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ فِي الثِّمَارِ وَالْحَجْمِ وَالطَّعْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا حُلْوٌ وَهَذَا حَامِضٌ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعَلَامَاتٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْقِلُ عَنِ اللهِ تَعَالَى أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ

.وَقَدْ عَرَضَ الْقُرْآنُ قِصَّةَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَبْدُو فِيهَا دَوْرُ الْعَقْلِ بَارِزًا فِي إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَفِيهَا دَلَالَاتٌ عَظِيمَةٌ عَلَى حُسْنِ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ وَاسْتِعْمَالِ هِبَةِ الْعَقْلِ لِيَكُونَ قُدْوَةً لِغَيْرِهِ مِمَّنْ أَنْكَرُوا وَحْدَانِيَّةَ اللَّهِ وَأَشْرَكُوا بِهِ جَلَّا وَعَلَا ،فَهَا هُوَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَعْمِلُ عَقْلَهُ لِفَهْمِ هَذَا الْكَوْنِ الْبَدِيعِ فَيَتَسَائَلُ عَنْ سِرِّ هَذَا الْكَوْنِ وَعَنْ سِرِّ الْبَعْثِ وَكَيْفِيَّةِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِيَتَرَقَّى فِي مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ الْيَقِينِيِّ مِنْ مَرْتَبَةِ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى مَرْتَبَةِ عَيْنِ الْيَقِينِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.(البقرة:٢٦٠).
،وَتَارَةً يَسْتَعْمِلُ عَقْلَهُ لِلِاسْتِدْلَالِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ الْخَالِقِ دَعْوَةً لِقَوْمِهِ مِنْ عُبَّادِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى }:وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .{ الأنعام:٧٤-٧٩- .)
وَالْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي بَيَانِ مَنْزِلَةِ الْعَقْلِ كَثِيرَةٌ أَكْتَفِي بِمَا ذَكَرْتُ

• رابعًا:مَنْزِلَةُ الْعَقْلِ فِي السنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ :

لَقَدْ وردت أحاديثُ كثيرةٌ ثابتةٌ في السنَّةِ الْمُطَهَّرةِ تُبَيِّنُ مَنْزِلَةَ الْعَقْلِ أذْكُرُ منها:

(1) أخرجَ الْإمَامُ مسلمٌ –رحمَهُ اللَّهُ تعالَى– في صحيحه برقم (432)من حديث عبدِ اللَّه بن مسعودٍ –رضي اللَّه تعالى عنهُ– قال:قال رسولُ اللَّه –صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ–:{ ليَلِنِي منكُمْ أولو الْأحْلَامِ والنُّهَى ثمَّ الَّذين يلُونهم ثمَّ الَّذين يلُونهم ولَا تختلِفوا فتختلِفَ قُلُوبُكُمْ وإيَّاكُمْ وهيْشَاتِ الْأسْوَاقِ .}

- صلَاةُ الْجماعَةِ في الْمساجِدِ شأنُها عظيمٌ، وأجرُها كبيرٌ، وقدْ نظَّمَ الشَّرْعُ هذه الصلَّاةَ، ورتَّبَ أحوالَ الْوقُوفِ خلْفَ الْإمامِ، فيؤمُّ النَّاسَ في الصلَّاةِ أقْرَؤُهُمْ وأكْثرُهُمْ علْمًا وفقْهًا، ثُمَّ يكُونُ خلْفَ الْإمامِ الْحُفَّاظُ للقرْآنِ ، والْعَالمُونَ بأحكَامِ الصلَّاةِ ، والْبَالغُونَ، ثُمَّ الْأقلُّ علْمًا، حتَّى يتعَلَّمُوا منْهُ أولًا، ثُمَّ يصحِّحُوا قراءتَهُ إذا أخْطَأَ، ويردُّوهُ إذَا سهَا،وفي ذلكَ بيانٌ لمنزلَةِ الْعقْلِ.

(2) وأخرجَ الْإمامُ مسلمٌ –رحمهُ اللَّهُ تعالَى– في صحيحه برقم(18)من حديث أبي سعيد الْخُدْرِيِّ –رضي اللَّهُ تعالَى عنهُ–: أنَّ أُناسًا منْ عبْدِ الْقيْسِ قدمُوا علَى رسُولِ الله –صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ–،فقَالُوا: يَا نبيَّ الله، إنَّا حيٌّ منْ ربيعةَ، وبيْننَا وبيْنكَ كفَّارُ مُضرَ، ولَا نقْدرُ عليْكَ

إلَّا في أشْهرِ الْحُرُمِ، فمُرْنَا بأمرٍ نأْمُرُ به منْ ورَاءنَا، وندْخُلُ به الْجنَّةَ إذَا نحْنُ أخذْنَا به، فقَالَ رسُولُ الله –صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ–:

{ آمُرُكُمْ بأرْبعٍ، وأنْهَاكُمْ عنْ أرْبعٍ: اعبُدُوا اللَّهَ ولَا تُشْرِكُوا به شيْئًا، وأقيمُوا الصلَّاةَ، وآتُوا الزَّكَاةَ، وصومُوا رمضَانَ، وأعْطُوا الْخُمُسَ منَ الْغنَائمِ، وأنْهَاكُمْ عنْ أرْبعٍ: عنِ الدُّبَّاءِ، والْحنْتَمِ، والْمُزَفَّتِ، والنَّقيرِ قَالُوا: يَا نبيَّ الله، مَا علْمُكَ بالنَّقيرِ؟ قَالَ: بلَى، جذْعٌ تنْقُرُونَهُ، فتقْذفُونَ فيه منَ الْقُطَيْعَاءِ، قَالَ سعيدٌ: أوْ قَالَ: منَ التَّمْرِ، ثُمَّ تَصُبُّونَ فيه منَ الْمَاءِ حتَّى إذَا سكَنَ غلَيَانُهُ شرِبْتُمُوهُ، حتَّى إنَّ أحدَكُمْ، أوْ إنَّ أحدَهُمْ لَيَضْرِبُ ابْنَ عمِّه بالسَّيْفِ قَالَ: وفي الْقوْمِ رجُلٌ أصَابَتْهُ جرَاحَةٌ كذَلكَ قَالَ، وكُنْتُ أخْبَؤُهَا حيَاءً منْ رسُولِ الله –صلَّى اللَّهُ عليْه وسلَّمَ–،فقُلْتُ: ففيمَ نشْرَبُ يَا رسُولَ الله؟ قَالَ: في أسْقيَةِ الْأدَمِ الَّتي يُلَاثُ علَى أفْوَاهِهَا، قَالُوا:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَرْضَنَا كَثِيرَةُ الْجِرْذَانِ، وَلَا تَبْقَى بِهَا أَسْقِيَةُ الْأَدَمِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ، وَإِنْ أَكَلَتْهَا الْجِرْذَانُ قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ

- .{فَقَوْلُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ }.

الْحِلْمُ، أَيِ: الْعَقْلُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْأَنَاةُ: وَهِيَ الرِّفْقُ وَالتَّثَبُّتُ فِي الْأُمُورِ، فَأَثْنَى رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَيْهِ بِالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ،وَأَخْبَرَ بِحُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ لَهُمَا. وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الْخُلُقِيَّةُ قَدْ تَكُونُ جِبِلِّيَّةً فِطْرِيَّةً، وَقَدْ تَكُونُ مُكْتَسَبَةً بِالْمِرَانِ وَالْمُمَارَسَةِ،وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى مَنْزِلَةِ الْعَقْلِ.

(3) وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (1695)مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ الْأَسْلَمِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–:أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ أَتَى رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ:

{ أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا؟ تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا، فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

والحمد لله رب العالمين وقريبًا الجزء الثاني من الرسائل بأذن الله

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية